شماره ٦

آداب الرافدين

تصدر عن كلية الآداب .
جامعة الموصل

كلمة

... واذ نضع هذا العدد بين ايدي قرائنا نذكر بالاعتزاز ماقوبل به العدد الخامس من تقييم شجعنا على مضاعفة النسخ .

لاندعي تحقيق طموحاتنا كاملة ، ولكننا نأمل بمؤازرة القراء ومساهماتهم ان نصل الى ما هو احسن ...

« التحرير »

آداب الرافدين

محتويات العدد

الاجتهاد في أمور العقيدة

دراسة في تطور الفكر العقائدي عند المسلمين

الدكتور هاشم يحيى الملاح

إنّ معنى الإجتهاد ، لغوياً : بذل المجهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال (١) سواءاً كان ذلك المجهود منصباً على استنباط حكم شرعي من أدلته التفصيلية كالقرآن والسنة أم أعمال العقل للتوصل إلى العقيدة الصحيحة عن طريق التأمل والتفكير في أسرار الكون والحياة ، أم بذل الجهد للتعرف على بعض الأحكام اللغويّة أو العقليّة أو الحسيّة .

□ غير أن الفقهاء الذين بدأوا يؤلفون في أُصول الفقه منذ اواخر القرن الثاني للهجرة حاولوا تضييق معنى الإجتهاد وحصره في حدود استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية من قرآن وسنة وما يتبعهما من مصادر للفقه كالقياس والإجماع (٢) .

وقد عرف الامدي «المتوفى سنة ٦٣١هـ» الإجتهاد بأنه : «استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز

---

(١) الغزالي أبو حامد : المستصفى ،مصر ١٩٣٧ ،ج ٢ص ١٠١. راجع أيضاً : ابن منظور ،جمال الدين : لسان العرب ،بيروت ١٩٥٦ ،ج ٣ص ١٣٥ .

(٢) زيدان ،عبد الكريم ،الوجيز في أصول الفقه ،بغداد ١٩٦٢ص ١٤ — ١٧ .

عن المزيد فيه »(٣) .وقد اعتبروا المجتهد مأجوراً على اجتهاده سواء أصاب في التوصل إلى الحق أم أخطأ عملا بقوله (ص) : «إذا حكَم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»(٤).

ويلاحظ أن القرآن قد دعى الناس منذ البداية إلى الإجتهاد في البحث عن عقيدتهم ، لأنه كان يستهدف تحويل الناس من الشرك إلى عقيدة التوحيد لذا فقد حثّ الناس على استعمال العقل للوصول إلى العقيدة الصحيحة في حوالي تسع وأربعين آية (٥) ، نحو قوله : «كذلك يُبيّنُ اللهُ لكم آياته لعلّكم تعقلون »(٦) ، «قد بيّنا لكم الآيات إنْ كنتم تعقلون»(٧) «إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» (٨) ، كما لفتَ الأنظار إلى وجوب التفكر والتفكير في حوالي ثماني عشرة آية (٩) كقوله : «كذلك يُبيّنُ اللهُ لكم الآياتِ لعلكم تتفكرون» (١٠) ، «قل : هل يستوي الأعمى والبصير ؟ أفلا تتفكرون ؟» (١١) ، «وأنزلنا إليكَ الذِكرَ لتُبيّنَ للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون »(١٢) ، كذلك فقد حثّ القرآن الناس على تدّبر آياته في عدة مواضع ، كقوله : «أفلا يتدّبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟»(١٣)

---

(٣) الآمدي ،سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد :الأحكام في أصول الاحكام، القاهرة ١٩٦٨ ،ج ٤،ص ١٤١.

(٤) الحافظ المنذري : مختصر صحيح مسلم (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني دمشق ١٣٨٩ ،) ج ٢،ص ٤٠.

(٥) عبد الباقي محمد فؤاد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،مصر ١٣٧٨ ص٤٦٨-٤٦٩.

(٦) سورة البقرة : ٢٤٢.

(٧) سورة آل عمران : ١١٨

(٨) سورة يوسف : ٢.

(٩) عبد الباقي : المعجم المفهرس ،ص ٥٢٥

(١٠) سورة البقرة : ٢٦٦.

(١١) سورة الانعام : ٥٠.

(١٢) سورة النحل : ٤٤.

(١٣) سورة محمد : ٢٤.

«كتابٌ أنزلناهُ إليكَ مُباركٌ ليدّبروا آياته وليتذكّر أُولو الألباب»(١٤).

لذا ، فقد نعى القرآن الكريم على المشركين إهمالهم الاسترشاد بهدى عقولهم وجمودهم على تقاليد آبائهم وأجدادهم من غير تمييز بين الصالح والطالح منها في العديد من الآيات، نحو قوله : « وإذا قيل لهم آتبعوا ما أنزل آلله ، قالوا: بل نتبعُ ما ألفَينا عليه آباءنا ، أولَو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ؟ » (١٥).

وقد آعتبر القرآن الكريم الجمود على تقاليد الآباء والأجداد ورفض قبول العقائد الجديدة من سمات الطبقة المترفة الممسكة بزمام الأمور في المجتمع ربما لأنها تجد في آستمرار القديم مايضمن بقاء مصالحها ونفوذها ، وقد وصف القرآن ذلك بقوله : «بل قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ، وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذيرٍ إلا قال مُترفوها : إنّا وجدنا آباءنا على أُمة وإنّا على آثارهم مُقتدون ، قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا : إنّا بما أرسلتم به كافرون»(١٦) ، وما أرسلنا في قريةٍ من نذير إلا قال مترفوها إنّا بما أرسلتم به كافرون»(١٧).

وقرر القرآن في آية أخرى : «سأصرفُ عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير آلحق ، وإنْ يروا كل آية لايؤمنون بها ، وإنْ يروا سبيل آلرشد لا يتخذُوه سبيلاً ، وإنْ يروا سبيلَ آلغي يتخذوه سبيلاً»(١٨) .

لذلك فقد أطلق القرآن الكريم على هؤلاء المشركين المتعصبين تعصباً أعمى لتقاليد آلسلف وعقائدهم صفة «الكافرين» ، وذلك لأن الكفر يعني — في لغة العرب — ستر الشيء وتغطيته (١٩) . ومن ثم ، فالكافر هو من يغطي

---

(١٤) سورة ص : ٢٩.

(١٥) سورة البقرة : ١٧٠.

(١٦) سورة الزخرف : ٢٢ — ٢٥.

(١٧) سورة سبأ : ٣٤.

(١٨) سورة الأعراف : ١٤٥.

(١٩) ابن منظور : لسان العرب ج ٥ص ١٤٤.

الحقيقة ويسترها رغم معرفته بها ، بدل أن يبحث عنها ويطلبها . وهذا ماحمل بعض علماء المعتزلة كالجاحظ (٢٠) وبعض علماء أهل السنة كالإمام الغزالي (٢١) من الأقدمين والشيخ محمود شلتوت من المعاصرين على تقرير أن: «الشرك الذي جاء في القرآن أن الله لايغفره ، هو الشرك الناشيء عن العناد والاستكبار الذي قال الله في أصحابه (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) (٢٢)»(٢٣) .

ربما ، كان ماتقدم سر عطف الرسول (ص) على الأحناف الذين تركوا دين قومهم ، وخرجوا يبحثون عن الدين الحق . فقد روى أن الرسول (ص) استغفر لأحدهم وهو زيد بن عمرو بن نفيل الذي توفي وهو يبحث عن الدين الحق ، وقال عنه : «إنه يبعثُ أُمة وحده »(٢٤) .

وموقف الرسول هذا ينسجم تماماً مع موقف القرآن المتعاطف من النبي ابراهيم حينما كان يبحث عن الإله الحق :«فلما جنَّ عليه الليلُ رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفِلَ قال لاأُحبُ الآفلين ، فلما رأى القمرَ بازِغاً قال هذا ربي فلما أفلَ قال لئن لم يهدني ربي لأكونَنَ من القومِ الضالين ، فلما رأى الشمسَ بازِغةً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلَتْ قال ياقومي إني برىءٌ مما تُشركون»(٢٥) .

كما أن ماورد أعلاه يفسر لنا سر موقف الإسلام المتشدد تجاه المشركين حينما انتصر عليهم وأصبحت له السيادة في شبه الجزيرة العربية في حدود السنة التاسعة للهجرة ، فقد أعلن البراءة منهم وخيّرهم بين الإسلام والسيف(٢٦)

---

(٢٠) الآمدي : الأحكام ،ج ٤ص ١٥٥ .

(٢١) الغزالي : أبو حامد ،القصور العوالي ،رسالة فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة القاهرة ١٩٧٠ ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٢٢) سورة النمل : ١٤

(٢٣) شلتوت ،الشيخ محمود : الاسلام عقيدة وشريعة ، القاهرة ١٩٦٤ ،ص ٣٢

(٢٤) ابن هشام : السيرة النبوية ،مصر ١٩٥٠ ،ج ١ ص ٢٢٦ .

(٢٥) سورة الانعام : ٧٦—٧٨

(٢٦) سورة التوبة : ١ — ١٥

وذلك لأن الإسلام سبق أن عرض على المشركين «في المرحلة المكية» تحكيم المنطق والعقل ، ولكن هذا العرض لم يلق أية استجابة كما قدمنا ، كما عرض عليهم حرية العقيدة ، بإعلانه أنه «لاإكراه في الدين (٢٧)وأنه «ولو شاء ربك لآمنَ من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنتَ تُكرهُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين »(٢٨) ، و«يا أيها الكافرون ، لاأعبدُ ماتعبدون ، ولا أنتم عابدونَ ما أعبدُ ، ولا أنا عابدٌ ما عبدْتم ، ولا أنتم عابدونَ ما أعبد ، لكم دينكم وليَ دين » (٢٩) . إلاّ أنهم رفضوا هذا العرض ،أيضاً، وانطلقوا يضطهدون المسلمين ويعملون على فتنتهم عن دينهم مما اضطرهم للهجرة عن بلدهم طلباً لحرية العقيدة .

لذا ، يمكن اعتبار إلغاء الإسلام للشرك في شبه الجزيرة العربية إلغاءاً للجمود وللتعصب الأعمى لتقاليد الآباء والأجداد الذي كان حجر عثرة في طريق توحيد العرب وتقدمهم .

ويلاحظ أنه في الوقت الذي اتخذ الإسلام هذا الموقف تجاه المشركين، نجده يعترف بحرية العقيدة بالنسبة لأتباع الديانات الأُخرى كاليهودية والمسيحية ويكتفي بـأخذ الجزيـة منهم رمزاً لخضوعهم للسلطة الزمنيـة الإسلامية (٣٠) . وهذا ماحمل العديد من الباحثين غير المسلمين إلى الإعتراف والإشادة بروح التسامح التي تحلى بها الإسلام في عصوره الأولى تجاه أصحاب الديانات الأخرى (٣١) .

أما الدعوة إلى الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية كأحكام العبادات والمعاملات فلم ترد حولها في القرآن سوى إشارات

---

(٢٧) سورة البقرة : ٢٥٦.

(٢٨) سورة يونس : ٩٩.

(٢٩) سورة الكافرون : ١ — ٦.

(٣٠) سورة التوبة : ٢٩.

(٣١) كولد زيهر ، أكناس : العقيدة والشريعة في الاسلام ،ترجمة د. محمد يوسف موسى ود. علي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق ، مصر ١٩٥٩ ، ص٤٥ — ٤٧.

مقتضبة نحو قوله : «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» (٣٢) . ويرجع السبب في ذلك إلى أن القرآن كان يتولى وضع الأحكام الشرعية التي تعالج هذه المسائل مباشرة ، وبالتالي فلم تكن ثمة حاجة تدعو للاجتهاد في هذا المجال في عصر الرسالة .

ولكن بعد وفاة الرسول (ص) انقلب الموقف ، فلم تعد ثمة حاجة ملحة إلى الدعوة للاجتهاد في البحث عن العقيدة بعد أن دخلت جزيرة العرب بأجمعها في الإسلام ، وأخذت الجيوش الإسلامية تصفي الإمبراطورية الساسانية من جهة وتهدد وجود الإمبراطورية البيزنطية من جهة أخرى . لقد برزت في هذه المرحلة الحاجة إلى استنباط الأحكام الفقهية التي تعالج المشاكل المستجدة التي أخذت تواجه الدولة الإسلامية لذا فقد اتجهت الجهود نحو تشجيع النشاط الفقهي بكل قوة (٣٣) .

إن إهمال الدعوة للاجتهاد في أمور العقيدة لم يؤد إلى توقف الاجتهاد في هذا المجال ، لأن الإسلام لم يفصل بين الدين والدولة ، وبالتالي فقد اكتسبت المنازعات السياسية صبغة دينية . وهكذا فقد قاد الإختلاف في الاجتهاد السياسي إلى خلاف في التصور الديني ، مما أدى إلى نشوء طوائف وفرق دينية متميزة عن بعضها . وربما كان من أبرز الأمثلة التي تؤيد ما ذكر أعلاه، النزاع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان حول الخلافة وما ترتب على ذلك من نتائج . فقد قاد هذا النزاع إلى حرب ضروس بين أتباع علي وأتباع معاوية وأخذ كل فريق يكفر الفريق الآخر . وحينما طرحت فكرة التحكيم لفض النزاع بين الطرفين أثناء معركة صفين وقبل بها علي بن أبي طالب بعد تردد ، خرج عليه طائفة من أتباعه معلنين أن علي قد أخطأ حينما قبل التحكيم لأنه جعل حقه في الخلافة موضع شك . وبذلك نشأت فرقة جديدة سميت بالخوارج . وأخذت تتكون لديها مع الأيام آراؤها العقائدية

---

(٣٢) القرآن : سورة النساء، ٨٣.

(٣٣) خلاف ،عبد الوهاب ،علم اصول الفقه ،الكويت ١٩٦٨ ص ١٥.

المتميزة التي كان أبرز ما فيها تكفير أتباع علي ومعاوية في آن واحد . وأن خليفة المسلمين يجب أن ينتخب من بين أصلح المسلمين بغض النظر عن نسبه. أما أتباع علي بن أبي طالب من الشيعة فقد غلوّ في حب علي وآله وأخذوا يكفّرون الأمويين وغيرهم ممن خاصم علي حقه في الخلافة وأصبحوا بمرور الأيام فرقة متميزة لها فكرها الديني الخاص الذي يدور بصورة أساسية حول الإمامة وحصر حق توليها في علي وأولاده . أما الذين وقفوا على الحياد ورفضوا خوض غمار هذا الصراع السياسي الديني وبالتالي فقد رفضوا إدانة موقف أي من الطرفين المتخاصمين وقالوا نرجيء الحكم عليهم إلى يوم القيامة فقد سموا مرجئة (٣٤) .

وقد قادت المناقشات بين الشيعة والخوارج والمرجئة إلى إثارة كثير من القضايا العقائدية كمحاولة تحديد من هو الكافر ومن هو المؤمن ، وما هو حكم مرتكب الكبيرة ، وأين مكانه يوم القيامة ، أفي الجنة أم في النار ، وما إلى ذلك ... وكان من الطبيعي أن تساهم هذه المناقشات في ترسيخ فكر كل فرقة من هذه الفرق وتدفعه إلى التطور . كما ساهمت أيضاً في نشوء فرق أخرى كان أبرزها فرقة المعتزلة الذين قالوا أن مرتكب الكبيرة هو في منزلة بين المنزلتين : الكفر والإيمان أي ، أنه فاسق (٣٥) .

ولم يكن الصراع السياسي بين المسلمين وحده سبباً في توسيع الاجتهاد في أمور العقيدة ، وإنما كان الصراع بين الفكر الإسلامي وبين الأديان والفلسفات الأخرى الموجودة في البلاد التي خضعت للدولة الإسلامية يشكل عاملا آخر في توسع البحث في هذا المجال . ذلك أن أصحاب الديانات الأخرى كالمسيحيين واليهود أخذوا يثيرون بعض القضايا الفكرية الحساسة كمشكلة القدر ، وهل الإنسان مسير أم مخير .فتطلب ذلك من المسلمين الدخول في

---

(٣٤) الطبري ،محمد بن جرير ،تاريخ الطبري مصر ١٩٦٣ ،ج ٥ص ٦٤ — ٦٥
أحمد أمين ،فجر الاسلام مصر ١٩٦٤ ،ص ٢٥٦ — ٢٨٢ .
(٣٥) أحمد أمين ،فجر الاسلام ،ص ٢٥٦ — ٣٠٣ .

مناقشات فلسفية معمقة ، خصوصاً وأن أهل الأديان الأخرى كانوا يتسلحون في نقاشهم مع المسلمين بالفلسفة اليونانية ، فحمل ذلك المسلمين على الاهتمام بالفلسفة وترجمتها إلى العربية للإستعانة بها في الدفاع عن عقيدتهم . وقد قادت هذه المناقشات إلى إثارة مسائل ، وظهور انقسامات لم تكن موجودة في السابق . وربما كان من أبرزها ظهور فئة من المسلمين تؤمن بالجبر فسموا الجبرية ، وأخرى تؤمن بالقدر فسموا القدرية (٣٦) .

في البداية ، كان الصراع حامياً جداً بين الفرق والفئات المشار إليها أعلاه وربما كان ذلك طبيعياً ، لأن الإنقسام الذي يرجع إلى أسباب سياسية ودينية من شأنه إثارة التعصب ويبعد أصحابه عن روح التسامح في أغلب الأحيان. لذلك لم تعذر هذه الفئات بعضها بعضاً ولم تحاول مسامحتها على اعتبار أنها كانت مخلصة ومجتهدة في البحث عن الحق . وإنما كفرت كل طائفة خصومها وراحت ترسم تصوراتها عما يكفر به المرء وما لايكفر . يقول أبو الحسن الأشعري «اختلف الناس بعد نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أشياء كثيرة ضلل فيها بعضهم بعضاً وبرىء بعضهم من بعض فصاروا فرقاً متباينين وأحزاباً متشتتين ، إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم »(٣٧) .

وربما كان المرجئةهم الفئة الوحيدةالتي حاولت أن تشيع التسامح بين هذه الطوائف المتصارعة حينما راحت تدعو الناس إلى إرجاء الحكم على أعمال الناس وعقائدهم إلى يوم القيامة ،حيث يحكم الله بينهم فيما كانوا فيه يختلفون. «فعدوا كل الطوائف المخالفة لهم من شيعة ومعتزلة وخوارج وغيرهم مؤمنين ، وعدوا كل من تأول واجتهد مؤمناً وإن أخطأ ، وليس كافراً إلا من أجمعت الأمة على كفره ، وليس أحد يخلد في النار من المؤمنين ، بل إما أن يعفو الله عن ذنوبهم أو يعذبهم عليها حيناً ، ثم يدخلهم الجنة»(٣٨) .

---

(٣٦) أحمد أمين ،فجر الاسلام ،ص ٢٨٣ – ٣٠٠ .

(٣٧) الاشعري ،أبو الحسن ،مقالات الاسلاميين ،مصر ١٩٥٠ ،ج ١ ص٣٤ .

(٣٨) أحمد أمين ،ضحى الاسلام ،القاهرة ١٩٦٤ ،ج ٣ص ٣٢٢ .

ورغم أن آراء المرجئة هذه لم تقابل في البداية بالترحاب نظراً لشدة الصراع وضراوته بين الطوائف الإسلامية المتنازعة ، إلا أنه بعد أن هدأت حدة الصراع ، وأخذت كل طائفة تحاول التخفيف من غلوائها في النزاع ، بدأت آراء المرجئة تتسرب إليهم . فقد تسرب إلى عقائد أهل السنة من أقوالهم أن «المؤمنين العصاة لا يُخلَّدون في النار ، وأنه لايكفر أحد بذنب إلا في حدود معينة (٣٩) ، حتى لقد عَدَّ أبو الحسن الأشعري أبا حنيفة وأصحابه من المرجئة لأنهم كانوا يرون «أن الإيمان المعرفة بالله والإقرار بالله ، والمعرفة بالرسول والإقرار بما جاء به من عند الله في الجملة دون التفسير »(٤٠). وقد كان أبا حنيفة يقول : «ولا تُكَفِّر أحداً بذنب ، ولاتنفي أحداً عن الإيمان » (٤١) .

كما ذكر الأشعري أن أكثر أصحاب أبي حنيفة «يحكون عن أسلافهم أن الإيمان هو الإقرار والمحبة لله والتعظيم له والهيبة منه وترك الاستخفاف بحقه، وأنه لايزيد ولا ينقص »(٤٢) .

وقد تبنى هذا الموقف المتسامح من بعد مجموعة من كبار الفقهاء أمثال الغزالي ، والفخر الرازي وابن تيمية (٤٣) .

يقول أبو حامد الغزالي في كتابه فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، من أن شرح مايكفر به المرء وما لايكفر يطول . لذا ، «فاقنع الآن بوصية وقانون أما الوصية : فأن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ، ما داموا قائلين : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، غير مناقضين لها .والمناقضة تجويزهم الكذب على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعذر أو بغير عذر ، فإن التكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه ، أما القانون فهو: أن تعلم أن

---

(٣٩) المرجع نفسه ،ج ٣ص ٣٢٤ .

(٤٠) الاشعري ،مقالات الاسلاميين ،ج ١ص٢٠٢ - ٢٠٣ .
أحمد أمين ،ضحى الاسلام ،ج٣ ص ٣٢٠ .

(٤١) أحمد أمين ،ضحى الاسلام ،ج٣ ص ٣٢١ .

(٤٢) الاشعري ،مقالات الاسلاميين ،ج ١ ص٢٠٤ .

(٤٣) أحمد أمين ،ظهر الاسلام ،بيروت ١٩٦٩ ،ج٤ ،ص ١٠٤ .

النظريات قسمان : قسم يتعلق بأصول القواعد ، وقسم يتعلق بالفروع . وأُصول الإيمان ثلاثة : الإيمان بالله ، وبرسوله ، وباليوم الآخر . وما عداه فروع واعلم أنه لاتكفير في الفروع أصلاً ، إلا في مسألة واحدة . وهي أن يُنكرَ أصلاً دينياً عُلم من الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالتواتر»(٤٤) .. «والتواتر ينكره الإنسان بلسانه ، ولا يمكن أن يجهله بقلبه . نعم ، لو أنكر ما ثبت بأخبار الآحاد ، فلا يلزمه به الكفر (٤٥) ولو أنكر ما ثبت بالإجماع ، فهذا فيه نظر ، لأن معرفة كون الإجماع حجة قاطعة فيه غموض يعرفه المحصلون لعلم أُصول الفقه . وأنكر النظام كون الإجماع حجة أصلاً ، فصار كون الإجماع حجة مختلفاً فيه »(٤٦) .

لذا ، فقد قرر الغزالي «أن الخطأ في أصل الإمامة ، وتعيينها وشروطها وما يتعلق به ، لايوجب شيء منه تكفيراً . فقد أنكر ابن كيسان أصل وجوب الإمامة ، ولا يلزم تكفيره . ولا يلتفت إلى قوم يُعظِّمون أمر الإمامة ، ويجعلون الإيمان بالإمام مقروناً بالإيمان بالله وبرسوله ، ولا إلى خصومهم المكفِّرين لهم بمجرد مذهبهم في الإمامة . فكل ذلك إسراف ، إذ ليس في واحد من القولين تكذيب للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أصلاً»(٤٧)..

وقد أجاز الإمام الغزالي للمجتهد أن يلجأ إلى تأويل النصوص الشرعية حين يتعذر عليه الإقتناع بظاهر النص . ولم يجز لأحد أن يكفِّره بسبب ذلك حيث يقول : «ولا يلزم كفر المؤولين ماداموا يلازمون قانون التأويل ... وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر اليه

(٤٤) الغزالي ، فيصل التفرقة (تحقيق الدكتور سليمان دنيا) مصر ١٩٦١ ص ١٩٥ .

(٤٥) اذا علمنا ان الحديث المتواتر لا يذكره المحدثون ، وهو قليل لا يكاد يوجد في رواياتهم» ، كما جاء في كتاب تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، ادركنا مدى خطورة رأي الامام الغزالي في هذا الصدد .

راجع السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، مصر ١٩٥٩ ص ٣٧١ .

(٤٦) المرجع نفسه : ص ١٩٦ .

(٤٧) الغزالي ، فيصل التفرقة ، ص ١٩٥ — ١٩٦ .

فأبعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل ، رحمة الله عليه . وأبعد التأويلات عن الحقيقة وأغربها أن تجعل الكلام مجازاً ، أو استعارة ، وهو الوجود العقلي ، والوجود الشبهي . والحنبلي مضطر إليه وقائل به ، فقد سمعت الثقات من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون : إن أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط .

أحدها : قوله (ص) : (الحجر الأسود يمين الله في الأرض) .

فانظر ، الآن : كيف أول هذا ؟ حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره ، فيقول : اليمين تُقبَّل في العادة تقرباً إلى صاحبها . والحجر الأسود يقبل أيضاً تقرباً إلى الله تعالى . فهو مثل اليمين ، لافي ذاته ، ولا في صفات ذاته ولكن في عارض من عوارضه ، فسمي ، لذلك ، يميناً . وهذا الوجود هو الذي سميناه الوجود الشبهي ، وهو أبعد وجوه التأويل . فانظر كيف اضطر إليه أبعد الناس عن التأويل »(٤٨) .

إن مانقله عبدالجليل عيسى عن الفصل الذي كتبه الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي في كتابه «تاريخ الجهمية والمعتزلة» المخطوط بدار الكتب المصرية يعد تلخيصاً جيداً لآراء المتسامحين من أهل السنة في هذا المجال حيث يقول : «إن المعتزلة ، أو المرجئة ، وكثيراً غيرهم من الفرق الإسلامية مجتهدون ، لهم ما للمجتهدين فكما أن اسم الاجتهاد يتناول في العرف فروع الفقه ، فكذلك مسائل الكلام لعموم مفهوم الاجتهاد ، لغة واصطلاحاً ، ووجوداً . وكيف لاتعد فرق المجتهدين في الأصول من المجتهدين وهي تستدل على دعواها بالقرآن أو السنة ، وترى أن ماظهر لها منهما هو الحق دون سواه ؟ ولما تشابهت الآيات والأحاديث في مثل رؤية الإنسان لله سبحانه ، وفي مثل إيجاد الإنسان لأعمال نفسه ، وفي مثل القرآن قديم أو محدث ، ذهب كل فريق إلى ما رآه أوفق لكلام الله ورسوله ، وأليق بعظمته ، فكانوا ، لذلك ، مجتهدين وفي اجتهادهم مأجورين ، وإن كانوا في القرب من الحق متفاوتين.

---

(٤٨) الغزالي ، فيصل التفرقة ، ص ١٨٤ — ١٨٥ .

ثم قال : ولا يصح ذم أهل الفرق على الإطلاق فقد تلقى أئمة الحديث على كثير منهم ، وحملوا السنة النبوية عنهم وجعلوهم في ذلك حجة بينهم وبين ربهم . وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عدد كبير من المعتزلة والأباضية والمرجئة والشيعة ، كما تراه في مقدمة «فتح الباري لشرح صحيح البخاري » و «التدريب شرح التقريب ، للسيوطي »و«ميزان الإعتدال، للذهبي» وقد قال الإمام أحمد ، رضي الله عنه لو تركنا الرواية عن المعتزلة لتركنا أكثر أهل البصرة . وقال ابن تيمية : كان منهم خلق كثير من العلماء والعباد. وأخرج لهم البخاري ومسلم .

وقد آشتهر بين العلماء أن من كان منهم داعية إلى بدعة لم يرووا عنه ، ولكن العراقي اعترض على ذلك بان البخاري ومسلم احتجا بالدعاة من اهل الفرق ، فاحتج البخاري بعمران بن حطان الخارجي وآحتج هو ومسلم بعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني وكان من دعاة المرجئة . ثم قال القاسمي : وبالجملة فكون هذه الفرق مجتهدة لها ما للمجتهدين ، أمر لايرتاب فيه منصف» (٤٩) .

ولم يقف الأمر عند حدود توسيع مفهوم الاجتهاد ليشمل مسائل الخلاف في مفاهيم العقيدة بين الفرق والطوائف الإسلامية ، بل وجد من يعده ليشمل الاجتهاد في آختيار العقيدة ذاتها ،وليعتبر المجتهد مأجوراً على آجتهاده في هذا المجال حتى ولو لم يؤده آجتهاده إلى الإيمان بالعقيدة الإسلامية ذاتها ،فقد ذكر الآمدي أن الجاحظ وعبيدالله العنبري من المعتزلة قد قالا : «بحط الإثم عن مخالف ملة الإسلام إذا نظر وآجتهد فأداه آجتهاده إلى معتقده ، وأنه معذور بخلاف المعاند »(٥٠) وقد آستدلوا على وجهة نظرهم هذه بأن تكليف المجتهدين «باعتقاد نقيض معتقدهم الذي أدى إليه آجتهادهم ، وآستفرغوا

---

(٤٩) عيسى ، عبدالجليل ، ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين ، الكويت ١٩٦٩ ص ٢٠٠ — ٢٠٢ .

(٥٠) الامدي : الاحكام ، ج ٤ ص ١٥٤ .

الوسع فيه ، تكليف بما لايطاق ، وهو ممتنع للنص والمعقول . أما النص فقوله تعالى : (لايكلف الله نفساً إلا وسعها) وأما المعقول فهو أن الله تعالى رؤوف بعباده رحيم بهم ، فلا يليق به تعذيبهم على مالا قدرة لهم عليه .ولهذا ، كان الأثم مرتفعاً عن المجتهدين في الأحكام الشرعية مع آختلاف آعتقاداتهم فيها بناء على آجتهاداتهم المؤدية إليها »(٥١) .

غير أن جمهور علماء المسلمين لايميلون إلى قبول هذا الرأي ويرون «أنه ليس كل مجتهد في آلعقليات مصيباً . وأن الإثم غير محطوط عن مخالف ملة الإسلام ، سواء نظر وعجز عن معرفة الحق أم لم ينظر »(٥٢) . وقد آستدل الجمهور على رأيهم بقوله تعالى : «ذلكَ ظنُ الذينَ كفروا فويلٌ للذين كفروا من النار » وقوله : «وذلكم ظنكم بربكم أرادكم» وقوله تعالى : «ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم آلكاذبون» . ووجه الاحتجاج بهذه الآيات هو أن الله تعالى قد ذم الكافرين على معتقدهم «وتوعدهم بالعقاب عليه ولو كانوا معذورين فيه لما كان كذلك »(٥٣) .

إلا أن أصحاب الرأي الأول يدفعون هذه الحجة بقولهم : إن غاية ماورد في الآيات المتقدمة هو «ذم الكفار ، وذلك غير متحقق في محل النزاع ، لأن الكفر في اللغة مأخوذ من الستر والتغطية ومنه يقال : الليل كافر ، لأنه ساتر للحوادث ، وللحارث كافر لستره الحب ، وذلك غير متصور إلا في حق المعاند العارف بالدليل ، مع إنكاره لمقتضاه »(٥٤) .

كما يستدل الجمهور على رأيهم بسنة رسول الله (ص) : «فقد علم منه عليه السلام ، علماً لامراء فيه تكليفه للكفار من اليهود والنصارى بتصديقه ، وآعتقاد رسالته وذمهم على معتقداتهم وقتله لمن ظفر به منهم ، وتعذيبه على ذلك ، مع العلم الضروري بأن كل من قاتله وقتله لم يكن معانداً بعد ظهور

---

(٥١) المرجع نفسه ، ج ٤ ص ١٥٦ .

(٥٢) المرجع نفسه ، ج ٤ ص ١٥٤ .

(٥٣) الامدي : الاحكام ، ج ٤ ص ١٥٥ .

(٥٤) المرجع نفسه : ج ٤ ص ١٥٥ — ١٥٦ .

الحق له بدليله ، فإن ذلك مما تحيله العادة . ولو كانوا معذورين في اعتقاداتهم ، وقد أتوا بما كلفوا به ، لما ساغ ذلك منه »(٥٥) .

ويرد أصحاب الرأي الأول على هذه الحجة بقولهم : أنهم لايسلمون أن الرسول (ص) قد أمر بقتل الكفار عقاباً لهم على مااعتقدوه نتيجة اجتهادهم ، بل كان ذلك عقاباً للذين أصروا على إهمال البحث عن العقيدة الصحيحة والكشف عنها مع توفر امكانيات ذلك لديهم (٥٦) وربما كان مما يقوي هذه الحجة ما ذكره القرآن الكريم عن المشركين الذين جحدوا الدعوة الإسلامية ظلماً وعلواً بعد أن استيقنتها أنفسهم ، وقالوا : «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنّا على آثارهم مقتدون» (٥٧) . أما اليهود فقد أشار القرآن الكريم إلى أنهم كانوا يستفتحون على الذين كفروا بمجيء النبي . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسداً من عند أنفسهم (٥٨) عناداً واستكباراً ولم يرد أن الرسول (ص) قد قتل أحداً بسبب عقيدته فقط ، بل الثابت أن الذين أمر بقتلهم كانوا مقاتلين للمسلمين .

وأخيراً ، فقد احتج الجمهور بأن إجماع الأمة قد انعقد قبل ظهور المخالفين «على قتال الكفار وذمهم ومهاجرتهم على اعتقاداتهم ، ولو كانوا معذورين في ذلك ، لما ساغ ذلك من الأمة المعصومة عن الخطأ» (٥٩) .

غير أن أصحاب الرأي الأول يدفعون هذه الحجة بقولهم : «وأما الإجماع فلا يمكن الاستدلال به في محل الخلاف ، كيف ، وأنه يمكن حمل فعل

---

(٥٥) المرجع نفسه : ج ٤ ص ١٥٥ .
(٥٦) المرجع نفسه : ج ٤ ص ١٥٦ .
(٥٧) سورة الزخرف : ٢٣ .
(٥٨) سورة البقرة : ٨٩ .
(٥٩) الامدي : الاحكام ، ج ٤ ص ١٥٥ .

أهل الإجماع على ماحمل عليه فعل النبي عليه السلام؟ »المشار إليه آنفاً (٦٠)

ويبدو أن حجج أصحاب الرأي الأول قد حملت أبا حامد الغزالي على قبول رأيهم رغم مخالفته لرأي جمهور العلماء . فقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه : «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة » أنّ من كذّب الرسول (ص) «بعد ماقرع سمعه التواتر عن خروجه وصفته ومعجزاته الخارقة للعادة — كشق القمر وتسبيح الحصا ، ونبع الماء من بين أصابعه — ، والقرآن والمعجز الذي تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا عنه ، فإذا قرع ذلك سمعه فأعرض عنه وتولى ، ولم ينظر فيه ، ولم يتأمل ولم يبادر إلى التصديق ، فهذا هو الجاحد الكاذب وهو الكافر ، ولا يدخل في هذا أكثر الروم والترك الذين بعُدت بلادهم عن بلاد المسلمين ، بل أقول : من قرع سمعه هذا فلابد أن تنبعث به داعية الطلب ليستبين حقيقة الأمر ، إن كان من أهل الدين ، ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، فإن لم تنبعث هذه الداعية ، فذلك لركونه إلى الدنيا ، وخلوه عن الخوف ، وخطر أمر الدين ، وذلك كفر . وإن انبعث الداعية فقصر في الطلب فهو أيضاً كفر ، بل ذو الإيمان بالله واليوم الآخر من أهل كل ملة لايمكنه أن يفتر عن الطلب بعد ظهور المخايل بالأسباب الخارقة للعادة ، فإن اشتغل بالنظر والطلب ، ولم يقصر ، فأدركه الموت قبل تمام التحقيق ، فهو أيضاً مغفور له ثم له الرحمة الواسعة»(٦١)

---

(٦٠) المرجع نفسه : ج ٤ ص ١٥٦ .

* من الغريب أن يقبل الغزالي نسبة مثل هذه المعجزات للرسول وهو يقرأ اجابة القرآن للمشركين على طلبات مماثلة لهذه المعجزات كي يؤمنوا به : «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه . قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولا » سورة الاسراء ٩٠ — ٩٣ .

راجع ايضاً سورة الفرقان : ٧-٨ وسورة هود : ١٢ .

(٦١) الغزالي ، القصور العوالي " رسالة فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة " ، ص ١٥٦-١٥٧

غير أن الذي يقرأ كتاب «المستصفى» يلاحظ أن الإمام الغزالي كان يأخذ برأي الجمهور في هذه المسألة حيث يقول : «وهذا الذي ذكره (الجاحظ) ليس بمحال عقلاً لو ورد الشرع به ، وهو جائز ، ولو ورد التعبد كذلك لوقع ، ولكن الواقع خلاف هذا ، فهو باطل بإدلة سمعية ضرورية»(٦٢). ثم يرد نفس أدلة الجمهور التي قدمنا ذكرها لتدعيم رأيهم مما يدل على أن الإمام الغزالي كان قد غيّر رأيه في هذه المسألة في أواخر سني حياته وذلك لأنه كان قد ألّف كتاب «المستصفى» في ٦ محرم سنة ٥٠٣ للهجرة في نيسابور كما يروي ذلك ابن الأثير ، أي قبل وفاته بحوالي سنتين ، بينما لم يؤلف كتاب«فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» إلا في حدود سنة ٤٩٧ للهجرة أي قبل تأليف كتاب «المستصفى» بست سنوات (٦٣) .

ومن الجدير بالذكر ، أن آراء الجاحظ التي عرضها الآمدي في هذا الصدد وناقشها لاوجود لها في كتبه التي وصلت إلى أيدينا ، مما يدل على أنها قد وردت في بعض كتبه المفقودة وخصوصاً الكتب التي تطرق فيها الجاحظ الى بعض المسائل الأصوليةوالكلامية مثل كتاب «الفتيا» وكتاب«حجج النبوة»(٦٤)

وهنا قد يطرح تساؤل: ألا يجوز أن تكون هذه الآراء منسوبة إلى الجاحظ خطأً ؟ .. في الحقيقة ، إن ذلك مستبعد ، لأن الآمدي والإمام أبا حامد الغزالي قد نسبا هذه الآراء إلى الجاحظ على سبيل الجزم ، وهو قريب عهد بهما نسبياً ، مما يدل على أن كتبه التي وردت فيها هذه الآراء كانت متداولة في عصرهما . كما أن هذه الآراء تنسجم مع منهج الجاحظ في تمجيد العقل ودعوته «إلى وجوب تحررالعالِم من المألوف ومن المعرفة الأولى أثناء بحثه ومحاولته الوصول إلى الحقائق » (٦٥) .كما أنه يُعدّ تطبيقاً لرأيه في مسألة

(٦٢) الغزالي ، ابو حامد : المستصفى من علم الاصول ، ج ٢ ص ١٠٦–١٠٧ .
(٦٣) عثمان ، عبدالكريم : سيرة الغزالي ، دمشق ١٩٦٢ ، ص ٢٠٤–٢٠٥ .
(٦٤) الحاجري ، الدكتور طه : الجاحظ ، حياته وآثاره ، مصر ١٩٦٢ ، ص ٣١٢–٣٢٧ .
(٦٥) خفاجي ، محمد عبدالمنعم : ابو عثمان الجاحظ ، القاهرة ، ص ١٦٨ .

أن المعارف «ليست من فعل الإنسان لأنها متولدة إما من آتجاه الحواس أو من آتجاه النظر. ولذلك قال: إن الإنسان في تحصيل معارفه ليس له إلا توجيه الإرادة، وما يحدث بعد ذلك فاضطرار وطبيعة، فإذا فتحت عينيك فأدركت أن هذا الشيء أحمر، وهذا أصفر، وأن هذا أكبر من ذاك، ففتحك لعينيك عمل إرادي آختياري كسبي، وأما المعارف التي تحصل منه أو بعبارة أُخرى تتولد منه فاضطرارية، وكذلك الشأن في توجيه الفكر إلى البحث وآستعراض البرهان، فتوجيه النظر عمل إرادي ولكن آقتناع الناشر أو عدم آقتناعه وتحصيل العلم به عمل ضروري أو آضطراري لاكسبي »(٦٦).

ويميل علماء الإجتماع إلى قبول المقارنة التي جاء بها الجاحظ بين المحسوسات والمعقولات. فالعقل في رأي الجاحظ كالحس لايخضع للإرادة إلا ضمن نطاق محدود. والعلماء اليوم يعتبرون التفكير كالإحساس محدوداً فأنت لاتستطيع أن تعقل شيئاً إلا إذا كان ذلك الشيء داخل نطاق المفاهيم والمقاييس الفكرية التي تعودت عليها في محيطك الإجتماعي (٦٧).

ومن الجدير بالذكر أن أبا بكر الباقلاني (المتوفى عام ٤٠٣ للهجرة) قد ذكر أن بعض المتكلمين يرون أن مقلدة اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر ليسوا في النار (٦٨). ورغم أن الباقلاني لايوافق هؤلاء المتكلمين على رأيهم هذا إلا أنه يقرر أن الحكم في هذه المسألة (طريقه النظر دون التوقيف والخبر) (٦٩) أي أنه متروك لاجتهاد المجتهدين لعدم وجود نصوص قاطعة فيه.

أما نصير الدين الطوسي (٥٩٧ ـ ٦٧٢هـ) فرغم آتفاقه مع الباقلاني في رفض رأي هؤلاء المتكلمين الذين يحكمون بنجاة مقلدة اليهود والنصارى

(٦٦) احمد امين، ضحى الاسلام، القاهرة ١٩٦٤، ج ٣ ص ١٣٢-١٣٣.
(٦٧) الوردي علي، مهزلة العقل البشري، بغداد ١٩٥٥، ص ٥٧.
(٦٨) الباقلاني ابو بكر، كتاب التمهيد ص ٣٥٣.
(٦٩) المصدر نفسه، ص ٣٥٣.

وغيرهم من أهل الكفر من النار ، إلا أنه يتفق مع الجاحظ والعنبري في رفض نعت المجتهد الذي بالغ في الاجتهاد ولم يصل إلى المطلوب بنعت الكافر «لأن المبالغ في الاجتهاد إما أن يصير واصلا أو يبقى ناظراً» وكلاهما ناجيان ومحال أن يؤدي الاجتهاد إلى الكفر فالكافر إما مقلد للكفر وإما جاهل جهلاً مركباً وكلاهما مقصران في الاجتهاد ولذلك حكموا بوقوعهم في العذاب»(٧٠)

ويلاحظ أن علماء المسلمين المحدثين لم يعيروا هذه المسألة كبير اهتمام رغم أن مفاهيم العصر الداعية إلى حرية الرأي والإعتقاد تدعوهم إلى بحثها بشكل ملح ما عدا الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ — ١٩٠٥) والشيخ محمود شلتوت . فقد أفصح الأول عن ميل قوي لتبني رأي القائلين بحرية الاجتهاد في البحث عن العقيدة حينما قرر أن أول «أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي . والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح ، فقد أقامك منه على سبيل الحجة ، وقاضاك إلى العقل ، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته ، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو أن يثور عليه ؟ بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة : إن الذي يستقصي جهده في الوصول إلى الحق ، ثم لم يصل إليه ، ومات طالباً غير واقف عند الظن ، فهو ناج»(٧١) .

أما الثاني ، فهو الشيخ محمود شلتوت فقد أعلن عن تبنيه رأي القائلين بحرية الاجتهاد في البحث عن العقيدة بصورة مطلقة حيث قرر أن من لم يؤمن بركن من أركان العقيدة الإسلامية ومستلزماتها لا يُعدّ مسلماً ولا تجري عليه أحكام المسلمين فيما بينهم وبين بعضهم ولكن «ليس معنى هذا أن من لم يؤمن بشيء من ذلك يكون كافراً عند الله يخلدُ في النار . وإنما معناه أنه لاتجري عليه في الدنيا أحكام الإسلام .. أما الحكم بكفره عند الله فهو يتوقف على أن يكون إنكاره لتلك العقائد أو لشيء منها بعد أن بلغته على وجهها الصحيح

(٧٠) الطوسي ، نصير الدين ، تلخيص المحصل (مطبوع بذيل كتاب المحصل للرازي ، مصر ١٣٢٣هـ ، ص ٧٤) .

(٧١) الشيخ محمد عبده ، الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، مصر ١٣٧٣ ص ٥١ .

وآقتنع بها فيما بينه وبين نفسه ولكنه أبى أن يعتنقها ويشهد بها عناداً وآستكباراً وطمعاً في مال زائل أو جاه زائف أو خوفاً من لوم فاسد . فإذا لم تبلغه تلك العقائد أو بلغته بصورة منفرة أو صورة صحيحة ولم يكن من أهل آلنظر، أو كان من أهل النظر ولكن لم يوفق إليها وظل ينظر ويفكر طلباً للحق حتى أدركه الموت أثناء نظره فإنه لايكون كافراً يستحق الخلود في النار عند الله. ومن هنا كانت الشعوب النائية التي تصل إليها عقيدة الإسلام أو وصلت إليها بصورة سيئة منفرة . أو لم يفقهوا حجته مع آجتهادهم في بحثها بمنجاة من العقاب الآخروي ولا يطلق عليهم اسم الكفرة»(٧٢) .

وهكذا يتضح كيف أن مفهوم الإجتهاد الاصطلاحي قد توسع عند طائفة من العلماء ليصبح غير مقصور على الاجتهاد في مسائل الفقه ذات الطابع العلمي بل آمتد ليشمل الاجتهاد في بحث أمور العقيدة أيضاً . وبذلك عاد التطابق لديهم بين المعنى آللّغويّ والمعنى الاصطلاحي للكلمة كما كان سابقاً من أنّ آلاجتهاد هو « بذل آلمجهود وآستفراغ الوسع في فعل من آلأفعال»(٧٣)، سواءٌ كان ذلك آلمجهود منصباً على بحث أمر من أمور العقيدة أو مسألة من مسائل آلفقـــه .

أما جمهور علماء المسلمين فقد آستقر رأيهم على منع التقليد في مسائل العقيدة(آلأصول) ووجوب الاجتهاد فيها. فقد ذكر الجويني (٤١٩ ــ ٤٧٨هـ) أنه قد « آجتمعت آلأمة على وجوب معرفة الباري تعالى وآستبان بالعقل أنــه لا يتأتى الوصول إلى آكتساب المعارف إلاّ بالنظر وما لا يتوصل إلى الواجب إلاّ به فهو واجب» (٧٤).لذا فقد أكّد سيف الدين آلآمديّ الشافعي (٥٥١ ــ

---

(٧٢) شلتوت ، الاسلام عقيدة وشريعة ص ٣١-٣٢ .

(٧٣) الغزالي ، المستصفى ، ج٢ ، ص ١٠١ .

(٧٤) الجويني : امام الحرمين . عبدالملك بن عبدالله بن يوسف ، كتاب الارشاد . مصر ١٩٥٠ ، ص ١١ .

٦٣١هـ) على أنّ الاجتهاد واجب في هذا المجال حتى على المسلم العاميّ(٧٥) لأن النّظر واجب وفي التقليد ترك الواجب »(٧٦)، كما أنّ إجماع « السلف منعقد على وجوب معرفة الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز »(٧٧) إضافة إلى أنّ « التقليد مذموم شرعاً فلا يكون جائزاً » (٧٨) .

ومن الجدير بالملاحظة أنه رغم نهي جمهور علماء المسلمين عن التقليد في أخذ أمور العقيدة ودعوتهم إلى الاجتهاد فيها، فإنهم لا يجيزون للمجتهد أنْ يتجاوز في اجتهاده حدود الأصول العامّة للعقيدة الاسلامية وإلاّ وقع في الكفر(٧٩). فحرية الاجتهاد في أمور العقيدة لديهم إذا هي حرية نسبية عكس ما عليه الحال عند بعض مفكري المعتزلة وغيرهم من العلماء الذين وردت الإشارة إلى آرائهم آنفاً.

وفي الختام لئن جاز للباحث أنْ يختار بين الرأي الداعي إلى حرية الاجتهاد في أمور العقيدة والرأي المعارض لها فإنه يجد الأدلة تسوقه إلى تبنّي الرأي الأول لا سيما وأنّ هذا الرأي ينسجم مع دعوة القرآن الكريم إلى استخدام العقل وعدم الجمود على تقاليد الآباء والأجداد، ويضع أساساً راسخاً لإرساء روح التسامح والتعاون بين بَني الانسان طبقاً لقوله تعالى: « يا أيها النّاس إنّا خلقناكمْ من ذكَرٍ وأُنثى وجعلناكم شُعوباً وقبائل لِتَعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم » (٨٠)

الدكتور هاشم يحيى الملاح
عميد كلية الآداب ـ جامعة الموصل

---

(٧٥) الآمدي : الاحكام في اصول الاحكام ، ج ٤ ص ١٩٣ .
(٧٦) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٩٣ .
(٧٧) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٩٤ .
(٧٨) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٩٤ .
(٧٩) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٥٤–١٥٧ .
(٨٠) سورة الحجرات : ١٣ .

نظم ديار بكر الادارية في عهد الأراتقة*

د. عماد الدين خليل

تمهيد

إن موضوع التنظيمات الادارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ذو علاقة وثيقة بسياسات الامارات الارتقية وعلاقتها الخارجية ، إذ أن هذه التنظيمات كانت ،إلى حد ما ، القاعدة التي استند عليها الاراتقة في توجيه نشاطهم نحو التوسع وإنشاء العلاقات بالدول والامارات المجاورة فعن طريق هذه التنظيمات يتمكن الأمير من السيطرة على الوضع الداخلي لامارته وتسييره وفق نظام معين يمكنه من استغلال الوسائل الاقتصادية والبشرية والحربية من أجل توسيع امارته وتحديد علاقاته بالآخرين . كما يمكنه من القضاء على الفوضى الداخلية والسير بامارته نحو التقدم والنمو في شتى المجالات .

□ وهكذا فإن بحث النظم، على قلة المعلومات عنها وابتعاد المصادر عن محاولة ايراد تفاصيل حولها، ضروري لتوضيح الأساس الداخلي الذي استندت إليه علاقات الاراتقة الخارجية، السياسية والعسكرية، والتي تشكل القسم الاكبر من هذه الرسالة.

ويظهر أن الاراتقة حاولوا تنظيم أوضاعهم الداخلية ، وتمكنوا من تحسين النظم السائدة في المنطقة في الفترة السابقة ، كما أنهم اقتبسوا كثيراً من النظم التي عاصرتهم . ولكن المشكلة التي تعترضنا هنا هي : هل أن الأراتقة

* صفحات من اطروحة دكتوراه بعنوان (الامارات الارتقية في ديار بكر).

أقاموا تنظيماتهم على انقاض جهاز سابق ، أم أنهم أنشأوها بالكلية انشاء جديداً ؟ . ومصدر هذه المشكلة هو عدم تأكيد المصادر على النواحي المتعلقة بالنظم وانصرافها إلى التأكيد على العلاقات السياسية والحروب بالدرجة الأولى ، ليس فقط بالنسبة لديار بكر ، وإنما بصورة عامة ، وهكذا تضيع الاشارات المحدودة عن النظم في خضم من التفاصيل السياسية والعسكرية .

ولإعطاء صورة عن المعالم الأساسية للنظم الارتقية ، تجدر الإشارة الى عدد من الاعتبارات ، أهمها :

١ ـ هناك إشارات إلى عدد من التنظيمات الادارية والاقتصادية في ديار بكر في الفترة التي سبقت تكوين الامارات الارتقية مباشرة ، مما يشير إلى أن المنطقة كانت قد بلغت ـ في تلك الفترة ـ مرحلة لا بأس بها من النضج الاداري والاقتصادي . وبمقارنة هذه التنظيمات بتلك التي عرفت لدى الأراتقة يتضح مدى ما أخذه هؤلاء عمن سبقهم ومدى ما استحدثوه في هذا المجال .

٢ ـ إن سكوت المصادر عن بعض التنظيمات والامور الادارية والاقتصادية والاجتماعية ... في فترات معينة من التاريخ لايعني عدم وجودها ، بل من المحتمل أن المصادر ، بتركيزها على القضايا السياسية والحربية ، قد انشغلت عن ذكر الامور الحضارية . وهنا تجدر الإشارة إلى حقيقة هامة في المجال الحضاري تلك هي أن حدوث تحول سياسي أو حربي ، والانتقال من عهد إلى عهد آخر وسقوط الأمراء وقيام آخرين مكانهم ، لايعني سقوط التنظيمات القديمة قاطبة وقيام أخرى جديدة لا علاقة لها بسابقتها ، إذ أن ذلك يناقض استمرارية التماسك الاجتماعي والنظامي والبيروقراطي (الوظيفي) بعد حدوث هذه الرجات . فلا بد إذاً من القول بأن التنظيمات ، في خطوطها الأساسية ، لا يصيبها تغيير كبير إثر تلك الانقلابات ، وبصورة خاصة بالنسبة لطبقة الموظفين الصغار والمسؤولين الثانويين الذين يلعبون دوراً هاماً في استمرارية النظام والتماسك الاداري . وهكذا يمكن القول بأن الأراتقة

لم يقيموا مؤسسات ونظماً جديدة بالمرة على المنطقة ، بل أن بعضها كان موجوداً ، واكتفى هؤلاء باجراء بعض التعديلات عليها ، فضلاً عن ادخالهم نظماً جديدة مقتبسة عن الدول المعاصرة كالسلاجقة والأيوبيين والمماليك .

٣ – لم تقم الامارات الارتقية دفعة واحدة ، بل قامت في فترات زمنية متباينة ، وليس هذا فحسب ، بل أن كلاً من هذه الامارات بدأت بمدينة أو حصن واحد وأخذت تتسع بالتدريج بضم أماكن جديدة إليها . وهذا يشير ، من ناحية سياسية وحضارية ، إلى عدم حدوث تغيير أساسي إثر قيام الامارات الارتقية ، وان من المؤكد قيام الاراتقة كثير من الاحيان، باقتباس شبه تام لما كان موجوداً سابقاً . ويشير كاهين إلى أن التنظيم الداخلي للأراتقة وحضارتهم بصورة عامة كانت تنقصهما الأصالة بحيث لا تستحقان دراسة شاملة خاصة بهما . فالإمارات الارتقية كانت تشكل ، فيما عدا خرتبرت ، جزءاً من العالم الاسلامي منذ عهد الفتوحات الاسلامية وإن المناطق التي حكمها الأراتقة استمرت تحكم من قبل نفس السكان وبنفس القوانين التي كان يعمل بها سابقاً ، ويتساءل كاهين فيما إذا كان لنظام حكم الأراتقة أية ميزات خاصة سواء اكانت أصيلة أم غير أصيلة . (١) هذا فضلاً عن أن ايران والعراق والشام كانت قد تأثرت جميعاً – كما يشير فيت – في هذه المرحلة التاريخية ، إلى حد كبير أو صغير بما أنشأه السلاجقة من نظم حربيّة واقتصادية وما لجأوا إليه من انشاء المدارس (٢) . وقد أشار القلقشندي إلى هذه المؤثرات الحضارية للسلاجقة والاتابكيات التي تفرعت عنها في مختلف أنحاء المنطقة المذكورة ، بحيث أن أهم الدول والامارات التي قامت في أنحائها كانت تستمد نظمها من هؤلاء في معظم الأحيان .(٣) ويعود كاهين فيشير إلى أن دخول العنصر التركماني – الذي ينتمي إليه الأراتقة – إلى ديار بكر لم يكن له أي تأثير في فعاليات القطر الاقتصادية التقليدية التي كانت قائمة

(١) Enc. Isl . art. Artukids . New ed.

(٢) L'Egypte Arabe, P. 330 .

(٣) صبح الاعشى ٤ /٥ .

على الزراعة وتربية الحيوانات ومناجم الحديد والنحاس والتجارة مع العراق والأناضول (٤) . وهذا يشير بدوره إلى أن ناحية من أهم نواحي النظم الارتقية لم تكن مبتكرة وإنما اعتمدت على ما كان سائداً من قبل . هذا فضلاً عن أن السمة العربية الأصيلة للحضارة الارتقية استمرت تحتل مكانة كبيرة في ديار بكر متمثلة في الشعر العربي الذي لقي رواجاً لدى الأراتقة وفي العدد الكبير من الشعراء الذين خرجتهم أو استقبلتهم ديار بكر في عهد الأراتقة .

٤ — ثمة نتيجة تتمخض عن الاعتبارات السابقة ، وهي أن كل دراسة للنظم التي التزمتها الدولة السلجوقية أو الدول والإمارات التي أخذت عنها كالأيوبيين (٥) تلقي ضوءاً في الوقت ذاته على المعالم الأساسية للنظم الارتقية ، خاصة وان الامارات الارتقية امتدت ، في بعض الأحيان ، فشملت مدناً ومواقع كانت ذات طابع سلجوقي كحلب والمواقع المحيطة بها .

٥ — شكل الأراتقة ثلاث إمارات ضمّ كل منها عدداً من المدن والمواقع وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات الثانوية في نظم تلك الإمارات فيما بينها أو فيما يتعلق بنظم مدن كل إمارة منها على حدة ، إلا أنها تتشابة جميعاً في خطوطها الأساسية وكبار موظفيها وطبيعة حياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولذا سيجيء بحث حضارة ونظم هذه الإمارات والوحدات المدنية كوحدة كاملة دون تجزئة .

٦ — أورد بعض المؤرخين عدداً من الإشارات إلى ما كان سائداً من نظم في السنوات التي سبقت ورافقت ظهور اولى الإمارات الارتقية في ديار بكر حيث كانت تحكم الإمارة المروانية الكردية (٣٨٠ — ٤٧٨هـ = ٩٩٠ — ١٠٨٥م) (٦) وبعض الأمراء السلاجقة ، مما يلقي ضوءاً على الأسس التي اعتمدها الأراتقة في تنظيماتهم . ويتضح من استعراض الروايات التي أوردها الفارقي في هذا

(٤) Enc .Isl. art. Artukids, New ed.

(٥) القلقشندى ، صبح الاعشى ٤ /٥ .

(٦) الفارقي ، تاريخ آمد (القسم المنشور) ص ٢٤٧ — ٢٤٨ ونقل عنه ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ٩٩ آب) .

المجال ونقلها عنه ابن شداد ، إن ديار بكر كانت قد بلغت خلال الفترة المذكورة درجة لا بأس بها من النمو في نظمها الإدارية ، وظهر فيها عدد من الأجهزة والمناصب التي كان أصحابها يقومون بتسيير شؤون الإدارة كالقضاء ونيابة القضاء (٧) والخطابة (٨) والحسبة (٩) والنظر على الوقف(١٠) والديوان(١١) والاستيفاء (١٢) والوزارة (١٣) والولاية (١٤) والحجابة (١٥) ومحافظة البلد (١٦) ودار الضرب (١٧) . وهنالك من الضرائب المؤن و الاعشار والاقساط والكلف والخراج (١٨) ، كما يتضح الدور الهام الذي كان يلعبه القضاة في المجالين السياسي والعمراني حيث كانت الظروف السياسية تلعب دورها في تسلمهم المناصب القضائية ، لذا لم يكن أحدهم يستقر في منصبه طويلاً . وقد تدخل القضاة في تعيين الحكام وعزلهم (١٩) . وكان المحتسب يتمتع ، كذلك ، بصلاحيات واسعة فكان يسهم في فرض الضرائب والرسوم على الأهالي ، كما كان يقوم أحياناً بتولي أُمور المدينة (٢٠) أما

(٧) الفارقي ، تاريخ آمد ص ١٩٧ — ١٩٩ ، ٢٦٦ — ٢٦٧ ، ٢٧٩ .
(٨) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .
(٩) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٤٤ —٢٤٧ ، ٢٦٦ — ٢٦٧ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ٩٩ آ).
(١٠) الفارقي ، تاريخ آمد ص ١٩٧ — ١٩٩ .
(١١) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٨٣ — ٢٨٤ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠١ آب) .
(١٢) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٨٣ — ٢٨٤ ، ابن شداد ١٠١ آب .
(١٣) الفارقي ، تاريخ آمد ص ١٩٧ — ٢٠٠ ، ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٢٤٤ — ٢٤٧ ، ٢٧١ ، ابن شداد ٩٧ ب ، ٩٩ آ .
(١٤) الفارقي ص ٢٤٤ — ٢٤٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ — ٢٨٢ ، ابن شداد ٩٩ آ ١٠١ آ .
(١٥) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٧١ .
(١٦) الفارقي ص ٢٣٠ — ٢٣٢ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ٩٧ آ) .
(١٧) الفارقي ص ٢٧٤ — ٢٧٥ .
(١٨) الفارقي ص ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٢٧٤ — ٢٧٥ ، ابن شداد ٩٧ آ .
(١٩) الفارقي ص ١٩٧ — ٢٠٠ ، ٢٣٠ — ٢٣٢ ، ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٢٤٤ — ٢٤٧ ، ٢٦٦ — ٢٨٤ ، ابن شداد ٩٧ آب ، ٩٩ آ ، ١٠٠ آ ب ١٠١ آب
(٢٠) الفارقي ص ٢٦٦ — ٢٦٧ ، ٢٦٩ .

الوزير فكان يمثل السلطة العليا في البلاد ، وقد فوض في أحيان كثيرة صلاحيات واسعة شملت تنصيب ولي العهد أثر وفاة سلفه ، والاشراف على النواحي العمرانية والمالية مما أتاح لبعض الوزراء الحصول على الثروة عن طريق المصادرات وابتزاز الأموال ، وبلغ من صلاحية الوزراء أن أحد حكام ميافارقين ردّ الى وزيره — المعين — «جميع الأمور» ، ويظهر أن الوزير بتمتعه بهذه الصلاحيات حدّ من أهمية الوالي الذي لم يعد له دور يذكر في تسيير شؤون البلد ، اللهم إلا في الحالات التي كان الوزير يغيب خلالها ، أو تشغر وظيفته (٢١) .

ولم تحدد الروايات الآنفة طبيعة العلاقات الإدارية بين مختلف الموظفين بشكل دقيق . وتجدر الإشارة هنا إلى أن عدداً من الوظائف السالفة لم يكن ثابتاً بل كان معرضاً للاستغناء عنه في أحيان كثيرة .

وقد تأثر التقدم الاقتصادي والعمراني للمنطقة بالظروف السياسية تأثراً كبيراً بسبب اختلاف الحكام عليها واتباعهم أساليب مختلفة ، فمنهم من كان يعمل على الاصلاح بإسقاط الضرائب المجحفة والتوسع في الإعمار (٢٢) ، ومنهم من كان يتبع أساليب البطش والتنكيل وزيادة الضرائب مما اضطر عدداً من الأهالي إلى الجلاء (٢٣) .

ويمكن القول بأن المنطقة بلغت درجة كبيرة من التقدم الاداري والعمراني والاقتصادي في أواخر حكم الإمارة المروانية في ديار بكر ، حيث انصرف حكامها إلى الاصلاح والاعمار (٢٤) ولكن ما أن سقطت تلك الإمارة ، حتى غدت ديار بكر عرضة للفتن والاطماع ، حيث تناوبها الحكام وطمع الأمراء المجاورون بضياعها وقراها مما أدى إلى تدهور اوضاعها العامة ،

(٢١) الفارقي ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٢٤٤ — ٢٤٧ ، ٢٧١ ، ٢٨١ — ٢٨٢
ابن شداد ٩٧ ب ، ٩٩ آ ، ١٠١ آب .

(٢٢) الفارقي ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٢٧٤ — ٢٧٥ ، ابن شداد ٩٧ ب .

(٢٣) الفارقي ص ٢٤٤ — ٢٤٧ ، ابن شداد ٩٩ آ .

(٢٤) الفارقي ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، ٢٠٣ — ٢٠٤ ، ابن شداد ٩٣ آب .

فاستولى عليها ، كما ذكر الفارقي « الظلم والجور والخراب ، وافتقر أهلها ، وإلى الآن — حوالي منتصف القرن السادس — لم ترجع إلى عشر عشر ما كانت عليه في أيام نظام الدين (المرواني)» (٢٥) . وهذا يعطي صورة مقارنة عن الوضع الاقتصادي لديار بكر قبيل الأراتقة وفي مطلع حكمهم .

الادارة الأرتقية

كان نظام الحكم في الإمارات الارتقية قائماً على الأساس الوراثي فالابن يعقب أباه في الحكم ، وأحياناً تنتقل السلطة إلى الأخ في حالة عدم وجود وريث أو عدم تمتع الابن بالمؤهلات الكافية ولكن كثيراً ما كان يحدث أن الوريث يخلف أباه على الحكم حتى ولوكان طفلاً ،وهذا هو الذي أتاح لبعض أفراد الحاشية الاستئثار بالحكم الفعلي وتوجيه الأمراء الأطفال وفق هواهم (٢٦) وكانت المؤامرات داخل البلاط الارتقي لا تقف عند حد ، ليس فقط بين الأمراء وكبار رجال الحاشية ، بل بين الأمراء أنفسهم (٢٧) .

(٢٥) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٠٣ — ٢٠٤ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ٩٣ آب) .

(٢٦) تولى حسام الدين يولق أرسلان الحكم بعد أبيه أيلغازي عام (٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م) وكان طفلا فقام بتربيته نظام الدين البقش مملوك أبيه واستأثر بالحكم هو ومملوك آخر يدعى لـؤلـؤ ولم يزل الأمر كذلك إلى أن توفي الولد عام (٥٩٥ هـ = ١١٩٩ م) ، وكان له أخ أصغر منه هو قطب الدين أرسلان فعينه البقش مكان أخيه في الحكم «وليس له منه إلا الاسم ، والحكم للنظام ولؤلؤ » . ولكن قطب الدين مالبث أن أخذ يتحين الفرص للتخاص من نفوذهما وواطأ على ذلك جماعة من الأمراء والمماليك ومن ثم تمكن من اغتيالهما عام (٦٠١ هـ = ١٢٠٤ م) واخراج مناوئيه من ماردين وتعزيز أنصاره ، وبذلك تمكن من ممارسة مهام الحكم بشكل فعلي . انظر ابن الأثير ، الكامل ١١ / ٢٠٧ ، ابن العبري ، مختصر ص ٣٨١ — ٣٨٢ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠٥ ب) .

(٢٧) في عام ٦٣٦ (وقيل ٦٣٧ هـ) اغتيل الملك المنصور ارتق أمير ماردين على يد مماليكه بسبب الخلاف الذي حدث بينه وبين ابنه الملك السعيد ايلغازي واعتقال الأخير ، مما دفع ابنه إلى تدبير هذه المؤامرة لاغتيال جـده والافراج عن أبيه . وما أن استقر السعيد في الحكم حتى قام باعتقال أكبر اخوته حيث كان يشكل خطراً على نفوذه ، ومن ثم استقام له الأمر . انظر : ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ١١٦ — ١١٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة ٨ / ٧٣٠ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٣٤ب — ١٣٥ آ) . وفي عام ٧١١ هـ توفي الملك المنصور ايلغازي ، فقام ولي عهده الملك العادل بمحاولة لاغتيال أخيه شمس الدين الصالح لما كان يعلم من همته وانه أحق بالملك منه =

ولم يشذ الأراتقة عن قاعدة الوراثة في الحكم إلا في عهد قطب الدين سقمان ، أمير آمد وحصن كيفا ، حيث أنه عهد بولاية العهد إلى مملوك له يدعى اياز . وعندما توفيّ قطب الدين عام (٥٩٧هـ = ١٢٠٠م) تسنم الحكم بعده مملوكه اياز واستمر فيه أياماً تمكن بعدها شقيق قطب‌الدين (ناصر الدين محمود بن محمد) من انتزاع الحكم منه ، ومن ثم القى القبض عليه واعتقله (٢٨)

أما الألقاب التي اتخذها حكام الأراتقة فقد تدرجوا فيها مستغلين الظروف السياسية المحيطة بهم فتسموا في البدء باسم الأمراء ثم الملوك (٢٩) ، وأول من تلقب منهم بالملك هو أرتق أرسلان عام (٦٠١هـ = ١٢٠٤م) حيث سمى نفسه الملك المنصور (٣٠) . ثم اتخذ حكام الأراتقة بعدئذ لقب السلطنة . وأول من تلقب منهم بذلك هو نجم‌الدين المنصور المتوفى عام (٧١٢هـ= ١٣١٢م) ثم أبناؤه من بعده (٣١) ، واستمروا على ذلك حتى سقوط إمارة ماردين عام (٨١٢هـ = ١٤٠٩م) ولكن ذلك لم يمنع من تمسكهم بلقب الملك وخاصة في الفترة الأخيرة كالملك الظاهر مجدالدين عيسى (٣٢) . وكان من عادتهم إضافة نعتين إلى اسمهم الأصلي مثل (المنصور نجم‌الدين ايلغازي والعادل علاءالدين علي) ، ومن المرجح أنهم اقتبسوا ذلك من الأيوبيين والمماليك (٣٣).

= فعارضه كبار الأمراء في ذلك للمكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها الصالح . ثم ما لبث العادل أن توفي بعد أيام ، ويقال أنه سم على يد أحد الأمراء ، فانتقل الملك إلى أخيه الصالح . انظر : الدواداري ، كنز الدرر ٩ / ٢٤١ — ٢٤٢ ، ابن حجر ، الدرر ٣ / ٢١٦ — ٢١٧ .

(٢٨) ابن الساعي ، الجامع للمختصر ٩ / ٥٣ .

(٢٩) غدا لقب الملك ، في العصر السلجوقي ، يطلق على الولاة الفرعيين بينما احتفظ رب الأسرة السلجوقية بلقب السلطان (مجلة بغداد ، ص ٢٦ ، عدد ٢٤ سنة ٩٦٥) .

(٣٠) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي (القسم المخطوط ٢ / ٤٩٦) .

(٣١) القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٤ / ٣١٦ ، ابن تغري بردي المنهل الصافي (القسم المنشور) حاشية ٣ ، ١ / ٢٢١ .

(٣٢) العيني ، الروض الزاهر ص ١٥ .

(٣٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٥ / ٤٨٨ . وانظر عن انتشار الألقاب لدى السلاجقة والذين أعقبوهم : (مجلة بغداد ص ٢٤ — ٢٨ ، عدد ٢٤ سنة ٩٦٥) .

ولا ريب أن السلطة الرئيسية في الحكم كانت بيد الأمير الارتقي ، وأنه كان يتمتع بنفس الصلاحيات التي كان يتمتع بها سلاطين وملوك وأمراء تلك الفترة : كمنح الاقطاعات ، ومكافأة الأمراء والأجناد ، والقيادة العليا للجيش ، وتعيين كبار موظفي الدولة وعزلهم وتأديبهم ، والنظر في المظالم أحياناً، ومقابلة بعض ذوي الحاجات من الأهالي، وتحديد سياسة الإمارة(٣٤) أما بقية الاختصاصات والأعمال فكانت تقع على عاتق الجهاز الإداري المكلف بتسيير شؤون الإمارة الادارية والعسكرية والمالية .

يقف الوزير على رأس الجهاز الإداري لدى الأراتقة ، وكان يتمتع بصلاحيات واسعة في العهود الأولى من حكمهم ، وربما كان الأراتقة متأثرين في ذلك بالنظام السلجوقي الذي كان يعطي للوزير حق الاشراف على جميع الدواوين والمرافق المهمة في الدولة (٣٥) . وأول وزير تتطرق الروايات إلى ذكره هو أبو تمام بن عبدون الذي رافق ايلغازي لدى توجهه إلى أرمينية لقتال الكرج عام (٥١٤هـ = ١١٢٠م)(٣٦) . ويشير ورود اسم الوزير في هذه الفترة المبكرة إلى أن الأراتقة اتخذوا الوزراء منذ فجر حياتهم السياسية. ثم نورد الروايات ، بعد ذلك ، اسم عبدالملك الذي استوزره حسامالدين تمرتاس عام (٥١٨هـ = ١١٢٤م) ، وقد استمر هذا في منصبه حتى عام (٥٢٧هـ = ١١٣٢م) حيث توفي . وكان يقوم بتعيين بعض كبار الموظفين كالشحنة (المحافظ) والمشرف على الوقف ، كما قام بمصادرة بعض كبار المسؤولين (٣٧) ، مما يشير إلى سعة الصلاحيات التي كان الوزير الأرتقي يتمتع بها . وفي العام التالي (٥٢٨ هـ) وصل إلى ماردين حبشي بن محمد بن حبشي قادماً من العراق (٣٨) ليدخل في خدمة تمرتاس

---

(٣٤) انظر علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ١٦٠ – ١٦٣ .
(٣٥) حسين أمين ، نظام الحكم في العصر السلجوقي (مجلة سومر ، مجلد ٢٠ سنة ١٩٦٤) .
(٣٦) الفارقي ، تاريخ آمد (المخطوطة ورقة ١٠٣ آ – ١٠٤ آ) .
(٣٧) الفارقي ، (المخطوطة ١٠٩ آ ب) .
(٣٨) كان حبشي قد خدم الياغسياني أمير حماه ، ويظهر أنه لم يقم بواجبه على الوجه المطلوب فقبض عليه الياغسياني وعاقبه ، فانهزم وتنقل في البلاد إلى أن =

الذي ولاه الوزارة ومنحه سلطات واسعة«فبلغ من الدولة مالم يبلغه غيره وتحكم أو في تحكم» (٣٩) ، وتوجه إلى ميافارقين في مطلع العام التالي « فعمل هناك حساب أرباب الأعمال والكتاب ، وسلك بهم أعسف الطرق والخسف والقهر » وما أن وصل إلى هناك حتى آنهزم المستوفي المؤيد أبو الحسن عائداً إلى الجزيرة فقبض حبشي على شقيقه أبي سعيد وكان مستوفياً هو الآخر ،وعلى ابنه ، وصادر أموالهما ، فبقي الناصح في الإعتقال حتى وفاته ، وقام حبشي بتولية العميد أبو طاهر بن المحتسب مكانه ، وكان هذا معتقلاً طيلة ست سنوات فأطلقه حبشي (٤٠) . وفي عام (٥٣١هـ — ١١٣٦م) توجه حبشي إلى ميافارقين ثانية وصادر أهلها » وجرى عليهم منه مالا يوصف (٤١) وفي عام (٥٣٥هـ — ١١٤٠ م) لعب حبشي دوراً مهماً في حماية ميافارقين من الخطر الذي دهمها لدى مهاجمة داود الأرتقي أمير حصن كيفا لها ، وكان حبشي آنذاك مقيماً بها فقام هو والحاجب يوسف بن ينال والي المدينة ، «بتدبير الناس وسياسة البلد» (٤٢) ويظهر أن العلاقات ساءت ، بعد ذلك ، بينه وبين حسام الدين تمرتاش بسبب طغيانه وآستغلال منصبه للكسب الشخصي . ولكن تمرتان لم يستطع أن يقدم على خطوة جريئة ضده ، إلى أن آستغل فرصة تغيبه عن ماردين عام (٥٣٦هـ — ١١٤١م) على رأس وفـــد لمفاوضة زنكي في الموصل، فأطلق سراح المؤيد أبي الحسن الذي كان حبشي قد آعتقله منذ عام (٥٣٤هـ — ١١٣٩م) وعينه حسام الدين تمرتاش في الاستيفاء ورد إليه جميع الأمور (٤٣) . ويظهر أن هذه الخطوة التي آتخذها حسام الدين آستفزت حبشي — وهو في الموصل — فاتفق مع زنكي — سراً — على

=== انتهى به المطاف في ماردين (الفارقي ، تاريخ آمد ، مخطوطة ١٠٩ب — ١١٠ آ) .

(٣٩) الفارقي ، تاريخ آمد (المخطوطة ١١٠ آ) .

(٤٠) الفارقي تاريخ آمد ، ورقة ١١٠ آ ونقل عنه ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٣ آب .

(٤١) الفارقي ، المصدر السابق ، ورقة ١٢١ آ .

(٤٢) ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٣ ب ١٠٤ آ .

(٤٣) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٢٢ب — ١٢٣ آ .

تسليمه ميافارقين ، ولكن المؤامرة أُكتشِفت ، عندما حاصر زنكي المدينة عام (٥٣٨هـ – ١١٤٣م) وكان حبشي مقيما بها آنذاك ، فدخل على خيمته ليلاً اثنان من كبار مسؤولي المدينة وهما مؤمل الشاقصي ومحمد بن أبي المكارم وقتلاه واتجها برأسه إلى ماردين (٤٤) .

وتشير الروايات السابقة إلى مدى ماكان يتمتع به الوزير الارتقي من صلاحيات إدارية وسياسية كما كانت الحال في السابق ، حيث كان يقوم بفرض وتقدير الضرائب على أرباب الأعمال والكتاب ، ويصادر كبار الموظفين ، ويعزلهم ويوليهم ويرأس الوفود للمفاوضة ويشارك في تنظيم الدفاع عن المواقع التي يتهددها الخطر . ولكن هذا التضخم في الصلاحيات التي يمارسها الوزير حدّ من سلطة الأمير الارتقي نفسه ، بحيث لم نعد نرى بعد حبشي وزيراً للاراتقة تمتع بهذه الصلاحيات. وقد وصل إلى ماردين في العام الذي تلا مقتل حبشي الأمير ابراهيم بن منقذ المصري فولاه حسام الدين الوزارة (٤٥) ويظهر أن هذا حاول آستغلال منصبه كسلفه فاعتقله حسام الدين عام (٥٤٠هـ=١١٤٥م) قبل أن يتمكن من منصبه ولكنه آستطاع أن يهرب من السجن بتدبير من بعض أفراد الحاشية الارتقية ومن ثم غادر ماردين سراً ، فلما علم حسام الدين بذلك أرسل فرسانه في طلبه فتمكنوا من القبض عليه وحملوه إلى حسام الدين فأطلقه دون عقاب (٤٦) .

ولم تشر المصادر إلى الوزير الذي أعقب ابراهيم بن منقذ طيلة خمس سنوات من هذا آلحادث ، وتقفز إلى عام (٥٤٥هـ=١١٥٠م) حيث يشير الفارقي إلى أن حسام الدين آستوزر خلاله زين‌الدين أسعد بن عبدالخالق ، شقيق المؤيد الذي كان وزيراً للبرسقي حاكم الموصل (٥١٥–٥٢٠هـ=١١٢١–١١٢٦م) (٤٧) ، ولكن هذا لم يستمر في منصبه سوى عام واحد حيث

(٤٤) ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٣ ب – ١٠٤ آ .
(٤٥) الفارقي ، تاريخ آمد ورقة ١٢٤ آ .
(٤٦) المصدر السابق ، ورقة ١٢٥ آ .
(٤٧) المصدر السابق ، ورقة ١٣٤ ب .

اغتيل في العام التالي (٥٤٦ هـ = ١١٥١ م) بتدبير من حكام آمد . «وبقي حسام الدين بعد قتل زين الدين بغير وزير واكتفى بالاجل مؤيد الدين — الذي كان يعمل في الإشراف على الديوان — وأغناه عن جميع من خدمه»(٤٨) ويظهر أن حسام الدين أراد أن يتخلص من المشاكل التي جرها عليه معظم وزرائه ، فقرر أن يبقى بلا وزير ، وأن يعتمد على بعض كبار موظفيه لإنجاز ما كان يقوم به الوزراء من مهام رسمية .

وطيلة الفترة التي أعقبت وفاة حسام الدين (٥٤٧هـ=١١٥٢م) وحتى سقوط آخر إمارة آرتقية في ماردين عام (٨١٢هـ=١٤٠٩م) ، لم تقدم المصادر روايات متكاملة ومتتابعة عن الأشخاص الذين آستوزروا من قبل الاراتقة ، وطبيعة الأعمال التي كانوا يمارسونها . ففيما عدا تاريخ الفارقي ، وابن شداد الذي نقل عنه ، لانجد أي مصدر يهتم بالأمور الإدارية للاراتقة بالمقدار الذي نجده لدى الفارقي ، لذا فإن الفترة الطويلة التي أعقبت تاريخ الفارقي لاتتخللها سوى روايات قليلة ومتباعدة تشير إلى بعض النواحي الإدارية . ففي عام (٥٨١هـ=١١٨٥م)ترد إشارة إلى مقتل قوامالدين عبدالله بن سماقة وزير نور الدين محمد بن قرا أرسلان أمير آمد وحصن كيفا ، حيث آحتال عليه مماليك الأمير المذكور فاستدعوه من الديوان الذي كان يجتمع فيه بكبار رجال الدولة وقالوا له : إن الملك يطلبك ، وما أن آنفرد في أحد الدهاليز حتى آنقضوا عليه وقتلوه (٤٩) ويظهر أنه حاول أن يتجاوز حدود سلطته ، أو أنه قتل بتحريض من قبل بعض منافسيه ، ومن المرجّح أن ممارسته السلطة الفعلية باسم سيده هو الذي ألّبه عليه ودفعه إلى قتله (٥٠) .

وترد في عام (٦٥٢ هـ = ١٢٥٤ م) اشارة إلى وفاة أحمد بن حلوان ، نجم الدين المعروف بابن العالمة ، وإنه كان قد استوزر من قبل المسعود أمير آمد

---

(٤٨) الفارقي ، المصدر السابق ، ورقة ١٣٥ ب — ١٣٦ آ .

(٤٩) ابو شامة ، الروضتين ٢ / ٦٧ ، ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق (مخطوطة ٣٠١ — ٣٠٢)

(٥٠) الكامل ١١ / ٢٠٩ ، ابو الفدا ، المختصر ٣ / ٧٣ ، ابن الوردي ، تتمة ، ٢ / ٩٤ .

وحصن كيفا فترة من الزمن ، بعد أن خدمه وحظي عنده بما كان يتمتع به من مهارات في العلوم والآداب ، ثم ما لبث الملك المسعود أن نقم عليه وصادر جميع ممتلكاته فاضطر إلى مغادرة آمد إلى دمشق حيث توفي هناك (٥١). وفي عام (٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م) ترد اشارة إلى اشتراك الصاحب شمس الدين بن شرف الدين التيتي ، وزير صاحب ماردين ، في الوفد الذي أرسله السلطان أحمد ابن هولاكو ، سلطان المغول ، لمفاوضة المماليك في مصر ، وانتهى الأمر باعتقالهم في دمشق ثم الإفراج عنهم فيما عدا ابن التيتي « ونفرين أو ثلاثة قيل أن صاحب ماردين أشار بابقائهم لامر نقمه عليهم» (٥٢) . وكان ابن التيتي فاضلاً مشاركاً في علوم النحو واللغة والحديث ، وروى عنه عدد من العلماء(٥٣) ولكنه لم ينج ، كمعظم زملائه من وزراء بني أرتق ، من التنكيل والإضطهاد . وبعد فترة ليست بالطويلة (٦٩٨ هـ=١٢٩٨م) قام نجم الدين ايلغازي ، أمير ماردين ، بقتل وزيره المعروف بابن المرأة لدى اكتشافه بأنه كان يتآمر على قتله وتنصيب أحد إخوته مكانه (٥٤). ويتطرق ابن بطوطة لذكر وزير ماردين في عهد زيارته لها (في حدود عام ٧٦٩ هـ = ١٣٦٧ م) وهو جمال الدين السنجاري الذي وزر للملك الصالح والذي يصفه بأنه « الإمام العالم وحيد الدهر وفريد العصر وإنه قرأ بتبريز — من بلاد فارس — وأدرك العلماء الكبار » (٥٥) ، مما يشير إلى أن الأراتقة كانوا يتوخون في وزرائهم العلم والثقافة. ومن ثم ترد الإشارة الأخيرة إلى وزراء الأراتقة على لسان ابن الفرات حيث يذكر أنه في العاشر من المحرم عام(٧٩٦ هـ = ١٣٩٣م) حضر إلى القاهرة الحاج محمد وزير صاحب ماردين لاطلاع السلطان على آخر تحركات تيمورلنك (٥٦) مما يشير إلى أن الوزير الأرتقي كان يتمتع حتى الفترات

(٥١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ١ / ٩٢ — ٩٥ .
(٥٢) المصدر السابق ٤ / ٢١٧ — ٢١٨ .
(٥٣) ابن حجر ، الدرر الكامنة ٣ / ٣٨٦ .
(٥٤) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ٤٩٩ — ٥٠٠ .
(٥٥) رحلة ١ / ١٨٣ .
(٥٦) تاريخ ابن الفرات ٩ / ٣٦١ .

المتأخرة ، ببعض الصلاحيات في تسيير شؤون الامارة وفي نشاطها الخارجي.

وليس الولاة بأكثر حظاً من الوزراء فيما ورد عن أسمائهم وحدود سلطتهم ففيما عدا ما قدمه الفارقي (ونقله عنه ابن شداد) وبخاصة قائمة نواب (أو ولاة) حسام‌الدين تمرتاش في ميافارقين فإن المصادر الأخرى لاتكاد تذكر شيئاً عن الموضوع . وأول وال يرد ذكره لدى الأراتقة هو ابن ايلغازي، الذي نجهل اسمه ، والذي ولاه أبوه على نصيبين لدى استيلائه عليها عام (٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م) (٥٧)،وبلاق بن اسحق والي ايلغازي على‌الأثارب القريبة من حلب والذي لعب دوراً مهماً ضد الصليبين (٥٨) ، ثم يرد بعد ذلك اسم الحاجب غزغلي الذي كان والياً على ميافارقين في عهد ايلغازي ، وقد لعب هذا الوالي دوراً في مساعدة شمس‌الدولة سليمان بن ايلغازي في الاستيلاء على ميافارقين وتشكيل امارة جديدة هناك ، دون حدوث أي اشتباك (٥٩) . ويرد بعد ذلك اسم الحاجب يونس الدنيسري الذي ولاه حسام‌الدين تمرتاش على دارا لدى استيلائه عليها في‌ذي الحجة من‌عام (٥٤٤ هـ = ١١٥٠م) (٦٠) . ومن ثم يقدم الفارقي قائمة لابأس بها عن ولاة (نواب) حسام‌الدين تمرتاش على ميافارقين وهم: الحاجب أبو بكر بن خمرتاش الحاج (عزل)،بيرم بن خمرتاش الحاج (عزل) عثمان بن خمرتاش الحاج (عزل) ، بيرم ، ثانية ، (عزل) الحاجب عبدالكريم بن علي (عزل) ، الحاجب يوسف ينال (عزل) ، قزغلي (توفي)، الحاجب يرنقش الحسامي (عزل)، يوسف ينال ، ثانية وبقي‌حتى عام (٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م) حيث توفي فولي بعده ناصر الدولة صندل في‌ذي القعدة، وبقي في الولاية إلى ربيع الآخر سنة (٥٤٢ هـ =١١٤٧م) وعزل ، وعين اسر سلار

---

(٥٧) ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ٣٩ آ .

(٥٨) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ١٩٤ .

(٥٩) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٠٥ آ — ١٠٥ ب ونقل عنه ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٢ ب وقد حور الناسخ اسم غزغلي فجعله كيغلي .

(٦٠) الفارقي ، المصدر السابق ، ورقة ١٣٢ آ .

حتى وفاته في ربيع الآخر سنة (٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م) ومن ثم استقل ينال بالولاية واستمر فيها حتى وفاة حسام الدين تمرتاش عام (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م)(٦١).

ويلاحظ من الاطلاع على هذه القائمة أن ولاة الأراتقة كانوا ، كوزرائهم لايستمرون في مناصبهم طويلاً ، إذ كانوا معرضين للعزل ، وهكذا فإن معظم الولاة الذين حكموا ميافارقين عزلوا قبل أن تمضي على توليتهم فترة طويلة، ولذا تعاقب على حكم هذه المدينة اثنا عشر والياً في فترة لا تزيد على ثلاثين عاماً . وربما كان هذا هو السبب الذي لفت انتباه الفارقي فقدم هذه القائمة واغفل ذكر ولاة المواقع الأخرى . ويلاحظ أن معظم هؤلاء الولاة ، الذين وردوا في القائمة ، كانوا يلقبون بالحاجب وهذا يشير إلى أحد احتمالين : إما أن يكون هؤلاء قد اشغلوا فعلاً وظيفة الحجابة للأراتقة قبل توليهم ميافارقين وإنهم ولوا بعدئذ على هذه المدينة تقديراً لخدمتهم وهو المرجح ، أو أن التقاليد الرسمية كانت تقتضي تسمية كل وال باسم الحاجب (فلان ...) .

ويذكر القلقشندي أن من ضمن مهام ولاة الاراتقة تلقي المكاتبات من الخارج ، حيث كانت توجه اليهم بعض المكاتبات من نواب المماليك في دمشق وحلب (٦٢)ولا نعرف ،بعد ذلك ،شيئاً عن طبيعة المسؤوليات التي كلف ولادة الاراتقة القيام بها، والجهاز الاقليمي الذي كان يعاونهم في شؤون الاذارة وصلاحية تعيين أعضائه ؟ .ولما كانت معظم المواقع (الولايات) الارتيقية ذات قلاع وحصون فالمرجح أن أهم أعمال اولئك الولاة كانت، حسبما ذكر القلقشندي «حفظ تلك القلاع ،وعمارة مادعت الحاجة إلى عمارته منها ،وأخذ بقلوب من فيها ،وجمعهم على الطاعة بالاحسان اليهم (٦٣)، وتحصينها بآلات الحصار وادخار آلات الحرب ومهماتها ،والاعتناء بغلق

---

(٦١) المصدر السابق ، ورقة ١٣٧ آ – ١٣٨ آ ، ونقل عنه ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٤ ب – ١٠٥ آ .

(٦٢) صبح الأعشى ، ط ٢ ، ٨ / ٢٢٥ ، ٢٢٩ .

(٦٣) انظر الفارقي ، تاريخ آمد (المخطوطة ١٣٨ آب) وابن شداد ، الأعلاق (المخطوطة ١٠٥ آ)

أبواب القلعة وفتحها وتفقد أحوالها في كل صباح ومساء ، وإقامة الحرس وإدامة العسس ،وتعرف أحوال المجاورين لها من الأعداء ،والمطالعة بكل مايتجدد لديه من الأخبار» (٦٤). هذا بالاضافة إلى مهمات الوالي المالية والعسكرية الأُخرى كمساعدة الأمير الارتقي في عملياته الحربية بشكل مباشر، أي بامداده بالجند والميرة ،أو غير مباشر ،كأن يقوم بتوسيع منطقة ولايته، والدفاع عنها ضد هجمات الأعداء .ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما قام به الحاجب يوسف والي ميافارقين عام (٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م)عندما قام داود الارتقي ،أمير حصن كيفا ، بمهاجمة ميافارقين ،حيث أحسن الوالي «تدبير الناس وسياسة البلد» (٦٥) واستطاع بمساعدة بعض المسؤولين ،انقاذ المدينة من خطر محقق .

وهنالك موظف على درجة كبيرة من الأهمية وهو نائب السلطنة في ماردين وقد استحدث الاراتقة هذا المنصب في فترة متأخرة (٦٦) ويظهر انهم نقلوه عن المماليك في مصر والشام حيث كان نائب السلطنة هناك يتولى مهاماً خطيرة ،إذ كان يشترك مع السلطان في توزيع الاقطاعات ،وتعيين الموظفين ويعرض عليه كشفا باسماء الأشخاص الذين كان يحبذ ترشيحهم لهذه المناصب فيقرها السلطان ،ولا يرفض تعيين أحد المرشحين الا في القليل النادر (٦٧) وكان نائب السلطنة في ماردين يتلقى المكاتبات الرسمية من نواب المماليك في دمشق وحلب (٦٨)، ومن الابواب السلطانية في القاهرة (٦٩) وقد حدد المسؤولون في دواوين المماليك صيغة الكتب التي كانت ترسل إلى هؤلاء

(٦٤) صبح الأعشى ١١ / ٩٢ .
(٦٥) ابن شداد ، الأعلاق (المخطوطة ١٠٣ ب — ١٠٤ آ) .
(٦٦) ابن الفرات ، تاريخ ٩ / ٤٥٣ .
(٦٧) المقريزي ، خطط ٢ / ٢١٥ ، العمري ، التعريف ص ٩٢ — ٩٣ ، السبكي معيد النعم ص ٣٤ .
(٦٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٨ / ٢٢٥ ، ٢٢٩ .
(٦٩) المصدر السابق ٧ / ٢٦٩ .

ومن أعمال النائب كذلك توقيع المراسيم والمنشورات وتنفيذ القوانين (٧٠) والركوب على رأس فرق الجيش في المواكب الرسمية (٧١) كما أن ديوان الجيش يجتمع برئاسته (٧٢) ،ويكاتبه نواب المدن الأخرى بصدد الأمور المتعلقة بنياباتهم (٧٣) .وهكذا كان النائب هو المتصرف في كل أمر حيث يراجع في الجيش والمال والجند والبريد ،وكل ذي وظيفة لايتصرف الا بأمره وهو الذي يرتب الوظائف (٧٤) ويذكر فان برشم أن نائب السلطنة كان على رأس الموظفين لدى المماليك (٧٥) ويظهر أن نائب السلطنة لدى الاراتقة كان يتمتع هو الآخر ،بصلاحيات واسعة فكان يمارس مهام الدفاع عن العاصمة وتحصينها ، وبلغ به الأمر أن نصب أحد سلاطين ماردين (٧٦) ويبدو أن عدداً من أهم صلاحيات الوزير الارتقي غدت ضمن اختصاصات نائب السلطنة الذي غدا المسؤول الأعلى في الامارة بعد الحاكم الارتقي ، ومما يؤكد هذا تدهور منصب الوزارة في الفترات الأخيرة من حكم الاراتقة وهي نفس الفترات التي بدأ يتردد فيها اسم نائب السلطنة .

اعتمد الاراتقة في ادراتهم على موظف مركزي آخر يدعى والي القلعة (٧٧) والمرجح أن اختصاصاته كانت تشبه ،إلى حد كبير ،اختصاصات نائب القلعة لدى المماليك حيث كان هذا يقوم بالاشراف على فتح واغلاق باب القلعة المخصص لدخول الجند وخروجهم (٧٨) ويتفقد اسوار القلعة ومنافذها

(٧٠) المقريزي ، خطط ٢ / ٢١٤ ، العمري ، التعريف ص ٦٥ — ٦٦ .
(٧١) القلقشندي ، صبح الأعشى ٤ / ١٧ .
(٧٢) المصدر السابق ٤ / ١٦ ، المقريزي ، خطط ٢ / ٢١٤ .
(٧٣) المقريزي ، خطط ٢ / ٢١٥ .
(٧٤) نفسه .
(٧٥) علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢١٥ .
(٧٦) ابن الفرات ، تاريخ ٩ / ٤٥٣ وانظر بشأن المهام الأخرى لنائب السلطنة لدى المماليك القلقشندي ط ٢ ، ١١ / ١٤٨ ، السبكي ، معيد النعم ص ١٩ .
(٧٧) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ١ / ٤٥٧ — ٤٥٨ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٣٨ آب)
(٧٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ٤ / ٢٢ — ٢٣ .

ويعمل على اصلاحها ،ثم أصبح من اختصاصه الفصل فيما يقع بين العامة من الخصومات (٧٩) ، وهي أشبه بوظيفة الشرطة أو الانضباط العسكري في الوقت الحاضر ، وكان يتمتع باستقلال كبير عن النائب (٨٠) .

اعتمد الجهاز الاداري للاراتقة على عدد آخر من الموظفين لايقلون أهمية عمن سبق ذكرهم ،إلا أن المصادر ، بما تقدمه من اشارات مقتضبة عنهم ،لاتساعد على اعطاء صورة واضحة المعالم عن طبيعة عملهم وأشهر هؤلاء ناظر الديوان حيث يذكر الفارقي انه تمت في عام (٥٢٧ هـ= ١١٣٢ م) تولية الناصح علي بن أحمد الآمدي على النظر في الديوان (٨١) وكان قبيل ذلك يقوم بمهام هذه الوظيفة في آمد ،إلا أن اصحابها قبضوا عليه وصادروه بثلاثين الف دينار فاتجه إلى ميافارقين وولي أولاً الاشراف على الوقف ومن ثم النظر بالديوان (٨٢) وكان هذا الاسم يطلق ، لدى المماليك بصورة عامة على المسؤول الاعلى للديوان سواء كان ديوان انشاء او بريد أو نظر (أي مالية).. وكان يساعده في تسيير شؤون ديوانه عدد من الموظفين كالوكيل ومستوفي الدولة وعدد من صغار المستوفين (٨٣) كما كان يطلق بشكل خاص على المسؤول عن القضايا المالية «وهو مخاطب عن كل مايتم في معاملته من خلل» (٨٤) وقد كانت مسؤولية الناصح من الصنف الأخير كما سيتضح من سياق الأحداث ، وكان يساعد الناظر الارتقي عدد من النظار على الجهات المحلية (٨٥) .

---

(٧٩) علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢٣١ عن الخالدي ، المقصد ص ٧ .
(٨٠) علي ابراهيم حسن ، المصدر السابق ص ٢٣١ وانظر العمري ، التعريف ص ٩٤ – ٩٦ ، ١٤٨ – ١٤٩ .
(٨١) ابن شداد ، الأعلاق ، (مخطوطة ١٠٣ آب) .
(٨٢) الفارقي ، تاريخ آمد (مخطوطة ١٠٩ آ) .
(٨٣) علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢١٣ .
(٨٤) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ص ٢٩٨ .
(٨٥) ابن حجر ، الدرر ٣/٢٦٤ – ٢٦٥ .

وفي عام (٥٢٨ هـ = ١١٣٣ م)وصل إلى ميافارقين المؤيد أبو الحسن بن محمد من جزيرة ابن عمر فرتب في الاستيفاء مع أخيه الناصح (٨٦) ،«وكان قد ولي الديوان والاستيفاء في ميافارقين عام (٥١٠ هـ= ١١١٦م)،قبيل استيلاء الاراتقة عليها » (٨٧) . ووظيفة الاستيفاء من الوظائف المهمة التي عرفت لدى الدولة السلجوقية .وكان المستوفي يلي الوزير في الأهمية ،وكان من واجبه الاشراف على حسابات الدولة وتدقيقها وضبط الأموال المتعلقة بالجيش وإدارة ديوان الاستيفاء (٨٨) .هذا وقد اعتقل الناصح ،ناظر الديوان، عام (٥٢٩ هـ = ١١٣٤ م)أي بعد تعيينه بمدة قصيرة على يد حبشي بن محمد وزير الاراتقة (٨٩) ،وولي مكانه أبو طاهر بن المحتسب الذي كان معتقلاً آنذاك (٩٠)، واضطر المؤيد ، أخو الناصح ،إلى التخلي عن وظيفته هو الآخر والفرار الى جزيرة ابن عمر تخلصاً من بطش حبشي (٩١) وهكذا يشير إلى السلطة الواسعة التي كان الوزير الارتقي يمارسها تجاه كبار الموظفين ويظهر أن العلاقات ساءت بين أبي طاهر وحبشي فقبض عليه هذا! واعتقله عام (٥٣٤ هـ = ١١٣٩ م)،فلما ذهب حبشي إلى الموصل عام (٥٣٦هـ=١١٤١م) في مهمة رسمية ،قام حسام الدين تمرتاس باطلاق سراحه وإعادته ثانية إلى الاستيفاء ورد اليه جميع الأمور (٩٢) وقد استمر هذا في منصبه إلى مابعد عام(٥٣٩ هـ = ١١٤٤م) (٩٣) .وفي عام (٥٤٥ هـ = ١١٥٠ م)قام حسام الدين بتعيين المؤيد والمهذب في الديوان على حالهما (٩٤) ويظهر انهما مارسا هذه الوظيفة قبل ذلك ، والراجح أن المؤيد المذكور هو الاجل أبو منصور الذي ورد ذكره لدى توليته الديوان مجدداً من قبل البي بن تمرتاش الذي

(٨٦) ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠٣ آب) .
(٨٧) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٨٣ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠١ آب) .
(٨٨) حسين أمين ، نظام الحكم في العصر السلجوقي (مجلة سومر ، مجلد ٢٠ سنة ١٩٦٤)
(٨٩) ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠٣ آب) .
(٩٠) الفارقي (مخطوطة ١١٠ آ) ، ابن شداد (مخطوطة ١٠٣ آب) .
(٩١) الفارقي (مخطوطة ١١٠ آ) .
(٩٢) المصدر السابق ١٢٢ب – ١٢٢ آ .
(٩٣) المصدر السابق ١٢٤ب .
(٩٤) المصدر السابق ١٣٤ب .

أعقب أباه على حكم امارة ماردين عام (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م)كما قام البي بتعيين المهذب في الاشراف (٩٥)والراجح أن الاراتقة نقلوا وظيفة الاشراف هذه عن السلاجقة حيث كانت تعد من الوظائف المهمة لديهم ولها ديوان خاص يقوم المشرف بادارته ،وهو يعني بالاشراف على ضبط الحسابات والصادرات والواردات والموازنة بينهما ،وهو في الحقيقة مكمل لديوان الاستيفاء ومثل المشرف كمثل المستوفي يستطيع أن ينيب عنه في كل ولاية نائباً (٩٦) ،وهكذا صرنا نجد لدى الاراتقة عدداً من المشرفين على الدواوين المحلية (٩٧) ونظراً لما بين المستوفي والمشرف من علاقة يكون المستوفي مراقباً لديوان الاشراف (٩٨) .وهذا ما يفسر الرواية التي أوردها الفارقي حول قيام البي بتعيين موظف ثالث يدعى أبا الفتح محمد بن أحمد ليساعد المهذب والمؤيد في أعمال الديوان (٩٩).

وهنالك فضلا عن الوظائف السالفة ،اشارات إلى وظائف أخرى في جهاز الاراتقة الاداري كموقع السلطنة في ماردين (١٠٠) ،وكان يقوم بكتابة الأوامر (١٠١) ،والحاجب (١٠٢) ،الذي كان يقوم بالأعمال المعهودة للحجاب (١٠٣) وكاتب الانشاء (١٠٤) .أما الاستادارية والخدام فيظهر أنهم كانوا يعملون سوية مع الحجاب في قضايا التشريفات والوفود وتنظيم أمور القصر وتلقي مكاتبات أحياناً (١٠٥) .

---

(٩٥) الفارقي ، تاريخ آمد (مخطوطة ١٣٩ آ) .
(٩٦) حسين أمين ، نظام الحكم في العصر السلجوقي ، مجلة سومر ، مجلد ٢٠ سنة ١٩٦٤ .
(٩٧) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ١ / ٤١٣ .
(٩٨) حسين أمين ، المصدر السابق .
(٩٩) الفارقي (مخطوطة ١٣٩ آ) .
(١٠٠) ابن حجر ، الدرر ١ / ٤٠٥ .
(١٠١) السبكي ، معيد النعم ص ٢٤ – ٢٥ .
(١٠٢) الفارقي (، مخطوطة ١٣٩ آ) .
(١٠٣) انظر السبكي ، معيد النعم ص ٣٠ – ٣١ .
(١٠٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ١ / ٤١٢ – ٤١٣ ، الكتبي ، فوات الوفيات ٢ / ١٩٣.
(١٠٥) انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٧ / ٢٦٧ – ٢٦٩ ، ٨ / ٢٢٥ ، ٢٢٩ .

ولعب المحتسب دورا مهماً في حكومات الأراتقة . وقد عين هؤلاء على كل بلد أحد المحتسبين (١٠٦) ، وكان المحتسب يقوم بدور هام في السيطرة على الأمن الداخلي « وتسكين الناس» في فترات الاضطراب ، أو عند وفاة الأمير، فعندما توفي حسام‌الدين تمرتاش عام (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م) وانتشر الخبر لدى أهالي ميافارقين ، اسرع المحتسب بالركوب وتوجه اليهم وسكنهم بحيث اطمأنوا وطابت نفوسهم (١٠٧) . هذا فضلاً عن قيام المحتسب بالمهام المعتادة التي كان يضطلع بها المحتسبون في تلك الفترة ، في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، كالنظر في الأمور المتعلقة بالنظام العام ، والجنيات التي تستدعي السرعة في الفصل ، والمحافظة على الآداب العامة ، ومراعاة تطبيق أحكام الشرع ، والإشراف على نظام الأسواق والمؤسسات التي تحتاج إلى إعمار وإصلاح(١٠٨) وكان للمحتسب نواب يطوفون في الأسواق لتنفيذ تعليماته (١٠٩) .

وفي حلب اعتمد الأراتقة في إدارتهم على النظم المعمول بها سابقاً ، ولم يحاولوا أن يجروا عليها تغييراً أساسياً ، فالحاكم الأعلى هناك هو نائب الأمير الأرتقي الذي ينتمي إلى العائلة الأرتقية ، ويساعده في الإدارة مجموعة من الموظفين الذين عرفتهم حلب منذ فترة ليست بالقصيرة ، كرئيس الأحداث الذي كان يمارس سلطة فعلية ، ولذا كان معرضاً أكثر من غيره للعزل والتنكيل على أيدي الأراتقة (١١٠) والأحداث هم جماعات مسلحة من سكان المدينة ، ازداد شأنهم ، في بلاد الشام ، في مستهل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، وأصبحت لهم السيطرة على الحياة في دمشق ، وصار لهم رئيس

(١٠٦) ابن العماد ، شذرات الذهب ٥ / ١٢٥ .

(١٠٧) الفارقي ، تاريخ آمد ورقة ١٣٨ آ — ١٣٨ب .

(١٠٨) المقريزي ، خطط ١ / ٤٦٤ ، مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(١٠٩) علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٣٠٤ — ٣٠٥ وانظر القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٤ / ٣٧ ، ١٩٣ ، ١١ / ٦٨ — ٧١ ، ٩٦ — ٩٧ ، ٢٠٩ — ٢١٦ ، العمري التعريف ص ١٢٤ — ١٢٦ ، السبكي ، معيد النعم ص ٤٩ — ٥٠ .

(١١٠) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ١٨٦ — ١٨٧ ، ١٩٨ — ١٩٩ ، ٢٠٢ — ٢٠٣—٢١٧— ٢٢٠ — ٢٢١ ، ابن الفرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٣ ، ٨٥) .

الأحداث أو رئيس البلد ، ويقر والي المدينة اختياره ، وقد قلدت حلب أختها دمشق في ذلك وصارت رئاسة الأحداث فيها في عائلة (بني بديع) الذين قوي نفوذهم في حلب (١١١) .

وهناك والي القلعة (١١٢) ، الذي يقوم بالمهام التي سلف ذكرها لدى الكلام عن دور هذا الموظف في ديار بكر ووالي البلد (١١٣) ، الذي كان يرجح قيامه بنفس مهام الوالي المركزي لدى الأيوبيين والمماليك فيما بعد ، حيث كانت مهمته « الإستعلام عن مجددات ولايته من قتل أو حريق كبير (١١٤) وهو الذي ينفذ الأحكام ويقيم الحدود ويتعقب المفسدين ومثيري الفتن ومدمني الخمر . ومن اختصاصه أيضاً مراقبة أبواب المدينة ، والطواف بأحياء التجارة والمال » (١١٥) ، أي أن مهمته أشبه بمهمة البلدية والشرطة في الوقت الحاضر وبالرغم من ذلك فقد مارس كل من والي القلعة ووالي البلد الظلم والمصادرة وسلطا الجند والأتراك على مصادرة الناس بحيث أنهم استصفوا أموال جماعة من الأكابر والصدور ، مستغلين في ذلك الإضطرابات والقلق الذي ساد حلب خلال الحصار الصليبي لها (١١٦) . وكان يطلق على والي البلد ، أحياناً، اسم الشحنة (١١٧) أي حاكم البلد أو صاحب الشرطة أو الأمير المشرف على حراسة المدينة (١١٨) لما بين الوظيفتين من تشابه واضح في الاختصاصات،

---

(١١١) C. Cahen, Mouvements Populaires, pp. 11-16.
ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٦٨ — ٦٩ ، العريني ، الحروب الصليبية ١ / ٢٤ — ٢٥

(١١٢) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ /١ ٢٢٠— ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ابن الفرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٥) .

(١١٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٣٠ .

(١١٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ٤ / ٦٠ .

(١١٥) علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢٣٠ .

(١١٦) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٣٠ ، بغية الطلب ٤ / ٢٧٧ .

(١١٧) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٢٠ — ٢٢١ .

(١١٨) معجم دوزي (Dozy ، Sup .) ١ / ٧١٣ ، حاشية السلوك للمقريزي (٣) ، ٣ / ١ / ٩٧٩ وحاشية النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢) ٥ / ٢٠١ عن القاموس الفارسي .

ومع ذلك فقد عين على حلب ــ أحياناً ــ شحنة خاصا لها (١١٩) دون أن يكون والياً للمدينة في نفس الوقت . وقد استغل هو الآخر منصبه لالينشر الأمن بل ليؤذي الناس ويكسب على حسابهم (١٢٠) .

ولم يسكت الاراتقة على ما كان يقوم به كبار موظفيهم في حلب من ظلم وإساءة فكانوا ينكلون بهم ويعزلونهم عن مناصبهم (١٢١) . كما اتخذ نواب الاراتقة في حلب الوزراء ليساعدوهم في الحكم ،وكان مصير هؤلاء ــ كرفاقهم في ديار بكر ــ هو العزل والتنكيل والمصادرة (١٢٢) .

وقد حظي القضاء ،وبعض المناصب المرتبطة به كالخطابة والافتاء ، لدى الاراتقة باهتمام كبير ،وأوردت المصادر عنه عدداً لا بأس به من الروايات ،حيث برزت أسماء عدد كبير من القضاة الذين انتمى بعضهم إلى عائلة بني نباتة الشهيرة التي لعبت دوراً هاماً في مجال القضاء . وكان أول من تولى منصب القضاء من أفراد هذه العائلة هو أبو القاسم يحيي بن طاهر بن نباتة الملقب بفخر القضاة ،وكان يعمل في الخطابة هو وآباؤه منذ فترة طويلة قبل قيام الامارات الارتقية ،واختير عام (٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م)للقضاء في ميافارقين وولي ولده القاضي علم الدين أبو الحسن على الخطابة في نفس العام(١٢٣) ومن ثم اعتمد الاراتقة عليهم فيما بعد كما سنرى .

وأول من ولي القضاء ،عند بدء حياة الاراتقة السياسية في القدس ،هو محمد بن موسى التركي البلاساغوني الحنفي ،وكان مطلعاً على علوم شتى ،

---

(١١٩) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٠٠ ، ٢١٠ .

(١٢٠) المصدر السابق ٢ / ٢٠٢ .

(١٢١) المصدر السابق ٢ / ٢٠٠ ــ ٢٠١ ، ٢٠٢ ــ ٢٠٣ ، ابن الفرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٣ ، ٨٥) .

(١٢٢) المصدر السابق ٢ / ٢٠٩ ــ ٢١٠ ، ٢٢٠ ــ ٢٢١ ، العظيمي ، تاريخ ، ورقة ٢٠٠ ظ ، ابن الفرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٥) .

(١٢٣) الفارقي ، تاريخ آمد ، ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧ .

ولكنه كان متعصباً للحنفية ،ويقال أن سيرته في القضاء كانت غير محمودة، مما دفع أهالي القدس إلى أن يشكوه إلى سقمان ابن ارتق فعزله ،ومن ثم اتجه البلاساغوني إلى دمشق حيث تولى القضاء هناك وتوفي عام (٥٠٦ هـ = ١١١٢ م) (١٢٤) .

وفي ديار بكر تألق اسم عائلة بني نباتة .ففي عام (٥١٤ هـ = ١١٢٠ م) استولى إيلغازي على نصيبين فسار اليه القاضي علم الدين أبو الحسن بن نباتة ،الذي كان إيلغازي قد أقره على قضاء ميافارقين لدى استيلائه عليها عام (٥١٢ هـ = ١١١٨ م)،وجماعة من رجالات ميافارقين وهنأوه بفتحها ، فخلع عليهم ايلغازي وأحسن اليهم وأعادهم (١٢٥) وعندما توجه لقتال الكرج في العام التالي (٥١٤ هـ =١١٢٠ م) استصحب معه القاضي علم الدين وولده القاضي أبا الفتح الذي ولي قضاء ماردين إلى ما بعد منتصف القرن السادس (١٢٦) وتشير حادثة استصحاب إيلغازي لأحد قضاته في تلك الغزوة إلى احتمال اتخاذ الاراتقة لقضاة العسكر الذين عرفوا لدى المماليك ، وكانوا يصحبون السلطان في اسفاره (١٢٧) ويقضون في العسكر ومن يتصل به من الصناع والعمال وغيرهم (١٢٨) .وفي عام (٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م) استدعى القاضي علم الدين بن نباتة من ميافارقين إلى ماردين ليتولى قضاءها بعد عزل قاضيها مجد الدين داود بن السديد .وفي نفس العام ولي بهاء الدين

---

(١٢٤) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ٨ / ٤٤ .

(١٢٥) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٠٢ آب ، ونقل عنه ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٢ آ.

(١٢٦) الفارقي ، ورقة ١٠٣ب – ١٠٤ آ .

(١٢٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ٤ / ٣٦ .

(١٢٨) علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢٩٢ . وانظر القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٤ / ٣٤ – ٣٦ ، ١٩٢ ، ١١ / ٩٦ ، ٢٠٤ – ٢٠٧ ، والعمري ، التعريف ص ١٢٣ – ١٢٤ .

أبو طاهر خطابة ميافارقين نيابة عن عمه علم الدين ،وبعد يومين من ذلك ولي خطابة ماردين أيضاً (١٢٩) .وفي عام (٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م) حدثت بعض الخلافات بين أفراد عائلة بني نباتة تمكن على اثرها أبو الفتح ضياء الدين بن نباتة أن يحصل على قضاء ماردين (١٣٠) ،وبعد منتصف القرن السادس الهجري تضاءل دور بني نباتة في القضاء ولم تعد المصادر تشير اليهم الا نادراً وبرز محلهم عدد من القضاة ينتمون إلى عوائل شتى ومن أشهرهم عبد السلام المقدسي المارديني الذي ولي قضاء ماردين في آواخر القرن السادس الهجري (١٣١). والحكيم شمعون الخرتبرتي قاضي خرتبرت الذي بلغ الغاية في الخط العربي (١٣٢) .وعلي بن محمد بن النجار اليغنوي الفقيه الحنبلي الأديب الشاعر الذي سافر من بغداذ إلى ديار بكر وولي قضاء آمد حتى وفاته عام (٦٠٩ هـ = ١٢١٢ م) (١٣٣) ويحيى بن سعيد بن محمد الربعي الفقيه الشافعي وهو من أهل تكريت ،درس في بغداد والموصل وولي قضاء ماردين (١٣٤)

وعندما استولى التتر على الجزيرة والشام غدا قضاة الاراتقة في ديار بكر تابعين لقاضي القضاة الذي عينه التتر على كل مناطق الشام والجزيرة والموصل والذي كان مركزه في دمشق ،حيث أصدر هولاكو في عام (٦٥٨ هـ=

(١٢٩) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٢٤ آ – ١٢٥ آ . وانظر بشأن الخطابة : القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ١١ / ٢٢٢ – ٢٢٥ ، العمري ، التعريف ص ١٢٦ – ١٢٧ . وكان الموظف الذي يتولى الخطابة لدى الأراتقة يقوم – احياناً – بوظيفة الافتاء كذلك، فضلا عن القضاء ، لما بين هذه الوظائف من تشابه واستلزامها جميعاً ثقافة فقهية ولغوية. لذا كان الأراتقة يولونها لاولئك الذين تمرسوا في هذه الثقافة(انظر ياقوت،معجم الادباء ٢٠ / ١٨ – ١٩) .

(١٣٠) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٣٢ آب .

(١٣١) ابن العبري ، مختصر ص ٤١٧ ، اقفطي ، الحكماء ص ١٨٩ – ١٩٠ ويشير إلى أن والد عبدالسلام وهو عبدالرحمن المقدسي كان قاضياً على دنيسر .

(١٣٢) ابن العبري ، مختصر ص ٤٤٤ .

(١٣٣) ابن العماد ، شذرات الذهب ٥/٣٧ – ٣٨ .

(١٣٤) انسان العيون ، مجهول ص ١٦٩ .

١٢٥٩م) منشوراً يقضي بتعيين القاضي كمال الدين عمر بن بندار التفليسي الشافعي قاضياً لقضاة «الشام والموصل وماردين وميافارقين والأكراد .. الخ»(١٣٥).

ولكن هذا النظام لم يستمر طويلاً إذ انتهى بمجرد زوال سيطرة التتر عن الشام ،فاستقل القضاء الارتقي من جديد وأصبح المسؤول الأعلى عنه قاضي قضاة يعينه الاراتقة .

ومن قضاة الاراتقة المشهورين ،خلال الفترة التي أعقبت السيطرة التترية مهذب الدين محمد بن علي الدنيسري ، قاضي قضاة ماردين منذ عام (٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م)وحتى عام (٧٢٠ هـ = ١٣٢٠ م)(١٣٦) ،وأبوه محمد بن سليمان بن علي الدنيسري الذي ولي قضاء ماردين طيلة خمس وثلاثين سنة وتوفي سنة (٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م) فعين ولده في منصبه (١٣٧) .وسليمان ابن داود بن عبد الحق الحنفي الذي اشتغل في الحديث والفقه وسافر إلى أماكن عديدة وولي القضاء ببغداد وماردين ،وتسنم مناصب إدارية في دمشق ومصر وتوفي عام (٧٦١ هـ = ١٣٥٩م) (١٣٨) .وبرهان الدين الموصلي قاضي قضاة ماردين في عهد الملك الصالح (٧٦٩ هـ = ١٣٦٧ م)وهو ينتسب إلى الشيخ الولي فتح الموصلي ويتصف بالدين والورع والفضل ، ويذكر ابن بطوطة انه كان يجلس للاحكام بصحن مسجد خارج المدرسة ،كان يتعبد فيه ، فإذا رآه بعض من لايعرفه ،ظنه بعض خدام القاضي وأعوانه (١٣٩) .والصدر أبو طاهر السمرقندي الذي تولي قضاء ماردين قبيل سقوطها (١٤٠)،وهو آخر من وصلت الينا أسماؤهم من قضاة الاراتقة .

كان القضاء لدى الاراتقة منظماً تنظيماً دقيقاً ،وبخاصة في امارة ماردين

---

(١٣٥) ابو شامة ، ذيل الروضتين ص ٢٠٤ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ٦٤/٣ — ٦٥ ، المقريزي ، السلوك ٤٢٤/١/٢ ، ابن العماد ، شذرات ٣٣٧/٥ — ٣٣٨ .
(١٣٦) ابن شداد ، الاعلاق ، ورقة ١٣٥آ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ .
(١٣٧) ابن شداد ، الاعلاق ، ورقة ١٣٥ آ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ .
(١٣٨) ابن حجر ، الدرر الكامنة ١٤٩/٢ — ١٥١ .
(١٣٩) رحلة ابن بطوطة ١٨٣/١ .
(١٤٠) الطباخ ، تاريخ حلب ١٩٦/٥ — ١٩٩ .

فهنالك قاضي القضاة وهو المسؤول الأعلى عن السلطة القضائية ،ومقره في العاصمة ماردين (١٤١) ويعين من قبل الأمير الارتقي مباشرة ،ويقوم هو بتعيين نوابه في البلاد التابعة للامارة (١٤٢) وكان قاضي القضاة يتقاضى مرتباً كبيراً ،أو يقطع اقطاعاً يتناسب ومنصبه .(١٤٣) ولا ريب أن عمل قاضي القضاة لم يكن يقتصر على النظر في قضايا الأحوال الشخصية ،بل كان يمارس ،اسوة برفيقه في حكومات مصر والشام ،النظر في جميع القضايا المتعلقة بمهمته ،وامامة المسلمين في الصلاة ،والاشراف على دار الضرب (١٤٤) والنظر في الاوقاف والعمل على تنمية مواردها وصرفها في وجوهها واستلام أموال المواريث (١٤٥) .أما جلسات المحاكم فتنعقد في المساجد أو في دور القضاة (١٤٦).

وقد لعب القضاة لدى الأراتقة دوراً هاماً في السفارات السياسية فكانوا يشتركون أحياناً في الوفود الموجهة إلى إحدى الجهات للمفاوضة (١٤٧). كما كانوا يسهمون في تقرير الصفة الشرعية لأمراء الأراتقة ــ أحياناً ــ لدى تولي أحدهم الحكم بعد موت سلفه (١٤٨) . وفي حلب لعب قاضي الأراتقة أبو الحسن محمد بن يحيى بن الخشاب دورا هاماً في الصراع الذي نشب طيلة

(١٤١) ابن شداد ، الاعلاق ، ورقة ١٣٥ آ ، انسان العيون ، مجهول ص ٢٧٧ — ٢٨٨ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ ، ابن بطوطة ، رحلة ١٨٣/١ .

(١٤٢) ابن حجر ، الدرر الكامنة ٢٩٠/٢ .

(١٤٣) انسان العيون ، مجهول ، ص ٢٧٧ — ٢٨٨ .

(١٤٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ٣٤/٩ — ٣٥ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ١٠١/١ .

(١٤٥) المقريزي ، خطط ٩٢/٢ .

(١٤٦) أنظر : علي إبراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢٨٨ — ٢٩٠ ، النويري ، نهاية الارب (القسم المخطوط) ٢٩٩/٢٩ آ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ١٠١/٢ ، ابن حجر ، رفع الاصر ص ١٤٩ آ .

(١٤٧) ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٣٥ آ ، اليونيني ، ذيل مراة الزمان ، ٣٤٢/١ — ٣٤٤ وآنظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ٢٩٠/٢ .

(١٤٨) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٣٨ آ — ١٣٨ ب ، ابن شداد ،الأعلاق ورقة ١٠٥ آ.

العقد الثاني من القرن السادس الهجري ، بين الصليبيين وأهالي حلب . وقد استطاع ، بما عرف عنه من مهارة سياسية وشجاعة نادرة ونشاط لايفتر ، وما كان يتمتع به من حب شديد من قبل أهالي حلب ، أن يصمد بها أمام هجمات الصليبيين المركزة . وكان يتمتع بصلاحيات القائد الأعلى للحرب والإدارة ، كما كان يقوم بالإشراف على الأمور العمرانية (١٤٩) .

وهكذا نجد أن الإدارة الأرتقية اعتمدت إلى حد كبير على النظم المعاصرة المعمول بها لدى السلاجقة والأيوبيين والمماليك ، فضلاً عن ارتكازها على الأسس الإدارية السائدة في المنطقة (ديار بكر وشمالي الشام) في العقود التي سبقت قيام الإمارات الأرتقية . ولئن حدثت تغييرات بسيطة في تسمية بعض موظفي الأراتقة،إن وظائفهم بقيت ، في مهماتها الرئيسية ، تعمل وفق نفس النظم التي كانت تعمل بها الدول السالفة التي تأثر الأراتقة بها في مؤسساتهم الإدارية. وهكذا فإن قيام الإمارات الأرتقية في ديار بكر لايشكل طفرة في نظمها الإدارية بقدر ما يشير إلى رغبة الأراتقة في توسيع الجهاز الإداري والإعتماد على مزيد من العناصر الكفوءة ، والإستفادة من كافة النظم السابقة والمعاصرة التي شهدها الأراتقة والتي أخذت تتبلور وتتخذ شكلها النهائي في عهد المماليك.

الدكتور عماد الدين خليل
أستاذ مساعد — قسم التاريخ
كلية الآداب — جامعة الموصل

(١٤٩) ابن العديم ، زبدة الحلب ١٨٥/٢ — ١٨٦ ، ٢١٤ — ٢١٦ ، العظيمي ، تاريخ ، ورقة ١٩٧ ظ ، ابن الشحنة ، المنتخب ص ٨٢ — ٨٣ .

لمحات من تاريخ الموصل في العصر العباسي الأول

(١٣٢ هـ/ ٧٤٩م ـ ٢٠٠ هـ /٨١٥م)

د . فاروق عمر فوزي

مقدمة :

يقرأ الناس التاريخ ليستخرجوا العبر والدروس مما جرى فيه ، ذلك أن هدف الصناعة التاريخية في عصرنا الحاضر هو استخلاص القيم الرمزية الفاعلة والدائمة من الظاهرة التاريخية . والمعروف أن تاريخ المدن يحوي تراثاً زاخراً من المُثل الحية التي تُنير الطريق أمام أجيالنا الحاضرة لما تمده من عزيمة في تكوين الوجدان القومي وشحذ الهمم وإذكاء العزائم.

والموصل مدينة لها مكانتها في تاريخنا العربي ، فقد برز عبر تاريخها العديد من أبنائها في الميادين السياسية والعسكرية والحضارية . وسنستعرض في بحثنا هذا حقبة قصيرة من تاريخ هذه المدينة العريقة وهي فترة من فترات التاريخ العصيبة ، يتضح فيها الولاء وتتبلور الميول وتُمتحن العزائم ...إنها فترة انتقال السلطة من يد إلى يد إثر ثورة عارمة هي الثورة العباسية .

□ موقف الموصل من الثورة العباسية

لقد كان اقليم الجزيرة الفراتية ومن ضمنها مدينة الموصل في حالة من

الاضطراب السياسي وعدم الاستقرار في أواخر عهد الأمويين ، وقد شاركت القبائل الموصلية في الصراع ضد خلافة مروان بسبب سياسته القبلية التي تعصبت للقبائل القيسية على حساب القبائل اليمانية . ورغم أن الكثير من شيوخ القبائل وزعمائها في الموصل وأطرافها لم يكونوا خوارج في عقيدتهم إلا أنهم انضموا إلى الحركات الخارجية كحركة الضحاك الخيبري ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م وشيبان اليشكري ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م ضد مروان . وأكثر من ذلك فقد اشترك الخوارج من أهل الموصل في حركات خارجية ضد الأمويين خارج اقليم الجزيرة فقد اشترك بعض شيوخ القبائل الموصلية مع أبي حمزة الخارجي حين ثار باليمن وقاتلوا معه في « وقعة قدير » بالمدينة سنة ١٣٠ هـ / سنة ٧٤٧ / سنة ٧٤٨م (١) وحين قامت الثورة العباسية على أكتاف القبائل اليمانية والربعية خاصة مبتدئة في خراسان ثم شملت بقية الأقاليم حيث دخلت الشيعة العباسية الكوفةسنة ١٣٢هـ / سنة ٧٤٩ م حيث بويع أبو العباس خليفة للدولة الجديدة (٢) .كان أول عمل واجهته الدولة الجديدة هو مجابهة مروان بن محمد (٣) الذي خندق في موقع حصين قرب الزاب الكبير حيث حدثت معركة كشاف (٤) التي دامت عشرة أيام ارتكب أثناءها مروان الأموي خطأً استراتيجياً وذلك بعبوره إلى الساحل الأيسر من الزاب وفقد بذلك موقعه العسكري الحصين ما أدى إلى اندحاره في المعركة واضطراره إلى الإنسحاب باتجاه الموصل التي كان قد اتخذها قاعدة له وخلف فيها بيت المال والخزائن . ولكن عامل الموصل وقبائلها لم يفتحوا له أبواب المدينة منكرين عليه الهروب مدعيين أن الخليفة مروان لايهرب وأنه ليس بمروان الذي يعرفونه . مما اضطر مروان إلى الانسحاب باتجاه حران ثم الشام (٥) .

---

(١) أبو زكريا الأزدي ،تأريخ الموصل ،القاهرة ،١٩٦٧ ،ص ٨٠ ص ١١٣.
(٢) مؤلف مجهول ،أخبار العباس وولده ،بيروت ١٩٧١ ،ص ٤١٠ فما بعد
(٣) F. Omar The Abbasid Caliphate, Baghdad 1969, P. 121
(٤) الازدي ،تأريخ الموصل ، ص ١٣٠
(٥) المصدر السابق ،ص ١٣٣

ولم يستطع مروان أن يبقى في دمشق طويلاً حيث آنقسم أهلها بين مؤيد ومعارض له فترك المدينة متجهاً نحو فلسطين ثم مصر . وكانت الشيعة العباسية تتبعه بقيادة عبدالصمد بن علي عم الخليفة أبي عون الازدي الذي كان على مقدمته عامر بن اسماعيل المسلي الموصلي مع كتيبة من آلخيالة تسمى «الموصلية» . وقد فاجأ عامر الموصلي مروان الأموي وهو مختبىء بإحدى الكنائس في بوصير بصعيد مصر وقتله في تموز سنة ٧٥٠م / ١٣٣هـ (٦). أما إبنا مروان عبدالله وعبيدالله فقد هربا إلى بلاد النوبة جنوبي مصر .

لقد لعبت الفرسان الموصلية وعلى رأسها عامر المسلّي دوراً بارزاً في إنهاء حكم مروان . وقد فتحت مدينة الموصل ، التي آمتنعت عن إيواء مروان ، فتحت أبوابها للشيعة العباسية بقيادة عبدالله بن علي العباسي وآستقبلوهم بالتهايل والترحيب ولبس هشام بن عمرو الزهيري والي الموصل السواد شعار العباسيين للدلالة على ولائهم للدولة الجديدة ، وتسلم عبدالله بن علي خزائن مروان وأمواله وأمتعته (٧) .

ولعل السبب الأول الذي دفع الموصل لهذا آلموقف العدائي من مروان هو سياسته القبلية المنحازة إلى القيسية . فقد آعتمد مروان على زعماء القيسية في المهام الإدارية والعسكرية مما أثار عليه اليمانية ودفعهم للعمل ضده . إلا أن كراهية اليمانية لمروان لاتعني عداءهم للخلافة الأموية ككل .فالمعروف أن آلقبائل اليمانية في بلاد الشام كانت الدعامة القوية للسلطة الأموية عند تأسيسها . فاليمانيون في الشام والجزيرة كانوا يريدون آلتخلص من مروان ولا يهدفون إلى تقويض الخلافة الأموية . والجدير بالذكر أن اليمانية كانوا في تلك الفترة يكّونون غالبية سكان مدينة الموصل ذاتها .

أما السبب الثاني لمعارضة أهل الموصل لسياسة مروان فهو الحروب العنيفة التي خاضها مروان في أواخر سني خلافته ضد آلخوارج . وقد تركت تلك

(٦) الطبري ، جـ٣ ، ص ٣٨٢ – خليفة بن خياط ، تأريخ جـ٢ ص ٤٢٨ .

(٧) الأزدي المصدر السابق ، ص ١٣٣

الحروب وما رافقها من فوضى وعدم آستقرار آثارها السيئة سياسياً وآقتصادياً على المدينة وأهلها الذين عاشوا في قلق دائم على أنفسهم وموارد عيشهم وتجارتهم .

وربما أضفنا سبباً ثالثاً لعب ويلعب دوراً فعالاً في آلمعترك السياسي بين المحاور والتكتلات المتنافسة على السلطة ألا وهو «تبديل الولاء» . فالكثير من شيوخ القبائل ممن كانوا يدينون بالولاء للأمويين أدركوا بأن كيان الأمويين أصبح من آلهزالة والتدهور بحيث قويت الإعتقادات بزواله لامحالة ، فكان من آلمناسب لهم أن لايؤيدوا سلطة زائلة ضد سلطة قوية جديدة . وعلى حد قول أحدهم إن دولة الأمويين دولة مُدْبرة بينما أمر العباسيين مقبل يبشر بالخير العميم (٨) وقد فسر اسحق العقيلي وهو أحد الشخصيات الجزرية البارزة آنهيار الأمويين السريع بقوله للمنصور :

«إن أمركم جديدٌ والناسُ بين راجٍ وهايبٍ» (٩)

كما برر زياد بن صالح الحارثي عدم دفاعه عن الأمويين بقوله إنه لايرى لماذا يقف مدافعاً ومعرضاً نفسه للمخاطر منأجل سلطة ضعيفة متهاوية (١٠) وبعد قيام الخلافة العباسية بقيت كل من آلجزيرة والشام موضعاً للإضطرابات ومستودعاً للقلاقل المعادية للعباسيين . ومن أجل آلحد من ذلك آتبع العباسيون اجراءات متنوعة منها :(١١)

أولاً — تعيين ولاة قديريين أغلبهم من رجال آلدعوة العباسية أو من آلبيت العباسي وإرسال كتائب من الشيعة الخراسانية للمرابطة في الموصل أو حران أو دمشق وغيرها .

ثانياً — محاولة كسب ود آلقبائل الجزرية والشامية وذلك باصطناع شيوخها وإكرامهم وتعيين بعضهم «صحابة» للخليفة في البلاط العباسي . كما حدث

(٨) الازدي ،المصدر السابق ، ص ١٣٠

(٩) البلاذري ، أنساب الأشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩١ ب

(١٠) الدينوري ،الأخبار الطوال ،ص ٣٦٩

(١١) الدكتور فاروق عمر العباسيون الأوائل ،الجزء الأول ،بيروت ١٩٧١ ،ص ٧٦

مثلاً لأسحق بن مسلم العقيلي .

ثالثاً ـ قيام الخلفاء العباسيين كالمنصور والمهدي والهادي والرشيد والمأمون بعدة زيارات للتحري عن أحوال الإقليمين والتعرف على قبائلها .

رابعاً ـ إنشاء قلاع وحصون عسكرية في مدن مختلفة كالموصل وحران وقنسرين . وبناء مدن جديدة في مواقع استراتيجية كالرافعة لامكان السيطرة على هذه المنطقة .

ثورة الموصل ١٣٣هـ / ٧٥٠م :

كان محمد بن صول أول والٍ للعباسيين على الموصل ، ولكنه لم يكن عربياً بل مولى لقبيلة خثعم ولذلكَ امتعض شيوخ القبائل ولم يرضوا بهذا الإختيار ، فالأمويون عوّدوهم بأن يكون واليهم إما من رجال العرب البارزين أو من البيت الأموي ، فاستغربوا متسائلين :

أيلي علينا مولى خثعم ؟؟! (١٢)

ولم يستطع الخليفة أبو العباس أن يعالج الأمر بحكمة فرغم أنه استجاب لرغبة أهل الموصل فعين أخاه يحيى بن محمد العباسي لولاية المدينة إلا أنه أبقى ابن صول قائداً عسكرياً لرابطة الموصل .

يقول الأزدي (١٣) : «وكان محمد بن صول والياً قبله (يحيى) عليها فأقام معه ، وقدم الموصل ومعه ١٢ ألف فارس وراجل ، بينهم ٤ آلاف من الزنوج (١٤) ، فنزل قصر الإمارة الملاصقة للمسجد الجامع وأمر محمد بن صول فنزل قصر الحر بن يوسف وهو المنقوشة ونهاه عن النزول في نفس المدينة ودخول سورها » .

---

(١٢) الأزدي ، المصدر السابق ، ص ١٤٦

(١٣) الازدي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥

(١٤) المصدر السابق ص ١٤٩ ص ١٥١

لقد كان إرسال يحيى بن محمد من الإجراءات الخاطئة التي قام بها الخليفة ذلك لأن يحيى لم يكن بالرجل السياسي أو الإداري الكفوء ، بل لم يكن معروفاً بالحصافة أو الشعور بالمسؤولية وتشير رواية تاريخية (١٥) أن يحيى هذا كان قد هدد أخاه ابراهيم الإمام في فترة آلدعوة السرية بإخبار السلطات الأموية عن التنظيم السري للعباسيين إذا ماطـَلَ ابراهيم أو تأخر في إعطائه ما يحتاجه من مال . كما وأن ابراهيم الإمام حذر شيعته من الإتصال بيحيى.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن آلسماح ببقاء الوالي القديم محمد بن صول كقائد لحامية المدينة أدى إلى تعقد الموقف وتطوره نحو الأسوأ . فإن ابن صول الموتور أضمر شعوراً بالكراهية ورغبة في الإنتقام من أهل الموصل الذين رفضوه وبدأ يحرض يحيى على آعتقال أو إبعاد رجالات الموصلالبارزين متهماً إياهم بالولاء للأمويين والشغب .

والمعروف أن ابن صول كان قد آعتقل عدداً من مشايخ الموصل ثم قتلهم وتمادى في ذلك حين حرض الوالي الجديد على آعتقال عدد آخر الأمر الذي أدى إلى حدوث الإضطرابات فاستنكر ذلك الوالي وأمر ابن صول بأن يضع السيف في الناس . فاغتنم ابن صول الفرصة الذهبية وفتك بالكثير من أهالي الموصل الذين دخلوا منازلهم وتحصنوا بها .

لقد حاول المؤرخون الأوائل أن يفسروا أسباب النفور بين الموصل والعباسيين وأن يضعوا تبريرات للموقف الجديد الذي آتخذته الموصل ولعلنا نستطيع حصر هذه الأسباب بما يلي :

١ — عرفت بعض قبائل الموصل بميولها الأموية ورغم معارضتهم لسياسة مروان المبنية على العصبية القبلية فإنهم ظلوا موالين للأمويين ودولتهم وتشير رواية إلى ذلك فتقول «سبب قتلهم ميلهم إلى بني أمية»(١٦) . وكذلك

---

(١٥) أخبار العباس وولده ص ٢٤١ .

(١٦) الازدي ، ص ١٤٥

«وكان في أهل الموصل إذ ذاك عز ومنعة وكان البلد أموياً»(١٧) .وفي رواية أخرى «كان أكبر الأمر في قتل يحيى بن محمد أهل الموصل ميلهم إلى بني أمية وكراهيتهم لبني العباس»(١٨) .

٢ — لقد طغت العقيدة الخارجية على قبائل الجزيرة بل أنها أصبحت رمزاً لمعارضة الأمويين في أواخر عهدهم وأصبح الثوار يدعون للمذهب الخارجي أو يجعلونه رمزاً لحركاتهم سواء آمنوا به أم لم يؤمنوا به .ومع ذلك فقد وصفت بعض قبائل الموصل بنزعتها الخارجية كما كانت الموصل مركزاً أنبعثت منه بعض الحركات الخارجية في القرن الأول وبداية الثاني الهجريين . وتصف رواية للبلاذري (١٩) أهل الموصل بأنهم ثلاثة قطاعات اجتماعية :

إما تجار يمتهنون البيع والشراء أو خوارج ديدنهم التمرد على السلطة أو لصوص يسرقون وينهبون . أما التجار فيرغبون بالأمن والاستقرار لأنهما مفتاح أنتعاش تجارتهم وأما الخوارج فيهدفون إلى معارضة السلطة بأية وسيلة كانت وأما اللصوص فلا ينتفعون إلا بالفوضى وفقدان الأمن .

٣ — لم يكن من طبيعة القبيلة أن تذعن لسلطة مركزية تقيدها وتنظمها فلكل قبيلة شيخها تأتمر بأمره ولم تنته هذه الميول بعد الإسلام بل كانت تظهر قوية في فترات الأزمات الحادة . ولم تكن القبائل الموصلية بأحسن حالاً من غيرها بل ربما كانت أعنف من غيرها وخاصة في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي ويُسمي البلاذري أهل الموصل «خزر العرب» (٢٠) وذلك لصلابتهم وليدلل على ميلهم للتمرد على السلطة أياً كان نوعها .

(١٧) المصدر السابق ، ص ١٥٠
(١٨) Ibid
(١٩) البلاذري ،أنساب الأشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩٥ب
(٢٠) البلا ذري ، أنساب الا شراف (مخطوطة) ورقة ٧٩٩أ

٤ — ويرد السبب الشخصي الذي حمل ابن صول على تأليب الوالي الجديد على الموصليين في بعض الروايات . فقد كان أهل الموصل أهل عز ومنعة ويفخرون بكونهم فرسان العرب وصناديدها ، ولذلك رفضوا ابن صول والياً عليهم فحقد عليهم ووجد في شخصية يحيى ابن محمد الضعيفة متنعسه فأقنعه بتآمرهم على السلطة وميولهم الأموية وقرر يحيى أن «يتغدى بأهل الموصل قبل أن يتعشوا فيه» . وتشير رواية في الأزدي أن يحيى العباسي : (٢١)

«خاف وثوب أهل الموصل به فقال لأبن صول : إني لآمنُ وثبة أهل الموصل فلو بادرناهم فذاك الصواب فوجه إلى وجوه منهم على جهة البر والتكرمة فإذا حصلوا في يدك فاقتلهم

على أننا لانستطيع أن نجزم بأن سبباً واحداً من هذه الأسباب كان الدافع الأول والأهم الذي عكر صفو العلاقات بين الوالي الجديد وأهل الموصل. صحيح أن الجزيرة عامة وصفت بأنها حرورية ولكن الموصل في القرنين الأولين للهجرة لم تنعت بكونها خارجية رغم أنها حاربت مع الخوارج بعناد ضد مروان حتى حلف بقتل أهلها جميعاً (٢٢) .والمعروف أن المجتمع الموصلي مجتمع عربي عريق يتكون من قطاعات قبلية مختلفة منها اليمانية ومنها الربعية ومنها المضرية . وكان لكل قطاع ولاء يختلف عن الآخر ولا شك فإن بعضها كان أموياً أو خارجياً أو عباسياً أو حيادياً لا ولاء له . وقد ضمرت هذه الميول في فترة الثورة العباسية،وهي فترة ترقب تثار فيها الآمال والأماني،لكنها مالبثت أن ظهرت بعد فترة وجيزة من تأسيس الدولة العباسية وكان المتنفس الأول لها هو الخلاف حول شخصية الوالي الجديد ابن صول . وحين قرر الوالي الثاني يحيى العباسي آعتقال بعض رجالات الموصل وآتفق مع ابن صول على قتل بعضهم من أجل تخويف الآخرين حدث الإنفجار المتوقع فكانت

(٢١) الازدي تأريخ الموصل ، ص ١٥٠ .

(٢٢) المصدر السابق ،ص ٦٩ فما بعد .

ثورة الموصل وآصطدم الناس بالخراسانية في الشوارع حيث تشير رواية إلى أن ابن صول «واثب الناس بالسيف فحاربوه»(٢٣)

ورغم أن عدداً من المؤرخين يتفقون بأن السبب المباشر للإضطرابات وقتال الشوارع كان إراقة إمرأة موصلية ماءاً قذراً على جندي خراساني فظن أنها فعلت ذلك متعمدة فهاجم هو وأصحابه الدار وقتلوا من فيها فنفر الناس من ذلك، «وجرّ ذلك إلى مافعل يحيى بن محمد» (٢٢٤)، فإننا نعتقدبأن الأسباب المباشرة لحروب والإنتفاضات غالباً ماتكون على هذا النمط الإعتباطي البسيط إلا أن الأسباب الحقيقية تكون أعمق من ذلك وتكمن في حالة القلق والتأزم وعدم الإطمئنان على المصير التي عاشها أهل الموصل بعد آعتقال زعمائهم ومقتل بعضهم في سجن ابن صول وبتأييد من الوالي العباسي .فكان مافعلته المرأة الموصلية ، إنْ صحت الرواية ،«القشة التي قصمت ظهر الجمل»

وقد آتخذ الناس حاراتهم وبيوتهم أماكن يتحصنون فيها أثناء القتال حتى أمر يحيى العباسي بالأمان فنودي «من دخل المسجد فهو آمن بامان الله»(٢٥). وما أن دخل الرجال إلى المسجد الجامع حتى أحاطت الجند بالمسجد وأمر ابن صول بقتلهم . وكان أول من قتل معروف آلعابد وآبنه ثم قتل بعدهما ابان إمام المسجد . وتختلف الروايات في ذكر عدد القتلى فتشير رواية للأزري إنهم ١١ ألفاً ممن له خاتم وممن لاخاتم له خلق كثير . ويقول اليعقوبي (٢٦) إن القتلى كانوا ١٨ ألفاً من صلب العرب غير الموالي والعبيد . ويؤكد ابن الأثير (٢٧) أن المجزرة شملت كل رجالات أهل الموصل ممن يأخذ العطاء. وتقول بعض الروايات (٢٨) أن الجند لم يفرقوا بين رجل وامرأة وصبي.

(٢٣) المصدر السابق ص ١٥٠
(٢٤) الأزدي ، ص ١٤٥
(٢٥) المصدر السابق ، ص ١٤٨
(٢٦) اليعقوبي ، تاريخ ، الجزء الثاني ، ص ٤٢٩
(٢٧) ابن آلأثير ، الكامل ، حـ٥ ص ٣٤٠ فا بعد
(٢٨) الأزدي ، ص ١٤٨ . قارن ص ١٥١ و ص ١٥٣ حيث يرتفع عدد القتلى لدرجة كبيرة .

وعلى ذلك فإن عدد القتلى يتراوح بين ١٠ ــ ١٨ ألفاً على تباين الروايات والمبالغة التي فيها .

ويفصل الأزدي في احداث المجزرة ويذكر مشاهير القتلى وأشعاراً في رثائهم ويسمي الحادثة بالملحمة ليدلل على كثرة القتل ، كما ينعت القتلى بالشهداء. والجدير بالذكر أن بعضهم افلت من المجزرة ثم اعطوا الأمان ثانية وغُدرَ بهم بعد ذلك . ويظهر من روايات الأزدي أن أغلب القتلى من اليمانية تلك القبائل التي طبعت الموصل بطابعها وأثرت في سلوكها السياسي (٢٩) . ويندد الأزدي بالعباسيين وبسياستهم تجاه الموصل فيقول على لسان عويمر الأعرابي :

«كذب والله من زعم أن هؤلاء مسلمون!!» (٣٠)

ويروي حوادث مثيرة لأعمال تدل على العنف والقسوة التي عامل بها الخراسانية أهل الموصل حيث تركت الموصل عرضة للسلب والنهب والقتل ويشير اليعقوبي إلى ذلك بقوله

«إن دماء أهالي الموصل اختلطت بنهر دجلة!!» (٣١)

إن انتفاضة الموصل التي بدأت بشكل سخط ضد إجراءات الوالي تطورت إلى حركة مسلحة ضد السلطة العباسية . ويصعب علينا معرفة الصبغة الحقيقية للعناصر التي اشتركت فيها والتي كانت يمانية في غالبيتها . ولعلنا نستطيع القول بأن الضرورات السياسية الآنية والأمزجة الشخصية للمتنفذين من شيوخ العشائر والشرفاء والمقدمين لعبت دورها في تقرير موقف هذه القبيلة أو تلك من الوالي العباسي أو من زعماء الإنتفاضة .

ان الذي يؤيد ما ذكرناه من أن الثورة لم يكن لها لونٌ عقائدي أو سياسي واضح ماذكره الخليفة ابو العباس حين سئل عن سبب ماحدث في الموصل فأجاب بأنه لا يدري (٣٢) . وبقيت هذه المجزرة لغزاً غامضاً لفترة طويلة

(٢٩) الأزدي ، ص ١٥١ — ١٥٥

(٣٠) المصدر السابق ص ١٥١ —

(٣١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٢

(٣٢) الأزدي ، ص ١٥١

حيث تشير رواية إلى أن الخليفة المعتضد سأل عن سبب قتل أهل الموصل سنة ٢٨٦ سنة ٨٩٩ وكان في طريقة إلى آمد ولكنه لم يعثر على جواب شاف لذلك .

على أن الخليفة أبا العباس عزل أخاه يحيي عن ولاية الموصل «لقتله أهلها وسوء أثره فيها » (٣٣) وفي ذلك اعتراف من السلطة العباسية بسوء إدارته وإدانةً له على أعماله . وأكد الوالي الجديد اسماعيل بن علي العباسي عم الخليفة نفس الموقف حين خطب بالناس واعداً إياهم بحسن السيرة والعدل :

«يا أهل الموصل أنا أرد عليكم المظالم واعطيكم ديات من قتل يحيي منكم»(٣٤) وكتب إلى الخليفة يشرح له خراب البلد وسوء حالتها فأجابه «أرفق بالناس وتالفهم» ، ولكن الخليفة لم يعاقب يحيي بل اكتفى بعزله وكذلك أبعد ابن صول (٣٥) .

أما نتائج المجزرة الاقتصادية والاجتماعية فكانت شديدة الوقع على أهل الموصل فقد قتل آلاف الرجال تاركين وراءهم عوائلهم ، كما وأن «أسواق الموصل لم تعمر ثلاث سنين بعد قتل أهل الموصل» وفي رواية أخرى «والموصل مضطربة وأعمالها منتفضة وعمارتها ناقصة» (٣٦) وقد قامت السلطة العباسية بعدد من الاجراءات هدفها إعادة الاستقرار والازدهار الاقتصادي للمدينة منها :

١ — توزيع الديات على عوائل القتلى،وفي هذا الاجراء اعتراف واضح وضمني بمسؤولية السلطة وبأن يحيى قتل الناس ظلماً وعدواناً وعلى غير وجـــه شرعي .
٢ — أقطع الخليفة أبو العباس عدداً من مشايخ الموصل إقطاعات ، اعترافاً من العباسيين بدورهم في تعقب مروان وقتلـه، وفي رواية « أن وائل

---

(٣٣) المصدر السابق ، ص ١٥٦
(٣٤) Ibid
(٣٥) على ان هذا الأخير لقي مصرعه بعد سنتين ٧٥٤/١٣٦ على يد عبدالله بن علي الثائر في الشام حيث ارسله المنصور ليتجسس على عبدالله فاروق عبدالله ذلك وقتله (الأزدي ، ص ١٦٤)
(٣٦) الأزدي ، ص ١٥٢ ، ١٦١

ابن الشحاج وإخوته قد صعدوا مع عبد الله بن علي في طلب مروان سنة ١٣٢ هـ». وحين وصل مروان بوصير « تبعه الحارثي إسماعيل وشعبة بن كثير المازني ومعهما خيل أهل الموصل فقتلوه بها».

كما قام المنصور بإقطاع وائل بقية القطيعة، ويذكر الأزدي نص الكتاب الذي أصدره الخليفة في هذا الشأن . (٣٧).

٣ ـ زار أبو جعفر (المنصور) والي الجزيرة، وكانت الموصل تابعة لها، مدينة الموصل ،وبقي بها وانحدر إلى الهاشمية ليلتقي بالخليفة أبي العباس.

٤ ـ قام الوالي الجديد باستئصال ما بقي من الأمويين ، حيث قتل زعيمهم يحيى بن الحر بن يوسف بن الحكم الذي كان لايزال يعيش في المدينة عيشة رغد ورفاهية،ورغم أن أبا جعفر والي الجزيرة أمر إبنه المهدي برد ضياعهم إليهم إلا أن الظاهر أن المهدي عوضهم عن أغلبها بعطايا تجري عليهم سنوياً .

ولا تشير مصادرنا إلى سبب قتل يحيى بن الحر أو مصادرة ضياع الأمويين ولعل هذا الإجراء كان من جملة الإجراءات التي اتبعتها السلطة لتشتيت الأمويين (٣٨) أو ربما كان ليحيى بن الحر يد في حدث من اضطرابات .

لقد بقي اسماعيل بن علي والياً على الموصل حتى سنة ١٤٢هـ سنة ٧٥٩ ـ ٧٦٠م وحاول أن يحسن أحوال المدينة ولكن اثار التدهور لم تمح بسرعة حيث تشير رواية عن سنة ١٣٦هـ /سنة٧٥٣م أي بعد ثلاث سنوات من وقوع الفتنة بأن أمر الموصل لايزال «على ماذكر من الإختلاف والإضطراب»(٣٩).

ويظهر أن هذا الحديث وما أعقبه من مجازر حدد موقف الموصل العدائي من العباسيين ولذلك كان الوالي يعتمد دائماً على حامية خراسانية ترابط في

---

(٣٧) الأزدي ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ ، ١٧١ ـ ١٧٢ . ـ الطبري جـ٣ ص ٩ . ـ ابن الأثير الكامل جـ٥ ص ١٥٩

(٣٨) الأزدي ، ص ١٥٧ .

(٣٩) المصدر السابق ، ص ١٧٧ ، ١٦٣

في المدينة أو في أطرافها.

ولم يمض وقت طويل حتى ثار عثمان بن عبدالأعلى بن سراقة الأزدي الموصلي وخلع المنصور سنة ١٣٧ / سنة ٧٥٤ ولكن ثورته مالبثت أن خفتت حيث أنها كانت ثورة زعيم قبلي أخذته العزة والأنفة على مافعله العباسيون بالموصل فثار معبراً عن امتعاضه وقلقه !!

ويظهر أن الموصل قد أعجبت الوالي اسماعيل بن علي فعزم على الإستقرار بها وكان مصلحاً حسن السيرة مع أهلها حيث تشير رواية أن «الموصل به مقبلة» . وحين عزله المنصور رفض الأمر ولكن قائد الحامية ابن مشكان انحاز إلى الوالي الجديد مالك بن الهيثم الخزاعي بعد أن وصلته رسالة من المنصور يقول له فيها «إن كنت سامعاً مطيعاً فسر إلى مالك بن الهيثم» . ويمتدح الأزدي الوالي الجديد فكان «خير أمير وأنصفه وكان أحد نقباء بني العباس ورعاتهم» وكانت«سيرته جميلة وأحوال الموصل مستقيمة»(٤٠). وقد أعطى عصيان اسماعيل العباسي في الموصل عظة وتجربة للخليفة فكان حذراً في التعامل مع والي الموصل الذي كان باستطاعته دائماً أن يعتمد على أهل الموصل ضد السلطة العباسية. فحين أراد عزل موسى بن مصعب سنة ١٥٨/٧٧٤ـ ٧٧٥ عن ولاية الموصل أرسل ابنه محمد المهدي بصحبته خالد بن برمك متظاهراً بالذهاب إلى الرقة عن طريق الموصل محملاً إياه أوامر سرية بعزل موسى والسيطرة على الموقف حال وصوله المدينة (٤١) . وكان المنصور يختار ولاة الموصل بدقة وغالباً ماكانوا من العباسيين أو من الشيعة العباسية الثقات . فقد اختار ابنه جعفر للولاية سنة ١٤٥ ـ سنة١٤٧هـ/ ٧٦١ ـ ٧٦٤م ثم عين خالداً البرمكي والياً على الموصل لأول مرة سنة١٤٨هـ / ٧٦٥م وذلك «لانتفاض الموصل وانتشار الأكراد بها» (٤٢)، وهؤلاء الأكراد نزحوا إليها من الجبال القريبة.

---

(٤٠) المصدر السابق ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ، ١٨٠

(٤١) المصدر السابق ، ص ٢٢٤

(٤٢) المصدر السابق ص ٢٠٨

وكان اسماعيل بن عبدالله القسري البجلي الوالي الوحيد من أهل الموصل الذي وثق به المنصور وعينه على الموصل وسبب تعينه أن المنصور مسأله عن ظهور القحطاني ؟ (المنقذ اليماني المنتظر) فقال القسري قد ظهر « وأنه المهدي ولي عهد المسلمين ابن امير المؤمنين ابن اختنا » وقد أعجب المنصور بقوله وعقد له على الموصل سنة ١٥١ / سنة ٧٦٨م (٤٣).

الموصل وأحزاب المعارضة :

يمكننا تصنيف الفئات الرئيسية التي عارضت العباسيين في هذه الفترة إلى ثلاث : الخوارج والأمويين والعلويين .

أما الخوارج فلم يتغير موقفهم بانتقال الخلافة إلى العباسيين . فالعباسيون في نظر الخوارج كالأمويين مغتصبون للخلافة التي يجب أن تكون ذات صبغة انتخابية يتقلدها أجدر المسلمين . ولقد حقق الخوارج في أواخر العصر الأموي نجاحات مهمة في منطقة الجزيرة الفراتية ولكن مروان تمكن من دحرهم وطردهم خارج المنطقة .

وأكثر مايلاحظ في تاريخ هذه المنطقة في القرنين الأول والثاني للهجرة انتشار المذهب الخارجي الداعي إلى الثورة على كل سلطان لايدين بعقيدته . وكانت أهم القبائل المستوطنة حول الموصل عدداً وشكيمة هي قبيلة بني شيبان . ويظهر من مصادرنا التاريخية(٤٤) أن الحركة الخارجية تبدأ في أطراف الموصل ثم لا تلبث أن تزحف نحو المدينة ، ويعتصم الخوارج في داخلها تساندهم بعض القبائل والفئات المستاءة من العباسيين . ولعل حركات ملبد بن حرملة وعبدالسلام اليشكري والصحصح الخارجي خير امثلة على ذلك.

(٤٣) المصدر السابق ص ٢١٤ . —كان شيوخ القبائل يدركون ان المنصور كان جاداً في جعل إبنه خليفة من بعده ولذلك كانوا يتقربون من الخليفة بأظهار تأييدهم لهذه الفكرة مثلما فعل اسماعيل القسري وعبدالله بن عباس الهمداني (راجع كذلك الأزدي ص ١٧٨ — ٧٩)

(٤٤) الأزدي ، ص ٢٦٧ ، ١٦٦، ٢٤٢ ، . — ابن الأثير ، الكامل ، ح٦ ص ١١٢. — قارن الأزدي ص ٢٤٢ ، خليفة ص ٢ ص ٤٤٤ ص ٧٨ .

على أن ذلك لم يمنع أن تكون الموصل نفسها (٤٥) المركز الذي بدأت منه بعض الحركات الخارجية مثل حركات حسان بن مجالد وياسين التميمي وحمزة الخارجي ومهدي بن علوان الشاري. وفي محاولة لأقرار الأمن في هذه المنطقة عين المنصور حرب بن عبدالله الراوندي سنة ١٤٥ / سنة ٧٦٢م قائداً لحامية الموصل ويبرر الأزدي كثرة الجند في الموصل فيقول «وكان حرب الراوندي في رابطة في ألفين لمكان الخوارج»(٤٦) ، كما وان السلطة المركزية كانت تعين على الموصل والياً للصلاة والمعونة والخراج إن ضم إليه وصاحب رابطة يتفرغ لحرب الخوارج مما يدل على أهمية قائد الحامية وضرورة تكريس جهوده للأمور العسكرية وأمور الأمن في المدينة وضواحيها وقد هدد المنصور والرشيد عدة مرات أهل المدينة بالقتل نتيجة لنكثهم ما اشترطوا على أنفسهم بعدم مساعدة الخوارج ولكن الفقهاء من أمثال ابن حنيفة وابن أبي ليلى وابن شبرمة وابن يوسف القاضي كانوا يحولون بين الخلفاء وبين خططهم. وقد هدم سور الموصل بأمر الرشيد سنة ١٨١هـ سنة ٧٩٧م كيلا يتمكن الخوارج من الاعتصام بها (٤٧) خاصة بعد حركة الوليد بن طريف الشاري الذي ثار سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م وهزم الجيش العباسي في معركة نصيبين وأخذ يجوب الجزيرة وأذربيجان وأرمينية حتى استطاع القائد يزيد بن مزيد الشيباني أن يراوغه ويقتله في هيت .

وكان من نتائج ثورات الخوارج عدم الاستقرار وسوء الحالة الاقتصادية وقلة الحاصلات الزراعية وعدم قدرة المزارعين على ضريبة الخراج فتشير رواية (٤٨) سنة ١٧٥هـ / سنة ٧٩١م «وفيها كسر خراج الموصل» . وقد امتنع أهل الموصل من تأدية الضريبة مما اضطر الرشيد إلى إرسال يحيى بن خالد البرمكي لمناظرتهم وقد اتفق على دفع ربع الغلة وقدرها سبعة دراهم ونصف بجريب الحنطة وخمسة دراهم لمثله من الشعير . ويظهر أن بعض الفلاحين

---

(٤٥) الأزدي ، ص ٢٥١ ، ٢٠٥ ، ٢٥٨ ، ٣٤٣ . — الطبري ، جـ٨ ص ٥٨٨ . — ابن الأثير ، الكامل جـ٦ ص ٩٥ ، جـ٥ ، ص ٥٨٤

(٤٦) الأزدي ص ، ص ١٩٥

(٤٧) المصدر السابق ص ٢٨٠ ، ٢٨٦

(٤٨) المصدر السابق ص ٢٧٥ ، ٢٧٦

كانوا يتخذون هجمات الحوارج عذراً يبررون به امتناعهم عن دفع الضريبة محتجيين بأن هجوم الخوارج قد دمّر المحاصيل .(٤٩)

ولم يكن الخوارج وحدهم ينهبون الحاصل أو يدمرونه بل كان شيوخ القبائل المعارضون يفعلون نفس الفعل كما فعل العطاف بن سفيان الأزدي (٥٠) سنة ١٧٧هـ / سنة ٧٩٣م وهو من فرسان أهل الموصل وقد اجتمع الصعاليك وجبى الحراج وحبس عمال الخليفة ، وحين خرج الرشيد بنفسه يريد الموصل سنة ١٨٠هـ / سنة ٧٩٦م قرر العطاف أن يكمن له ولكن شيوخ الموصل وصلحاؤها ناشدوه أن يدع ذلك وأن ينصرف عن المدينة لفترة فخرج في ٤ آلاف إلى أرمينية .

ولقد تعسف بعض الولاة في الجباية رغم هذه الظروف فقد طالب يحيى بن سعيد الحرشي (٥١) أهل الموصل بخراج سنتين مضت سنة ١٨١هـ . وفي سنة ١٩٣هـ / سنة ٨٠٨م شدّد الحسن بن صالح الهمداني على الأعراب وخرج بنفسه يطالبهم بدفع الصدقات (الزكاة) ولاحق قبيلة عنزة الربعية فاجتمع مع عنزة بنو شيبان وكمنوا للوالي وقتلوه (٥٢) . والمعروف عن ربيعة أنها كانت أكثر القبائل تمرداً وإشغالاً لوالي الموصل . ولم تنته هذه الحادثة عند هذا الحد بل أدت إلى ثارات بين اليمن ممثلة السلطة وبين ربيعة المتمردة وهكذا فقد انكسر الحلف اليماني — الربعي القديم .

على أن الوالي لم يكن دائماً يرسل ريع الموصل إلى بغداد بل يحتفظ به أو بجزء منه ليعينه على حرب الخوارج وهذا مافعله موسى بن مصعب سنة ١٥٧هـ فقد أجاب الخليفة بأنه يحتاج المال لأن «البلد كثير الخوارج وأعددتها للرجال متى احتجت إلى محاربة خارجي ...»(٥٣)

---

(٤٩) المصدر السابق ص ٢٧٦
(٥٠) المصدر السابق ص ٢٨٤
(٥١) المصدر السابق ٢٨٦ — ٢٨٨
(٥٢) المصدر السابق ص ٣١٤
(٥٣) المصدر السابق ص ٢٢٧

ولعلنا بعد ذلك نخلص إلى القول بأن الحركة الخارجية أشاعت عدم الإستقرار في الموصل خاصة ومنطقة الجزيرة الفراتية عامة وشغلت بال السلطة المركزية لعدة سنوات . وبقيت خصائص الحركة الخارجية في الجزيرة ، على عكس الأقاليم الشرقية ، تتسم بسمة العروبة سواء على الصعيد الفكري أو التنظيمي. بل أن العصبيات القبلية ظلت تتحكم فيهم في هذا الإقليم . كما لعبت «النخوة» دورها حيث كان خوارج الجزيرة الفراتية يخفون لنجدة إخوانهم في المذهب أينما ثاروا .

ورغم أن أحد الأسباب التي أعطاها المؤرخون لمجزرة الموصل سنة١٣٣ﻫ هي ميولها للأمويين فلم تحدث في الواقع حركة ذات صبغة أموية في الموصل خلال العصر العباسي الأول . على أن أنصار الأمويين من الموصل وغيرها من مناطق الجزيرة الفراتية تجمعوا حول اسحق بن مسلم العقيلي وأخيه بكار وهما من قادة مروان الأخير وقد أعلن اسحق العقيلي ثورته في الجزيرة واتخذ سميساط والرها مراكز له . كما انضم إليه أحد الأمراء الأمويين محمد بن مسلمة بن عبد الملك .

ولكن الحركة الموالية للأمويين في الجزيرة عموماً لم تكن منظمة ، حيث تشير رواية تاريخية «وأمرهم مشتت وليس عليهم رأس يجمعهم »(٥٤) ، وقد طلب اسحق العقيلي نفسه الأمان من العباسيين بعد معرفته بمقتل مروان وقربه المنصور وجعله من صحابته في البلاط . وربما كان تخلص العباسيين من يحيى بن الحر أحد الموالين لبني أمية في الموصل يعود إلى كونه نقطة التقاء لأنصار الأمويين وشيعتهم وللعناصر المناوئة للدولة العباسية الجديدة حيث قتله والي الموصل سنة ١٣٣ﻫ سنة٧٥٠م(٥٥)

(٥٤) فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، الجزء الأول ص ١٣٦

(٥٥) يشير كتاب الأمامة والسياسة في رواية ينفرد بها (ج٢ ص ١٥٩) إلى ان سليمان بن هشام الأموي قد هرب من البلاط العباسي وثار ضد العباسيين في الجزيرة في عهد ابي العباس . والرواية ضعيفة الإحتمال

ولم يعرف عن الموصل ميلها إلى العلويين فقد وصفت بكونها أموية وخارجية كما شارك أهل الموصل بحركات قبلية ولكنهم لم يشتركوا في حركة علوية في هذه الفترة . وفي رواية تاريخية أن ابراهيم بن عبدالله بن الحسن جاء الموصل سنة ١٤٤هـ سنة٧٦١م متخفياً من ملاحقة المنصور له وبقي فيها فترة قصيرة من الزمن حيث لم يجد الأعوان من شيعة العلويين الذين يعتمد عليهم في حركة ضد العباسيين . ويظهر أن قبائل الجزيرة لم تستسغ مذهب الشيعة العلوية ويتمثل موقفها في قول نصر بن شيت العقيلي أحد شيوخ القبائل الجزرية الذي ثار ضد المأمون فاقترح عليه أن يبايع خليفة علوياً فرفض قائلاً : (٥٦)

«أولي بني السوداوات ..إذ كان يقول كن وليته منهم : إنه خلقني وإنه يرزقني » .

الموصل والنعرات القبلية :

كانت الروح القبلية تستفحل في فترات متفاوتة إما بسبب ضعف السلطة المركزية وعدم قدرتها على كبح جماح هذه النعرات . وإما في أحيان أخرى بتحريض من السلطة المركزية أو والي المدينة الذي يحابي قبيلة على قبيلة أخرى. فقد تذمرت القبائل الموصلية من سياسة مروان الذي فضل المضرية (القيسية) على اليمانية . وحين جاء العباسيون قربوا اليمانية وفضلوهم في الوظائف الإدارية والعسكرية وكانت سياسة العباسيين الجديدة هذه بسبب مساندةاليمانية للدعوة العباسية من جهة ومن جهة ثانية ادراكاً من العباسيين بأن القبائل اليمانية هي الغالبة على الموصل ، فتؤكد رواية (٥٧) أن «اليمانية في البلد أظهر من النزارية» وأن «اليمانية هم المتغلبون على الموصل» .

ولعل ماذكرناه آنفاً من ازدياد العصبيات أثناء ضعف سلطة بغداد يظهر واضحاً في عهد الرشيد حيث تفاقم النزاع بين الربعية والمضرية واستعانت

(٥٦) الأزدي ، ص ١٨٠ ، ٣٣٤

(٥٧) المصدر السابق ص ٢٩٦

ربعية لا باليمن (٥٨) بل بقبائل ربعية من أقاليم أخرى . وفي سنة ١٩٨ه سنة ٨١٣ م حدثت وقعة الميدان» بين النزارية واليمانية حيث آدعى النزارية بأن اليمانية « يتهضمونهم وينتقصون حقوقهم» (٥٩) وتزعمهم عثمان بن نعيم البرجمي الذي حاصر الموصل في ٢٠ ألفاً . ولكن اليمانية بقيادة علي بن الحسن الهمداني آستطاعت أن تهزم النزارية رغم آلعون الذي جاءهم .

ولاشك أن الخلافة العباسية كانت تعمل من أجل كسر الأحلاف القبلية القديمة الكبيرة وتشتيتها فمثلما نجح المنصور في كسر آلتحالف اليماني ــ الربعي في اليمن وفي البحرين كذلك عمل هذا الخليفة والذين من بعده على كسر نفس الحلف في الجزيرة وذلك لئلا تكون هذه التحالفات خطراً على الدولة من جهة وليكون بالإمكان السيطرة على المناطق ذات النزعة القبلية الحادة.

لقد كان لأهل الموصل رأي في آختيار واليهم فلم يرضوا بمحمد بن صول والياً وثاروا على سياسة يحيى بن محمد العباسي ، وأجبروا ابراهيم بن العباس سنة ١٩٥ه / سنة ٨١٠ ــ ٨١١م على التنحي عن الولاية ، ورفض أهل الموصل ولاية الحسن بن محمد التغلبي سنة ١٩٧ه وقالوا : «لا يلينا ربعي» . وفي عهد المعتمد انتفض أهل الموصل وطردوا واليهم سنة ٢٥٩ه وعينوا بدلَه من رغبوا فيه واستمروا مجاهرين بالعصيان حتى سنة ٢٦١ه/٨٧٤م (٦٠) وتشير رواية في الأزدي : « ولما ضعف أمر الساطان وقات آلحماية آجتمع أهل الموصل على علي بن الحسن الهمداني ليشرف على أمر البلد ويحوط أطرافه» (٦١)

والواضح أن أمر السيطرة على الموصل أصبح بين سنة ١٩٥ه ــ سنة ٢٠٢ه في يد بني الحسن الهمدانيين فعلياً أما الوالي الذي تعينه السلطة العباسية فكان لايدخل المدينة إلا إذا حظي برضى بني الحسن الهمداني ولذلك كان من

(٥٨) ذلك لأن الحلف اليماني ــ الرجعي القديم كان قد تفكك وقد وسعت حادثة إغتيال الوالي الحسن الهمداني آنفة الذكر الهوة بين الطرفين .

(٥٩) الأزدي ص ٣٣٢

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ، ٣٣٢

(٦١) المصدر السابق ص ٣٢٤

الطبيعي أن يَحسب حسابهم في كل عمل يقوم به أو حكم يصدره وإلى ذلك تشير الرواية : «وكان الوالي من ولاة السلطان يلي منذ هذا الوقت إلى انقضاء أيام بني الحسن فإذا رضوه أدخلوه وهم الغالبون على الأمر ...»(٦٢) ولذلك امتنع علي بن الحسن الهمداني عن الإعتراف بولاية الحسن التغلبي سنة ١٩٧هـ الذي أرسله الأمين ، وحين راسلهم طاهر بن الحسين سنة ١٩٨هـ مال إليهم باليمانية •

ولكن اليمانية انشقوا على أنفسهم بالموصل واحتدم الصراع على السلطة بين علي الهمداني والسيد بن أنس الأزدي وهُزِمَ الهمداني مما اضطره إلى الإستعانة بمهدي بن علوان الخارجي ولكن ذلك لم يفده حيث تغلب عليه ابن أنس ثانيةً وقتله . وقد برر ابن أنس قتله للهمدانيين واستيلاءه على الموصل حين قابل المأمون سنة٢٠٤هـ سنة ٨٠٩م قائلاً :

«أدخلوا الخارجي مدينتك وأعلوه على منبرك وأبطلوا دعوتك» (٦٣) وهكذا ضرب ابن أنس على وتر حساس فأقره المأمون على الموصل ولم يكن إجراء الخليفة هذا إلا اعترافاً بأمر واقع . وبقي ابن أنس والياً على الموصل حتى مقتله في معركة مع الثائر زريق بن علي بن صدقة الموصلي سنة٢١٢هـ سنة٨٢٧م .

ملحق بولاة الموصل خلال هذه الفترة (٦٤)

محمد بن صول	١٣٢هـ
يحيى بن محمد العباسي	١٣٣هـ
اسماعيل بن علي العباسي	١٤١هـ
مالك بن الهيثم الخزاعي	١٤٢هـ
جعفر بن المنصور	١٤٥هـ
خالد بن برمك	١٤٨هـ
اسماعيل بن عبدالله القسري	١٥١هـ
موسى بن مصعب الخثعمي	١٥٤هـ

(٦٢) الأزدي ص ٣٢٤

(٦٣) الأزدي ص ٣٥٤

(٦٤) راجع الأزدي ، تاريخ الموصل ، . — الطبري ، تاريخ الرسل والملوك طبعة ايدن . — قارن قائمة الدكتور علي حبيبة في آخر كتاب الأزدي آنف الذكر . (ص ٤٩٤ فما بعد)

خالد البرمكي	١٥٥هـ
موسى بن مصعب الخثعمي	١٥٩هـ
خالد البرمكي	١٥٩هـ
اسحق بن سليمان	١٦٠هـ
حسان السروي	١٦١هـ
عبدالصمد بن علي	١٦٢هـ
محمد بن الفضل	١٦٤هـ
أحمد بن اسماعيل بن علي	١٦٦هـ
موسى بن مصعب	١٦٧هـ
عبدالصمد بن علي	١٦٧هـ
أحمد بن اسماعيل	١٦٨هـ
هرثمة بن أعين	١٦٨هـ
هاشم بن سعيد	١٦٩هـ
عبدالملك بن صالح	١٦٩هـ
اسحق بن محمد	١٧١هـ

الدكتور فاروق عمر فوزي
استاذ مساعد — قسم التاريخ
كلية الآداب — جامعة بغداد

دور عوائد النفط في التنمية الاقتصادية لأقطار الخليج العربي مع دراسة تطبيقية عن القطر العراقي

الدكتور محمد أزهر سعيد السّماك

المقدمـــة

تحظى أقطار الخليج العربي بمكانة هامة ومتميزة في عالم النفط . إذ تظفر بنحو ربع إجمالي الإنتاج العالمي وتفرض سيادتها على نحو نصف احتياطي النفط في العالم وقد بلغت مجموع عائداتها منه زهاء ٣٩ بليون دولار أي نحو ٣٣ مرة مما كانت عليه قبل عقد ونصف من الزمن تقريباً (عامي ٧٤ و١٩٦٠) غير أن أهمية منطقة الخليج النفطية الحالية هذه قد لا تكون كذلك في المستقبل . طالما أن النفط سلعة قابلة للنضوب والنفاد .

□ فقد حددت الدراسة عمره المنتظر بقرابة ٦٣ سنة فقط . وعلى الرغم من أن التطورات التكنولوجية لعمليات البحث والتنقيب والاستخراج وغيرها ، مما يمكن لها أن تحدث تغييرات هامة في حساب العمر المنتظر هذا ، الا أنه يمكن أن يكون دالة هامة لما يحتمل أن يحل بخريطة الخليج العربي أولا ، والخريطة العربية ثانياً ، من آثار سلبية تقعدها عن تحقيق طموحاتها في بعث الامة العربية

بأسرها .ما لم تع بمسؤولياتها كاملة مستهدفة النفط كمادة أساسية لكل تنمية إقتصادية هادفة طالما أن وجوده صدفة جيولوجية واقتصادية ليس الا ، كما أن مدخرات عوائده المالية تتعرض بين آونة وأُخرى إلى هبوط في اقيامها نتيجة لتخفيض اقيام العملات الأجنبية المرتبطة بها .

وهذا يحتم على كافة أقطار الخليج العربي أن تخصص عوائد النفط جميعاً لبرامج التنمية (الميزانية الإستثمارية) حتى يمكن لقطاعات اقتصادياتها الإنتاجية الأخرى (الزراعة– الصناعة – النقل – المواصلات – الخدمات) أن تنمو ذاتياً وحتى يمكن التحرر من سيطرة القطاع النفطي على اقتصادياتها ولخلق اقتصاد متنوع ومتطور ومتوازن .

وإذا كانت الحدود الإقليمية السياسية التي صنعها الإستعمار لتجزئة الأمة العربية قد لاتتسع لحجم المدخرات المالية العربية النفطية هذه في بعض أقطار الخليج ، فإن الخريطة العربية من الخليج إلى المحيط بإمكانياتها الجغرافية والجيولوجية الزاخرة (الزراعية – الصناعية– التعدينية الأخرى) بمقدورها أن تكون بيئة جيدة للإستثمار والتطور الإقتصادي الذي يؤول في الآخر إلى اقتصاد عربي نامي يحقق للمنطقة العربية استقلالها الإقتصادي وسيادتها السياسية .

وتجيء هذه الدعوة في وقت تشتد فيه الحاجة إلى الوحدة العربية الشاملة التي أمست هدفاً استراتيجياً للشعب العربي من أجل بقائه وفرض سيادته وتحرير ماانتزع من أراضيه وكبحاً لمطامع امبريالية متزايدة .

ويأتي انعقاد الندوة العلمية العالمية الأولى لمركز دراسات الخليج العربي في العراق تأكيداً للوعي القومي النبيل الذي يؤمن به في ضرورة التخطيط لما يحتمل أن يحل بمنطقة الخليج العربي من آثار سلبية في المستقبل .

لذلك كله ، يحاول هذا البحث دراسة دور عوائد النفط في التنمية الاقتصادية لأقطار الخليج العربي مع دراسة تطبيقية عن القطر العراقي ، معتمداً في ذلك على ما توفره الاحصاءات والدوريات والمجلات الرسمية المختلفة من بيانات ومعلومات كانت العون في تحديد أبعاد هذه الدراسة .

وهنا تكرر الصعوبة ذاتها التي تواجه أي بحث عن هذه المنطقة (وغيرها من أقطار العالم الثالث) ، من نقص في البيانات وغيرها .

ويحاول هذا البحث — في القسم الأول — أن يرسم الصورة العامة لامكانيات الخليج العربي النفطية ، انتاجاً واحتياطياً وعوائداً ، في محاولة لتوضيح اين نفقت عوائده وما خلفته من آثار ايجابية لتطوير اقتصاديات تلك الأقطار ، مستعرضاً بذلك برامج التنمية الاقتصادية المختلفة لهذه المنطقة .

في حين أن القسم الثاني قد تفرغ لدراسة تجربة العراق في مجالات التنمية الاقتصادية المختلفة خلال الفترة ٥١ / ٩٧٤ من خلال تحليل احصائي مقارن للمخصص والمصروف فعلاً لبرامج التنمية المختلفة لتحديد اتجاه استغلال عوائد النفط وتبيان مدى امكانية أخذ أقطار الخليج باستراتيجية خطط التنمية القومية للعراق ٧٠ — ٩٧٤ وما سيليها .

وقد انتهى البحث إلى تحديد أبعاد الصورة المستقبلة لاقتصاديات دول الخليج العربي من خلال التحليل المقارن لموارد الثروة الاقتصادية المتاحة (الزراعية — الصناعية — النفطية — والتعدينية الأخرى — السكانية — المالية) في هذه المنطقة . وقد فرغ إلى عدد من النتائج والتوصيات ، يمكن لتخصصات ضيقة مختلفة أخرى أن تتناولها بالبحث والتمحيص للأخذ بها وتعميمها على الوطن العربي الكبير .

وكان من تلك النتائج :

١ . إن زيادة اعتماد أقطار الخليج على النفط كورد أساسي من موارد الدخل قد حدد هيكل وبنية اقتصاديات دول الخليج بشكله الحالي : اقتصاد أحادي السلعة — تبعية اقتصادية — ازدواجية اقتصادية أيضاً) .

٢ . سوء تخطيط واستثمار عوائد النفط في معظم أقطار الخليج فهي لم توجه الوجهة السليمة وكما ينبغي لتنمية اقتصاديات تلك الأقطار واعمارها وإنما صرفت في مجالات استهلاكية متعددة (الانفاق الاستهلاكي الحكومي)

إلى جانب استنزاف بعضها في مشروعات ترفيهية ودعائية أو لأغراض أُخرى . بالإضافة إلى أن بعضاً من مدخرات تلك العوائد قد أُودع في المصارف الأجنبية مما عرضها للهبوط المستمر في اقيامها (٦٧ / ١٩٧٣) نتيجة لتبعيتها للنظم النقدية لدول تلك المصارف .

أما التوصيات فيمكننا أن نلخصها في تحديد أسباب وامكانية واوجه استثمار المدخرات المالية لأقطار الخليج الناجمة عن عوائد النفط لتحقيق تنمية اقتصادية عربية هادفة ، عن طريق انشاء مؤسسة خليجية عربية للتنمية والتخطيط ، تضمن للخريطة العربية استقلالها وسيادتها . وامكانية اعتماد تجربة العراق الرائدة في خطة التنمية القومية كنموذج عربي جديد بالتطبيق والتعميم ، لكي يتسنى إحداث تغييرات هامة في هيكل وبنية اقتصاديات أقطار الخليج وما يرافق ذلك من ظهور تغيرات ايجابية كبيرة في العناصر المكونة للبيئة الجغرافية العربية بأكملها .

جدول رقم (١)

التوزيع الجغرافي لامكـــانيـات دول الخليج العربي النفطيـة للسنوات ١٩٧٣/٥٢
(الانتاج – الاحتياطي المؤكد)

التسلسل	الدول	الانتاج (مليون طن) ١٩٥٢	٪ من العالم	١٩٧٣	٪ من العالم	الاحتياطي المؤكد بليون طن ١٩٧٢	٪ من العالم
١	العراق	١٨،٤٥	٣	٩٥،٠٠	٣،٤	٤،٨	٦،٢
٢	الكويت	٣٧،١٠	٦،١	١٣٨،٢٥	٤،٩	١٠،٢	١٣،٣
٣	السعودية	٤١،٠٠	٦،٨	٣٦٤،٦٨	١٢،٩	١٨،٧	٢٤،٣
٤	المنطقة المحايدة	—	—	٢٧،٤١	٠،٩	١،٩	٢
٥	البحرين	١،٥٠	٠،٢	٣٤،١٠	١،٢	٠،٠٧	—
٦	اتحاد الامارات العربية	—	—	—	—	٣،٣	٤،٢
٧	دبي	—	—	١١،٠٤	٠،٤	—	—
٨	ابو ظبي	—	—	٦٢،٥٢	٢،٢	—	—
٩	قطر	٣،٢٥	٠،٥	٢٧،٤٩	١،٠	٠،٨	—
١٠	اجمالي دول الخليج	١٠١،٣٠	١٦،٧	٧٦٠،٤٩	٢٦،٩	٣٨،٩	٥٠
١١	اجمالي الوطن العربي	١٠٤،٦٧	١٧،٣	٩٥٣،٩٣	٣٤	٤٤،٧	٥٨
١٢	جملة العالم	٦٠٥،٠٠	١٠٠	٢٨٣٣	١٠٠	٧٦،٨	١٠٠
١٣	نسبة مساهمة الخليج من العالم ٪	٪١٦،٧		٪٢٦،٩		٪٥٠	
١٤	نسبة مساهمة الخليج من الوطن العربي ٪	٪٩٦		٪٨٠		٪٨٧	

(١) إعتمدنا في عمل الجدول على البيانات التالية : (آ) ارقام الإحتياطي المؤكد عن العراق واتحاد الإمارات عن United Nations:Statistical Year Book 1973,New york pp.(170-171). (ب)ارقام إحتياطي العراق عن :مجلة نفط العرب تموز ١٩٧٤ ،ص ٥ . (حـ) ارقام إحتياطي الإمارات عن : Middle East Economic Dyjest No. 10,May1974, p.528 . (د) ارقام الإنتاج عن : المؤسسة المصرية العامة للبترول : مجلة البترول ، المجلة الحادية عشر العدد الثاني ، تموز–آب ١٩٧٤ ص٥٦–٥٨ (هـ) النسب المئوية من عمل الباحث

جدول رقم (٢ – أ)

التوزيع الجغرافي لعوائد النفط لدول الخليج العربي منذ بدء الانتاج وحتى نهاية عام١٩٧٣ بملا يين الدولارات الأمريكية (١)

الدول	١٩٤٠	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٦٠	التراكمي حتى نهاية ١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣
العراق	٨,١	١٩,٠	٣٨,٥	١١٠,٠	٢٦٦,٣	١٩٥١	٢٦٥,٥	٢٦٦,٦	٣٢٥,١
الكويت	٠,٨	١٢,٤	٣٠,٠	١٣٩,٠	٤٦٥,٢	٢٥٤٢	٤٦٤,٣	٥٢٦,٣	٥٥٦,٧
السعودية	١,٥	١١٢,٠	١٥٥,٠	١٧٠,٠	٣٥٥,٢	٢٩٥٨	٤٠٠,٢	٤٥١,١	٥٠٢,١
البحرين	١,٠	٣,٣	٣,٨	٦,٣	—	٩٢,٥	—	—	—
قطر	—	—	٣,٨	١٠,٩	٥٤,٠	٣٤٥	٥٣,٣	٥٥,٨	٥٩,٥
دبي	—	—	—	—	—	—	—	—	—
ابو ظبي	—	—	—	—	—	—	—	٢,٨	٦,٤
اجمالي الخليج العربي	١١,٤	١٤٦,٧	٢٣١,١	٤٣٦,٢	١١٤٠,٧	٧٨٨٨,٥	١١٨٣,٣	١٣٠٢,٦	١٤٤٩,٨
اجمالي عوائد الوطن العربي	١١,٤	١٤٨,٤	٢٣٦,٩	٤٤٤,٣	١١٩٥	٨٠٦٦	١٣٤٥	١٦٨٨	١٩٧٠
نسبة مساهمة الخليج من اجمالي الوطن العربي	-	—	—	—	—	—	—	—	—

جدول رقم (٢ ـ ب)

٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	الاجمالي التراكمي حتى نهاية ١٩٧٤
٣٥٣,١	٣٧٤,٩	٣٩٤,٢	٣٦١,٢	٤٧٦,٢	٤٨٣,٥	٥٢١,٢	٨٤٠,٠	٥٧٥,٠	١٣١٧	٤٦١٠	١٣,٤٩٨
٦٥٥,٠	٦٧١,١	٧٧,٢	٧١٧,٦	٧٦٥,٦	٨١٢,٢	٨٩٥,١	٣٩٩,٨	١٦٥٦,٨	٢٠٠١	٧٠٠٤	١٩,١٩١
٥٦١,٠	٦٥٥,٢	٧٧٦,٩	٨٥٢,١	٩٦٥,٥	١٠٠٨,٠	١١٩٩,٧	٢١٤٨,٩	٣١٠٦,٩	٤٩١٥	١٧٢٦٩	٤٢,٨٣٠
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
٦٥,٥	٦٨,٥	٩٢,١	١٠١,٨	١٠٩,٥	١١٥,٢	١٢٢,٠	١٩٧,٨	٢٥٤,٨	٣٩٧	١١٩١	٣,٣٦٣
—	—	—	—	—	—	—	—	—	١٦٥	٥٧٦	—
١٢,٤	٣٣,٢	٩٩,٨	١٠٥,٠	١٥٣,٢	١٩١,١	٢٣٣,١	٤٣٠,٧	٥٥٠,٩	١٠٣٥	٣١٧٢	٨٥,٩٥١
١٦٤٧٠,١	١٨٠٢,٩	١٤٤٠,٢	٢١٣٧,٧	٢٤٧٠,٠	٢٦١٠,٠	٢٩٧١,١	٥٠١٧,٢	٦١٤٤,٤	٩٨٣٠	٣٣,٨٢٢	,٧١٦٧
٣٣٢٨	٣٨٤٧	٣١٥٨	٣٥٣٩	٤٣٣٢	٤٧٩٨	٧٩٩٣	٨٨٥٤	١٤,٧٢٢	١٧٬١٤٨	٥٨,٢٩٤	١٤٣,٠٨٢
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٪٥٩	٪٥٧

(١) د. جمال حمدان : بترول العرب ، دار المعرفة القاهرة،ص ص ١٧٩ — ١٨٠ — من عام ٦٢ إلى ١٩٧١ ٢ عدا الجزائر عن :
Middle East. Economic Survay, September 8 1972.

— مجلة نفط العرب . تموز ١٩٧٤ ، ص ٧ .

— المؤسسة المصرية العامة للبترول ، مجلة البترول ، المجلد الحادي عشر ، تموز آب ١٩٧٤

القسم الاول

يعالج هذا الموضوع النقطتين التاليتين :

أولا : التحليل المقارن لامكانيات دول الخليج العربي النفطية : (انتاجاً واحتياطياً وعوائداً) .

ثانياً : عوائد النفط وبرامج التنمية الإقتصادية لدول الخليج العربي (عرض موجز لبرامج التنمية في دول الخليج .. المملكة العربية السعودية، الكويت ، العراق) .

* * * *

أولاً : التحليل المقارن لامكانيات دول الخليج العربي النفطية: (انتاجاً واحتياطياً وعوائداً) .

من تحليل الجداول المرقمة ١، ٢ : الاشكال المرقمة ٢و٣ نستنتج :ـــ

١. تنعم منطقة الخليج العربي بأهمية نفطية عالمية متميزة : انتاجاًواحتياطياً فقد بلغ إجمالي انتاجها عام ١٩٧٣ نحو (٧٦١) مليون طن . أي نحو سبعة أمثال ما أنتجته قبل عقدين من الزمن تقريباً . وهي بذلك فرضت سيادتها على نحو أقل من ثلث إجمالي الإنتاج العالمي بقليل (٢٦٫٩٪) وقد هيأ لها انتاجها هذا فرصة احتلال مركز الصدارة في خريطة العالم النفطية .

ولاتنحصر أهمية هذه المنطقة في خريطة الإنتاج الحالية بل تتعداها إلى خريطة المستقبل المنظور أيضاً . يؤكد ذلك سيادتها على نحو نصف إجمالي الإحتياطي المؤكد في العالم .

غير أن أهمية منطقة الخليج العربي لاتنبع عن أهميتها العالمية ـــ آنفة الذكر ـــ فحسب بل لكونها المسؤول الأول والرئيسي عن أبعاد الخريطة النفطية للعالم العربي بأسره . صحيح أن أهميتها النسبية قد انخفضت من ٩٦٪ عام ١٩٥٢ إلى ٨٠٪ عام ١٩٧٣ نتيجة لظهور منتجين جدد كالجمهورية العربية الليبية والجزائر . إلا أنه يمكن القول بأنها ستتبوأ مكانتها الأولى في السنوات القليلة القادمة . كما يدل على ذلك نسبة نصيبها من إجمالي احتياطي النفط المؤكد للوطن العربي(٨٧٪).

وتتجلى خطورة هذه الحقيقة فيما لو علمنا بأن الموارد النفطية هي المسؤولة تماماً عن تحديد أبعاد خريطة العالم العربي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية الحالية والمستقبلة على حد سواء بالإضافة إلى أن هذه الموارد قابلة للنضوب . من هنا تبرز الأهمية الستراتيجية لمنطقة الخليج العالمية والعربية وما ينبغي عمله من أجل إحداث تغيرات ايجابية هادفة في الخريطة العربية بما يكفل وجودها واستقلالها وسيادتها .

٢. تتربع المملكة العربية السعودية على عرش دول الخليج انتاجاً واحتياطاً مؤكداً . فهي تستأثر بنحو نصف إجمالي إنتاج دول المنطقة وزهاء سبع الإنتاج العالمي (١٩٧٣) . وقد تضاعف إنتاجها نحو تسع مرات خلال العشرين سنة الأخيرة . وقد اقترن ذلك بارتفاع أهميتهاالنسبية بالنسبة لاجمالي انتاج النفط في العالم والخليج العربي . فقد بلغت نسبة مساهمتها عالمياً نحو ١٢,٩٪ (١٩٧٣) مقابل ٦,٨٪ فقط عام ١٩٥٢ . ونحو ٤٧٪ عام ١٩٧٣ مقابل ٤٠٪ عام ١٩٥٢ بالنسبة لمنطقة الخليج العربي . وهي بذلك تنفرد على دول الخليج — انفرداً ومجتمعين — إن لم يكن دول العالم النفطية أجمع — في نمو معدلات الإنتاج السريعة . وتتضح أبعاد الأهمية النسبية للسعودية فيما لو علمنا بأنها تظفر بنحو ربع الاحتياطي المؤكد من النفط في العالم . أي قرابة نصف احتياطي منطقة الخليج العربي وزهاء ٤٢٪ من جملة احتياطي الوطن العربي بأسره .

وهذا يعني أن المملكة السعودية قد حضيت وستحضى بالمرتبة الأولى بين دول الخليج العربي كما أن الزيادة السنوية السريعة بمعدلات إنتاجها وآرتفاع إجمالي احتياطيها :—كما توضحه البيانات— تشير لأول وهلة إلى الأهمية الكبيرة لهذه الرقعة من المنطقة العربية ، وتحدد أبعاد مهامها القومية المرتقبة في تحقيق خريطة اقتصادية عربية

نامية ومتطورة . إلا أن الدراسة قد كشفت عن آتجاه مضاد لهذه الحقيقية تماماً . فالنفط وموارده لم تسخر لتحقيق تنمية اقتصادية هادفة بل آستنزفت في مجالات استهلاكية وترفيهية ودعائية وغيرها، كما سنرى لاحقاً عند دراسة النقطة التالية .

٣. وتأتي الكويت بالمرتبة الثانية بين دول الخليج العربي إذ تنعم بنحو ١٨٪ من إجمالي إنتاجها أي نحو ٤,٩٪ عام ١٩٧٣ من إجمالي الإنتاج العالمي مقابل ٦,١٪ عام ١٩٥٢ . والملاحظ هنا تراجع الأهمية النسبية للكويت من إجمالي الإنتاج العالمي خلال السنتين المذكورتين. والذي يرجع إلى النمو السريع لمعدلات الإنتاج في بعض مناطق الإنتاج النفطية الأخرى ، بالإضافة إلى شهور منتجين جدد على مسرح الإنتاج مما كان له أثره في إحداث تغيرات سريعة في سلم التطور .

وعلى الرغم من أن الكويت والمملكة السعودية قد بدأتا الإنتاج ببعد زمني ومعدلات إنتاجية سنوية وبأهمية نسبية متقاربة كما يؤكد ذلك عام ١٩٥٢ إلا أن العقدين التاليين كانا كفيلين بتغيير الصورة تماماً لصالح المملكة السعودية التي بلغ إنتاجها نحو ثلاثة أمثال نظيرتها وبالتالي آرتفاع أهميتها النسبية إلى درجة مطابقة لنمو حجم إنتاجها هذا . بيد أن خريطة الكويت المنتظرة قد لاتكون كذلك طالما أنها تسيطر الآن على نحو ثمن الإحتياطي العالمي (١٣,٣٪) وزهاء أكثر من نصف احتياطي المملكة السعودية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكويت أسعد حظاً من سابقتها في تنفيق بعض من عوائد مواردها النفطية لتغيير ملامح خريطتها الجغرافية الطبيعية والبشرية . إلا أن ذلك أقل مما ينبغي بكثير مما يكشف عن شواهر سلبية متعددة الجوانب حالت دون تأدية النفط لرسالته في إحداث التغيير الأفضل كما سنرى فيما بعد .

٤. ويأتي العراق في المرتبة الثالثة بين دول الخليج العربي إنتاجاً واحتياطياً مؤكداً. وهو لاينعم سوى بنحو أقل من ثلث إجمالي إنتاج المملكة العربية السعودية وزهاء ثلاثة أرباع إنتاج الكويت إلا أنه يفوقهما قدماً في الإنتاج كما أنه أسعد حظاً في تنفيق وآستخدام عوائده النفطية منذ بدء الإنتاج وحتى الآن عامة وخلال الفترة (١٩٧٠/١٩٧٤) بصورة خاصة في ظل خطة التنمية القومية كما سنرى لاحقاً.

٥. أما باقي أقطار الخليج العربي فتظهر بالأهمية النسبية الباقية ٥,٨٪ و٥,٧٪ من إجمالي إنتاج الخليج العربي والعالم على التوالي. وتحظى أبو ظبي بالمكانة الأولى بين مجموعة هذه الأقطار (٢,٢٪) وتليها البحرين (١,٢٪) فقطر (١٪) فالمنطقة المحايدة الكويتية السعودية (٠,٩٪) فدبي (٠,٤٪) وذلك عام ١٩٧٣.

والملاحظ هنا النمو السريع لحجم إنتاج هذه الأقطار خلال العشرين سنة الأخيرة بالإضافة إلى آرتفاع نصيبها من إجمالي احتياطي النفط المؤكد في المنطقة والعالم وهو بذلك يفوق نصيب باقي الوطن العربي (الوطن العربي باستثناء منطقة الخليج) من آحتياطي النفط المؤكد.

من هنا تظهر أهمية هذه الأقطار في المساهمة في تحقيق تنمية آقتصادية وآجتماعية وسياسية هادفة تحقق للخريطة العربية طموحاتها القومية السامية.

غير أن ماأنجز في هذا المجال محدود جداً كما سنرى. ولعل من المفيد أن نشير إلى حجم العوائد النفطية التي تسلمتها دول الخليج هذه. فمن تحليل جدول رقم (٢) نستنتج:

(١) حظيت دول الخليج العربي مجتمعة بنحو ٨١,٧١٦ مليون دولار خلال الفترة ١٩٥٠ / ١٩٧٤ كإجمالي تراكمي وهي بذلك آنفردت بنحو أكثر من نصف إجمالي العوائد النفطية العربية (٥٧٪) والأبعد من ذلك أن منطقة الخليج هذه كانت تستأثر بجملة

ا .ر (٦)

عوائد النفط تقريباً خلال السنوات الأولى لبدء الإنتاج وحتى نهاية عام (١٩٦٠) . ذلك قبل بدء الإنتاج التجاري للأقطار العربية الأخرى في شمال أفريقية .

وهذا يعني أن هذه المنطقة أسعد حظاً من غيرها من أرجاء الوطن العربي في هـذا المجال سبقاً تاريخياً وأهمية نسبية انتاجاً واحتياطياً وعوائداً .

(٢) على الرغم من أن العراق كان قد ظفر بالمرتبة الأولى (٧٣٪)بين دول الخليج بالنسبة لإجمالي عائداته النفطية عام ١٩٤٠ ، إلا أنه سرعان ما فقد مكانته هذه أمام منافسين كبيرين هما .. السعودية والكويت . ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو النمو السريع والمطرد بمعدلات حجم العوائد النفطية لهاتين الدولتين مقارنة بالعراق . ذلك يرجع في آعتقادنا إلى النمو السريع في حجم آنتاجهما النفطي الذي يعكس رغبة الشركات الأجنبية العاملة فيهما بجلاء ، في حين أن معدلات الإنتاج العراقي قد آتسمت بالنمو البطيء مع وجود سنوات تذبذب كما في ١٩٦٧,٦٦,٦٢,٥٨,٥٦,٤١ . مثلاً .

ومع ذلك فإن العراق يعتبر من أول أقطار دول الخليج العربي تخطيطاً لعوائده النفطية في برامج تنموية مختلفة باعتراف الاقتصاديين الغربيين أنفسهم .(١) وكما سنرى لاحقاً .

(٣) والحقيقة الثالثة التي أود أن أظهرها هنا هي النمو السريع لحجم العوائد النفطية خلال السنوات الأربع الأخيرة (٧١ / ١٩٧٤) الذي يرجع إلى التطور السريع لأسعار النفط المعلنة وما نجم عنه من زيادة دخول حكومات دول الإنتاج ــ لاحظ الجدول رقم (٣) التالي ــ

---

(1) Murray,J.: The Economic Impact of Oil on the Arab Middle East, Bournemouth.

نتيجة تطبيق إتفاقية طهران (١) .وشرق البحر المتوسط (٢) وصدور قانون تأميم شركة نفط العراق رقم (٦٩) لسنة ١٩٧٢(٣).

جدول رقم (٣)

تطور الأسعار المعلنة للنفط العربي وحصة حكومات الدول المنتجة والمصدرة عن كل برميل بالدولار الأمريكي(٤)

الفترة الزمنية	السعر المعلن للبرميل	متوسط حصة الدول (الريع + الضريبة)
١٩٦٥/٦٠	١,٨٠	٠,٨٢
١ كانون الثاني — ١٤ تشرين الثاني ١٩٧٠	١,٨٠	٠,٩١
١٥/شباط—٣١/آذار ١٩٧٢	٢,٢٨	١,٣٢
آب / ١٩٧٣	٣,٠٧	١,٨٠
١٦ تشرين الأول—٣١ كانون الأول ١٩٧٣	٥,١٢	٣,٠٥
١ كانون الثاني ١٩٧٤	١١,٥٦	٧,٠٠

(١) عقدت إتفاقية طهران في ١٥/شباط /١٩٧١
مجلة نفط "عرب — العدد السادس — السنة السادسة — آذار ١٩٧١ . — ص ٣٣
(٢) الوقائع العراقية : إتفاقية شرق البحر المتوسط — العدد ٢٠٠٨ — ٨ حزيران ١٩٧١ ، ص ص ٢٠/٢١
(٣) صدر قرار التأميم في الفاتح من حزيران ١٩٧٢ .
(٤) مجلة نفط العرب العدد الحادي عشر — السنة التاسعة — آب /١٩٧٤ . ص ٢٥

نستخلص من كل ماتقدم : أن منطقة الخليج العربي هذه تحظى بمكانة هامة ومتميزة في عالم النفط ليس نتيجة للسبق التاريخي بالنسبة لبدء الإنتاج التجاري وغزارة الإنتاج وآنخفاض تكاليف آنتاجه (١) وعوامل ايكولوجية أُخرى فحسب ، بل نتيجة لمعدلات نمو الإنتاج السريعة وزيادة أهميتها النسبية الحالية والمستقبلة من إجمالي العالم عامة والوطن العربي بوجه خاص . كل ذلك يتطلب ، وبالضرورة أن يتخذ النفط وموارده مادة أساسية لكل عملية تنمية هادفة تحقق لهذه المنطقة والوطن العربي كل ما تصبو إليه بما تقدمه من إمكانات تعتبر مادة التغيير الأساسية الطبيعية والبشرية على حد سواء .

وتقف المملكة العربية السعودية والكويت والعراق على رأس قائمة دول الخليج هذه لما لها من امكانيات نفطية كبيرة آنتاجاً وآحتياطياً وعوائداً . والسؤال الذي يُثار الآن : ماذا حققت هذه الدول في مجالات التنمية ؟أو أين نفقت عوائد النفط منذ بدء الإنتاج التجاري وحتى الآن ؟ هذا ماسنحاول الإجابة عليه في النقطة التالية .

ثانياً : عوائد النفط وبرامج التنمية الإقتصادية لدول الخليج العربي (عرض موجز لبرامج التنمية المختلفة في دول الخليج : المملكة العربية السعودية ، الكويت ، العراق) .

هنا سنحاول أن نجيب عن السؤال الآنف الذكر وللوصول إلى هذا الهدف فإننا سنتعرض بالدراسة لواقع آلتنمية في الأقطار الثلاثة الأولى في منطقة الخليج العربي : إنتاجاً واحتياطياً وعوائداً وهم : (المملكة العربية السعودية ، الكويت ، العراق) .

(١) المملكة العربية السعودية :

في أول الستينات وضع أول برنامج للتنمية في المملكة العربية

(١) لمعرفة التفاصيل عن تباين تكاليف آلإنتاج وعوامل إنخفاضها بالنسبة لإنتاج النفط العربي عامة ونفط الخليج خاصة ، راجع :

Adelman, M.A: "Oil production Costs in Four Areas," Reprinted From the proceedings of the Council of Economics, February 28 march 1966, P. 114.

السعودية ، حددت مدة تنفيذه بعشر سنوات (١) . وقد حققت السنوات الثمان الأولى لتنفيذه ٦٢ / ٦٣ / ٧٠ / ١٩٧١ (١٣٨٢ / ١٣٨٣ و ٩٠ / ١٣٩١هـ)، معدل نمو بلغ نحو ١٠٪ وهو ضعف المعدل المقرر للأقطار النامية الأخرى(٢). ولعل المقصود هنا بمعدلات النمو حجم الناتج المحلي (الدخل القومي) الذي يرجع أساساً إلى النمو في حجم معدلات الإنتاج بالنسبة لقطاع النفط لاغيره .وبالتالي آرتفاع حجم عوائده المالية ، كما يؤكد ذلك التقرير الذي نشره مركز الأبحاث والتنمية الصناعية في المملكة (٣) . ويؤكد ذلك أيضاً زيادة الأهمية النسبية لقطاع النفط بالنسبة لإجمالي مكونات الدخل القومي في البلاد خلال الفترة ١٣٨٤ /١٣٨٥هـ (١٩٦٤ /١٩٦٥) و ٩٠ /١٣٩١هـ (١٩٧٠ /١٩٧١) من نحو ٦٢ ٪ إلى ٧٢ ٪ ..(٤) . وهنا نتساءل أوليس المقصود بالتنمية بعث الحياة في وتائر النمو المختلفة لقطاع الإقتصاد الوطني ؟ فإذا كان كذلك فهل آستطاعت القطاعات الأخرى في آقتصاديات المملكة أن تحدث تغيرات إيجابية هامة مثلاً ؟؟

إن نسبة مساهمة قطاع الزراعة والأحراش وصيد الأسماك من إجمالي الدخل القومي (الوطني) بلغت ١٣٩٠ /١٣٩١هـ نحو ٧ ٪ مقابل ١٢ ٪ عام ١٣٨٥/٨٤هـ وهي سنة التخطيط الأولى وكما آعتمدها التقرير آنف الذكر.

وليس حال قطاع الصناعات التحويلية أفضل مما سبقه . فالأهمية النسبية لصناعة تكرير النفط والصناعات التحويلية الأخرى قد آتسمت بالثبات

---

(١) المملكة العربية السعودية ، مركز آلأبحاث والتنمية الصناعية : التركيب الصناعي من الناحيتين الفنية وآلإقتصادية واحتمالات النمو في المملكة العربية السعودية ، ج ١ (التقرير والتوصيات) محرم / ١٣٩٣هـ ، شباط ١٩٧٣ ، ص ٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٠

(٣) نفس المصدر ، ص ٧

(٤) إن النسب المئوية الواردة في هذا البحث هي جميعاً من حسابات الباحث معتمداً على الأرقام المطلقة الواردة في جدول رقم أ – ٣ الوارد بالمصدر التالي :
المملكة العربية السعودية / مركز آلأبحاث والتنمية الصناعية ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

طيلة الفترة ١٣٨٤ /١٣٩١هـ (٩٪ و ٢,٦٪)لكل منهما على آلترتيب .

والأبعد من ذلك أن قطاع الكهرباء والغاز والمياه والخدمات الصحيةقد آنخفضت أهميته النسبية من نحو ١,٧ ٪ إلى ١,٦ ٪ خلال الفترة ذاتها .

هذا بالإضافة إلى آرتفاع نسبة زيادة تسرب الأموال العربية (مدفوعات عوامل الدخل إلى الخارج)السعودية إلى الخارج . (للإيداع في البنوك أو الإستثمارات الأجنبية) خلال الفترة ١٣٨٤ /١٣٩١هـ بمعدل يفوق معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي كما يؤكدها آرتفاع الأهمية النسبية لها خلال العام ١٣٩٠ /١٣٩١هـ التي بلغت نحو ٣٧٪ مقابل ٣٠٪ عما كانت عليه عام١٣٨٤هـ

حاصل ماتقدم يعكس بجلاء مدى سيطرة القطاع النفطي وآستمرارية معدلات نموه على حساب القطاعات الإنتاجية الأخرى التي لم تنل بعد في آعتقادنا ما تستحقه من عناية تتناسب وأهميتها لاقتصاديات الدولة . وهنا تكمن الخطورة ، إذ أن قطاع النفط قطاعاً أجنبياً وأن الإسراف في الإعتماد على موارده قد يجعل آقتصاديات أي قطر آقتصاداً تابعاً ويربط آقتصاديات ذلك القطر باقتصاديات دول الشركات ذلك . ومجمل القول أنه يخلق هيكلاً آقتصادياً متداعياً لابنياناً آقتصادياً نامياً ومتطوراً .

جدول رقم (٤)

نصيب الفرد في الكويت من الخدمات التعليمية والصحية مقارنة (١) بغيره من دول العالم عام ١٩٦١ ،بالدينار الكويتي .

جنسية الفرد	نصيبه في حقل التعليم	نصيبه في حقل الخدمات الصحية
كويتي	٢٨	٢٦
إيطالي	٨,٢	٧
بريطاني	٢١	١٧
سويدي	١٧,٩	٥,٣
في الأقطار العربية	من ١ /٢ إلى ٢	من ٣ ,٠ إلى ٤,٠

(١) دولة الكويت : وزارة التجارة والصناعة ، إدارة البحوث الإقتصادية والأحصاء، التنمية في دولة الكويت ، نيسان ١٩٧٣ ، ص ١٠

جدول رقم(٥) التوزيع القطاعي لجملة الإستثمارات القومية الإجمالية في الخطة الخمسية الأولى ٦٧ /٦٨– ٧١ /١٩٧٢ (١)

القطاعات الإقتصادية	القطاعات القومية حكومي	مشترك	خاص	الإجمالي خلال الخطة	بالنسبة٪ للمجموع
نفط وغاز طبيعي	—	١٠,٠	٦٠	٧٠,٠	٧,٧
الصناعة	٢,١٠	٣٩,٠	٢٦	٨٦,٠	٩,٤
الزراعة والثروة الحيوانية	٥,٠	—	٣	٨,٠	٠,٩
الثروة السمكية	—	—	٤	٤,٠	٠,٤
الطاقة (كهرباء وغاز)	٦٤,٨	—	—	٦٤,٨	٧,١
المياه والري	٧٢,٠	—	—	٧٢,٠	٧,٩
النقل والموصلات	٩٠,٢	٨,٠	٥٤	١٥٢,٢	١٦,٧
الإعلام والإرشاد الوطني	١٣,٣٠	—	—	١٣,٠	١,٤
البحث والتدريب	٧,٠	—	٢	٩,٠	١,٠
الخدمات التعليمية	٥٠,٠	—	٢	٥٢,٠	٥,٧
خدمات آجتماعية ودينية	١٧,٠	—	١	١٨,٠	٢,٠
خدمات صحية	٣٠,٠	—	٣	٣٣,٠	٣,٦
اسكان ومباني عامة	٧٥,٠	٢,٠	١٠٠	١٧٧,٠	١٩,٤
تجارة ومال وسياسة	٦,٠	١,٠	١٥	٢٢,٠	٢,٤
مرافق عامة وخدمات بلدية	٤٦,٠	—	—	٤٦,٠	٥,٠
خدمات أمن وعدل	١٠,٠	—	—	١٠,٠	١,١
التغيير في المخزون السلعي	—	—	٧٥	٧٥,٠	٨,٢
جملة الإستثمارات القومية الإجمالية	٥٠٧,٠	٦٠,٠	٣٤٥	٩١٢,٠	١٠٠,٠ ٪

(١) نفس المصدر ، ص ٣٣ .

اضف إلى ذلك أن أكثر من ثلث إجمالي الناتج المحلي يتجه بعيداً عن الرقعة الجغرافية للدولة ،وعموماً فإن النفط يغذي الميزانية الحكومية بنحو ٩٠٪ من ايراداتها ،بينما لاتساهم الرسوم الكمركية مثلاً سوى بنحو ٣٪من إجمالي ايردات المملكة (١).

وعليه ،فإن مثل هذه المؤشرات ــ على قلتها ــ تعكس وبوضوح الواقع السلبي للتنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية .

وهذا وليس من اليسير مناقشة خطة التنمية الحالية (الخطة الاولى المعتمدة في منتصف ١٣٩٠) للملكة لعدم توفر البيانات والمعلومات الكافية إذ لازالت البلاد تفتقر إلى تعداد سكاني شامل يمكن أن يكون القاعدة الأساسية التي تستند عليها أية تنمية هادفة

٢ــ الكويت :

اعتمدت الكويت سياسة استثمارية خاصة خلال السنوات ١٩٥١ / ١٩٦٧ م .ويمكن تحديد إتجاهين رئيسين لها هما :ــ

الاتجاه الأول : التأكيد على تنمية المرافق العامة والقوى البشرية عن طريق رفع المستوى التعليمي والخدمات الصحية .كوذلك خلال الفترة ١٩٥٢/١٩٦٠م كما يظهرها الجدول رقم (٤) .

الاتجاه الثاني : التأكيد على الاستثمارات الانتاجية المباشرة والتوسع في الاستثمارات الأُخرى .ومن أجل ذلك فقد قدمت حكومة الكويت لأول مرة ــ خطة التنمية الخمسية الاولى إلى مجلس الامة للمصادقة عليها عام ١٩٦٧ ، الا أن ذلك لم يتم فعلاً (٢). غير أن مشروعاتها قد نفذت من خلال الميزانيات . فقد رصد في الخطة المذكورة ٩١٢ مليون دينار تستثمر في القطاعات المختلفة .وقد استأثر القطاع العام بنحو ٥٥٫٦٪. وحظي القطاع

(١) المملكة العربية السعودية : المصدر السابق ، ج ١، ص ١٩ .

(٢) للتفاصيل عن التنمية في الكويت انظر : دولة الكويت ، وزارة التجارة والصناعة ، إدارة البحوث الإقتصادية والإحصاء (قسم الإحصاء) : التنمية في دولة الكويت ، ، نيسان ، ١٩٧٣ ، ص ١٠ .

الخاص بنسبة ٨ر٣٧ ٪،والنسبة الباقية للقطاع المشترك .وقد وزعت الاستثمارات على النحو الذي يظهره الجدول التالي :(جدول رقم ٥)

ومن تحليله يتضح : —

١. أن معظم قطاعات الانتاج لم تحظ بأهمية كبيرة في جدول هذه الخطة، فقطاع الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية لم ينعم سوى بأقل التخصيصات المعتمدة في جدول هذه الخطة .إذ بلغت نسبة مساهمته فيها نحو ٣ر١٪ من اجماليها فقط. وكذلك بالنسبة للقطاع الصناعي الذي لم تزد نسبة مساهمته من إجمالي التخصيصات عن ٤ر٩٪. وقد ورد في التقرير الخاص عن التنمية الذي أصدرته دولة الكويت (١) ... « أنه روعي تجنب الطفرة في التصنيع والتدرج في عملية التصنيع بشكل يتوافق مع توافر القوة العاملة المتخصصة والمهارات البشرية .»

---

(١) نفس المصدر . ص ٣٤

جدول رقم (٦)

مساهمة القطاعات الاقتصادية في الناتج القومي خلال عام ١٩٧٠/٦٩ (الكويت)

النشاط الاقتصادي	المساهمة بالناتج القومي ٦٩ /١٩٧٠ مليون دينار	%
المناجم والمحاجر	٥٥٧	٥٦,٦
الخدمات (أ)	١٩٠	١٩,٣
التجارة (ب)	٨٥	٨,٦
التشييد والبناء	٣٩	٤,٠
الصناعة التحويلية	٣٦	٣,٧
الكهرباء والماء والغاز	٣٦	٣,٧
النقل والموصلات والتخزين	٣٥	٣,٦
الزراعة والصيد	٥	٠,٥
المجموع	٩٨٣	١٠٠ %

(١) نفس المصدر ، ص ٥٠ .

(آ) تضم الخدمات الحكومية الإدارية ، الخدمات الإجتماعية ، خدمات الأعمال ، الترفيه والتسلية ، الخدمات الشخصية .

(ب) تضم تجارة الجملة والمفرد والبنوك والمؤسسات المالية ، التأمين ، العقارات وخدمات المال والتجارة .

ولعل من المفيد أن نتساءل : أوليس بالامكان مضاعفة الأهمية النسبية بالنسبة للقطاع الصناعي ضمن برامج الخطة الخمسية هذه ضمن المعطيات المتاحة حالياً ؟ لاسيما وأن هناك نسبة قد تصل إلى النصف أو تزيد من إجمالي المشتغلين في هذا القطاع هم من غير الكويتين .ولماذا إذن نؤمن بأحداث طفرة سريعة في نمو قطاع آخر أقل أهمية بالمقارنة الدقيقة (اقتصادياً وإجتماعياً وسياسياً) مع القطاع الصناعي لعملية التنمية الهادفة : الآ وهو قطاع الاسكان والمباني العامة الذي استأثر بالمرتبة الاولى أي بنحو خمس إجمالي التخصيصات (١٩,٤٪) .والسؤال الثالث أوليس من المعقول أن تتناسب معدلات النمو للقطاعات المختلفة ضمن خطة التنمية (وطنياً وقومياً) مع معدلات نمو حجم ايراداتها النفطية ؟

إن التنمية الهادفة في اعتقادنا هي التي تتخذ من قطاعات الانتاج الأساسية الصناعة والزراعة والنقل والخدمات هدفاً أساسياً لها وبحكم توفر المقومات الجغرافية : الطبيعية والبشرية من أجل تغيير معالم الخريطة الحالية نحو الأفضل لتتمكن من البقاء والنمو بعد نفاد النفط أو تبدل أهميته النسبية مستقبلاً .

(٢) ظفر قطاع النقل والمواصلات بأهمية نسبية معقولة بلغت نحو ١٦,٧٪ إذ أن تطوير الموانيء البحرية والجوية والطرق والمواصلات السلكية واللاسلكية تعتبر اموراً حيوية للتنمية .

أما النسبة الباقية فهي لصالح قطاع الخدمات الانتاجية والاجتماعية الأُخرى والتي استأثرت جميعاً بنحو ٣٩٪ من إجمالي التخصيصات. إن هيكل الخطة الخمسية الاولى هذه لايتناسب وامكانية الكويت النفطية ولا مع واقع تعداد سكانها حالياً ،وعليه فأننا نرى بأن خطة التنمية الهادفة هي التي تأخذ في ستراتيجيتها الاعتبارات الآتية :

أ ــ تحقيق وتائر نمو سريعة لقطاعات الاقتصاد الوطني والقومي عامة ويعتمد قطاعات الانتاج الرئيسة هدفاً لها .

ب– تحقيق مبدأ التوازن بين تخصيصات الخطة ومعدلات النمو لايراداتها بحيث لاتترك فائضاً من الدخرات المالية تودع في البنوك أو للاستثمارات الأجنبية .

جـ– الأخذ بعين الاعتبار أن النفط مورد فاني لامحال وأن اسعاره آخذة في التزايد المستمر– كما رأينا – وعليه فان التوجيه الأمثل يقضي بضرورة برمجة الانتاج بما يتلاءم تماما مع خطط التنمية وطنياً وقومياً .

والخلاصة ، أن الموارد النفطية لازالت هي السمة المميزة للاقتصاد الكويتي فالنفط يغذي الميزانية الاعتيادية (١٩٧٢ /١٩٧٣) بنحو ٩٤,٥٪ من إجمالي ايراداتها (١).وهو يساهم بنحو ٥٦,٦٪ من إجمالي الناتج القومي (٦٩ /١٩٧٠) في حين لاتساهم القطاعات الاقتصادية الأُخرى سوى بنحو ٣,٧٪ بالنسبة للصناعة وزهاء ٠,٥٪ بالنسبة للقطاع الزراعي كما يؤكد ذلك جدول رقم (٦) .

وهذا يعني أن الاقتصاد الوطني واقع تحت رحمة القطاع النفطي وهو قطاع أجنبي حالياً أولاً. وأن الاقتصاد الكويتي أُحادي السلعة ثانياً. وهو تابع لاقتصاديات دول الشركات بالضرورة ثالثاً . من هنا تبرز أهمية الأخذ بأبعاد ستراتيجية جديدة للتنمية تكفل تحرير الاقتصاد الوطني من تبعية قطاع النفطي .

٣ – العراق :

يعتبر عام ١٩٥٠ نقطة التحول الأولى في الاقتصاد العراقي نحو الإنماء . فقد شهد هذا العام ميلاد مجلس الإعمار (٢) . وفي عام ١٩٥٣ ، أُنشئت وزارة الإعمار . وقد قدم المجلس إلى الحكومة ثلاثة برامج (خطط للتنمية «الإعمار»). الأول عام ١٩٥١ (للفترة ٥١ /١٩٥٦) استناداً إلى توصيات

(١) نفس المصدر . ص٢٠

(٢) الحكومة العراقية : قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٠ والقانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٥١
والقانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٥١
والقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٥٢ .

بعثة البنك الأولى للإتحاد والإعمار L: B. R. D‘ (١) والثاني عام ١٩٥٥ (للفترة ٥٥ /١٩٥٩) وقد جاء تنفيذاً لتوصيات اللورد سولتر Salter (٢).
أما البرنامج الثالث لفترة (٥٦ /١٩٦١) . وقد جاء نتيجة لاستكمال دراستي سولتر وهيئة آرثر . دي . لتل (٣) Arthnur D. Little

ومن دراسة تلك البرامج يمكن أن نقول إنها آهتمت بدرجة كبيرةبقطاعات الزراعة والري والنقل والمواصلات والإسكان . ولم ينل القطاع الصناعي إلا حوالي ١٦٪ بالمتوسط من إجمالي تخصيصات القطاعات المختلفة في البرامج الثلاثة . ناهيك عن نسبة التنفيذ الفعلي كانت دون ذلك بكثير ، كما سنرى لاحقاً . بالإضافة إلى أن البرنامج الثالث كان أكثر حظاً من سابقيه في تمتعه بفرص البقاء والتنفيذ . كما أن مشروعات تلك البرامج كانت تتسم بطابع المحافظة التامة بالنسبة لكافة المشروعات والتي من شأنها الحفاظ على العلاقات الإجتماعية والسياسية السائدة ، خاصة ،في آلقطاع الزراعي . كما أنها لم تكن جادة في إقامة صناعات تعتمد على آلحماية الكمركية بالإضافة إلى إهمالها تنمية آلقوى البشرية .

وعلى الرغم من ذلك ،فإن تلك البرامج قد ساهمت فعلاً في تغيير بيئة العراق طبيعياً وبشرياً ،سواء بالسيطرة على المياه واستغلالها أم بالنمو العمراني في مناطق البلاد المختلفة .

أما في ظل سنوات العهد الجمهوري فقد شرع أربعة برامج .
البرنامج الأول: الخطة الاقتصادية المؤقتة (١٩٦٢/٥٩) (٤) والثاني :الخطة الأقتصادية التفصيلية (١٩٦٥/٦١) .والثالث الخطة الاقتصادية الخمسية (٦٥

---

(١) International Bank of Reconstruction and Development: "The Economic Development of Iraq" Baltimore 1952 .

(٢) قدم لورد سولتر تقريره في ١٤ نيسان ١٩٥٤ .،
لورد سولتر : أعمار العراق (خطة العمل) ، بغداد ١٩٥٦ ص ص ١٣٢ — ١٣٣

(٣) Little, A.D.: " Aplan for Industrial developments in Iraq" Cambridge Massachusetts May 1956 .

(٤) الوقائع العراقية : رقم ١٨١ لسنة ١٩٥٩ (الخطة الاقتصادية المؤقتة ، السنة الثانية ، العدد ٢٨١ ، ٣١ تشرين الثاني ١٩٥٩ .
والعدد ٤٩٤ : قانون تعديل الخطة الاقتصادية المؤقتة ، السنة الثالثة ٧ ذار ١٩٦١ .

جدول رقم (٧)

دراسة مقارنة للتخصيصات السنوية والاستثمارات الفعلية للقطاعات الاقتصادية الرئيسة ضمن

القطاعات	مجموع الفترة ١٩٥٨/٥١		سنوات بعد الثورة			
	المجموع	المتوسط السنوي	٥٩	٦٠	٦١	٦٢
الزراعة والري والصرف واستصلاح الأراضي						
التخصص السنوي	١٤٣،٨	١٧،٩	٢٣،١	٢٩،٦	١٥،٦	٢٠،٢
المصروف الفعلي	٧٤،١	٩،٢	١٠،٩	١٠،٨	١١،٩	٦،٣
نسبة ٢ : ١ بالمائة	٥١،٩	٥١،٩	٤٧،٢	٣٦،٥	٧٦	٣١
الصناعة والتعدين وتوليد الطاقة						
التخصيص السنوي	٦٢،١	٧،٧	٩،٤	٢١،٣	١٢،٥	٢٤،٧
المصروف الفعلي	٣٠،٩	٣،٨	٤،٩	٥،٧	٧،٢	١٠،٣
نسبة ١ : ٢ بالمائة	٥٠	٥٠	٥٢،١	٢٦،٨	٥٨	٤٢
النقل والمواصلات والتخزين						
التخصص السنوي	١٠٩،١	١٣،٦	٢١،٣	٥٧،١	٢٥،٥	٢٢،٤
المصروف الفعلي	٥٥،١	٦،٨	١٣،٧	٨،١	١٤،٢	١٥،٨
نسبة ٢ : ١ بالمائة	٥٠،٤	٥٠،٤	٦٤،٤	١٤	٥٦	٤٩
المباني والاسكان						
التخصص السنوي	١٠٣،٥	١٢،٩	٢٩،٨	١٢٦،٧	٤٤،٨	٣٠،٨
المصرف الفعلي	٣٠،٩	٣٠،٨	٢٥،١	٢٢،٩	٣٣،٤	٢٦،٤
نسبة ١ : ٢ بالمائة	٢٩	٢٩	٨٤،٠	١٨	٧٥	٨٦
المجموع العام للتخصيصات	٤١٨،٥	٥٢،٣	٨٣،٦	٢٣٤،٧	٩٨،٤	٩٨،١
المجموع العام للمصروفات الفعلية	١٩١،٠	٢٣،٩	٥٤،٦	٤٧،٥	٦٦،٧	٥٨،٨
نسبة ١ : ٢ بالمائة	٤٥،٧	٤٥،٧	٦٥	٢٠	٦٨	٥٩

أخذت أرقام ١٩٥٢/٥١ إلى ١٩٦٧/٦٦ عن : مجلة عالم الاقتصاد : العدد الثالث ، السنة
أستحلت — مع المقارنة — بقية الأرقام عن : وزارة التخطيط : تقسيم النمو الاقتصادي في

التنميـــــة في العـــــراق للسنوات ١٩٦٩/٥١ (بملايين الدنــــانــــير) (١).

١٩٦٩/٥٩						مجموع فترة بعد الثورة ١٩٦٩/٥٩		الاجمالي العام ١٩٦٩/٥١	
١٩٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	١٩٦٩	المجموع	المتوسط السنوي	المجموع	المتوسط السنوي
٢٤,٧	٢٥,٢	٢٩,٦	٢٩,٧	٤٠,٠	٢٢,٠	٣٠٩,٦	٢٨٨	٤٥٣,٤	٢٣,٨
٦,٧	٥,٢	٦,٨	١٠,٤	١٤٨	١٦,٦	١٠٤,٩	٩,٥	١١٩,٠	٩,٤
٢٧	٢١	٢١	٣٥	٣٧	٧٥,٥	٣٣,٧	٣٣,٧	٣٩,٥	٣٩,٥
٤٣,٠	٣٢,١	٤٢,٦	٣٩,٨	٣٩,٥	٢١,٠	٣٥١,٠	٣١,٩	٤١٣,١	٢١,٦
١٦,٥	١٢,٩	١٨,٩	٢٢,٧	١٣,٤	١٩,٠	١٤١,٠	١٢,٨	١٧١,٩	٩,٠
٣٨	٤٠	٤٤	٥٨,٥	٣٣,٩	٩٠,٥	٤٠,١	٤٠,١	٤١,٦	٤١,٦
٢٧,٩	٢٦,٦	٢٣,٦	٢١,٠	٢٠,٧	١٢,٠	٣٢٠,٥	٢٩,١	٤٢٩,٦	٢٢,٥
١٨,٩	٩,٥	١٢,٠	١٤,٨	١٢,٤	١١,٦	١٤٩,٣	١٣,٦	٢٠٤,٤	١٠,٧
٦٨	٣٦	٥١	٧٠,٥	٥٩,٩	٩٦,٧	٤٦,٥	٤٦,٥	٤٧,٥	٤٧,٧
٢٥,٢	٣٠,٧	٢٣,١	٣٢,٢	٣٠,٠	٣٠,٩	٤٦١,٨	٤٢,٠	٥٦٥,٣	٢٩,٧
١٤,٥	١٢,٤	٩,٤	٢١,٤	٢٤,٨	٢٦,٧	٢٧٢,٣	٢٤,٨	٣٠٣,٢	١٥,٩
٥٨	٤٠	٤١	٦٩,٥	٨٢,٧	٨٦,٤	٥٩	٥٩	٥٣,٩	٥٣,٥
١٢٠,٨	١١٤,٦	١١٨,٩	١٢٢,٧	١٣٠,٢	٨٥,٩	١٤٤٢,٩	١٣١,١	١٨٦١,٤	٩٧,٩
٥٦,٦	٤٠,٠	٤٧,١	٦٩,٣	٦٥,٤	٧٣,٩	٦٦٧,٥	٦٠,٧	٨٥٨,٥	٤٥,١
٤٧	٣٥	٤٠	٥٧	٥٠	٨٦	٤٦,٢	٤٦,٢	٤٦,١	٤٦,٣

مايس ١٩٦٨، بغـداد ص ٣٨–٣٩.

١٩٧٠/٥ ، جـ١ ، الملحق الاحصائي رقم ٣ و ٤ .

(١٩٦٩) (١) والرابع : خطة التنمية القومية (١٩٧٤/٧٠) (٢) .

ومن دراسة تلك الخطط يتضح أن فترة التخطيط في العهد الجمهوري قد اتسمت خلال السنوات العشر الاولى بعدم الاستقرار نتيجة للاوضاع السياسية والاقتصادية التي عمت البلاد .والملاحظ أن قطاع الاسكان قد حظي بالمرتبة الاولى في فاتحة هذا العهد . بالرغم من كونه قطاعاً استهلاكياً ،لكن مالبث القطاع الصناعي أن احتل تلك المرتبة في ظل الخطة التفصيلية واالخمسية غير أن القطاع الزراعي استأثر بالمرتبة الاولى في ظل خطة التنمية القومية حتى يسهم في احداث ثورة زراعية هادفة في البلاد .إن اهتمام هذه الخطة بتنمية القطاع الزراعي يتماشى مع منطلقات نظرية النمو (٣) فالتمية الزراعية في أقاليم الجهات الجافة وشبه الجافة تتطلب السيطرة الكاملة على مياه الأنهار لتنظيم ري محكم وهذا يتطلب مزيداً من الانفاق على البنيان الأساسي للانتاج الذي سوف تتأخر مردوداته الاقتصادية وهذا يتماشى مع وفرة العوائد النفطية حالياً .

ولما كان ما تقدم غير كاف لتوضيح أبعاد الصورة العامة للتمية في العراق ،فإن دراسة نسب التنفيذ الفعلي (المخصص و المصروف فعلاً) يمكن أن يحقق هذا ا لهدف .هذا ما سنتصدى لدراسته في القسم الثاني من هذا البحث

---

(١) : الوقائع العراقية رقم ٨٧ لسنة ١٩٦٥ : قانون الخطة الاقتصادية الخمسية للسنوات ١٩٦٩/٦٥ ، العدد١١٣٥ ، السنة السابعة ١ تموز ١٩٦٥ .

(٢) الوقائع العراقية : رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٠ : قانون خطة التنمية القومية للسنوات ٧٠ / ١٩٧٤ ، العدد ١٨٦٢ ، السنة الثانية عشر ، ١ نيسان ١٩٧٠ .

(٣) ايكون كيمينش : النفط كمصدر مؤقت من مصادر تمويل عملية التنمية : الندوة العلمية العالمية (النفط كسلاح) ابحاث الندوة ٢١٠ المجلس الوطني للسلم والتضامن، بغداد تشرين الثاني ١٩٧٢ م ص ٢٠ .

« القسم الثاني »

يحاول هذا القسم الإجابة عن التساؤلات التالية : لماذا لاتتخذ دول الخليج العربي من النفط عوائداً ودخولاً ـ اداة للتغيير الأفضل والمرتقب للخريطة العربية بأسرها ، طالما أن وجوده صدفة جيولوجية وإقتصادية ليس إلا وإن موارده قابلة للنضوب ؟ ؟ واذا كانت بعض دول الخليج كالعراق قد آمنت فعلاً بهذا الحتم الجغرافي لواقع النفط متخذة منه أداة التمويل الأولى لخطط التنمية الاقتصادية المختلفة الحالية والمستقبلة ، فما هي الخطوات التي قطعتها في هذا المجال ؟ وهل بالإمكان أخذ تجربة العراق كنموذج يؤخذ به لدعم اقتصاديات دول هذه المنطقة ؟

إن الدراسة التالية تتصدى للإجابة عن مثل هذه التساؤلات وعليه فإنها تحاول دراسة تجربة العراق في مجالات التنمية الإقتصادية المختلفة خلال الفترة ١٩٧٤/٥١ ، من خلال تحليل احصائي مقارن للمخصص والمصروف فعلاً لبرامج التنمية لتحديد اتجاه استغلال عوائد النفط وتبيان مدى امكانية أخذ أقطار الخليج بستراتيجية خطة التنمية القومية للعراق .

ولتحقيق هذا الهدف لابد من تحليل جدول رقم (٧) ومنه نستنتج :

١. بلغ المجموع العام للتخصيصات الاستثمارية ـ خلال هذه الفترة ـ نحو ٤ ر١٨٦١ مليون دينار استثمر منها فعلاً نحو ٥ ر٨٥٨ مليون دينار ، أي حوالي ١ ر٤٦٪ . فقط . ظفرت السنوات الثمان قبل الثورة بنحو ٥ ر٤١٨ مليون دينارا من اجمالي تخصيصاتها في حين هبطت مصروفاتها الفعلية إلى نحو ١٩١ مليون دينارا أي زهاء ٧ ر٤٥٪ من اجمالي تخصيصاتها. بيد أن نسبة التنفيذ الفعلي هذه قد ارتفعت خلال سنوات بعد الثورة ، ولكن ببطء شديد جداً حتى بلغت نحو ٢ ر٤٦ ٪ بالرغم من أن متوسط السنوي للمصروفات الفعلية لسنوات ما بعد الثورة (١٩٥٨) قد بلغ مرتين

م. (٧)

ونصف تقريباً مما كان عليه خلال سنوات قبل الثورة. وذلك يرجع أساساً إلى تزايد المخصص السنوي أيضاً بنسبة مشابهة تقريباً.وعموماً فإن المتوسط السنوي لنسبة التنفيذ الفعلي العام خلال هذه الفترة لم يتجاوز ٣ر٤٦٪ أي أن هذا المعدل قد نما ببطء شديد خلال فترة العهد الجمهوري وإن كان هناك هبوط ملحوظ للسنوات ٦٠ / ٦٣ / ١٩٦٥ .

ويوضح ذلك أن أكثر من نصف تخصيصات مشروعات التنمية لم تنفذ، وقد عجزت عن تحقيق أهدافها المرسومة . وإنها استنفذت في مجالات الإنفاق الاستهلاكي للدولة . وهذا ينطبق بدرجة كبيرة على السنوات العشر ٥٨ / ١٩٦٨ . نتيجة للأحداث السياسية والأزمات التي أحاطت بالبلاد .

٢. إستأثر القطاع الزراعي بالمرتبة الأولى ببرامج التنمية قبل الثورة تخصيصاً واستثماراً . إذ بلغ مجموع تخصيصاته نحو ٨ر٢٤٣ مليون ديناراً صرف منها نحو ١ ر٧٤ مليون ديناراً . أي أكثر من نصفها تقريباً (٩ ر٥١٪). ساهم هذا القطاع بنحو ٣٤٪ و ٨ ر ٣٨ ٪ من اجمالي تخصيصات ومصروفات هذه الفترة (٥١ / ١٩٥٨) على التوالي . إن ارتفاع نسبة المصروفات الفعلية يعكس الاهتمام الشديد لمجلس الإعمار بتنمية قطاع الزراعة في العراق لما يتفق وتوصيات الخبراء الأجانب آنذاك .

أما في سنوات بعد الثورة فإن قطاع الاسكان قد قفز ليحتل هذه المرتبة إذ بلغت تخصيصاته نحو ٨ ر٤٦١ مليون ديناراً ، صرف منها نحو ٣ ر٢٧٢ مليون دينار أي زهاء ٥٩٪ منها. إن نصيب هذا القطاع قد بلغ نحو ٣٢٪ و ٤٠ ٪ من اجمالي تخصيصات ومصروفات مناهج الاستثمار في هذه الفترة (٥٩ / ١٩٦٩) على التوالي مما يدل على عناية العهد الجمهوري بهذا القطاع كما تؤكدها نسبة التنفيذ الفعلي . أن العناية بتنمية هذا القطاع في بلد متخلف اقتصادياً كالعراق – آنذاك – لايعني إلا تبديداً لموارده الاقتصادية في

مشروعات عقيمة ـ خاصة خلال الفترة ١٩٦٣/٥٩ ـ يمكن أن نطلق عليها مشرعات آسترضاء الجماهير أو مشروعات السمعة كما تسمى مما دفع بالخطة الإقتصادية الخمسية ١٩٦٩/٦٥ إلى تقليص نصيب هذا القطاع .

٣. ساهم قطاع النقل بالمرتبة الثانية قبل الثورة . إذ بلغ مجموع تخصيصاته نحو ١٠٩,١ مليون دينار صرف منها فعلاً نحو ٥٥,١ مليون ديناراً، أي نصفها تقريباً . حظي هذا القطاع بنحو ٢٥٪ و ٢٨٪ من إجمالي التخصيصات والمصروفات الفعلية لهذه الفترة . إن تنمية هذا القطاع كان أمراً ضرورياً وملازماً لتنمية القطاع الأول الزراعة والري لاسيما في المنطقة الشمالية من البلاد .

واصل العهد الجمهوري الاهتمام بهذا القطاع ، وإن كان بدرجة أقل نسبياً ، مما يمكن وضعه بالمرتبة الثالثة بين القطاعات الأخرى .فقد بلغ إجمالي المصروفات الفعلية نحو ١٤٩,٣ مليون ديناراً أي نحو ثلاثة أمثال مصروفات سنوات قبل الثورة .

٤. سيطر القطاع الصناعي على المرتبة الثانية بين برامج التنمية بعد الثورة . إذ بلغت إجمالي تخصيصاته نحو ٣٥١ مليون ديناراً صرف منها فعلاً نحو ٤٠,١٪ أي أنه حظي بحوالي ٢٤٪ و ٢١٪ من إجمالي تخصيصات ومصروفات كافة القطاعات الإقتصادية في العراق خلال هذه الفترة في حين لم يكن يحظى سوى بحوالي ١٤٪و٢٥٪ من إجمالي تخصيصات ومصروفات مجلس الإعمار (قبل الثورة) على التوالي . وهذا يدل على. مكانة آلقطاع الصناعي في برامج التنمية بعد الثورة . ويؤكد ذلك آرتفاع المتوسط السنوي للمصروفات الفعلية له التي بلغت حوالي ١٢,٨ مليون دينار بعد الثورة ، مقابل ٣,٨ مليون دينار قبل الثورة أي نحو أكثر من ثلاثة أمثالها تقريباً وهي بذلك تشكل أعلى المتوسطات في هذا آلمجال بعد قطاع الإسكان . ومع ذلك ، فإن نسبة آلتنفيذ الفعلي لهذا آلقطاع

بعد الثورة (٤٠,١٪) كانت أقل بكثير مما كانت عليه قبل الثورة «٥٠٪» إن هذه الظاهرة تقترن بطبيعة الظروف السياسية والإقتصادية التي آكتنفت البلاد بعد الثورة .

٥. يذيل قطاع الزراعة قائمة برامج آلتنمية في سنوات بعد الثورة إذ بلغت نسبة مساهمته نحو ٢١٪ و ١٥٪ من إجمالي تخصيصات ومصروفات هذه للفترة على آلتوالي ، إن هبوط نسبة مصروفاته الفعلية من الإجمالي العام يدل على قلة الإهتمام به ويؤكد ذلك المتوسط السنوي للمصروف الفعلي الذي بلغ نحو ٩,٥ مليون دينار طيلة الفترة ١٩٦٩/٥١ على الرغم من زيادة تخصيصاته خلال الفترة ١٩٦٩/٥٩ عما يقابلها ،(٢٨,١٪ و ١٧,٩٪قبل الثورة وبعدها على التوالي) . فلا غرابة إذن أن يتدهور نصيب هذا آلقطاع من إجمالي الدخل القومي العراقي ، والحقيقة إن ماأنجز من مشروعات في هذا آلمجال يفوق منجزات السنوات التالية مما يحتم ضرورة الإهتمام بهذا آلقطاع والعمل على رفع معدلات نموه بشكل يتناسب على الأقل وآحتياجات القطر . وبالفعل فإن حكومة الثورة قد أولت آهتماماً بالغاً بهذا آلقطاع في خطة التنمية القومية .

٦. إن مقارنة المتوسط السنوي للاجمالي العام المخصص والمصروف الفعلي يظهر بوضوح العناية الكبيرة التي حظي بها قطاعاً الاسكان والنقل في برامج التنمية في العراق خلال الفترة ١٩٦٩/٥١ . على النقيض من قطاعي الصناعة والزراعة،بالرغم من أهمية الأخيرين في تنمية الاقتصاد الوطني وما يمكن أن ينجم عنه من تغيرات أفضل في توزيع السكان وأنماط حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية المختلفة فلم يتجاوز المتوسط السنوي للمصروف الفعلي تسعة ملايين دينار و٩,٤ مليون ديناراً لكل من الصناعة والزراعة على التوالي ،مقابل ١٥,٩ و١٠,٧ مليون دينار لكل من الاسكان والنقل على التوالي .مما يؤكد مرة أخرى ضرورة الاهتمام بهذين القطاعين لتنمية البلاد .

وأخيراً فإن انخفاض نسب التنفيذ الفعلي لبرامج التنمية إلى أقل من النصف بقليل يعني تبديد ايرادات تلك البرامج بنفس النسبة تقريباً. وإذا كانت عوائد النفط قد أمدت برامج التنمية بنحو ١٠٨٥,٩ مليون ديناراً طيلة الفترة ١٩٧٠/٥١ أي نحو ٨٩,٨٪ من ايراداتها، فإن هذا يعني أن نصف هذه العائدات تقريباً قد انحرف عن مجالات أستثماراته المرسومة ليمتصه الانفاق الاستهلاكي الحكومي. أما النصف الآخر فقد استهلك في تنمية قطاعات الاسكان والنقل أولاً والزراعة والصناعة ثانياً. إن هذه الصورة لابد أن تكون مرآة لعدة مشكلات أعاقت نمو الاقتصاد الوطني، يمكن إجمالها بما يلي : —

أ. اهمال تنمية الموارد البشرية : فهي لم تستهدف تنمية الموارد والقدرات البشرية المتاحة. فلم تعن بتوسيع قاعدة العمل الوطني. أن أي تخطيط هادف يجب أن يهيء الكادر الفني اللازم لادارة .. مشروعاته على الأقل على الأقل جنباً إلى جنب مع مشروعاته الأُخرى. أي أن واقع برامج التنمية في العراق يظهر تناقضاً كبيراً بين مجموع استثماراتها وبين فرص العمالة التي ستتيحها. أي أن تلك البرامج أخذت بمبدأ زيادة حجم الكفاءة الانتاجية عند أقصى حدودها، وتعتبرها الهدف الأساسي، فمشروعاتها غالباً ما تعتمد على التقدم التكنولوجي إلى حد بعيد. فهي تتطلب مبالغ كبيرة من رؤوس الأموال ولم يراعى فيها تكثيف الانتاج بشكل يقتصد في استخدام العمال وبتوسيع في استخدام العمال(١). Labour lntensive poticy. وهذا يرجع غالباً إلى الاختيار العشوائي لمشروعات التنمية المختلفة وكانت محصلة ذلك شيوع ظاهرة البطالة بشتى أنواعها : الدائمية والموسمية والمقتنعة، وحتى بطالة المتقفين. كل ذلك يقترن بسوء تخطيط وتنفيذ برامج التنمية عامة. غير أن خطة التنمية القـوية ٧٠ / ١٩٧٤

(1)Wrigley E.A. lndustrial Growth and population change Cambridge 1962ر p.56.

استطاعت أن تكبح جماح العديد من المظاهر السلبية هذه كما يشهد بذلك قرارات ٧ شباط عام ١٩٧٤ التأريخية التي امتصت كافة العمل العاطل المتاح بما هيأته له من فرص استخدام جديدة ومتطورة نتيجة تنفيذ مشروعاتها المختلفة .

ب. ضعف الأجهزة الادارية والحكومية : إن أجهزة الدولة المسؤولة عن تخطيط وتنفيذ تلك البرامج تعاني من النقص الكثير في الاختصاصات الفنية والاقتصادية وغيرها مع وجود تضخم مناقض في أجهزتها في عدد الموظفين حالياً .لذا يبدو من الظروري التنسيق بين برامج التنمية ومشروعاتها وسياسة لتعليم العالي في البلاد ،وفعلاً فإن خطة التنمية القومية أخذت في ستراتيجيتها مسألة تنمية الخبرات الفنية والكفاءات الفنية والكفاءات العلمية بجدية كبيرة كما يؤكد ذلك ارتفاع عدد طلبة البعثات الدراسية العليا في السنوات الأربع وتشريع قانون رعاية أصحاب الكفاءات العراقيين والعرب رقم ١٥٤ لسنة ١٩٧٤ .

ج. نقص البيانات الإحصائية وعدم كفاءة أجهزة الإحصاء :
إن البيانا الإحصائية الدقيقة والمتنوعة هي الوسيلة الأساسية لبلوغ أعلى درجات النجاح في التخطيط وإذا كانت الإحصاءات في العراق تعاني من النقص وعدم الدقة الشيء الكثير فلا غرابة إذن أن تعجز برامج التنمية عن تحقيق أهدافها المرجوة .

د. عدم وجود تنسيق بين السياسة المالية (الميزانية الإعتيادية) والسياسة الإعمارية (الميزانية الإستثمارية للدولة) : فالميزانية الإعتيادية يجب أن تكون جزء من الخطة غير أن واقع الحال عكس ذلك إذ أصبحت الأخيرة تابعة للأولى ، ومتأثرة بها (١) . والملاحظ أن الدولة عمدت إلى تخصيص جميع عوائد النفط للميزانية الإستثمارية قبل عام ١٩٥١لكنها خفضتها إلى نحو ٧٠٪ إلى ٥٠٪ عامي ٥٢=٥٩ على التوالي . أما النسبة

---

(١) الدكتور جواد محمود هاشم : تخطيط الاقتصاد القومي في العراق ، ص ٤١ .

الباقية فتنصب في مجالات الإنفاق الإستهلاكي للدولة الذي أخذ ينمو بشكل يفوق نمو الدخل القومي للبلاد .

والآن إذا كانت خطة التنمية القومية ١٩٧٤/٧٠ قد أخذت على عاتقها مهمة إحداث تنمية هادفة في القطر من خلال ستراتيجية معينة تهدف ــ فيما تهدف إليه ــ معالجة المشكلات آنفة الذكر وغيرها فهل حققت هذه الخطة نجاحاً في مهمتها ؟؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تستلزم دراسة المخصص والمصروف فعلاً ونسب التنفيذ إلا أن الصعوبة هنا هو عدم توفر كافة البيانات التي تعين الباحث في هذا المجال . ومع ذلك فبالإمكان تحليل الجدول رقم (٨) ومنه نستنتج :ــ

أ. إن نسبة التنفيذ لقطاعات الخطة مجتمعة قد تضاعفت خلال العام ٦٩ / ١٩٧٠ عما كانت عليه عام ٦٨ /١٩٦٩ . وقد حققت خطة التنمية القومية في عامها الأول إنجازات هامة . فقد بلغت نسبة التنفيذ لتخصيصات قطاعاتها المختلفة مجتمعة نحو ضعف (٩١,٥٪) ماحققته الخطة السابقة (٤٥٪) ٦٥ /١٩٦٩ .

ب. تضاعفت نسب التنفيذ للقطاعات النوعية المختلفة في شل الخطة القومية، (٦٩ /١٩٧٠) . فقد بلغت نسب التنفيذ للقطاع الزراعي نحو ٧٩,٥٪ مقابل ٤٧,٨٪ والخدمات ٧٨,٧٪ مقابل ٥٤,٩٪ .

ولعل ارتفاع نسبة التنفيذ الفعلي للقطاع الزراعي يأتي هنا تأكيداً لما ذهبنا إليه سابقاً من أن الخطة القومية اعتزمت خلق ثورة زراعية في البلاد . كما يدل على ذلك أيضاً ارتفاع الأهمية النسبية لهذا القطاع مقارنة مع قطاعات الإنتاج الأخرى .

هذا بالإضافة إلى أن هناك مؤشرات أخرى يمكن الإستدلال بها على أن هذه الخطة كانت أفضل مما تقدمها تخطيطاً وتخصيصاً وتنفيذاً

جدول رقم (٨)

التخصيصات السنوية والمصروفات الفعلية لخطة التنمية القومية للسنوات ٦٨/١٩٦٩–٧٠/١٩٧١ بملايين الدنانير (١)

القطاع	١٩٦٩/٦٨			١٩٧٠/٦٩			١٩٧١/٧٠		
	المخصص	الفعلي	نسبة التنفيذ ٪	المخصص	الفعلي	نسبة التنفيذ ٪	المخصص	الفعلي	نسبة التنفيذ ٪
الزراعي	٤٠,٠	١٣,٢	٣٣,٠	٢٢,٠	١٧,٥	٧٩,٥	٣٠,٧	١٤,١	٤٥,٩
الصناعي	٣٩,٦	١٨,٢	٤٦,٠	٢١,٠	١٧,٦	٨٣,٨	٤٧,٤	٢١,٢	٤٤,٧
النقل والموصلات	٢٠,٧	٩,٩	٤٧,٨	١٢,٥	١٠,١	٨٠,٨	١٥,٣	٧,٤	٤٨,٤
المباني والخدمات الاجتماعية	٢٣,٥	١٢,٩	٥٤,٩	١٥,٠	١١,٨	٧٨,٧	١٣	٩,٩	٧٦,٣
اجهزة التخطيط والمتابعة	٠,٣	٠,١	٣٣,٣	٠,٥	٠,٢	٤٠,٠	١,٢	٠,٧	٥٨,٣
قروض للمؤسسات الحكومية	—	—	—	—	—	—	٦,٥	٦,٦	١٠١,٥
نفقات الدفاع	١١,٣	٥,٧	٥٠,٤	١٥,٩	١٧,٣	١٠٨,٨	—	—	—
الالتزامات الدولية	٧,٧	٤,٤	٥٧,١	٩,٤	٧,٨	٨٣,٠	٨,١	٦,٥	٨٠,٣
أخرى غيرها	—	—	—	٩٠,٢	٨٨,٤	٩٨,٠	١١,٧	١١,٧	١٠٤,٥
المجموع	١٤٣,١	٦٤,٤	٤٥,٠	١٨٦,٥	١٧٠,٧	٩١,٥	٧٨,١	٧٨,١	٥٨,٥

(١) البنك المركزي العراقي : التقرير السنوي لسنة ١٩٧١ (دائرة الإحصاء والأبحاث) بغداد ، ص ١٤٣ .

وقد حققت إنجازات كبيرة ومتنوعة ، مما يوحي بالقول إن ما رسم لها من أهداف —سنأتي لتحديدها لاحقاً— قد تحققت فعلاً .

فبظلها صدر القانون رقم ٦٩ لسنة ١٩٧٢ : قانون تأميم شركة نفط العراق المحدودة ثم أعقبه قوانين أُخرى ذات علاقة كالقانون رقم(٢٨) لسنة ١٩٧٣ ثم القوانين الخاصة بتأميم حصة الشركات الأمريكية والهولندية والبرتغالية (كولبنكيان) من أسهم شركة نفط البصرة . ثم صدور قرارات ٧شباط ١٩٧٤ التي أتاحت فرص العمل أمام جميع المتعطلين من المثقفين وغيرهم ورفع المستوى المعاشي للجماهير وتخفيض أسعار بعض السلع الإستهلاكية الأساسية وبعض الضرائب وغيرها . ولعل النقاط التالية تمثل الأبعاد الإستراتيجية لخطة التنمية القومية :— (١)

١. دعم الإقتصاد القومي عن طريق تنمية قوى الإنتاج وتقدم انتاجيةالعمل وآستخدام كل آمكانيات التكنيك الحديث .

٢. التوسع في الإستثمار المادي والبشري .

٣. الربط بين سياستي الإستثمار والإدخار بحيث يكون التركيز على توفير المدخرات الوطنية حتى يمكن الإعتماد عليها في عملية التمويل الذاتي للتنمية .

٤. الإرتفاع بمستوى معيشة المواطنين عن طريق الربط بين سياسة الإستهلاك ومتطلبات التنمية .

٥. إحداث توعية جماهيرية هادفة عن التنمية وضروراتها حتى يمكن للجميع المساهمة الإيجابية في تحقيق الأهداف المنشودة .

٦. اعتماد مبدأ النمو المتوازن في تخطيط التنمية مما يستلزم آستغلال الموارد الزراعية والتعدينية آستغلالاً أمثل بالإضافة إلى تنمية الصناعات المختلفة بما يكفل تحقيق آقتصاد متنوع ومتطور .

(١) الوقائع العراقية : العدد ١٨٦٢ ، ص ص ١٢٥ — ١٢٦

٧. توسيع قاعدة التصدير وتنويع هيكل الصادرات الوطنية .

٨. تحديد أهداف الإنتاج والإستيراد على النحو الذي يحقق تحسين كمّي ونوعي لحياة الجماهير .

٩. الأخذ بمبدأ التركيز والتكامل في المشروعات المجتلفة .

١٠. العمل على خلق المناخ الملائم للتنمية القطرية والقومية والعالمية .

١١. دعم القطاع الخاص بما يتلائم والإمكانيات التي يمكن أن يؤدي دوره في عملية آلتنمية .

«النتائج والتوصيات»

نستخلص مما تقدم :

١. إن منطقة الخليج العربي تزخر بإمكانيات جيولوجية وجغرافية كما يؤكدها جدول رقم (٩) .فهي تحظى بنحو نصف إجمالي الإحتياطي المؤكد للنفط في العالم ، وتسهم بنحو ربع إجمالي إنتاجه السنوي . بالإضافة إلى غناها برواسب تعدينية أُخرى . كما أنها تضم نحو مليون كيلو متر مربع من الأراضي الصالحة للزراعة . (المروج والمراعي) . صحيح أن عشرها فقط مما يمكن : إخضاعه لأنماط الزراعة العلمية الحديثة بالسيطرة على المياه السطحية (العراق فقط) وإخضاعها للنظام الرأسي والأفقي في عمليات الإنتاج ، إلا أن باقي المناطق يمكن الإنتفاع منها بتوسيع عمليات آستغلال مياهها الجوفية .

أضف إلى ما تقدم ، فإن منطقة الخليج تضم نحو ٨٠٪ من الفوائض المالية لإجمالي الوطن العربي . إن المؤشرات الثلاثة أعلاه تتيح الفرصة أمام هذه المنطقة باعتماد استراتيجية تنموية عربية هادفة تحقق للخريطة العربية طموحاتها . إن الدعوة لاعتماد مثل هذه الاستراتيجية تنسجم تماماً مع الإمكانيات البشرية المحدودة لهذه المنطقة بالإضافة إلى ضروراتها القومية والإنسانية .

جـــدول رقـم (٩)

تـــوزيــع مـــوارد الثروة بـــين دول الخليـــج العربي

دول الخليـج العربي	احتياطي النفط المؤكد ١٩٧٢ مليون طن	امكانيات تعدينية أخرى	المسـاحـة كم٢	الأراضي الصالحة للزراعة(١) كم٢	عددالسكان ألف نسمة٧٣/٧٤	معدل الزيادة ٦٠/٦٩	المدخرات بليون دولار
العـــراق	٤,٨	الغاز الطبيعي الكبريت الفوسفات	٤٣٨,٤٤٦	١١٧,٦٠٠	٩,٣٥٠	٣,٥	٣
الكويت	١٠,٢	الغاز، الأملاح ، مواد أخرى	١٥,٠٠٠	٣	٦٥٧	١٠,٠	٦
السعودية	١٨,٧	الغاز/الحديد/الفوسفات	٢,١٤٩,٠٠٠	٨٠٤,٦٢٠	٧,٢٣٥	١,٧	١٩
البحريـن	٠,٠٧	الغاز/موارد بحرية	٥٨٩		٢١٢	٣,٩	
دبي		كذلك	٣,٨٨٥		٧٥		٤
أبوظبي		كذلك					٣
قطر	٠,٨	كذلك	٢٢,١٤	١٣٩	١١٠	٩,٧	
اتحاد الامارات	٣,٣	كذلك	٨٣,٦٠٠		٢٠٥	٦,٩	
إجمالي دول الخليج(٣)	٣٨,٩	الغاز /الكبريت /الحديد/ والفوسفات/الاملاح وغيرها					٣٥

(١) نقـط العرب : العدد الثاني عشر ، السنة السادسة ، سبتمبر ١٩٧٢، ص ١٦ .

(٢) نفط العرب : العدد الثاني ،السنة العاشرة ،نوفمبر ١٩٧٤، ص ١١.
ثم قارن مع نفط العرب ، أكتوبر ١٩٧٤، ص ٩ .

(٣) بلغت إجمالي المدخرات (الفوائض) المالية العربية نحو ٤٤ مليو ن دينار .

٢. على الرغم من أن عوائد النفط لدول الخليج قد بلغت حتى نهاية عام ١٩٧٣ نحو أكثر من ٨١ بليون دولار إلا أن ما أنفق منها في المجالات الإستثمارية كان محدوداً كما كشفت الدراسة عن ذلك. فلم تزد نسبة النفقات الإستثمارية عن ٥٠٪ في العراق خلال السنوات ١٩٦٩/٥١ و٣٨٪ في الكويت والسعودية خلال النصف الثاني من ستينات هذا القرن .(١) هذا ناهيك عن التخصيصات القطاعية المختلفة التي تمثلت في القطاعات الإستهلاكية والإستملاكات والقروض الأجنبية كما هو الحال بالنسبة للمملكة السعودية والكويت .

أي سوء تخطيط واستثمار عوائد النفط في معظم أقطار الخليج. فهي لم توجه الوجهة السليمة وكما ينبغي لتنمية اقتصاديات تلك الأقطار وإعمارها ، وإنما صرفت في مجالات استهلاكية متعددة (الإنفاق الإستهلاكي الحكومي) إلى جانب استنزاف بعضها في مشروعات ترفيهية أو لاغراض أخرى . بالإضافة إلى أن بعضاً من فوائض العوائد قد أودع في المصارف الأجنبية مما عرضها للهبوط المستمر في أقيامها (١٩٧٣/٦٧) نتيجة لتبعيتها للنظم النقدية لدول تلك المصارف. فقد خفض الباون الإسترليني عام ١٩٦٧ بنسبة ١٤,٣٪ كما خفض الدولار مرتين أولاهما عام ١٩٧١ وثانيتهما عام ١٩٧٣ بنسبة ٧,٦٪ و١٠٪ على التوالي .

إن الهبوط المستمر لأسعار العملات العالمية: الباون الإسترليني والدولار الأمريكي ماهو إلا محاولات جديدة للسيطرة على عوائد نفط دول الإنتاج ثانية .

ولعل المنطق يملي على دول الإنتاج هذه مسؤولية برمجة إنتاجها وتخطيطه بما يتفق وأهداف خططها التنموية ، لا أن تسرف في استنزاف

---

(١) المجلس الوطني للسلم والتضامن : الندوة العلمية العالمية للنفط من أبحاث الحلقة ١٠ ت ٢ ١٩٧٢ ، ص ٢٩ .

مواردها النفطية وتحويلها إلى عملات أجنبية تودع في مصارف دول الشركات وما يمكن أن يصيبها من أضرار مادية ملموسة ومستمرة . فالجدير بها أن تبرمج إنتاجها بما يتلاءم وأهداف خططها التنموية . فالنفط الحبيس في مكامنه يمكن أن يحقق مزيداً من المدخرات المالية نتيجة لزيادة الأسعار فخلال عام ١٩٧٤ زيدت أسعار النفط أربع مرات . هذا من ناحية ومن ناحية أُخرى أن دول الخليج لاتستهلك من إنتاجها سوى أربعة بالمائة ٤٪ فقط في حين تصدر النسبة العظمى الباقية خاماً . وهنا تكمن خسارة أُخرى كبيرة لهذه الدول . إذ أن مايضيفه طن واحد من النفط الخام من دخل لدول الخليج لايعادل سوى ثمن ما يمكن أن يضيفه لاقتصاديات دول أوربا الغربية بعد تصنيعه (١) . لما يمكن أن يقدم من فرص التشغيل والقيم المضافة الناجمة عن التكرير والتصنيع والنقل والتوزيع والإستهلاك وغيرها.

وهنا تبرز مسألة جوهرية أُخرى وهي ضرورة الإسراع بمشروعات الصناعات البتروكيماوية المزمع إنشاؤها وتخطيط غيرها من خلال ستراتيجية تنموية عربية موحدة . حتى يمكن تبديد ضباب المستقبل الذي خلفه العمر المنتظر لنفط العالم .

هذا بالإضافة إلى أن زيادة آعتماد أقطار الخليج على النفط كمورد أساسي من مورد الدخل قد حدد هيكل وبنية آقتصاديات دول الخليج بشكله الحالي. (إقتصاد أُحادي السلعة فالنفط لازال يغذي الدخل القومي لأقطار الخليج بنسب كبيرة تتراوح بين الثلث والثلثين من إجماليه وتساهم الصادرات النفطية بالمتوسط بنحو أكثر من ٩٠٪ من إجمالي قيمة الصادرات لأقطار الخليج كما أن حجم التجارة الخارجية ونسبتها إلى إجمالي الدخل القومي تظهر هي الأخرى سيطرة القطاع النفطي ٤٠٪ للعراق و ٥٤٪ للسعودية و٦٤٪

(١) نفط العرب : العدد الأول ، السنة العاشرة ، ت ١ ، ١٩٧٤ ، ص ٢٠ .
و نفط العرب : العدد ١١/السنة التاسعة/ آب ١٩٧٤ ، ص ٥-٧ .

للكويت . كما أن الموازين التجارية لأقطار الخليج تظهر آختلالاً واضحاً لصالح القطاع النفطي) .. وتبعية آقتصادية متمثلة في آرتباط آقتصاديات أقطار الخليج باستثناء العراق باقتصاديات دول الشركات النفطية الأجنبية المستغلة .
وازدواجية آقتصادية متمثلة في الجمع بين بيئتين متناقضتين الأولى بيئة حضرية متطورة هي بيئة الشركات في مدن البترول ومنشآته ، وبيئة رعوية وبدوية متخلفة هي عموم البيئة العربية للمنطقة وعليه يجب على دول الخليج أن تعيد النظر في خططها التنموية الحالية وأن تأخذ في حساباتها ستراتيجية هادفة .
تعتمد النفط وعوائده أساساً لكل تخطيط اقتصادي ناجح يعتمد قطاعات الإنتاج الأساسية حتى تحرير آقتصادياتها من سيطرة قطاعها النفطي . لاسيما وأنها باستثناء العراق تخضع لنفوذ الشركات الأجنبية المستغلة .

وهنا تبرز ضرورة تأميم شركات النفط العاملة في المنطقة والأخذ بتجربة العراق الناجحة والإستفادة من إمكانياته البشرية في هذا آلمجال ، خاصة وأن سوق النفط الآن هو سوق المنتج ، ما يمكن معه استبعاد أية مشكلات تسويقية محتملة . حتى يمكن برمجة إنتاجها وتنمية مرافقها النفطية بما يتلاءم وخطط التنمية المنتظرة . (١)

٣. كشفت الدراسة إلى أن الأبعاد الستراتيجية لخطط التنمية في العراق يمكن أن تكون نموذجاً جديراً بالتطبيق والتعميم لما تضمنته من أهداف وطنية وقومية وأنسانية سامية .
ويمكن تحقيق ذلك فيما لو تم إنشاء «مؤسسة خليجية عربية مشتركة للتنمية والتخطيط» تقع على عاتقها مسؤولية برمجة إنتاجها النفطي وتخطيط أوجه استثماراته مستفيدة بذلك من مدخرات عوائدها النفطية المتزايدة

---

(١) هنا يمكن الإشارة إلى التقرير الذي أعده معهد ستانفورد للأبحاث في الولايات الامركية لحساب السعودية الذي جاء فيه : أن كل خطط التنمية بالسعودية يمكن تمويلها بعوائد انتاج ثلاثة بلايين نفط يومياً بموجب الأسعار الحالية. هذا في الوقت الذي تتطلع فيه المملكة إلى زيادة انتاجها إلى نحو ١١ مليون برميل يومياً .
مجلة نفط العرب : العدد (٩) / السنة التاسعة / حزيران ١٩٧٤ – مقابل ص ٤٦ .

التي تقدر بنحو ٣٥ بليون دولار ، متخذة من الخريطة العربية بأسرها مسرحاً جغرافياً لتنفيذ برامجها .

صحيح أن هناك خطوات إيجابية في هذا المجال متمثلة في الصندوق الكويتي للتنمية الإقتصادية العربية (١٩٦١)(١) .. والمؤسسات التي أُنشأت بموجب آتفاقية آلتنسيق والتعاون الإقتصادي العربي ، كالمؤسسة العربية لضمان الإستثمار (٢) . والمؤسسة العربية للتنمية الإقتصادية والإجتماعية وآتفاقية آستثمار رؤوس الأموال العربية (٣) .. والصندوق العراقي للتنمية الخارجية(٤). إلا أنها لازالت دون الحد الأدنى لطموح شعبنا العربي في حجم امكانياتها وصلاحيتها وفعالية قراراتها وديناميةإنجازاتها .

إن المؤسسة الخليجية العربية المشتركة للتنمية والتخطيط يمكن أن تقوم مقام الإسمنت في بناء صرح الوحدة العربية المنتظرة من الخليج إلى المحيط . طالما لايوجد من ينكر الأهمية الاستراتيجية العظمى والمتزايدة للتكتلات الإقتصادية والسياسية في عالمنا الحاضر .

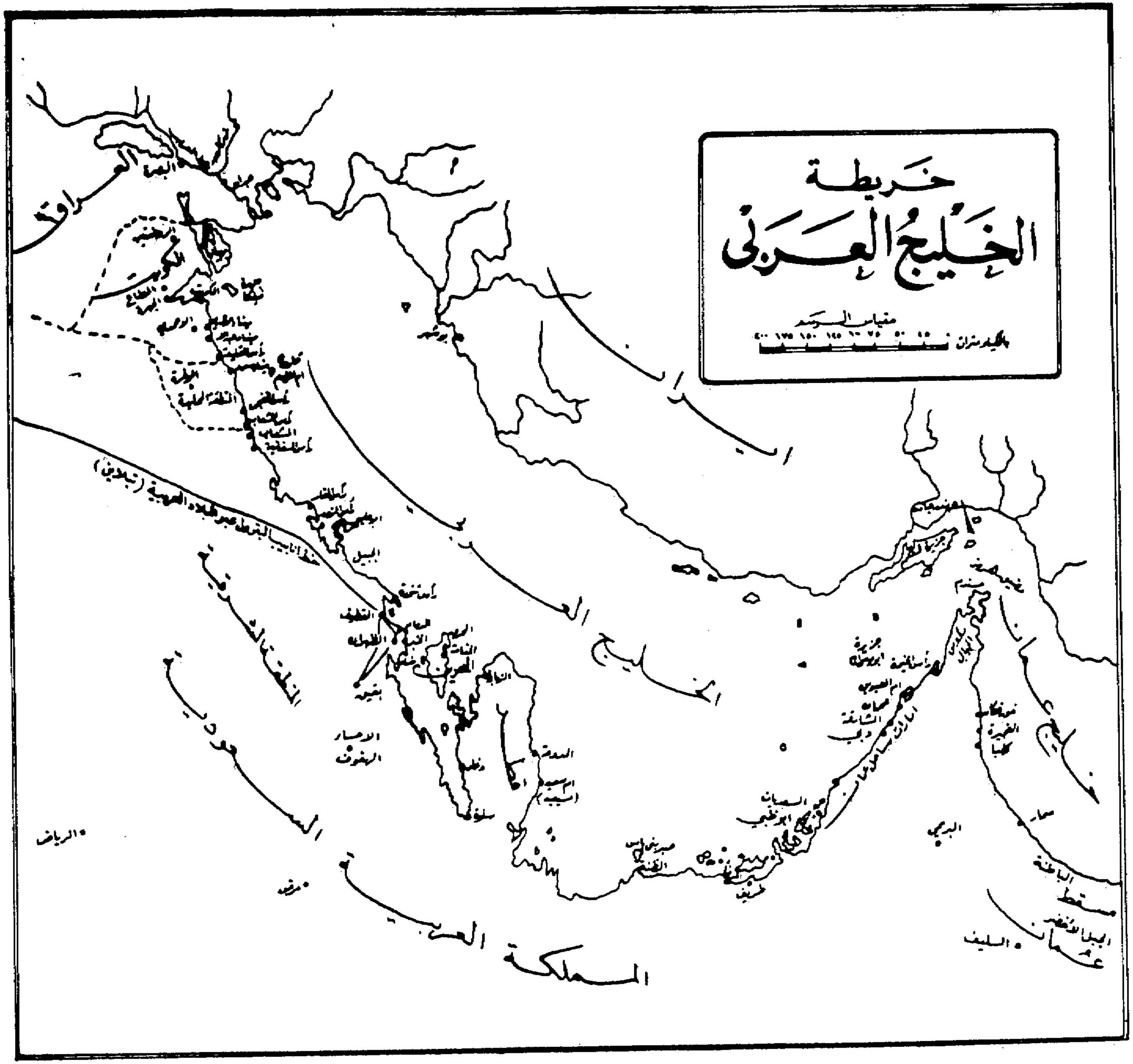
---

(١) للتفاصيل أنظر : عبد اللطيف يوسف الحمد الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ومنجزاته . نفط العرب ، عدد خاص عن الكويت ، ملحق العدد الرابع ، السنة السادسة ك٢/ ١٩٧١ ص ص ٥٨ — ٦٠ . وكذلك د. نعيم الشعار : فوائض عائدات النفط ، ومؤسسات التمويل العربية مجلة البترول المؤسسة المصرية العامة للبترول) المجلد الحادي عشر / العدد الثاني / تموز —آب ١٩٧٤ ، ص‌ص ٢٦ — ٣١.

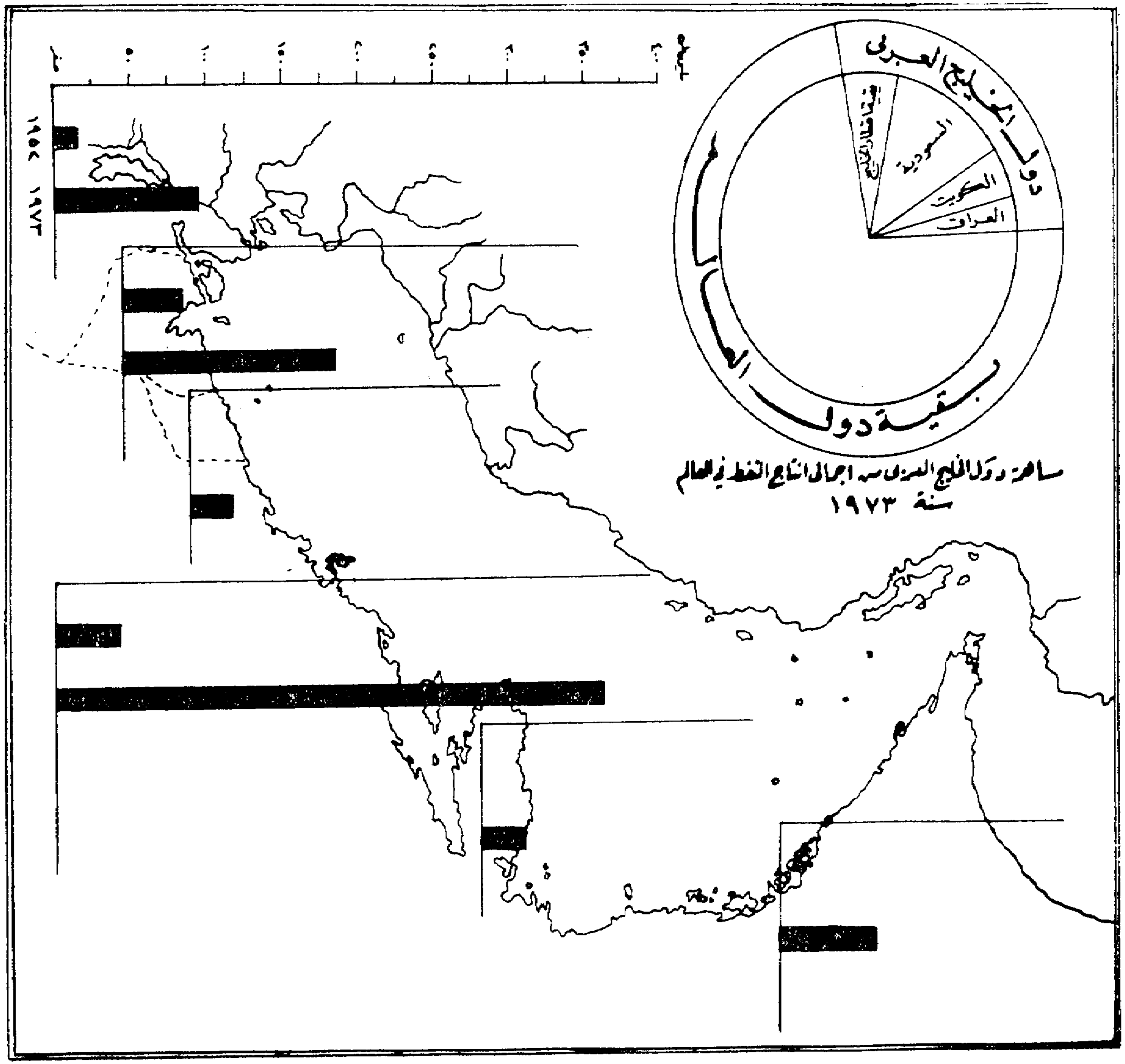
(٢) مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الامانة العامة) اتفاقية تسوية منازعات الاستثمار بين الدول المضيفة للاستثمارات العربية وبين مواطني الدول العربية : مطبوع بالرونيو ص ص ١ — ١٣ .

(٣) مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الامانة العامة) : اتفاقية استثمار رؤوس الاموال العربية وانتقالها بين البلدان العربية ، مطبوع بالرونيو ، ص ص ١ — ٣.

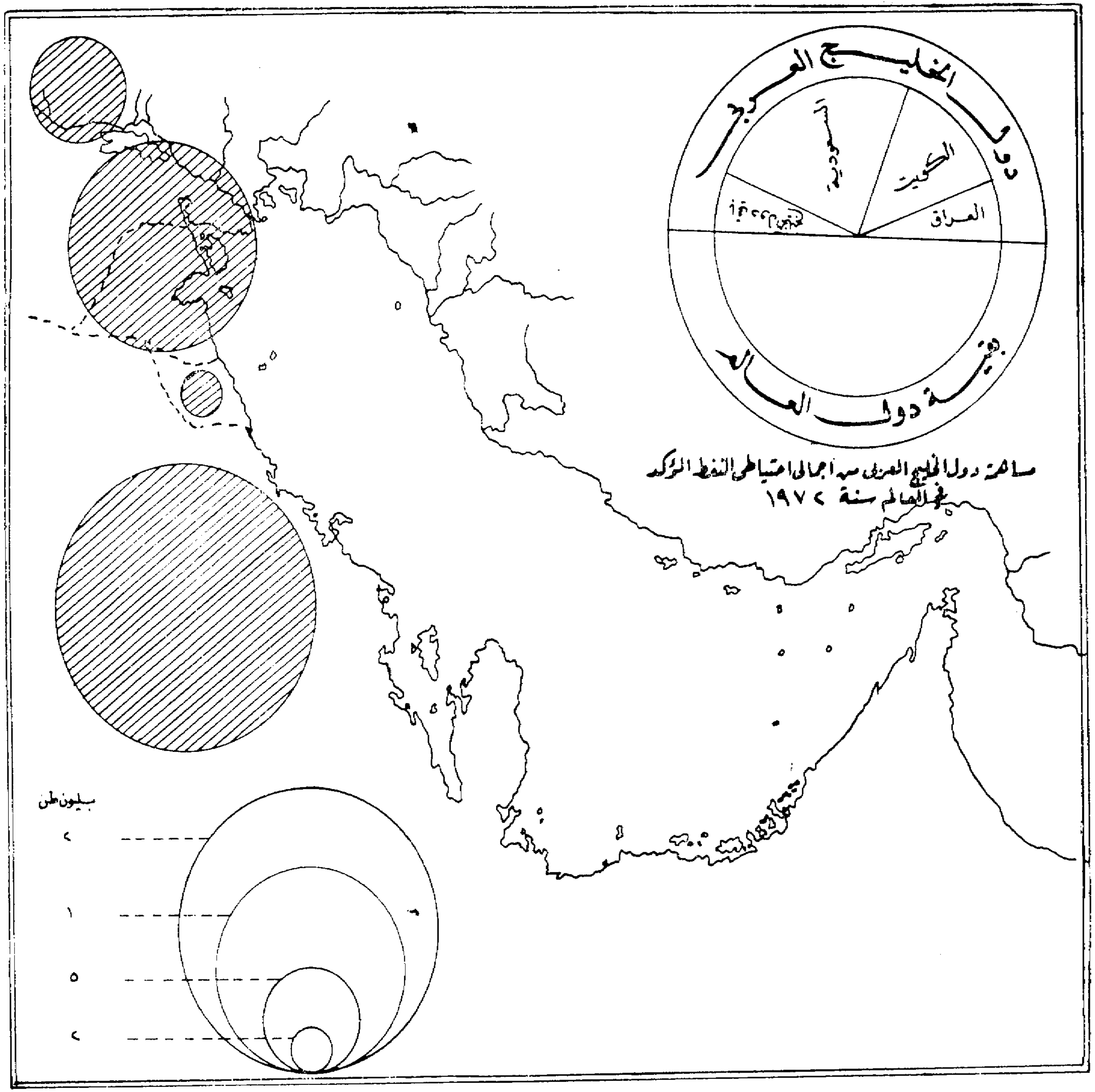
(٤) أنشيء بموجب القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٧٤ ، للتفاصيل انظر : مجلة الاقتصاد (وزارة الاقتصاد) العدد ٤٨ ، السنة الرابعة ، ت ١ ، ١٩٧٤، ص‌ص٥٣ — ٥٥.



شكل رقم (١)



شكل رقم (٢) توزيع انتاج النفط بين دول الخليج العربي عامي ١٩٥٢ و ١٩٧٣ بملايين الأطنان



مساهمة دول الخليج العربي من إجمالي احتياطي النفط المؤكد في العالم سنة ١٩٧٢

مصادر البحث

البنك المركزي العراقي : التقرير السنوي لسنة ١٩٧١ (دائرة الاحصاء والأبحاث) بغــداد ١٩٧٢ .

ايكون كيمنش : النفط كمصدر مؤقت من مصادر تمويل عملية التنمية: الندوة العلمية العالمية (النفط كسلاح) أبحاث الندوة . المجلس الوطني للسلم والتضامن ، بغداد ، تشرين الثاني ١٩٧٢ .

دولة الكويت ؛ (وزارة التجارة والصناعة) إدارة البحوث الاقتصادية والاحصاء التنمية في دولة الكويت ، نيسان ١٩٧٣ .

جان ارنست : التخطيط الاقتصادي ، مجلة الاقتصادي العراقي ،العدد الثاني السنة السادسة ، بغـداد ، تموز ١٩٦٥ .

د. جمال حمدان : بترول العرب ، دار المعرفة ط ١ ، القاهرة ١٩٦٤

د. جواد محمود هاشم : تخطيط الاقتصاد القومي في العراق .

الحكومة العراقية : قانون الأعمال العمرانية الرئيسية للسنة ١٩٣١، رقم ٨٩٧٩ لسنة ١٩٣١. مجموعة القوانين والأنظمة لسنة ١٩٣١ .

الحكومة العراقية: قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٠ والقانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٥١ والقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٥١ والقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٥٢.

الحكومة العراقية: (مجلس الاعمار): المنهاج العام لمشاريع مجلس الاعمار للسنوات ٥١—١٩٥٦ و ٥٥ — ١٩٥٩ والتعديل ٥٦ — ١٩٦١.

عبداللطيف يوسف الحمد: الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ومنجزاته نفط العرب، عدد خاص — ملحق العدد الرابع ، السنة السادسة، كانون الثاني ١٩٧١ .

لورد سولتر : إعمار العراق (خطة العمل) بغـداد ١٩٥٦ .

مديرية الحسابات العامة : التقرير السنوي عن حسابات الدولة العراقية ١٩٣٦

مجلة الاقتصاد : (وزارة الاقتصاد) العدد ٤٨ ، السنة الرابعة ،تشرين الأول ١٩٧٤ .

مجلة عالم الاقتصاد : العدد الثالث ، السنة الأولى ،بغداد، مايس ١٩٦٨.
مجلة نفط العرب (مكتب عبد الله الطريقي للاستشارات البترولية)

	العدد السادس	آذار	١٩٧١
و	العدد الثاني عشر	أيلول	١٩٧٢
و	العدد التاسع	حزيران	١٩٧٤
و	العدد العاشر	تموز	١٩٧٤
و	العدد الحادي عشر	آب	١٩٧٤
و	العدد الاول	تشرين الاول	١٩٧٤
و	العدد الثاني	تشرين الثاني	١٩٧٤

مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الأمانة العامة) : اتفاقية تسوية منازعات الاستثمار بين الدول المضيفة للاستثمارات العربية وبين مواطني الدول العربية (مطبوع بالرونيو) .
مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الأمانة العامة) :اتفاقية استثمار رؤوس الأموال العربية وانتقالها بين البلدان العربية (بالرونيو).
المملكة العربية السعودية ؛(مركز الأبحاث والتنمية الصناعية) التركيب الصناعي من الناحيتين الفنية والاقتصادية واحتمالات النمو في المملكة العربية السعودية ج ١ و٢ ، الرياض شباط ١٩٧٣.
المؤسسة المصرية العامة للبترول: مجلة البترول ، المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني ، تموز ١٩٧٤.
د.نعيم الشعار: فوائض عائدات النفط ومؤسسات التمويل العربية ،مجلة البترول المصرية ، المجلد الحادي عشر ، تموز – آب ١٩٧٤.
وزارة الاعلام، مديرية الاعلام العامة: المعالم الأساسية لخطة التنمية القومية للسنوات ٧٠ – ١٩٧٤في العراق ،المؤسسة العامة للصحافة والطباعة بغداد ١٩٧٠.
وزارة التخطيط : (الدائرة الاقتصادية) التقرير السنوي عن متابعة تنفيذ الخطة الاقتصادية الخمسية للسنة المالية ٦٨ – ٦٩ آذار ١٩٧١

الوقائع العراقية: قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٣٦، العدد ١٥٠٠، ٣١ آذار ١٩٣٦
الوقائع العراقية : العدد ١٨١، السنة الثانية ، رقم ١٨١ لسنة ١٩٥٩، قانون الخطة الاقتصادية المؤقتة .
الوقائع العراقية : العدد ٥٩٢، السنة الرابعة، رقم ٧٠ لسنة ١٩٦١، قانون الخطة الاقتصادية التفصيلية .
الوقائع العراقية : رقم ٨٧ لسنة ١٩٦٥ للسنوات ٦٥ — ١٩٦٩، العدد ١١٣٥، السنة السابعة ،تموز ١٩٦٥.
الوقائع العراقية : العدد ٤٩٤، قانون تعديل الخطة الاقتصادية المؤقتة، السنة الثالثة ، ٧ آذار ١٩٦١.
الوقائع العراقية : اتفاقية شرق البحر المتوسط ، العدد ٢٠٠٨، ٨ حزيران ١٩٧١.
الوقائع العراقية: رقم ٧٠ : قانون خطة التنمية القومية للسنوات ٧٠ — ٧٤ العدد ١٨٦٢، السنة الثانية عشر ، ١ نيسان ١٩٧٠.
(المذكرة التفسيرية) .

Adelman, M. A. " Oil Production Costs in Four, Aıeas, " Reprinted from the Proceedings of the Council of Economics ; February 28 March 1966 .

International Bank of Reconstruction and Development : " The Economic Development of Iraq , " Baltimote 1952 .

Little, A. D. : " A plan for Industrail Development in Iraq ; Cambridge , Massachasetts , May 1956 .

Middle East Economic Survey , September 8, 1972 .

Middle East Economic Dygest No. 10. May 1972 .

Murray , J : “ The Economic Impact of Oil on the Arab Middle East , ” Bournemouth .

United Nations : “ Statistical Yearbook 1973 , ” New York 1974 .

Wrigley , E. A. : “ Industrial Growth and Population Change , ” Cambridge 1962 .

الدكتور محمد ازهر السماك

مدرس – كلية الاداب

جامعة الموصل

بحث القي في الندوة العلمية العالمية الاولى لمركز دراسات الخليج العربي التي عقدت خلال الفترة ٢٩ / ٣١ آذار ١٩٧٥ . في البصرة .

المسكوكات الفضية العباسية في مركز البحوث الآثارية والحضارية لجامعة الموصل

عبد الواحد الرمضاني

مقدمة

تضم مجموعة البحوث الآثارية والحضارية لجامعة الموصل مجموعة كبيرة من النقود الفضية والنحاسية (غير المدروسة) لمختلف العهود الأسلامية ،ويحوي هذا البحث دراسة تحليلية دقيقة للمسكوكات الفضية العباسية التي تحتويها هذه المجموعة ممهداً لها بدراسة للسكة المعدنية وتطورها منذ مختلف العصور وحتى الفترة الزمنية للنقود موضوعة البحث .

ولقد كان التطور الزمني لمسار السكة الفضية العباسية (موضوعة البحث) هو الأساس الذي ارتكزت عليه في طريقة بحثي لها ، فقد تضمن دراسة نصوص كتاباتها وأماكن ضربها وأسماء خلفائها وألقابهم وسني حكمهم وكذلك زخرفتها ونقوشها ،كما تضمن وزن وقياس أقطار جميع هذه القطع النقدية ،فضلاً عن تخطيطات دقيقة لكل الزخارف والنقوش التي وردت على هذه النقود ،وأوضحت هذا كله في جدول زمني يحوي أرقامها في مركز البحوث وأقطارها وأوزانها وسني ضربها ومكانه وكذلك أسماء الخلفاء العباسيين الذين قاموا بسكها .

وأتبعته أخيراً بنماذج واضحة المعالم من صور السكة المدروسة في هذاالبحث

السكة : تعدد تعريف المؤرخين للسكة ،فدارت جميع هذه التعريفات حول النقود المختلفة التي تداولتها الشعوب الاسلامية من فلوس نحاسية أو دراهم فضية أو دنانير ذهب .

وفي معنى من هذه المعاني قصد بالسكة : تلك النقوش التي تزين النقود وفي معنى آخر : قوالب السكة التي تختم محل العملة المتداولة ،أو وظيفة السك نفسها التي كان يجب أن تقوم تحت اشراف الدولة .

أما المعنى الأكثر شيوعاً فهو اطلاق (السكة) على النقود العربية التي تضرب في مختلف دور السك والتي أصبحت فيما بعد وسيلة التعامل الرئيسة بين مختلف الشعوب الاسلامية (١) .

إن السكة لاتقتصر على المعادن فقط في أمم العالم القديم بل أن السلع النقدية كانت تفرضها ظروف معينة في بلد معين وبذا اختلفت السلع بين الشعوب فكانت في بلاد مادة استهلاكية كالارز والشاي وفي بلاد آخرى عبيداً أو خيولاً أو جلود ،كما استعمل المحار كذلك في الصين كوسيلة رسمية للتبادل حتى القرن الرابع ق . م واستعمل الثور في اليونان كذلك كوسيلة للتبادل ، ويذكر هوميروس أن بعض الأسلحة كانت تساوي تسعة ثيران وبعضها مائة والجارية قدرت بأربعة ثيران .

والحق أنه ليس هناك أي حرج في هذا مادامت النقود وسيلة للمبادلة

---

(١) آبن خلدون / المقدمة ،أعادت طبعه مكتبة المثنى في بغداد ص ١٨٢ – ١٨٣.
أنظر : د. عبد الرحمن فهمي / فجر السكة العربية (مطبعة دار الكتب بمصر) سنة ١٩٦٥ ص ٢٧ . النقود العربية ما ضيها وحاضرها من سلسلة المكتبة الثقافية رقم (١٠٣) ١٥ فبراير سنة ١٩٦٤ ص ٨ .
وأنظر د. باقر الحسيني / العملة الاسلا مية في العهد الأتابكي (مطبعة دار الجاحظ) بغداد سنة ١٩٦٦ ص ١٤، تطور النقود العربية الاسلا مية(مطبعة دار الجاحظ) بغداد سنة ١٩٦٩ ص ١٢ .

يرتضيها الناس في معاملاتهم تحقيقاً للمنافع (١) .

ولم يكن للعرب في جاهليتهم سكة يختصون بها ويتداولونها دون غيرهم من الشعوب المجاورة ،بل كانت نقود الدولتين الساسانية والبيزنطية قد استعملت كوسيلة للتبادل في معاملاتهم التجارية(٢)فلقدكان لقريش رحلة تجارية في الشتاء إلى بلاد اليمن ورحلة أُخرى في الصيف إلى الشام (٣) كما كانت لهم رحلات أُخرى إلى بلاد العراق .وكان رجال هذه القوافل يستصحبون معهم الدنانير الذهبية البيزنطية والدراهم الفضية الساسانية وكذلك الفلوس الحميرية بكمية قليلة (٤) .

وحين بعث الرسول العظيم في هذه الامة أَقر تداول السكة واستمرار التعامل بها ،بل تعامل نفسه بها وكذلك أَهل بيته (٥) وأَصحابه كما استلم منها الهدايا وأَمر أَن تسلم بها الزكاة التي هي ركن من أَركان الدين الجديد، فجعل في كل خمس أَواقي من الفضة الخالصة التي لم تغش خمسة دراهم وفرض في كل عشرين ديناراً ،نصف دينار (٦) .

وقد كانت قريش تزن الذهب بوزن أسمته ديناراً وتزن الفضة بوزن معين أَيضاً أَسمته درهماً وكانت كل عشرة أَوزان الدرهم سبعة أَوزان الدنانير

(١) د .عبد الرحمن فهمي /النقود العربية/ ص١٣ .

(٢) البلاذرى – /فتوح البلدان (نشر الاب انستاس الكرملي في كتابة النقود العربية وعلم النميات الجزء الخاص بالنقود من كتاب البلاذرى (ليدن ١٨٦٦) .
وانظر إلى كتاب الكرملي القاهرة ١٩٣٩ م ص١٠ (ويشير إلى ورود دنانير ذهبية بيزنطية إلى أهل مكة) عبد الرحمن فهمي فجر السكة العربية /ص٢٨ – ٢٩

(٣) القران الكريم سورة قريش أية ١، ٢

(٤) يوسف غنيمة/النقود العباسية – مجلةسومر م ٩ج١ – ١٩٥٣ص٩٨

(٥) ابن سلام / كتاب الاموال صححه محمد حامد الفقي القاهرة ١٣٥٣ هـ ص٥٢٥ (روى علي بن ابي طالب انه قال زوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها السلام على اربعمائة وثمانين درهماً وزن ستة(دوانيق) .

(٦) المقريزى – نشر الاب انستاس الكرملي في كتابه (النقود العربية وعلم النميات) الجزء الخاص بالنقود من كتاب المقريزى (النقود القديمة الاسلامية) القاهرة ١٩٣٩ م ص٣٠.

أي أن وزن الدرهم $\frac{٧}{١٠}$ من وزن الدينار كما أن الشعيرة $\frac{١}{٦٠}$ من وزن الدرهم(١).

وكان الدينار البيزنطي الذهبي الذي تداوله المسلمون في فجر الاسلام قد تعومل به في بلاده الأصلية (الدولة البيزنطية)وبلاد العرب على أساس وزنه الذي هو ٤ر٢٥ غم أي مثقالاً ،وبهذا أصبح المثقال من الذهب يساوي ديناراً (٢)

وللدرهم الفارسي الفضي شكل قرصي مستدير صور على وجهه الأول الجزء العلوي من صورة كسرى فارس يعتمر تاجاً وهو بشكل جانبي Proffil ،أما الوجه الثاني من الدرهم فصور عليه معبد نارساساني ،يقوم حارسان مدججان بالسلاح على حراسته ،كما حوت هذه السكة كتابات بهلوية تذكر اسم الملك الذي ضربها مع دعاء لاسرته ويلاحظ كذلك ثمة زخرفة تشتمل على نجمة يحتضنها هلال وهي في الهامش الخارجي للدرهم وهذه الزخرفة ترمز إلى الرفاه عند الشرقيين عددها بين ٣ ــ ٤ (٣)

اما الدينار البيزنطي فكان قرصاً ذهبيا مستديراً أقل قطراً من الدرهم الساساني صور على أحد وجهيه الامبراطور البيزنطي الذي أمر بسكه .وفي فجر الاسلام كانت الصورة لهرقل وحده أو مع ولديه هرقليوناس وقسطنطين وقد قبض كل منهم على صليب طويل وتوج كل منهما بصليب آخر .

أما الوجه الثاني من السكة فكان عليه صليب قائم على أربعة مدارج يحيطها عبارات من الدعاء تشير إلى مكان ضرب الدينار مكتوبة بالأحرف اللاتينية

---

(١) الكرملي ص ١١

(٢) يوسف غنيمة / النقود العباسية / ص ١٠٠ .

والدينار كلمة رومية من Denarins قيمتها عشر اساتوالأس في الأصل من النقود النحاسية .

والدرهم تعريب (درم) الفارسية ومنها (دراخمي) اليونانية التي اصبحت (درخما) بالسريانية وهو وحدة من النقود الفضية .

يوسف غنيمة / النقود العباسية / ص ١١٥

(٣) عبدالرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها / ص ١٤

واليونانية (١) .

واستعمل العرب كذلك الفلس البرونزي الذي كان أيضاً قرصاً مستديراً على أحد وجهيه صورة للامبراطور واقفاً متوجاً يعلوه صليب وبيده اليمنى عصا المطرانية وباليسرى كرة ،ويعلو كل منهما صليب أيضاً وهو الشارة المسيحية المقدسة ،أما الوجه الثاني فعليه رمز نقدي حرف (M) أي رقم (٤٠) في اليونانية ويعني أن القطعة تساوي (٤٠) نميا (٢) .

وحين جاء الخليفة أبو بكر ومن بعده الخلفاء الراشدون بقيت السكة الذهبية والفضية والنحاسية ذات الصور الآدمية والكتابات البهلوية واليونانية جارية ومتداولة بين الصحابة والمسلمين،فأقروا السكة بما فيها وما عليها(٣)،

كما أمر عمر بأخذ الجزية من شعوب البلاد المفتوحة بالسكة المتداولة فأُخذت بالدراهم على أهل الفضة وبالدنانير على أهل الذهب (٤) كما زاد سنة ١٨هـ بأن أمرَ بضرب (الدراهم على نقش الكسروية وشكلها وكذا فعل عثمان ومعاوية) (٥) بعده وأضاف على الدراهم عبارة (الحمد لله) وفي بعضها (محمد رسول الله) وفي بعضها الآخر (لا اله الا الله وحده) ، أما عثمان فقد نقش على الدراهم عبارة التكبير (الله أكبر) (٦) .

---

(١) ناصر النقشبندي / الدينار الإسلامي في المتحف العراقي (بغداد ١٩٥٣ ص١١)
باقر الحسيني / العملة الإسلامية في العهد الأتابكي / ص ١٥ .
عبدالرحمن فهمي / الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الإسلامية (مقالة في كتاب المؤتمر الثالث .للآثار في البلاد العربية المنعقدة في مدينة فاس سنة ١٩٥٩) ص ٣٣٨ لوحة ١، ٢ .

(٢) عبدالرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ٢٧ .

(٣) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة العربية / ص ٣٠ — ٣١ .

(٤) ابن عبد الحكم / فتوح مصر وأخبارها طبعة هنرى ماسية القاهرة / ١٩١٤ ص ١٥٢.

(٥) المقريزي — المصدر السابق — ص ٣١ — ٣٢
Walker. Arab Sassanian Coins London 1941 PP,3,5

(٦) عبدالرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها / ص ٢٥ .

ولقد بدأ الطراز النقدي الجديد يوطد نفسه كلما وطد المنتصرون أنفسهم في البلاد الجديدة كما ظهرت كلمات مضافة بحروف عربية مثل كلمة (جايز) و (طيب) (١) .

وفي زمن معاوية بن أبي سفيان ٤١ — ٦٠هـ (٦٦١ — ٦٨٠م) ضربت دنانير ذهبية نقشت عليها صورته متقلداً سيفاً ، ويشير المقريزي إلى أن بعضاً منها وقع بين يدي شيخ من الجند فقال للخليفة (يامعاوية إنا وجدنا ضربك شرّ ضرب) (٢)

ومع هذا فإن هذه الدنانير لم يعثر عليها حتى الآن (٣) وقد يكون السبب صهرها زمن عبدالملك ابن مروان عند اصلاحه السكة أو عدم وجودها أساساً لأن ظهورها في هذه الفترة قد يكون سبباً لصراع بين الأمويين والبيزنطيين كما سيحدث زمن عبدالملك بن مروان ، ولقد قام معاوية أيضاً بضرب فلوس برونزية حملت دار ضربها (ايليا) بفلسطين وصور عليها صورته مفروق الشعر يحمل السيف بيُمناه ، كما قام بضرب الدراهم الفضية وزن كل عشرة دراهم منها سبعة مثاقيل (٤) .

إلا أن أهم الاصلاحات التي طرأت على النقود الاسلامية كانت زمن الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان ٦٥ — ٨٦هـ (٦٨٥ — ٧٠٥م) فلقد تولى الخليفة الأموي الحكم في فترة مضطربة جداً من حياة الدولة الاسلامية كان فيها عبدالله بن الزبير وأخوه مصعب قد ثارا في الحجاز والعراق على التوالي ، فقام الخليفة الجديد بضرب الحركات المناهضة لسلطاته فقتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ وأخاه عبدالله سنة ٧٣هـ وبذلك أحكم سيطرته على الدولة الاسلامية .

---

(١) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة / ص ٣٦ .

(٢) مقريزي المصدر السابق ص ٣٣ .

(٣) يلاحظ عدم وجود أي دينار من دنانير معاوية في اي كتلوك منشور للنقود فضلا عن المجموعات الشخصية المنشورة .

(٤) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة / ص ٣٧ .

وقد إلتفت عبدالملك بن مروان نحو توحيد الأمة الاسلامية وصبغها بصبغة عربية في كافة المجالات الادارية والمالية ، وبدأ بضرب أول نقود عربية صرفة سنة ٧٧هـ كضرورة من ضرورات الاستقرار الاقتصادي والاداري والسياسي في الاصلاح الجديد(١).

إن الإصلاحات النقدية التي قام بها الخليفة عبدالملك بن مروان جاءت على مراحل متعددة وبصورة تدريجية (٢) ، إلا أنها انتهت أخيراً في سنة ٧٧هـ بتعريب كامل للدينار الاسلامي حيث احتلت الكتابات العربية وجهي الدينار العربي واختفت الدنانير المصورة ، وأصبحت الدنانير الجديدة على الشكل التالي :

الوجه

المركز : لا اله الا
الله وحده
لاشريك له

الهامش :
محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله

الظهر :

المركز : الله أحد الله
الصمد لم يلد
ولم يولد

الهامش :
بسم الله ضرب هذا الدينر سنة (سبع وسبعين)

ولقد حصل تغيير بسيط في كتابة الدنانير في أقاليم شمال أفريقيا والأندلس

(١) عبدالرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها / ص ٣٤ .
(٢) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة العربية / ص ٤٣ .

على الشكل التالي :

الوجه

المركز : لا اله إ
لا الله
وحده

الهامش :
محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق

الظهر :

المركز : بسم الله
الرحمن
الرحيم

الهامش :
(بدون بسملة) ضرب هذا الدينر سنة (سبع وسبعين)

كما ظهرت أجزاء للدنانير مثل النصف والثلث .

أما الدراهم الاسلامية فقد عربت سنة ٧٩هـ وما بعدها وكانت تحمل النصوص الكتابية للدنانير الشرقية مع تكملة النص القرآني من سورة الاخلاص إلى (أحد) على مركز وجه الدرهم وآكملت عبارة الهامش إلى (ولو كره المشركون) وذلك لاتساع قطر الدرهم الفضي عن قطر الدينار الذهبي .

وأما الفلس البرونزي الذي كان عملة مساعدة لرواج العمليات التجارية فقد تم تعريبه وحمل شهادة التوحيد والرسالة المحمدية وأقدم هذه الفلوس يرجع إلى سنة ٩٠هـ (١) .

وبانتهاء عبدالملك بن مروان من هذه الصيغة الجديدة لسك العملة العربية

(١) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة العربية / ص — ٤٩ — ٥٠ — ٥١ .

بدأ عهد من الاستقرار المالي للدولة وأصبحت السكة إسلامية عربية صرفة مستقلة بذاتها مع احتمال حصول بعض التغيير في وزن السكة وخاصة للدنانير التي كان يحقق وزنها بصنج الزجاج (١) المخصصة لهذا الغرض .

وقد بقيت السكة الإسلامية تضرب بالطريقة هذه مع الإختلاف الحاصل عادة في سني الضرب طيلة عهد الأمويين .

وبعد مجيء العباسين إلى الحكم سنة ١٣٢هـ (٧٥٠)م أُبقي على الصيغ المكتوبة على السكة الإسلامية الذهبية فيما عدا مركز الوجه الذي تغيّر من سورة الإخلاص (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد) إلى (محمد رسول الله)(٢) زمن الخليفة العباسي السفاح وكذا المنصور ١٣٦ ــ ١٥٨هـ (٧٥٤ ــ ٧٧٥)م وابنه المهدي ١٥٨ ــ ١٦٩ (٧٧٥ ــ ٧٨٥)م والخليفة الهادي من بعده ١٦٩ ــ ١٧٠هـ (٧٨٥ ــ ٧٨٦)م(٣) . إلا أنه بمجيء الخليفة هارون الرشيد ١٧٠ ــ ١٩٣هـ (٧٨٦ ــ ٨٠٨)م حصل تغيير رئيس في سك النقود وذلك بأن أمر بكتابة اسمه واسم ابنه على الدنانير ، كما أمر بأن يتولى وزراؤه وولاته وعمال ماله الإشراف على السكة دونه وذلك بعد أن كان الخلفاء من قبل يتولون الإشراف مباشرة على عيار الدنانير والدراهم (٤) .

وقد حصل تطور هام في زمن الخليفة المأمون ١٩٨ ــ ٢١٨هـ (٨١٣ ــ ٨٣٣)م وذلك في السنة التاسعة لحكمه سنة ٢٠٧هـ حيث أضاف الخليفة إلى السكة بعض الآيات القرآنية على وجه الدينار في هامش ثان نصه (لله الأمر من قبل

---

(١) الصنج الزجاجية : هي قطع زجاجية تستعمل للتحقق من الوزن صنعت زمن الخليفة عبد الملك بن مروان .
انظر عبدالرحمن فهمي / صبخ السكة في فجر الأسلام / مطبعة دار الكتب المصرية / سنة ١٩٥٧ ص ٢ .

(٢) باقر الحسيني / العملة الأتابكية / ص ٢٠ ــ ٢١ .

(٣) ستانلي لين بول / طبقات سلاطين الاسلام / ترجمة عباس إقبال ومكي طاهر الكعبي / دار منشورات البصري سنة ١٩٦٨ ص ٢٢ .

(٤) باقر الحسيني / العملة الأتابكية / ص ٢١ .

ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) كما أُضيفت البسملة كاملة على عبارة الضرب وأصبح نصها (بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا آلدينار سنة

أما ظهر الدينار فقد أُضيفت إليه عبارات أُخرى فأصبح نصها : (محمد رسول الله أَرسلَهُ بالهدى ودين الحقِ ليُظْهِرَهُ على آلدينِ كُلِه ولو كَرِهَ المُشرِكون) .

ويلاحظ أن الدراهم العباسية كانت قد سبقت الدنانير الذهبية في تسجيل أسماء الخلفاء عليها وذلك ضمن آلكتابات الواردة في نصوصها وذلك منذ زمن الخليفة المهدي ١٥٨ — ١٦٩ هـ كما يلاحظ في المسكوكات العباسية الفضية التي هي مادة هذا آلبحث وهي مضروبة بالعراق .

ويلاحظ كذلك أن النقود العباسية الفضية (الدراهم) المضروبة بمصر نادرة جداً سواء كانت زمن المهدي أو غيره من الخلفاء العباسين حيث لايوجد أياً منها حتى الآن بين أيدي آلباحثين عدا أعداد قليلة من الدراهم منذ سنة ١٨١هـ زمن الخليفة هارون الرشيد ، أحدها في مجموعة المكتبة الأهلية بباريس (٢) .

الخليفة المنصور (٣) ١٣٦ — ١٥٨ (٧٥٤ — ٧٧٥م)

وفي زمن المنصور نقص أوزن الدراهم الفضية ثلاث حبات فصار الدرهم

(١) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة / ص ٩٨ — ٩٩ .

(٢) يوجد درهم بالمتحف البريطاني ضرب مصر سنة ١٨٢ هـ .

Lane- pode : Catalogue of oriental coins in the Britsh Museum (London 1875) VOL. T . P . 83 no-227

انظر عبدالرحمن فهمي / فجر السكة / ص ١٠١ .

(٣) يعتبر الخليفة المنصور من أهم الخلفاء العباسيين الذين حكموا في الدولة العباسية ، وكانت فترة حكمه التي استمرت نحواً من اثنتين وعشرين سنة فترة ازدهار للدولة العباسية وقد بنى عاصمة هذه الدولة في بغداد سنة ١٤٥هـ وأضفى على نظام ادارته المركزية كما ركز جميع السلطات بيده بعد أن قضى على خصوم الدولة كعمه عبدالله بن علي وابي مسلم الخرساني .

وقد توفي المنصور تاركاً الملك لإبنه وولي عهده المهدي .

انظر الطبري /تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر ١٩٦٦ جـ٧ ص ٤٧١ — ٦١٤ .

ثلاثة ارباع القيراط (١)

الخليفة المهدي (٢) ١٥٨ – ١٦٩هـ (٧٧٥ – ٧٨٥م)

وقد كان المهدي أول من ذُكِر اسمه من الخلفاء على النقود (٣) كما ذُكر اسم ولديه هارون الرشيد وموسى الهادي فضلاً عن ولاته في الأقاليم المختلفة (٤) .

الخليفة المعتضد بالله (٥) ٢٧٩ – ٢٨٩هـ (٨٩٢ – ٩٠٢م)

وفي هذا البحث مسكوكة فضية للخليفة المعتضد ضربت سنة ٢٨٥هـ في مدينة السلام (٦) .

---

(١) يوسف غنيمة / النقود العباسية ص ١٠٨
وكان المثقال = ٢٢–٢٠ قيراط
كل عشرة دراهم =٧ مثاقيل
الدرهم = ١٤ قيراط
الوقية =٤٠ درهم
الرطل =١٢ وقية
انظر الكرملي / ص ١٠ – ١١

(٢) جاء المهدي بعد أبيه المنصور وقد حكم احدى عشرة سنة لم تتخللها حروب أو فتن اخلية وقد اهتم بالفنون والعمارة واصطبغ تاريخ عاصمته بغداد بمظاهر الترف والأبهة .
د. علي ابراهيم حسن / التاريخ الاسلامي العام / مكتبة النهضة المصرية / سنة ١٩٧٢ ص ٣٦٧ – ٣٦٨

(٣) يوسف غنيمة / نفس المصدر السابق / ص ١٠٨

(٤) وداد القزاز / الدرهم العباسي / سومر مجلد ٢٠ جـ١ ، ٢ ، سنة ١٩٦٤ص ٢٥٩ .

(٥) جاء بعد الخليفة المعتمد وهما من خلفاء العصر العباسي الثاني الذي امتد أكثر من أربعة قرون كان فيها الخلفاء تحت سيطرة الأتراك والبويهيين ثم السلاجقة وقد تميز عصر المعتضد بخروج عمر ابن الليث واستيلائه على الكثير من بلاد فارس كما قصد بغداد نفسها الا أنه هزم ورد على اعقابه.
انظر : د. علي ابراهيم حسن / التاريخ الاسلامي العام/ ص ٤٢٤ – ٤٢٥ .
وانظر : حسن ابراهيم حسن / تاريخ الاسلام السياسي ٣ أجزاء القاهرة سنة ١٩٤٥ – ١٩٤٨ جـ٣ ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٦) انظر مسكوكة المعتضد بالله بالبحث رقم ٣٨ مس وانظر شكل رقم ١١ .

الخليفة المقتدر بالله (١) ٢٩٥ – ٣٢٠هـ (٩٠٨ – ٩٣٢م)

وفي هذا البحث مسكوكة فضية له ضربت بمدينة الموصل (٢)

لقب الخليفة

وهو لقب لرئيس الدولة لُقب به أول مرة أبو بكر الصديق كخليفة لرسول الله ثم آستمر الخلفاء يلقبون أنفسهم به حتى مجيء الخليفة العباسي المأمون حيث لقب نفسه بخليفة الله (٣) .

مدن الضرب :

أما مدن الضرب التي ضُربت فيها هذه المجموعة من النقود فهي : مدينة الموصل (٤) ومدينة السلام (٥) ومدينة الكوفة(٦) .

(١) جاء بعد الخليفة المكتفي وكان من أضعف خلفاء الدولة العباسية فقد استولت النساء عليه وخاصة أمه حيث أصبحت تعالج أمور الدولة وتديرها وخلا بيت المال من الأموال واختلفت أمور المسلمين في عهده ثم خلع واعيد ثم قتل سنة ٣٢٠ هـ .
ابن طباطبا/ الفخري في الأداب السلطانية والدول الاسلامية / دار صادر – بيروت سنة ١٩٦٦ . ص٢٦٤

(٢) انظر مسكوكة المقتدر بالله بالبحث رقم ٣٩ مس وانظر شكل رقم ١٢

(٣) حسن إبرهيم حسن / علي إبراهيم حسن / النظم الإسلامية / طبعة القاهرة سنة ١٩٣٩ ص٢٢

(٤) سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق او لأنها وصلت بين سنجار وآلحديثة وقيل بل الملك الذي احدثها كان يسمى الموصل ، وهي مدينة قديمة تقع على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى ... وقال اهل السير إن اول من إستحدث الموصل راوند بن بيو راسف الأزدهاق ، وقال حمزة آلأصفهاني : كان اسم الموصل في ايام الفرس نورا ردشير انظر : ياقوت الحموي / معجم البلدان / دار صادر للطباعة والنشر طبعة بيروت سنة ١٩٥٧ مجلد ٥ص ٢٢٣ .

(٥) بدأ ببناء مدينة السلام الخليفة المنصور سنة ١٤٥ هـ في موضع صالح للملكه وسميت العاصمة الجديدة (بغداد) و (المدينة المدورة) وقد اشرف بنفسه على مالية البناء المخصصة لبنائها وقد صرف عليها نحو تسعة ملايين من الدنانير حيث حاكت في عظمتها وجلالها القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية وقد قسمت قسمين الكرخ وهو الجانب الغربي والرصافة وهو الشرقي وقد بنى الرشيد فيما بعد قصراً له فيها سماه الرصافة .
انظر : الطبري / نفس المصدر / جـ٧ ص ٦١٤ .
علي إبراهيم حسن / التاريخ الإسلامي العام / ص ٣٥٨ .
ابو الفدا / تقويم البلدان / طبعة باريس سنة ١٨٣٠م ص ٣٠٣ .

(٦) سميت كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل اي تجمع . مصرت زمن الخليفة عمر=

الرموز والزخارف على المسكوكات الفضية العباسية :

يلاحظ على السكة الفضية العباسية بعض الرموز الكتابية والحروف المقطعة التي لها دلالة على صحة الوزن والجودة ولقد كان هذا سارياً زمن الأمويين قبلهم وحين جاء العباسيون أبقوا عليها آلتزاماً منهم أمام الأمة بالتأكيد على صحة عيار السكة ، ولقد كان المنصور أول خليفة عباسي آستعمل هذه الألفاظ على سكته الفضية التي ضربها عام ١٤٨هـ بمدينة السلام (١) وكذلك السكة التي ضربها بمدينة السلام أيضاً سنة ١٥٥ هـ حيث نقش عليها (بخ بخ(٢) وقد آنتشرت هذه الألفاظ زمن الخليفة المهدي في سكته المضروبة بمدينة السلام وكذلك في سكة الأقاليم التابعة للخلافة العباسية حيث نُقش عليها كلمة (بخ) (٣) أيضاً .

كما نشاهد على آلسكة الفضية العباسية بعض مظاهر الزينة المختلفة كالحلقات والنقاط بأشكال مختلفة :

كحلقة واحدة ونقطتين تتكرر ثلاث مرات (٤)

O .. O .. O ..

أو نقطة أسفل كتابة المركز (٥)

أو عدة نقاط أُحادية على المحيط الخارجي للمسكوكة (٦) . . .

أو عدة نقاط مزدوجة تتكرر أربع مرات (٧) .. ..

= بن الخطاب (رض) سنة ١٧ هـ ويقال سنة ١٩هـ وقد خط بها سعد بن ابي وقاص مسجداً جامعاً حين كتب إليه الخليفة عمر بذلك ، وجيء باساطينها من الأهواز وقد قال سلمان الفارسي بأن اهلها اهل الله وهي قبة الإسلام ، يحن إليها كل مؤمن .
انظر : ياقوت الحموي / معجم البلدان / ص ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ .

(١) وداد القزاز / الدرهم العباسي / سومر مجلد ٢٠ ج١ ، ٢ سنة ١٩٦٤ ص ٢٦٠ .
(٢) انظر مسكوكة المنصور الفضية رقم ٤٠ مس وانظر شكل رقم ٢
بخ : معناها جيد (اي النقود الجيدة) وبخ بخ : معناها التاكيد على جودة النقد .
(٣) انظر مسكوكة المهدي الفضية رقم ٢٩ مس وانظر شكل رقم ٩ .
(٤) انظر مسكوكة رقم ٣٣ مس وانظر شكل رقم ٧ .
(٥) انظر مسكوكة رقم مس وانظر شكل رقم ٦ .
(٦) انظر مسكوكة رقم ٣٦ مس وانظر شكل رقم ٦ .
(٧) انظرمسكوكة رقم ٢٩ مس وانظر شكل رقم ٩ .

أو حلقة كبيرة تليها حلقتان تتوالى ثلاث مرات كما في الشكل التالي (١)

O o o O o o O

أو حلقتان صغيرتان تليها حلقة تتوالى ثلاث مرات أيضاً كما في الشكل التالي (٢)

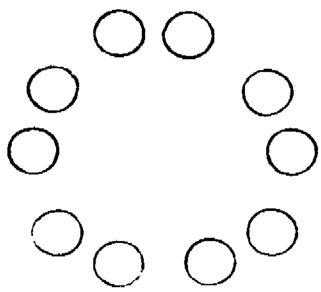
o o o o o o o o o

أو حلقة كبيرة داخلها حلقة صغيرة وتليها حلقتان صغيرتان تتوالى ثلاث مرات كما في الشكل (٣)

O o o O o o O o o *

ويلاحظ كذلك في السكة الفضية العباسية (الدراهم) دوائر مفردة(٤) أو مزدوجة (٦) أو ثلاث دوائر (٥) متتالية تحيط بالمركز أو الهامش الكتابي وهي على شكل حلقي .

والحق أن هناك زخارف أُخرى ليست بين أيدينا على السكة العباسية فهناك سكة نحاسية ضربت زمن الخليفة محمد الأمين في الكوفة سنة ١٩٥هـ عليها زخرفة مختلفة عن الزخارف السابقة وهي على شكل دائرة كبيرة تتكون من دوائر صغيرة وحولها دائرة أُخرى (٧) من نقاط كما في الشكل التالي** :



** يحف الشكل (الدائرة الكبيرة) نقاط

رقم التسلسل	١	الخليفة المنصور
رقم القطعة	٣٧ مس	١٣٦ — ١٥٨ هـ (٧٥٤ — ٧٧٥ م)
نوع المعدن	فضة	درهم
القطر بالمليمتر	٢٥ مليمتراً	

(١) انظر مسكوكة رقم ٣٤ مس وانظر شكل رقم ٣ .
(٢) انظر مسكوكة رقم ٤٠ مس وانظر شكل رقم ٢ .
(٣) انظر مسكوكة رقم ٣٧ مس وانظر شكل رقم ١ .
(٤) انظر مسكوكة رقم ٣٤ مس وانظر شكل رقم ٣ .
(٥) انظر مسكوكة رقم ٤٠ مس وانظر شكل رقم ٢ .
(٦) انظر مسكوكة رقم ٣٧ مس وانظر شكل رقم ١ .
(٧) يوسف غنيمة / النقود العباسية / مجلة سومر / مجلد ٩ ج ١ ١٩٥٣ ص ٢٦٠
* في الحلقة الكبيرة يوجد حلقة صغيرة

الوزن بالغرام ا ٢,٧٥٠ غم
سنة الضرب ا ١٤١ هـ
مكان الضرب ا الكوفة
الوجه :
المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصّها :
لااله الا
الله وحده
لاشريك له
الهامش :
كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها
بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة سنة إحدى وأربعين ومئة.
ويحيط بالهامش والمركز ثلاث دوائر متلاصقة تزخرفها بالمحيط دوائر احادية ومزدوجة .
الظهر :
المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها :
محمد
رسول
الله
الهامش :
كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :
محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق (ليظهره) على الدين كله ولو كره المشركون .
ويحيط كل من الكتابة المركزية والهامشية دوائر متعددة تزين الدائرة الخارجية منها دوائر صغيرة .
ويلاحظ أن الدرهم مثقوب .(١)

(١) انظر شكل رقم (١) .

رقم التسلسل ا ٢

رقم القطعة ا ٤٠ مس

نوع المعدن ا فضة

القطر بالمليمتر ا ٢٤ مليمتراً

الوزن بالغرام ا ٢,٧٥٠ غم

سنة الضرب ا ١٥٥ هـ ا

مكان الضرب ا مدينة السلام

الخليفة المنصور

(درهم)

الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها :

لا اله الا

الله وحده

لاشريك له

o o

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :

بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة خمس وخمسين ومئة .

والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين تزخرفها بالمحيط دوائر احادية ومزدوجة .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها

محمد

رسول

الله

(بخ) بخ

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله ولو كره المشركون .

ويحيط كل من الكتابة المركزية والهامشية دوائر متعددة ،تزين الدائرة الخارجية دوائر صغيرة .

ويلاحظ أن الدرهم مثقوب (١).

رقم التسلسل ا ٣ — الخليفة المهدي

رقم القطعة ا ٣٤ مس — ١٥٨ — ١٦٩هـ (٧٧٥ — ٧٨٥ م)

نوع المعدن ا فضة

القطر بالمليمتر ا ٢٤ مليمتراً

الوزن بالغرام ا ٢,٨٠٠ غم

سنة الضرب ا ١٦٢ هـ

مكان الضرب ا مدينة السلام

الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها

لا اله الا

الله وحده

لاشريك له

الهامش :

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :

بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة اثنتين و(ستين)ومئة.

والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين تزخرفها بالمحيط دوائر احادية ومزدوجة .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :

محمد رسول

(١) انظر شكل رقم (٢) .

الله صلى الله

عليه وسلم

الخليفة المهدي

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس عقرب الساعة نصها

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله ولو كره المشركون .

ويحيط كل من الكتابة المركزية والهامشية دائرة تزين

الخارجية منها خمسة دوائر صغيرة .

ويلاحظ أن الدرهم مثقوب (١)

الخليفة المهدي

(درهم)

رقم التسلسل	ا	٤
رقم القطعة	ا	٣١ مس
نوع المعدن	ا	فضة
القطر بالمليمتر	ا	٢٣مليمتراً
الوزن بالغرام	ا	٢,٤٩٥ غم
سنة الضرب	ا	١٦٢ هـ
مكان الضرب	ا	مدينة السلام

الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها

لااله الا

الله وحده

لاشريك له

الهامش :

كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها

بسم (الله ضرب هذا الدرهم) بمدينة السلام سنة اثنتين وستين ومئة

(١) انظر شكل رقم (٣) .

والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين تزخرفها بالمحيط دوائر احادية ومزدوجة .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :

محمد رسول

(الله) صلى الله

عليه وسلم

الخليفة المهدي

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها محمد رسو(ل الله أرسله بالهدى ودين الحق لي(ظهره على الدين كله ولو كره المش(ركون) .

ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية دائرة.

ويلاحظ أن الدرهم ناقص ومثقوب (١)

الخليفة المهدي

(درهم)

رقم التسلسل	ا	٥
رقم القطعة	ا	٣٠ مس
نوع المعدن	ا	فضة
القطر بالمليمتر	ا	٢٣ مليمتراً
القطر بالمليمتر	ا	٢٣ مليمتراً
الوزن بالغرام	ا	٢,٧٢٠ غم
سنة الضرب	ا	١٦٢ هـ
مكان الضرب	ا	مدينة السلام

الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها

لا اله الا

(١) انظر شكل رقم (٤) .

الله وحده
لاشريك له
الهامش :
كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها :
بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلا م سنة اثنتين وستين ومئة
والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين تزخرفها
بالمحيط دوائر احادية ومزدوجة .
الظهر :
المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :
محمد رسول
الله صلى الله
عليه وسلم
الخليفة المهدي
الهامش : كتابة هامشية تدور عكس عقرب الساعة نصها :
(محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره
على (الدين كله)ولو كره المشركون .
ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية دائرة
والدرهم ناقص ومثقوب (١)

رقم التسلسل	؛	٦	الخليفة المهدي
رقم القطعة	؛	٣٦ مس	(درهم)
نوع المعدن	؛	فضة	
القطر بالمليمتر	؛	٢٣ مليمتراً	
الوزن بالغرام	؛	٢,٧٧٠ غم	
سنة الضرب	؛	١٦٢ هـ	

(١) انظر شكل رقم (٥) .

مكان الضرب مدينة السلام

هذا الدرهم مشابه للدرهم رقم (٣٠) من حيث صاحب الضرب (الخليفة المهدي)وسنة ومكان الضرب . الا أن جزءاً كبيراً من الكتابة غير واضحة على ظهر الدرهم كما انه مثقوب (١).

رقم التسلسل	٧	الخليفة المهدي
رقم القطعة	٣٣ مس	(درهم)
نوع المعدن	فضة	
القطر بالمليمتر	٢٤ مليمتراً	
الوزن بالغرام	٢,٨٥٠ غم	
سنة الضرب	١٦٢ ه	
مكان الضرب	مدينة السلام	

هذا الدرهم مشابه للدرهمين رقم ٣٠ ، ٣٦ من حيث صاحب الضرب الخليفة المهدي (وسنة ومكان الضرب كما أن الدرهم مثقوب (٢).

رقم التسلسل	٨	الخليفة المهدي
نوع القطعة	٣٢ مس	(درهم)
نوع المعدن	فضة	
القطر بالمليمتر	٢٣ مليمتراً	
الوزن بالغرام	٢,٨٥٠ غم	
سنة الضرب	١٦٣ ه	
مكان الضرب	مدينة السلام	

الوجه :

---

(١) انظر شكل رقم (٦) .

(٢) انظر شكل رقم (٧) .

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها :
لااله الا
الله وحده
لاشريك له

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها :
بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة ثلث (وستين)ومئة.
والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين تزخرفها بالمحيط دوائر احادية ومزدوجة .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :
محمد رسول
الله صلى الله
عليه وسلم
الخليفة المهدي

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها :
محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .
ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية دائرة تزين الخارجية منها دائرتان صغيرتان .
ويلاحظ أن الدرهم مثقوب (١) .

رقم التسلسل	ا	٩	
رقم القطعة	ا	٢٩ مس	الخليفة المهدي
نوع المعدن	ا	فضة	(درهم)

---

(١) انظر شكل رقم (٨) .

القطر بالمليمتر | ٢٣ مليمتراً
الوزن بالغرام | ٢,٧٨٥ غم
سنة الضرب | ١٦٥ هـ
مكان الضرب | مدينة السلام

الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها:

لااله الا
الله وحده
لاشريك له

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها:
بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة خمس وستين ومئة .
والكتابة المركزية والهامشية محاطة بثلاث دوائر متلاصقة تزخرفها بالمحيط دوائر صغيرة مزدوجة .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من خمسة سطور متوازية نصها :

محمد رسول
الله صلى الله
عليه وسلم
الخليفة المهدي
بخ

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها :
محمد رسول (الله) أرسله بالهدى (ودين الحق)ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .
ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية دائرة
والدرهم مثقوب (١)

---

(١) انظر شكل رقم (٩) .

رقم التسلسل	ا	١٠	الخليفة المهدي
رقم القطعة	ا	٣٥	(درهم)
نوع المعدن	ا	فضة	
القطر بالمليمتر	ا	٢١ مليمتراً	
الوزن بالغرام	ا	٢,٥٩٥ غم	
سنة الضرب	ا	—	
مكان الضرب	ا	—	

الوجه :

المركز: كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها:

لااله الا

الله (وحده)

(لا (شريك له

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها.

هذا الدرهم

والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين يزخرفها بالمحيط دوائر إلا انه لاتظهر منها سوى دائرة واحدة فقط وذلك لتآكل المسكوكة .

الظهر :

المركز: كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها:

O

محمد رسول

الله صلى الله

عليه (وسلم)

(الخليفة) المهدي

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها:

محمد رسول الله أرسله (بالهدى ودين الحق ليظهره على

الدين كله ولو كره المشركون) .

ويظهر بقايا دائرة كانت تحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية

والدرهم متآكل جداً ومكسوراً (١) .

رقم التسلسل	١١	الخليفة المعتضد بالله
رقم القطعة	٣٨ مس	٢٧٩ – ٢٨٩هـ(٨٩٢–٩٠٢م)
نوع المعدن	فضة	
القطر بالمليمتر	٢٢ مليمتراً	
الوزن بالغرام	٣,٣٨٠ غم	
سنة الضرب	٢٨٥ هـ	
مكان الضرب	مدينة السلام	

الوجه : المركز : كتابة موكزية من ثلاثة سطور متوازية نصها :

لا اله الا

الله وحده

لاشريك له

الهامش الداخلي: كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها : بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام (سنة) خمس وثمنين ومايتين.

الهامش الخارجي: كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ (يفرح)المؤمنون بنصر (الله)

ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامش الداخلي والهامش الخارجي دائرة.

الظهر :

المركز: كتابة مركزية من خمسة سطور متوازية نصها:

لله

محمد

(١) انظر شكل رقم (١٠) .

رسول
الله
المعتضد بالله

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها:
محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .
والكتابة المركزية محاطة بدائرة (١).

رقم التسلسل	١٢	الخليفة المقتدر بالله
رقم القطعة	٣٩ مس	٢٩٥ — ٣٢٠هـ(٩٠٨ — ٩٣٢م)
نوع المعدن	فضية	
القطر بالمليمتر	٢٢ مليمتراً	
الوزن بالغرام	٢,٥٢٠ غم	
سنة الضرب	—	
مكان الضرب	الموصل	

الوجه :
المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها:
(لا) اله الا
الله وحده
لاشريك له
أبو العباس بن
أمير المؤمنين

الهامش الداخلي:
كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها:
بسم الله ضرب هذا الدرهم بالموصل سنة ....

(١) انظر شكل رقم (١١) .

الهامش الخارجي :

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها (لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ) يفرح المؤمنون بنصر الله .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها

محمد

رسول

الله

المقتدر بالله

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها : (محمد رسول الله أرسله بالهدى)ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره (المشركون).

ويلاحظ في هذا الدرهم أن مركز الوجه تكرر ضرب قالبه مما أدى إلى تكرار السطر الثالث منه كما أن جزء كبيراً من وجه وظهر الدرهم غير واضح (١).

---

(١) انظر شكل رقم (١٢) .

« جدول الاقطار والاوزان والسنين وأماكن الضرب »

رقم التسلسل	رقم القطعة في المركز	نوع المعدن	القطر بالمليمتر	الوزن بالغرام	سنة الضرب	مكان الضرب	الخليفة العباسي
١	٣٧ مس	فضة	٢٥ مليمتر	٢,٧٥٠غم	١٤١ هـ	الكوفة	المنصور
٢	٤٠ مس	فضة	٢٤ مليمتر	٢,٧٥٠ غم	١٥٥ هـ	مدينةالسلام	المنصور
٣	٣٤ مس	فضة	٢٤ مليمتر	٢,٨٠٠غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٤	٣١ مس	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٤٩٥ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٥	٣٠ مس	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٧٢٠ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٦	٣٦ مس	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٧٧٠ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٧	٣٣ مس	فضة	٢٤ مليمتر	٢,٨٥٠ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٨	٣٢ مس	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٨٥٠ غم	١٦٣ هـ	مدينة السلام	المهدي
٩	٢٩ مس	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٧٨٥ غم	١٦٥ هـ	مدينة السلام	المهدي
١٠	٣٥ مس	فضة	٢١ ميلمتر	٥٩٠ر٢غم	—	—	المهدي
١١	٣٨ مس	فضة	٢٢ مليمتر	٢,٣٨٠ غم	٢٨٥ هـ	مدينة السلام	المعتضدبالله
١٢	٣٩ مس	فضة	٢٢ مليمتر	٢,٥٢٠ غم	—	الموصل	المقتدربالله

المراجع العربية والأجنبية

١ — ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ
المقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أعادت طبعه
بالاوفسيت مكتبة المثنى ببغداد

٢ — ابن سلام (أبو عبيد القاسم) ت ٢٢٤ هـ
كتاب الأموال (صححه وعلق على هوامشه محمد
حامد الفقي) القاهرة ١٣٥٣ هـ

٣ — ابن طباطبا (محمد بن طباطبا) المعروف بابن الطقطقي
الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية
دار صادر — بيروت سنة ١٩٦٦

٤ — ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبدالله) ت ٢٥٧ هـ
فتوح مصر وأخبارها
طبعة هنري ماسية — القاهرة ١٩١٤

٥ — أبو الفدا (اسماعيل بن عماد الدين) ت ٧٣٢ هـ
تقويم البلدان طبعة باريس سنة ١٨٣٠ م

٦ — انستاس الكرملي (الأب)
النقود العربية وعلم النميات
القاهرة ١٩٣٩ م

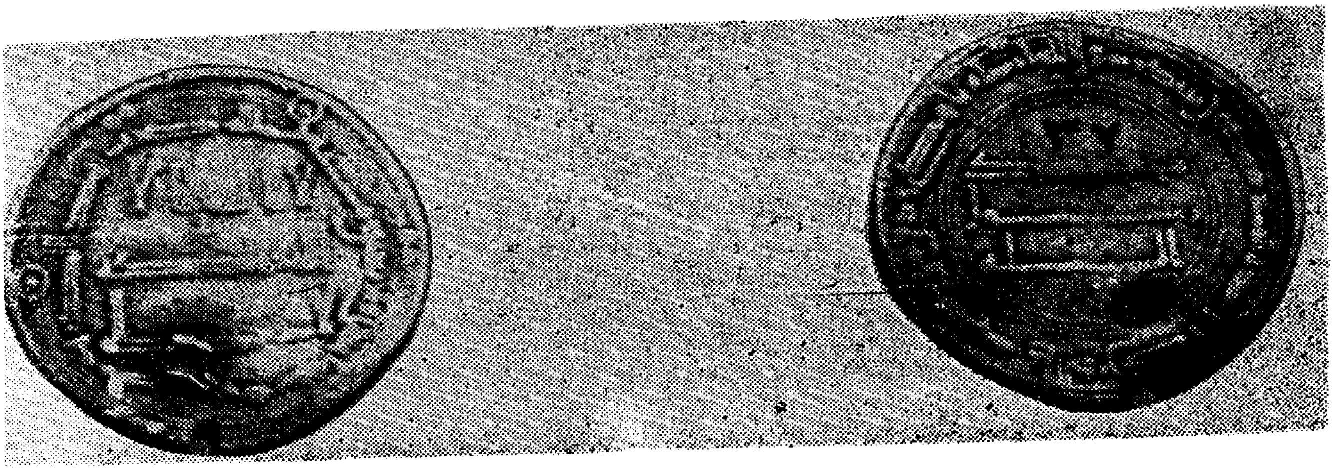
٧ — البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر)ت ٢٧٩ هـ
كتاب فتوح البلدان
وقد نشر الكرملي الجزء الخاص بالنقود
ليدن ١٨٦٦ م

٨ — حسن ابراهيم حسن (الدكتور)
تأريخ الاسلام السياسي
٣ أجزاء — القاهرة سنة ١٩٥٤ — ١٩٤٨م

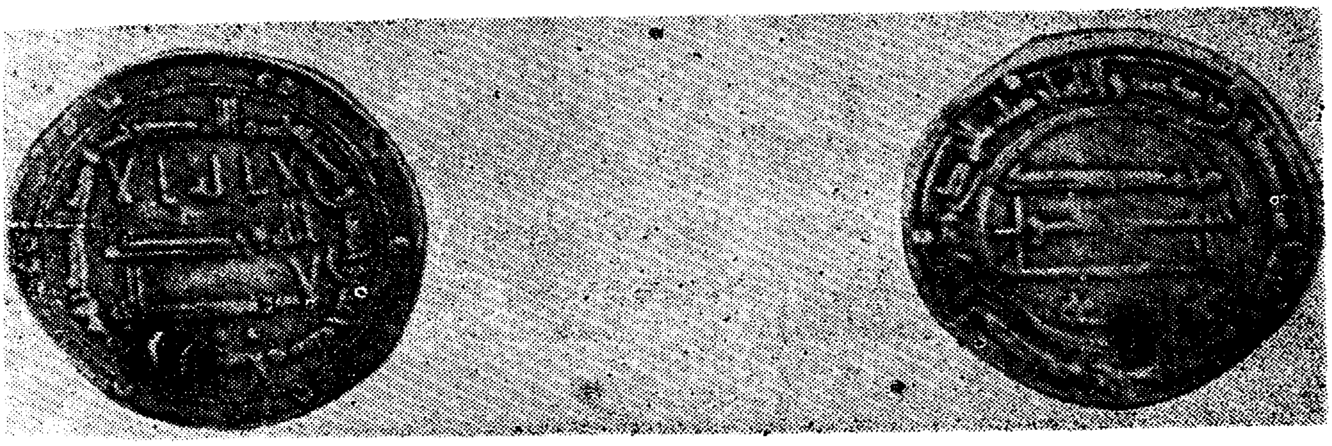
٩) حسن ابراهيم حسن (الدكتور) علي ابراهيم حسن (الدكتور)
النظم الإسلامية طبعة القاهرة سنة ١٩٣٩م
١٠) الحسيني (الدكتور محمد باقر)
العملة الإسلامية في العهد الأتابكي
مطبعة دار الجاحظ ـ بغداد سنة ١٩٦٦م
١١) ــــــــــــ
تطور النقود العربية الإسلامية
مطبعة دار الجاحظ ـ بغداد سنة ١٩٦٩م
١٢) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ
تاريخ الرسل والملوك دار المعارف بمصر ١٩٦٦ تحقيق أبو الفضل ابراهيم
١٣) عبدالرحمن فهمي محمد (الدكتور)
فجر السكة العربية
مطبعة دار الكتب بمصر ١٩٦٥م
١٤) ــــــــــــالنقود العربية ماضيها وحاضرها
من سلسلة المكتبة الثقافية رقم (١٠٣)
١٥ فبراير سنة ١٩٦٤م
١٥) ــــــــــــالشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الإسلامية
مستل من كتاب المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية
المنعقد في مدينة فاس سنة ١٩٥٩م
١٦) ــــــــــــصنج السكة في فجر الإسلام
مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٧م
١٧) علي ابراهيم حسن (الدكتور)
التاريخ الإسلامي العام
مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٢م

١٨) لين بول (ستانلي)
طبقات سلاطين الإسلام
ترجمة عباس إقبال ومكي طاهر الكعبي
دار منشورات البصري ١٩٦٨م
١٩) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ
النقود القديمة الإسلامية
(نشرة الأب أنستاس الكرملي في كتابه النقود العربية
وعلم النميات) القاهرة ١٩٣٩
٢٠) النقشبندي (ناصر الدين)
الدينار الإسلامي في المتحف العراقي بغداد ١٩٥٣م
٢١) وداد القزاز الدرهم العباسي في زمن الخليفتين المهدي والهادي
مستل من مجلة سومر المجلد العشرون الجزء الأول
والثاني بغداد سنة ١٩٦٤م
٢٢) ياقوت (شهاب أبو عبدالله الحموي الرومي) ت٦٢٦هـ
معجم البلدان (٥مجلدات) دار صادر للطباعة والنشر
ـ طبعة بيروت سنة ١٩٥٧م
٢٣) يوسف (غنيمة)
النقود العباسية
مستل من مجلة سومر المجلد التاسع الجزء الأول
بغداد سنة ١٩٥٣م
٢٤)
Lane-Poole (stanley)
Catalogue of oriental coins in the Britsh Museum
London–1875–1890
٢٥)
Walker (John):
Acataloge of the Arab–Sassanian Coins (London 1941)

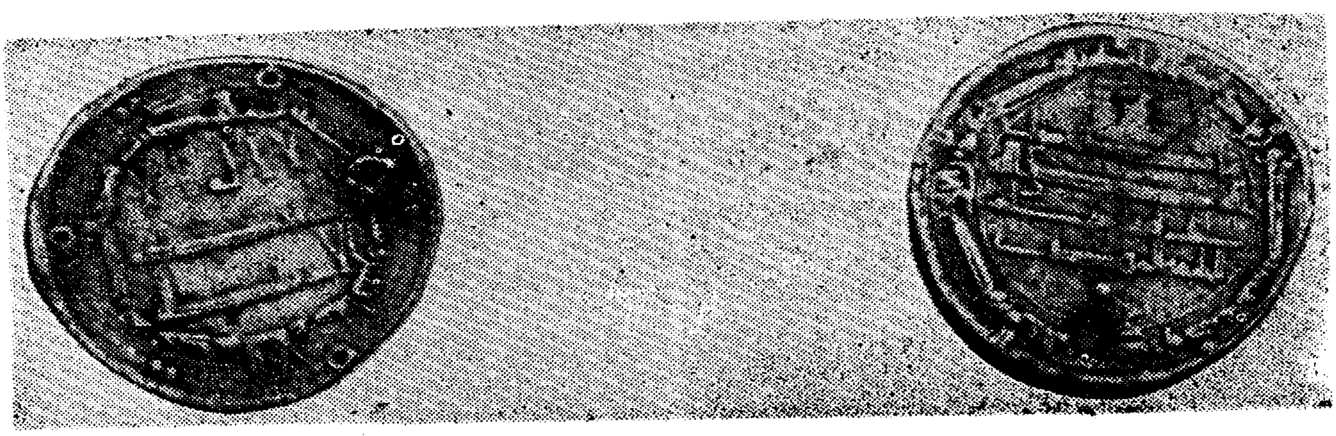
ظهر وجـــه



درهم رقم ١

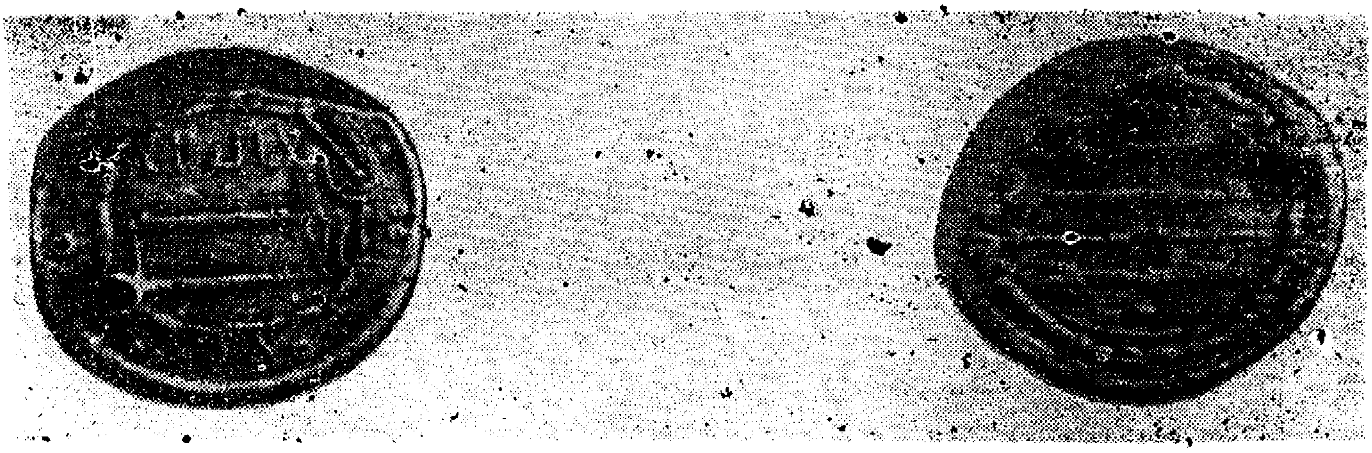


درهم رقم ٢

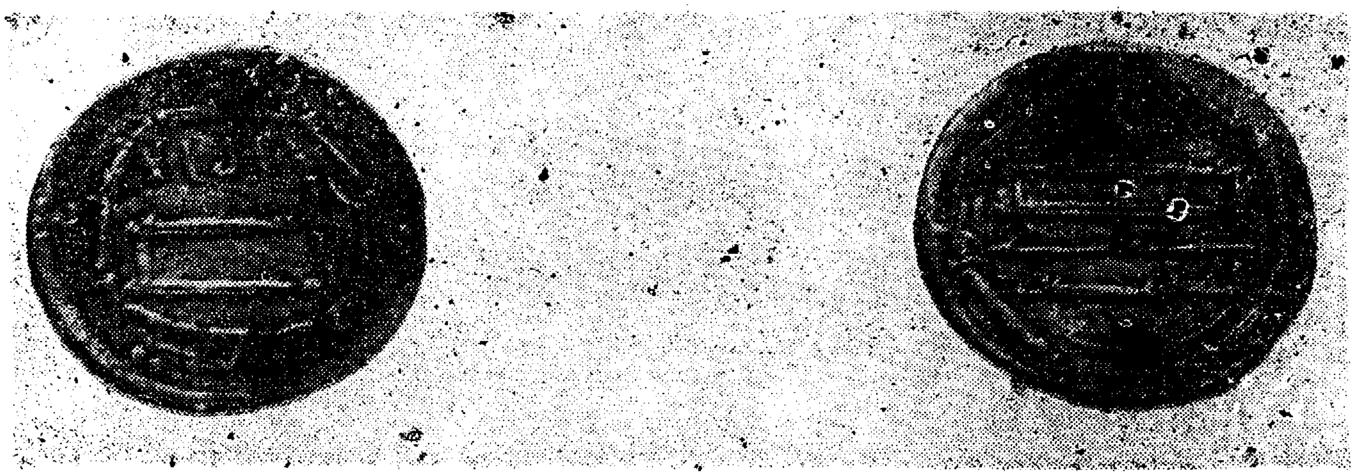


درهم رقم ٣

ظهر وجـه



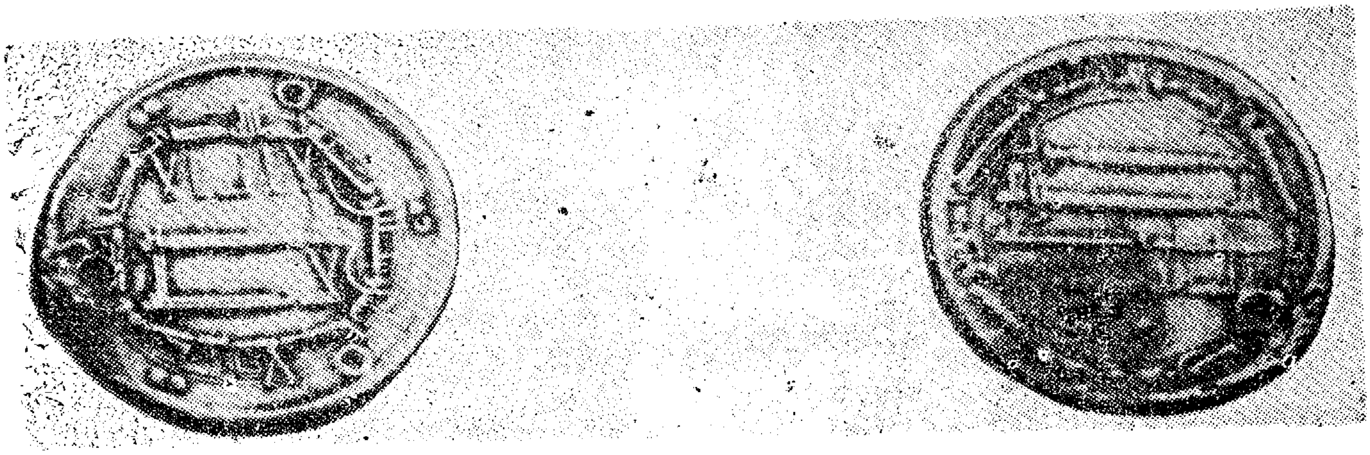
درهم رقم ٤



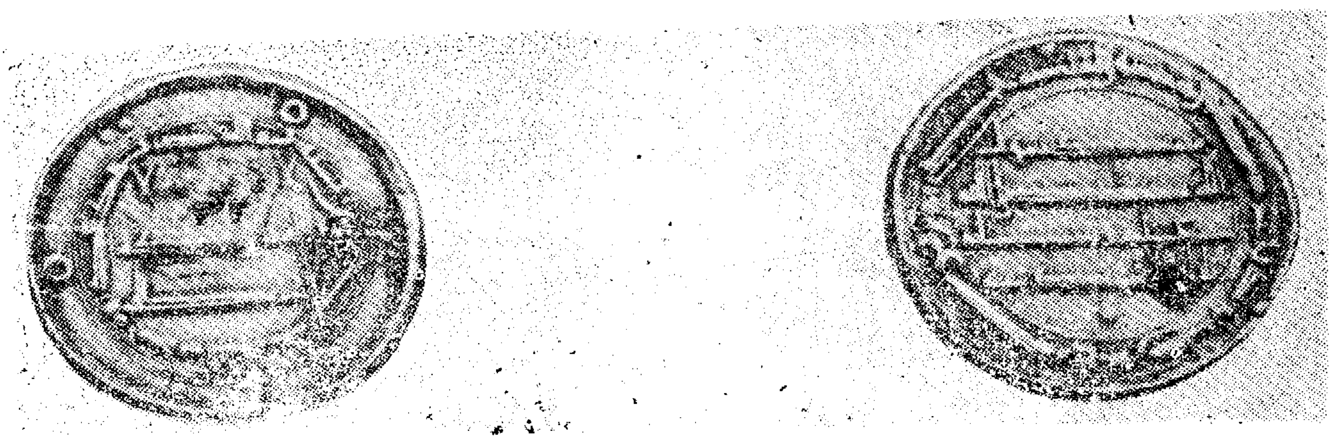
درهم رقم ٥



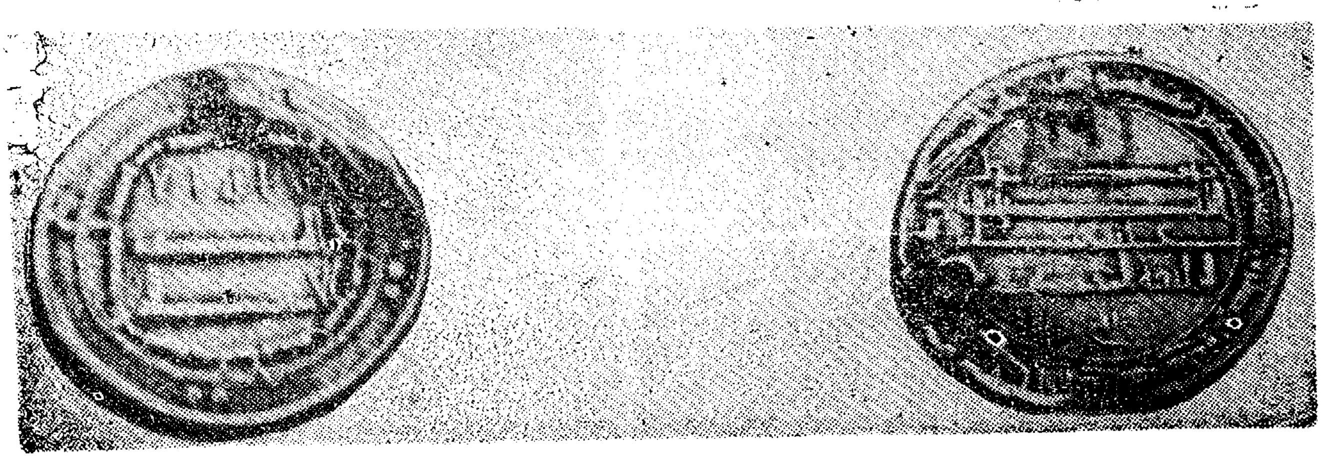
درهم رقم ٦



درهم رقم ٧



درهم رقم ٨



درهم رقم ٩

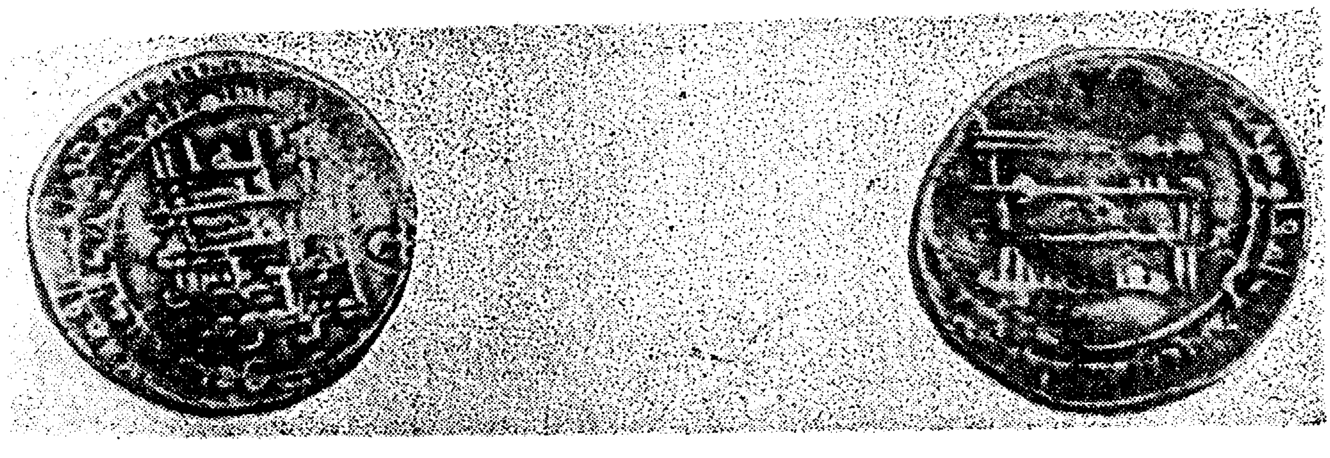
ظهر | وجه



درهم رقم ١٠



درهم رقم ١١



درهم رقم ١٢

عبدالواحد الرمضاني
مدرس مساعد—قسم التاريخ
كلية الاداب—جامعة الموصل

عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصاري
(ت ١٣٠ - ١٣٥هـ/٧٤٧ - ٧٥٢م)
وكتابته التاريخية في السيرة والمغازي

محمود ياسين التكريتي

تمهيد :

ساهمت مدرسة المدينة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين في نشوء فكرة التاريخ وتطورها عند المسلمين(١) إذْ اتخذت هذه الفكرة في بداية نشوئها التأكيد على دراسة الحديث والإهتمام به(٢) لكونه أحسن مرجع أمام الصحابة لمعرفة التشريع وفائدته (٣) فانبرى قسم منهم لكتابة حديث رسول الله (ص) والتركيز على أقواله وأفعاله .

---

(١) سوف لا أتناول في البحث العوامل التي ادت إلى نشوء فكرة التاريخ وتطورها عند المسلمين راجع بهذا الصدد فرانز روزنثال / علم التاريخ عند المسلمين / ٩٥ — ٩٩ ، الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٣ — ٢١ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري/مجلة المجمع العلمي العراقي / الجزء الاول/٤٤—١٥٣ السنة الاولى ١٩٥٠ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية / م ٧ /٣٣٨ تراجع مادة «الحديث» . مقالة كتبها المستشرق جوينبل ، بشار عواد / مقالة أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين /٥ (نشرها كاتب المقال في كراس صغير) .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية /م١٢/ ٤٤٠ ، (مادة السيرة).

□ وهذا ، لاشك ، يمثل الإتجاه الإسلامي الذي انتهجته مدرسة المدينة(١) دار سنة الرسول ومركز حكمه وإلى جانب هذا الاتجاه أصبح للبصرة والكوفة إتجاه قبلي ، وصار لكل إتجاه مدرسة تاريخية. ونتيجة للتأثير المتبادل بين المدرستين تفوق الإتجاه الإسلامي فتغلب آتجاه أهل الحديث (٢) وعلى هذا فالظاهرة البارزة التي نراها على المؤرخين القدماء أنّ أغلبهم كانوا من أصحاب الحديث(٣) وآعتمد على مادتهم في التنظيم الإداري وفي شؤون الحياة. (٤)

كانت الجهود التي بذلت في كتابة الحديث ودراسته بداية لظهور الكتابة التاريخية عند المسلمين(٥) كما ساعدت في نفس الوقت على تطور فكرة التاريخ عندهم(٦) بالإضافة إلى كونها تكشف لنا علاقة الحديث بالتاريخ. وآتسعت جهود أهل المدينة من جيل التابعين في دراسة الحديث لتتعدى أحاديث الرسول (ص) فتشمل تسجيل أقوال الصحابة وأعمالهم ، وفعلاً أثمرت تلك الجهود في أواخر القرن الأول الهجري لتشمل أخيراً فعاليات الأمة بكاملها(٧) فبدأ بعدها تأليف كتب الإدارة والأدب والقضاء .

آتخذت الدراسة الأولى لحياة الرسول والتي قام بها التابعون وتابعو التابعين أساساً لمادتها التاريخية دراسة أحوال الرسل والأنبياء الذين جاءوا من قبله(٨) ويعلق الأستاذ جواد: على هذه الدراسة بقوله : (يمكن أنْ يقال عنها « بداية» السيرة ولذلك قيل لها « المبتدا» أو « المبدأ») .(٩) وأعقب هذه الدراسة

(١) عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٩ .

(٢) المرجع السابق / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٩ .

(٣) جواد علي / مقالة – موارد تاريخ الطبري / ٥٦ ، منشورة في مجلة المجمع العلمي العراقي – الجزء الأول من السنة الأولى ١٩٥٠ .

(٤) عبدالعزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٩ .

(٥) أنظر بهذا الصدد / الدوري/ بحث في نشأة التاريخ عند العرب /١٩ ، ٣٢ ، جواد علي/ موارد تاريخ الطبري / ١٥٦ – ١٥٧.

(٦) بشار عواد / أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين / ٥ .

(٧) الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب /٢٠ .

(٨) جواد علي / مقالة موارد تاريخ الطبري / ١٥٠ – ١٥١ .

(٩) جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥١ .

التركيز على غزوات الرسول (ص)(١) وتدوينها ، ثم شملت فترة الرسالة تبعها جهود التابعين(٢) في هذا المضمار وآتسمت كتاباتهم بالدقة والتحري وآلإهتمام بالإسناد .

علّق هورفيتس على هذه الناحية بقوله : « إذا كانت مادة أحاديث عدد من الصحابة المدونة في الصحائف والكتب مشكوكاً في صحتها وقيمتها فإنه لايوجد شك في أنّ مثل هذه الكتب كانت نادرة في جيل التابعين الذين أخذوا معارفهم عن الصحابة» (٣) .

لقد أُطلق حول هذه الدراسات الأولى التي شملت حياة الرسول آسم المغازي(٤) وقد ذكر الأستاذ « هاملتون جب» أنّ المغازي أو الغزوات آصطلاح أُطلق على المصنفات الأولى التي ألفت السير(٥) ، وبين أيدينا آراء أُخرى حول معنى المغازي فقد ذكر الأستاذ الدوري أنها « تعني لغوياً غزوات الرسول (ص) وحروبه » (٦) وذهب الأستاذ جواد علي إلى إلحاقها بالسيرة فقال : « ثم صار العرف أنْ يلحق بالسيرة قسم آخر يمكن أنْ يقال له المغازي وهو القسم الثالث والخاتمة »(٧) ، وعلى ضوء ماتقدم نستنتج اتساع أُفق الكتابة التاريخية وتطور التدوين التاريخي عند المسلمين

(١) ذكر ليفي دلافيدا في مقالته عن السيرة (أن إنصراف الجيل الثاني من المؤمنين إلى تخليد ذكرى المغازي على غرار ما كان يفعل العرب في الجاهلية) وعليه فهو يضيف سبباً آخر من الأسباب التي دفعت المسلمين إلى كتابة المغازي / دائرة المعارف الإسلامية ، م١٢ / ٤٤٠ .
(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية م٧ /٢٣١ .
(٣) يوسف هورفتس / المغازي الأولى ومؤلفوها /٢ .
(٤) عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٠ .
(٥) انظر دائرة المعارف الإسلامية /م٤/ ٤٨٦ (مقالة كتبها جب ، مادة علم التاريخ) .
(٦) الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٠ .
(٧) جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥١ .

بدليل أنها شملت فترة الرسالة بكاملها (١) في وقت زاد الإهتمام فيه بجمع الحديث وتسجيله على نطاق واسع على أنّ دراسة السيرة(٢) إنما آزدهرت خاصة في المدينة ونمت في صورتها الواسعة إلى جانب الأحاديث(٣) ومن هنا يتضح لنا أنّ السيرة ذات مفهوم عام وشامل .

ومن الذين الفوا من جيل التابعين في السيرة والمغازي عروة بن الزبير بن العوام ت ٩٤هـ / ٧١٢م (٤) أعقبه أبّان بن عثمان بن عفان ت سنة ٩٥هـ ـ ١٠٥هـ (٥) ومن معاصري عروة شرحبيل بن سعد ت ١٢٣هـ/٧٤٠م. (٦) عقب هؤلاء ثلاثة من العلماء ألفوا في المغازي ، وهم : عبدالله بن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري (ت ١٣٠ ـ ١٣٥ هـ / ٧٤٧ ـ ٧٥٢م) وعاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ / ٧٣٧م) (٧) ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت ١٢٤هـ / ٧٤١م . غير ان كتب هؤلاء فقدت ولم يبق منها غير الإقتباسات التي وردت في الكتب(٨) ومما يؤكد بلا شك فقدان تلك الكتب ماقاله فرانز روزنثال في تعليقه على الصور الأساسية لعلم التاريخ الإسلامي بقوله : « لذلك قد يبدو أنّ الكتب الأولى التي دونت في تاريخ الخبر وكذلك الأشكال الرئيسية الأخرى كانت كتباً خاصة دونها العلماء ولم تبق عنها

(١) هورفتس / المغازي الأولى ومؤلفوها /٢ ،الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٠ ، دائرة المعارف الإسلامية / م١٢ /٤٤٩ ، بشار عواد / أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين / ١٢ .

(٢) أشار حاجي خليفة إلى أن الإمام محمد بن اسحاق رئيس أهل المغازي هو اول من كتب بالسيرة وقد حددت سنة وفاته ١٥١ هـ /٧٦١م ، حاجي خليفة / كشف الظنون ١١١ ـ ١١٢ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية / م١٢ / ٤٥٠ « راجع مادة السيرة » .

(٤) انظره في / خليفة بن خياط / الطبقات / ٤ /٦٠٣ الذهبي / تذكرة الحفاظ /١/١١٦ .
هورفتس : المغازي الأولى ومؤلفوها/١١ـ١٥ الدوري/بحث في نشأة التاريخ عندالعرب ٢٠ـ٢١.

(٥) راجع حوله / ابن خياط / الطبقات / ٤/٦٠١ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٠٥ .

(٦) انظره في خليفة بن خياط / الطبقات / ٤ /٦٦١ الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٢ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥٢ .

(٧) انظره في / الذهبي / تذكرة الحفاظ / ١ / ١٠٦ ، ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٥/٥٤ .

(٨) جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥٣ .

معلومات واضحة أودقيقة » (١) .

لقد آستمر العلماء المسلمون السابقون في الكتابة التاريخية إلى أنْ حلّ القرن الثاني الهجري حيث شهد نشاطاً ملحوظاً للأخباريين واللغويين والنسابين(٢) كلٌّ في حقله إلى أنْ أنتجت هذه الدراسات جميعاً مادة تاريخية واسعة على مستويات مختلفة من الدقة .(٣) وأخيراً يمكننا القول أنّ دراسة السيرة لم تستقر إلاّ في منتصف القرن الثاني الهجري ونتلمس هذا من خلال تعرفنا على تراث الزهري ومن تبعه من كتاب مدرسة المدينة إذْ راعى الجميع التسلسل التاريخي في تدوين الحوادث التاريخية ، وكما عبر عنه الأستاذ الدوري في دراسته بقوله: « ودراسة رواياته التي وصلتنا جعلتنا نميل إلى أنه كان أول من أعطى السيرة – وهو التعبير الذي آستعمله – هيكلاً محدوداً ورسم خطوطها بوضوح» .(٤) ثم قال : « وراعى الزهري التسلسل التاريخي في حوادث السيرة» .(٥)

تتركز دراستنا هذه على جهود محدث عاصر الزهري في حياته وأخذ عنه بعض رواياته ، كتب في السيرة والمغازي ، وحاول في نفس الوقت أنْ يكتب عن تاريخ الأمة وأحداثها . هو عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم الأنصاري ، ولأجل معرفة أُسلوبه في الكتابة التاريخية وجب التعرف على حياته .

---

(١) فرانز روزنثال / علم التاريخ عند المسلمين / ٩٩ .

(٢) الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٣٤ – ٣٥ .

(٣) بعد التوسع في دراسة المغازي والسيرة، وبعد استعراض تطور الكتابة التاريخية خلال القرن الثاني الهجري نلاحظ ظهور النقد التاريخي والإلتزام به ، وأصبح ضمن اسلوب مدرسة العراق إلى جانب اسلوب مدرسة المدينة .

(٤) الدوري بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب / ٢٣ .

(٥) المصدر السابق / التاريخ عند العرب / ٢٣ .

حياته :

هو عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي من بني النجار(١) يقال له أبو بكر المدني(٢) ولد(٣) من أسرة مدنية خد أبناؤها الإسلام وقيام دولته منذ عهد النبي (ص) (٤) وتقلّد بعضهم مناصب إدارية فيها (تسنة ١٣٠ ـ ١٣٥هـ / ٧٤٧ ـ ٧٥٢م) (٥) بعد أنْ عاشر سبعين عاماً .

يبدو أنه درس على يد علماء عصره من المحدثين والرواة وأخذ بعض رواياته من بيئته وخاصة أسرته(٦) إذ آشتهر من بينها جده محمد بن عمرو آبن حزم الأنصاري، ووالده الراوية أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري وخالة أبيه عمرة بنت عبدالرحمن بن اسعد بن زرارة التي روت الحديث عن عائشة (رض) .

أما جده الأكبر عمرو بن حزم الأنصاري كان من بين من بعثهم الرسول (ص) إلى أمصار الجزيرة العربية حتى نراه يستقر عاملاً في اليمن(٧) بعد أن ولاّه الرسول (ص) وفدهم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده وأمره فيه بأمره(٨)

(١) ابن حجر العسقلاني / تهذيب التهذيب / ١٢ / ٣٨ .

(٢) ذكر خليفة بن خياط كنيته بأبي محمد / خليفة بن خياط / الطبقات / ٤/٦٦٠ .

(٣) تجهل المصادر التاريخية سنة ولادته وتاريخ حياته .

(٤) هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٣٧ .

(٥) إختلفت المصادر التاريخية حول سنة وفاته بل وودت إلينا إشارة في كتاب الطبقات لخليفة ابن خياط ان سنة وفاته هي ١٣٠هـ زمن أبي جعفر و قصد به الخليفة أبو جعفر المنصور ، كما حددها جواد علي بسنة ١٣٦هـ .. راجع بصددها / خليفة بن خياط / الطبقات / ٤ / ٦٦٠ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ٢٠٩ ، عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٣ .

(٦) انظر محمد بن سعد / الطبقات / م٧ / ٢١٧ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري / تاريخ الطبري ٢١٧/٣ / طبعة المعارف بمصر / ابن حجر العسقلاني / تهذيب التهذيب /٣٨/١٢ .

(٧) ابن هشام / السيرة النبوية /ق٢ /٥٩٤ ـ ٥٩٥ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري / تاريخ الطبري ، ١٢٦/٣ .

(٨) ابن هشام/السيرة النبوية / ق ٢/٥٩٤ـ٥٩٥ ،هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها /٣٧.

وبقي في اليمن إلى أنْ ولي أمر نجران حينما فرق الرسول (ص) أعمال اليمن على جماعة من المسلمين(١) ويبدو أنّ عمرو بن حزم بقي على نجران إلى وفاة الرسول (ص) ، وقد أشار الطبري إلى ذلك بقوله « كان على نجران وأرضها عمرو بن حزم وأبو سفيان بن حرب، وعمرو بن حزم على الصلاة وأبو سفيان بن حرب على الصدقات» .(٢) أما البلاذري فقد ذكر أنّ «أبا سفيان بن حرب ولي نجران بعد عمرو بن حزم(٣) وعلى ضوء ماسبق يتضح لنا أنّ عمرو بن حزم لم يستمر في عمله الإداري في نجران إذ ترك أرضها وغادرها بسبب الردة التي حدثت بعد وفاة الرسول (ص) إذ آنتقضت اليمن والبلدان وآرتد باليمن الأسود العنسي(٤) بعد أنْ كاتبت مذحج العنسي وواعدته نجران فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعد بن العاص وأنزلوه منزلهما ،(٥) وتنقطع أخباره حتى توفي سنة ٦٣هـ يوم الحرة (٦) حينما هـزم الأمويون أهل المدينة ، ومما لاشك فيه أن عمرو بن حـــزم من أصحاب الرسول (ص) وكان يخرج بعض الأحيان في صحبته ، سمع حديثه ، ولا شك أن آبنه أبا بكر حدث عن أبيه بعض حديثه ورواه عنه آبنه عبدالله بن أبي بكر بن حزم .

أما والده أبو بكر فكنيته عبد الملك(٧) وأمه فاطمة بنت عمارة(٨)

---

(١) في سنة ١٠هـ حج الرسول (ص) بالمسلمين حجة الوداع ورجع إلى المدينة وقد وجه إمارة اليمن وفرقها بين رجال وأفردكل رجل بحيزه ... واستعمل عمرو بن حزم على نجران / انظر / أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري / فتوح البلدان / ق ٨٣/١ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ٢٢٨ .

(٢) الطبري / تاريخ الطبري / ٣١٨/٣ .

(٣) البلاذري / فتوح البلدان / ق ٨٣/١ .

(٤) الطبري / تاريخ الطبري / ٣١٩/٣ .

(٥) الطبري / تاريخ الطبري / ١٨٥/٣ . طبعة دار المعارف .

(٦) المصدر السابق تاريخ الطبري / ٥/ ٤٩٠ . ط. دار المعارف .

(٧) ذكر ابن حجر العسقلاني كنيتة أبو محمد وقيل إسمه أبو بكر وقيل إسمه وكنيته ـ والتصويب من الطبري / كنيته عبد الملك / انظر المنتخب من ذيل المذيل / ١٢٨٠٥ (الطبعة الأوربية) .

(٨) هو عمارة بن حزم وكان عقيباً (أي ممن شهد بيعة العقبة مع الرسول (ص) بدرياً وهم عم بني عمرو بن حزم روى الحديث الطبري / تاريخ الطبري / ١٠٦/٣ .

القاضي المدني روى الحديث عن أبيه وأرسل عن جده وعبدالله بن يزيد ابن عبدربه الأنصاري وعن خالته عمرة بنت عبدالرحمن وآخرين ثقاة(١). وكان من محدثي أهل المدينة وثقاتهم اهتم بكتابة الحديث ، ودراسته ومما زاد من اهتمامه هـو طلب عمر بن عبد العزيز منه كتابة الحديث وروت لنا عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة وأم سلمة : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر ابن عمرو بن حزم أن أنظر ما كان من حديث الرسول (ص) أو سنة ماضية أو حديث عمرة فأكتبه فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله (٢)(وربما ساعدت على ثقة عمر بن عبدالعزيز به هو شهرة تبحره في الفقه (٣) إذ درس على يد أبان بن عثمان بن عفان (٤) فضلاً عن كونه ذا إلمام ومعرفة بالقضاء قال(أبو ثابت عن ابن وهب عن مالك : لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم) (٥) . وتقلد قضاء المدينة في سنة ٨٦ هـ في ولاية عمر بن عبدالعزيز لها ، وهذا يكشف عن إشارة عمر عليه في كتابة الحديث جاءت على عهد ولايته للمدينة كما شهد عمر بن عبدالعزيز على قدرته وعلمه فقال لقاضيه (ما وجدت من أمر هو ألذ عندي من حق وافق هوى) (٦) .

ووردت إلينا إشارة عند البلاذري تفصح لنا بأنه تقلد مكة (وكان يتخاصم إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في أجور الدور بمكة فيقضي بها على من

---

(١) ابن حجر العسقلاني / تهذيب التهذيب / ٣٩/١٢ .

(٢) ابن سعد / الطبقات / م٢/ ١٣٤ ، ٣٥٣ ، وأضاف بن حجر العسقلاني قائلا : وكان ولاه عمر بن عبد العزيز وكتب إليه أن يكتب له من العلم من عند عمرة بنت عبدالرحمن والقاسم بن محمد / ابن حجر / ٢/ ٣٩ .

(٣) هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٣٨ .

(٤) الذهبي / تراجم رجال روي عنهم ابن اسحاق / ٩٠ .

(٥) ابن حجر العسقلاني / تهذيب التهذيب / ٣٩/٢ .

(٦) ابن سعد / الطبقات /٥/ ٢٤٥ ، ٢٥٢ .

آكتراها وهو قول مالك وآبن ذئب) (١) ومع هذا لم تسعفنا المصادر التاريخية بمعلومات نستطيع على ضوئها إثبات أو نفي ما أشار اليه البلاذري في أنّ أبا بكر بن حزم تقلد قضاء مكة وربما وقع في خطأ أو وهم في التعبير فكتب مكة بدل المدينة .

تنقل بين المناصب الإدارية للدولة الأموية فعينه الخليفة سليمان بن عبدالملك سنة ٩٦ ﻫ ولاية المدينة وقضاءها (٢) وعاق هورفيتس عليها بقوله : « تلك الولاية لم يتقلدها قبله أحد من أهل المدينة في عصر الأمويين » (٣) وآستمر في منصبه هذا على عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز إلى أن عزله الخليفة يزيد الثاني من منصب الولاية وبقي محتفظاً بمنصب القضاء إلى سنة ١١٨ ﻫ حيث عاد فتقلد منصب ولاية المدينة من جديد لبضعة أيام وتوفي سنة ١٢٠ ﻫ (٤) .

ترك أبو بكر بن حزم كتباً في الحديث تمثل آثاره التاريخية فقد ذكرها آبن حجر بقوله « وزاد غيره فسألت آبنه عبدالله بن أبي بكر عن تلك الكتب فقال ضاعت » (٥) ، وكان له فضل علمي على ولده عبدالله بن أبي بكر بن حزم فنراه يحثه على دراسة الحديث والتأكد من صحته عن طريق المقارنة والتحري (النقد) ويقول له : « إني أراك تحب الحديث وتجالس أهله فلا تستقبل صدر حديث إلا إذا سمعت عجزه استدل باعجازها على صدورها » (٦) وأشهر من

---

(١) البلاذري / فتوح البلدان / ق١ / ٥٠ .

(٢) الذهبي /تراجم رجال روى عنهم ابن اسحاق / ٨٩ ، ابن حجر / تهذيب التهذيب /٣٩/١٢ .

(٣) نقل هورفيتس تعليقه هذا من ابن حجر / انظر بهذا الصدد / ابن حجر / تهذيب التهذيب / ١٢ / ٣٩ ، هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٣٨ .

(٤) إختلف حول سنة وفاته فقد أخطأ خليفة بن خياط بذكرها سنة ١٠٠ﻫ ، وقال الهيثم بن عدى (وابن أبي بكر مات سنة ١١٧ﻫ) وآلأصح هو مارواه بن حجر عن الواقدي أن سنة وفاته هي ١٢٠ﻫ ، بدليل أنه بقي في ولاية المدينة إلى سنة ١١٨ﻫ / ابن حجر / تهذيب التهذيب / ١٢ / ٣٩ .

(٥) ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٣٩/١٢ .

(٦) الذهبي / تراجم رجال روى عنهم ابن اسحاق / ٩١ .

روى عنه الحديث ابناه عبدالله (١) ومحمد وابن عمه محمد بن عمارة بن عمرو ابن حزم وعمرو بن دينار والزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري . وخلف من الأولاد عثمان ومحمد أبا بكر الفقيه وأم كلثوم (٢) ولهذا نشاهد والده كان أحد الشيوخ الذين درس على يدهم عبدالله بن أبي بكر بن حزم .

ومن الرواة الأخرين الذين أخذ منهم رواياته عمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة من بني النجار خالة أبيه ، روت الكثير من الأحاديث عن السيرة النبوية ، خاصة وأنها تعيش مع عائشة (رض)وفي حجرها (٣) وعن سلمة وكانت من الثقاة في الحديث ومن بين من روى عنها محمد بن شهاب الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري فهي مدنية تابعية (٤) . أما الشيوخ الآخرون الذين روى عنهم الحديث فهم عروة بن الزبير بن العوام(٥)ومحمدبن شهاب الزهري(٦) ويحيى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة ، وعبدالله بن كعب ، وصفية بنت حي بن أخطب ، والعباس بن سهل بن سعد الساعدي وآخرون غيرهم ، كما روى الكثير من الروايات بدون ذكر الإسناد .

شهدت المدينة نشاطاً ثقافياً واسعاً تركز في دراسة الحديث وكتابته في الفترة التي عاش فيها عبدالله بن أبي بكر بن حزم فتركت أثراً في شخصيته العلمية ، وخاصة الأحاديث المتعلقة بمغازي الرسول (ص) والتي شكلت في دورها أبعاد السيرة النبوية ، وإن هذا الإرتباط من الأحاديث والسيرة ترك أثراً لايمحى

---

(١) روي عبدالله بن أبي بكر بن حزم الحديث عن أبيه وعدد رواياته التي عثرت عليها ثلاثة من مجموع الروايات المسندة ، كما روى ما يقرب من سبع روايات عن عمرة بنت عبدالرحمن خالة أبيه .

(٢) ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٣٩/١٢ .

(٣) ابن سعد / الطبقات /١٣٤/٢ ، ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٤٣٨/١٢ .

(٤) ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٤٣٩/١٢ .

(٥) الطبري / تاريخ الطبري / ٢١٤/٤ – مطبعة المعارف .

(٦) ابن هشام / ق١ /٢٦٥ انظر الطبري / تاريخ الطبري /٩١/٢ .

في أُسلوب التأليف التاريخي (١) وفي الوقت نفسه زادت ثقة الناس في روايات التابعين وتابعيهم (٢) فأقدم العلماء على الدراسة والكتابة ومن بينهم عبدالله بن حزم الذي وجد من البيئة الثقافية عاملاً حثه على الدراسة خاصة وقد سبقه في هذا الحقل الثقافي دارسون اعتبروا من مؤسسي مدرسة المدينة أمثال أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وشراحبيل بن سعد (٣) ، فجاء ليضيف إلى ما كتبوا قائمة من الروايات التي ربطت مدرسة المدينة في الجيل التالي بعد عروة وشراحبيل فضلاً عن أن الزهري هو المؤرخ المعاصر له إذ توفي (سنة ١٢٤ هـ) (٤) والذي أعطى للمغازي والسيرة بدراسته الواسعة هيكلها وعليه اجتمعت العوامل البيئيةوالثقافية والإجتماعيةلتساهم في توجيه عبدالله بن ابي بكربن حزم لدراسةالحديث وروايته.

يضيف هورفيتس إلى ماسبق عاملاً آخر شجعه على الدراسة والكتابة هو ابتعاده عن الأعمال الرسمية (٥) معتمداً على ماذكره ابن حجر العسقلاني حول ذلك بقوله : (عن ابن القاسم عن مالك أخبرني ابن خنزابه (٦) قال : قال لي: شهاب من بالمدينة يعني فأجابه فقال : ابن شهاب ماثم مثل عبدالله بن أبي بكر ولكنه يمنعه أن يرتفع ذكره مكان أبيه أنه حي). (٧) مما لاشك فيه أن عدم اشتغاله في منصب إداري وجهه نحو الكتابة ولكننا نجهل الأسباب التي منعته من تقلده للمناصب الإدارية . كما لم تتوفر أمامنا المعلومات التاريخية عن حياته اليومية وبهذا تبقى الجوانب الأخرى غامضة ، ولم يصل الينا غير نص يؤكد بدوره على أنه عاش محدثاً في المدينة وفي مسجدها . (٨)

(١) دائرة المعارف الإسلامية / م٤ /٤٨٧ (راجع مادة التاريخ) .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية /م٧/٢٣١ (راجع مادة الحديث) .
(٣) مر التعريف بهم سابقاً .
(٤) عبدالعزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب /٢٣ ، كما وصلتنا بعض النصوص التي رواها عبدالله بن أبي بكر عن محمد بن مسلم الزهري .
(٥) هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٤٠ .
(٦) ورد رسم كلمة (خنزابه) في هورفيتس الحاشية بكلمة عزابه والتصويب من ابن حجر / تهذيب التهذيب / ١٦٤/٥ .
(٧) ابن حجر / تهذيب التهذيب / ١٦٤/٥ – ١٦٥ .
(٨) انظر النص : في الطبري / تاريخ الطبري / ٣٨٦/٣ – ٣٨٧

امتاز بصدقه وكثرة رواياته للأحاديث ووصفه أبو حاتم والنسائي بأنه ثقة (١) وأضاف ابن سعد أنه كان كثير الحديث عالما ، وقال مالك : من أهل العلم والبصيرة ، وقال عنه ابن عبدالبر : كان من أهل العلم ثقة ومحدثاً وفقيهاً مأموناً حافظاً (٢) . ووضعه ابن خياط ضمن الطبقة السابعة من محدثي أهل المدينة (٣) وعليه فقد التقت المصادر على ذكره ضمن طبقة المحدثين الثقات .

إن التعرف على جوانب الدراسة التاريخية التي قام بها عبدالله بن أبي بكر بن حزم لايتم إلا بالرجوع إلى كتب التاريخ التي حفظت لنا بين نصوصها بعض آثاره بالرغم من فقدان كتابه الذي يشمل المغازي والسيرة . وتمثل هذه الآثار مقتبسات من النصوص التي ذكرها المؤرخون مثل ابن هشام والواقدي والطبري والبلاذري وابن سيد الناس وابن كثير .

كتابته التاريخيـة :

تناولت دراسته الأحداث التاريخية القريبة من بعثة الرسول (ص) (٤) وبهذا ساهم في الكشف عن بعض الجوانب التاريخية عن (العصر الجاهلي) ثم انتقل إلى دراسة الفترة الإسلامية وشملت حياة الرسول (ص) بما فيها الفترة المكية وذكر الوحي ونزول جبرائيل ، مبايعة الأوس والخزرج للرسول (ص)وموقف قريش من مبايعة الأنصار ، ثم يأتي تركيزه على الفترة المدنية أكثر من الفترة المكية . ذكر مثلاً أول جمعة أقيمت بالمدينة وإسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ،وذكر أول من توفي بالمدينة وأول من ولد فيها بعد الهجرة ، ثم ينتقل بالكتابة عن مغازي الرسول (ص) مبتدأً بغزوة بدر الكبرى (٥) وتصدي المسلمين لقافلة أبي سفيان بن حرب ، وموقف أبي سفيان ، واستنفار قريش ضد المسلمين ، وذكره فيء بدر ، وذكره القتلى والأسرى من قريش . ثم ينتقل

(١) الذهبي / تراجم رجال روى عنهم ابن اسحاق /٢٥ ابن حجر / تهذيب التهذيب /١٦٥/٥ .

(٢) ابن حجر العسقلاني / تهذيب التهذيب /١٦٥/٥ .

(٣) خليفة بن خياط / الطبقات /٦٠٢/٤ .

(٤) بلغ عدد الروايات التي رواها عبدالله بن حزم (٦) نصوص آثاره التاريخية .

(٥) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / ق١ / ٦٠٦ – ٦٠٧ الدوري / تاريخ الطبري /٤٢٧/٢

إلى ذكر غزوة حمراء الأسد (١)وغزوة الخندق ، وغزوة غطفان ، وغزوة بني لحيان، وغزوة ذي قرد ، وغزوة بني المصطلق وسرية زيد بن حارثة إلى وادي أم القرى، ثم غزوة خيبر ، وسرية غالب بن عبدالله ، وغزوة ذات السلاسل ، وغزوة مؤتة ثم فتح مكة ، يوم الخندمة ، وغزوة حنين ، وغزوة تبوك (٢) ، ثم يقدم مادة تاريخية طيبة عن الوفود التي قدمت إلى الرسول (ص) كوفد تميم وحمير سنة ٩ هـ . ووفد الأزد ، ووفد زبيد (٣) ، ووفد عمرو بن معد بن بكر، ووفد عبدالقيس . كما ذكر الوفود التي بعثها الرسول (ص) إلى أمصار الجزيرة العربية كارساله وفدا الى نجد يدعوهم إلى الإسلام سنة ٣ هـ(٤)، وفد الرسول إلى نجران سنة ٩ هـ (٥) .

ونقل لنا عبدالله بن أبي بكر بن حزم بعض كتب الرسول إلى عماله ووصاياه أو تلك التي أرسلها إلى القبائل العربية أو ملوك المناطق المجاورة ومن هذه الكتب كتاب ملوك حمير إلى الرسول (ص) وجواب الرسول عليه (٦) وكتاب الرسول (ص) إلى خالد بن الوليد سنة ١٠ هـ ، وجواب خالد عليه ، (٧) ووصيته لمعاذ حين بعثه إلى اليمن ، وكتاب الرسول إلى كسرى أنوشروان (٨) ثم كتاب مسيلمة إلى الرسول والجواب عليه (٩) . ويبدو أنه ساهم في حفظ جزء من الوثائق الرسمية لدولة الإسلام عن طريق روايته أخبار الكتب والسفارات

(١) ابن هشام / السيرة النبوية / ق٢ /١٠٢ الطبري / تاريخ الطبري /٥٣٥/٢ طبعة المعارف — مصر — ابن سيد الناس / عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير / ٢/ ٣

(٢) سيأتي ذكر هذه الغزوات اثناء إستعراض المادة التاريخية التي قدمها لنا عبدالله بن أبي بكر ابن حزم .

(٣) انظر الطبري / تاريخ الطبري / ١١٥/٣ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، مطبعة المعارف ، مصر .

(٤) ابن هشام / السيرة النبوية / ق٢ /١٨٤ الطبري تاريخ الطبري / ٢، ٤٤٥ — ٤٤٦ .

(٥) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / ق٢ /٥٢٨ .

(٦) الطبري / تاريخ الطبري / ١١٥/٣ .

(٧) المصدر السابق / ١٢٦/٣ .

(٨) نفس المصدر السابق / ٦٥٥/٢ .

(٩) الطبري / تاريخ الطبري / ١٤٦/٣ .

التي بعثها الرسول (ص) في عهده أو الولاة على عهده ، فضلاً عن كشفها عن طبيعة الديبلوماسية عند المسلمين (على عهد الرسول (ص)) .

ولم تقتصر دراسته على هذه النواحي بل روى أخباراً وقعت في عهد الرسول (ص) وهو بالمدينة مثلاً هجرة زينب بنت الرسول (ص) ووقوع أبي العاص زوجها بالأسر في يوم بدر ، واستشارة رسول الله المسلمين باطلاق تجارته ، والحديث عن إسلامه (١) ، وحديث الإفك (٢) والحديبية ، وخروج الرسول معتمراً إلى مكة (٣) وبيعة الرضوان تحت الشجرة (٤)، كما تطرق الى ذكر مرض الرسول (ص) وأمره إلى أبي بكر بالصلاة في الناس (٥) ثم نقله خبر وفاة الرسول (ص) سنة ١١ هـ ويوم دفنه (٦)، وصلاة العباس بالمسلمين على الرسول،والقاء المغيرة بن شعبة خاتماً في قبر الرسول أثناء دفنه . (٧) .

ويتحفنا عبدالله بن أبي بكر بن حزم ببعض المعلومات الإقتصادية كالفيء والغنائم والأصناف الذين شملتهم قسمة الأموال من المسلمين من أموال المؤلفة قلوبهم « من غنائم حنين » (٨) كما يرد في رواياته ذكر لعمال الرسول وبعض ولاته على الوفود الذين بعثهم إلى القبائل العربية أو ملوك الدول المجاورة ، كما قدم لنا بعض أسماء الذين إستخلفهم الرسول على المدينة أثناء خروجه غازياً

---

(١) ابن هشام / السيرة النبوية / ق١ / ٤٥٠ — ٤٥١ ، الطبري / تاريخ الطبري /٢/٤٦٦ — ٤٦٧.
(٢) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / ٢/٢٩٧ — ٢٩٩ ، الطبري / تاريخ الطبري /٢/٦١١
(٣) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢/٣٠٩ ، الطبري / تاريخ الطبري /٢/٦٢٣ .
(٤) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢/٣١٥ ، الطبري / تاريخ الطبري /٣/٦٣٢ .
(٥) ابن سعد / الطبقات /ق٢ /ج٢ /٢٠ .
(٦) راجع ابن هشام / السيرة النبوية / ٢/ ٦٢٢ ، ٦٦٤ ، الطبري / تاريخ الطبري /٣/ ٢١١، ٢١٣ ، ٢١٧ .
(٧) الطبري / تاريخ الطبري / ٣/ ٢٤١ ، ابن سعد / الطبقات / ق٢ /ج٢/٧٨
(٨) انظر ابن هشام / السيرة / ٦٤٢/١ ، ق٢ /٢٤٤ — ٢٤٥ الطبري /٢/٥٤٤ — ٣/ ١٩ — ٢٠ ، ٩٠ .

بالمسلمين (١) ، وذكره عمال الرسول على الأمصار لجمع الصدقات . (٢)

ويستمر عبدالله بن حزم في تقديم الأخبار عن عهد الخلافة الإسلامية ، ففي عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رض) يذكر لنا استشارة عبدالرحمن بن عوف لعمر بن الخطاب حول مبايعة أبي بكر بالخلافة واستقرار رأي عمر على مبايعته أمام الناس بالمدينة (يوم السقيفة) (٣) ثم حديثه عن الردة بما فيها ردة هوازن وسليم وعامر وحضرموت ، وقدوم الأشعث إلى الرسول وإسلامه (٤) ، وتوجيه الجيوش إلى الشام ووقعة قرقس (الجسر) (٥) ،وتكلمه على معركة القادسية . (٦) .

شملت دراسته أيضاً عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، كتوليه الخلافة وذكر خطبته في المسلمين سنة ٢٣ هـ ، وقسمة عمر بن الخطاب لوادي أم القرى بين المسلمين بعد إجلاء اليهود من خيبر (٧) وذكره قصة وقعت في نجران على عهد عمر بن الخطاب . ونشاهد أثراً لروايته في عهد الخليفة عثمان بن عفان فيورد لنا نصاً واحداً عن مقتله سنة (٣٥ هـ) . فقال : (نزول المؤذن عليه يأذنه بالصلاة فرفض وخرج إلى الإمام علي فقام وصلى بالناس في اليوم الآخر من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ حتى قتل (رض) . (٨)

أما العهد الأموي فقد وصل الينا نص واحد كان قد رواه عبدالله بن حزم الأنصاري ، ويتعلق بمقتل ابن الزبير وجماعة من المسلمين ، قال : (بعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبدالله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن

(١) مر ذكر هذه الوفود سابقاً ، كما سيأتي ذكرها ضمن آثاره التاريخية انظر الطبري/ تاريخ الطبري / ٣/ ١٤٧ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٦٥٧ .

(٣) انظر الطبري / تاريخ الطبري / ٢٦٥/٣ ، ٢٦٦ ، ٣٣٩ .

(٤) المصدر السابق /٣٨٧/٣ ، ٤٥٩ .

(٥) المصدر السابق ٥٧٥/٣ .

(٦) المصدر السابق / ٢١٤/٤ .

(٧) ابن هشام / السيرة النبوية /٣٥٧/٢ .

(٨) الطبري / تاريخ الطبري / ٤٢٣/٤ .

حزم إلى المدينة فنصبت بها ثم ذهب إلى عبدالملك بن مروان ثم دخل الحجاج مكة فبايع من بها من قريش لعبدالملك بن مروان) . (١)

تناولت دراسته حياة الرسول وفترة الرسالة ، بعد أن روى لنا بعض النصوص المتعلقة بالفترة القريبة من عهد البعثة النبوية (العصر الجاهلي) منتقلاً إلى ذكر الفترة المكية مستعرضاً ومفصلاً الفترة المدنية مع تركه لنا اشارات تعود إلى العهد الراشدي والأموي تمثل تاريخ الخلفاء .

نستنتج مما سبق كله وجود محاولة لدى عبدالله بن أبي بكر للكتابة عن السيرة بالرغم من تركيزه الواضح على مغازي رسول الله (ص) (٢) وتفصيله في بعضها ، ولاشك أنه استمد رواياته هذه من محدثي أهل المدينة الثقات بالإضافة إلى اهتمامه بالتسلسل التاريخي (الزمني) في عرض مادته التاريخية ففكرة التاريخ واضحة عند ابن حزم .

أسلوبه :

تميزت كتابته بالدقة والحياد إذ كتبها بأسلوب مدرسة المدينة ، وخير ما يفسر هذا تعبيره عن الحادثة الواحدة بأكثر من نص تاريخي أحياناً ، أما الحياد فيتضح من خلال فكرته فلم تكن لديه أية ميول فكرية أو سياسية ، بالإضافة إلى ما امتاز به أسلوبه من البساطة والوضوح بعيداً عن المبالغة والتأثير .

ترك عبدالله بن حزم في كتابته مجالاً لذكر الشعر مستشهداً به على لسان رجال ساهموا في الأحداث التاريخية التي قالوا فيها شعرهم ، فقد أورده في معركة بدر الكبرى (٣) وفي غزوة حمراء الأسد (٤) وفي غزوة خيبر (٧ هـ) (٥) وغزوة بني لحيان سنة (٨ هـ) وما قاله كعب ابن مالك (٦) وما قاله عبدالله

---

(١) الطبري / تاريخ الطبري / ٦/ ٥٥٤ .

(٢) وقد نقل عن عبدالله بن أبي بكرقال أبو جعفر وكانت غزوته بنفسه ستا وعشرين غزوة ويقول بعضهم هن سبع وعشرون غزوة ، جعل غزوة النبي (ص) خيبر ، وغزوته من خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة لانه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أهلها إلى منزله ولكنه مضى منها إلى وادى القرى / راجع الطبرى / تاريخ الطبرى ٣/ ١٥٨١٥٢.

(٣) راجع ابن هشام / السيرة النبوية / ق١/ ٤٥٠ — ٤٥١. الطبرى / تاريخ الطبرى

(٤) انظر ماقاله معبد الخزاعي من الشعر / بعد أن رأى الرسول وصحبه الكرام في هذه الغزوه ابن هشام / السيرة النبوية / ق٢/١١٢. (٥) المصدر السابق / ق٢/٣٦١ الطبرى. تاريخ الطبرى /٣/٢٢١. (٦) ابن هشام / السيرة النبوية / ق٢/٢٨٠ — ٢٨١ ، ٥/٢/٤٦٤ .

بن رواحة في غزوة مؤتة ، (١) وما قاله حماس بن قيس بن خالد (أخو بني بكر) في يوم الخندمة قبل دخول الرسول (ص) مكة (٢) وما ارتجز به كرز بن جابر يوم الخندمة أيضاً (٣) وما قيل على لسان وفد زبيد سنة ١٠ هـ من الشعر أمام الرسول (ص) (٤) ، وما ردد في ردة هوازن وسليم وعامر سنة ١١ هـ (٥) كما وردت أبيات مبعثرة من الشعر في مواقف أخرى من الأحداث التاريخية التي كتب عنها .

علق هورفيتس على ادخال عبدالله الشعر في الأحداث التاريخية بقوله (إن أسرة عبدالله كانت محبة للشعر) . إن هذا التعليق حول الملكة الشعرية التي اتصفت بها أُسرة عبدالله بن حزم لايكفي أن يثبت أن عبدالله كانت له القدرة على نظم الشعر أو أنه كان محباً له ، ولكن نظم الشعر أو كثرته هو تعبير عن طابع البيئة الثقافية التي عاش أو كتب فيها عبدالله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري (٦) ويدعم هورفيتس رأيه هذا بقوله : ولدينا في كتاب الأغاني (خبر عن تحدي أحد أبناء أبي بكر بن محمد (لايمكن أن نقطع أكان عبدالله نفسه أم أحد إخوته (٧)(للفرزدق أن ينظم قصيدة مثل إحدى قصائد حسان التي كان يعجب بها) (٨) ، إن عدم معرفة اسم الشخص من أولاد أبي بكر بن حزم

---

(١) ابن هشام / السيرة النبوية /ق٢/٣٧٧٦ – ٣٧٧ الطبرى/ تاريخ الطبرى /٢/٥٧ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية /ق٢/٤٠٧ – ٤٠٨ ، (٣) المصدر السابق /٢/٤٠٨.

(٤) انظر الطبرى / تاريخ الطبرى /٣/١٣٢، ١٣٤.

(٥) الطبري (تاريخ الطبرى حـ٣) ٢٦٥، ٢٦٦.

(٦) راجع بهذا الصدد / عبد العزيز الدورى في تعليقه عن عروة بن الزبير ، وكلامه على محمدبن مسلم الزهرى / الدورى / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٢، ٢٣ ،.

(٧) لم تصلنا أية معلومات تؤكد على أن عبد الله بن حزم لديه اخوة ، والاصح كان لديه أخ واحد فقط هو القاضي محمد ، انظر ابن حجر / تهذيب التهذيب / ١٢ / ٣٨ .

(٨) راجع / ابي الفرج الاصفهاني / الاغاني / ١٩/٣٨ – ٣٩ ، بيفان / كتاب النقائض (نقائض جرير والفرزدق / ٢/٥٤٦، هورفيتس / المغازى الاولى ومؤلفوها /٤٤ – ٤٧

والذي تحدى الفرزدق بمعارضة شعر حسان لايصلح ـ دليلاً قاطعاً على أن عبد الله كانت لديه الملكة والموهبة الشعرية على حسب ما ذهب إلى تفسيره هورفيتس ، ولكنه استطاع أخيراً أن ينقذ تعليله بالقول : (وتحدث القصة في شباب عبدالله أو أحد إخوته وترينا للمرة الثانية مبلغ عناية أهل الفقه والحديث برواية الشعر ودرسه) . (١)

كما وصلت الينا منه إشارة إلى آيات قرآنية لها صلة بالحوادث كاستشهاده بآية من سورة النساء في غزوة الخندق (٢) وما قالته عائشة (رض) في حديث الافك (٣) وما ذكر في وصية الرسول (ص) لعمرو بن حزم حينما ولاه وفد الحارث بن كعب وبعثه إلى اليمن . (٤)

وتجدر الإشارة إلى قصص الأيام ضمن اسلوبه فقد وردت في كتابته اشارات ضعيفة ، ولم ترد في جميع ما رواه من نصوص سوى إشارتين لها فالإشارة الأولى تدور حول قصة وقعت في نجران . قال ابن إسحاق : حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلاً من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب (رض) حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجدوا عبدالله بن الثامر تحت دفن منها قاعداً واضعاً يده على ضربة في رأسه ممسكاً بيده عليها فإذا أخرت يده عنها تنبعث دماً وإذا ارسلت يده ردها عليها فأمسكت دمها وفي يده خاتم مكتوب فيه (ربي الله) فكتب فيه إلى عمرو بن الخطاب يخبره بأمره فكتب اليهم عمر (رض) أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعلوا) ، وبمجرد القاء نظرة على النص السابق الذي ينتهي اسناده إلى عبدالله نرى أن عبدالله روى النص بعبارة (أنه حدث)ولذا

---

(١) هورفيتس/ المغازى الاولى ومؤلفوها /٤٧.

(٢) القران الكريم / سورة النساء ، آية ٥١ — ٥٥ ، الطبرى/ تاريخ الطبرى /٢/٥٦٥.

(٣) سورة يوسف (ع) / آية ١٨ ، الطبرى/ تاريخ الطبرى / ٢/ ٦١١ .

(٤) سورة المائدة /آية / ١١ انظر ايضاً سورة هود / الآية / ٨ ، وراجع كذلك وصية الرسول في / ابن هشام / السيرة النبوية / ق٢ / ٥٩٤.

لايترك مجالاً للشك أو نقداً لروايته . بالرغم من أن مدرسة المدينة عرفت بالميل إلى الحديث فاتخذت شكل الرواية المجردة من النقد ، (١) كما تفصح لنا كلمة (حدث) وبرأي قاطع أنه نقل النص من كتاب قرأه أو رواية نقلها مشافهة من الآخرين ، فلذا يترك في دراسته مجالاً للنقد والتمحيص .

أما الإشارة الثانية فيعود حدثها إلى معركة بدر ، قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال : حدثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب قال : فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلاً يقول أقدم حيزوم فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت(٢) ، والملاحظ على هذا النص أن عبد الله بن حزم يرويه بنفس طريقة رواية النص السابق وتحت عبارة (أنه حدث عن ابن عباس) . وبهذا الأسلوب من الإسناد استطاع أن يدفع الشك عن روايته كما استطاع بنفس الوقت أن يكشف لنا عن اسلوب مدرسة المدينة الذي لانجد في كتابتها صدى لقصص الأيام .

أما الإسناد فلم يهتم به عبدالله اهتماماً واضحاً ، فأكثر نصوصه التاريخية خالية من الإسناد وليس هذا معناه أنه تخلى عن اسلوب المدينة التي تركز بدورها على الإسناد وتهتم به ، فتراه يركز على الأسناد في رواياته التي تتعلق بفترة ماقبل الإسلام ، أما الفترة الإسلامية (الفترة المكية ، والفترة المدنية) فيذكر الإسناد في بعضها ويترك القسم الآخر بدون اسناد أما الروايات المسندة فيلاحظ عليه فيها أنه يهتم بالاسناد الجمعي إذ يذكر سلسلة من الرواة ، (٣) كما يذكر في بعض نصوصه عدة روايات على الحادثة الواحدة . (٤) وهذا يدل على الدقة . وفي قسم من رواياته يعطي رأيه في الأحداث بدون سند ، وبعمله هذا يضيف

(١) جواد علي / موارد تاريخ الطبرى / ١٥٣ .

(٢) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / (ق١) /٦٣٣ ، الطبرى /تاريخ الطبرى /٤٥٣/٢ ، الاصفهاني /الاغاني / ١٩٨٤ .

(٣) مر بنا قسم من هذه النصوص سابقاً .

(٤) مر ذكر هذه الروايات سابقاً

معلومات جديدة إلى قائمة ما كتبه في دراسته وهي بنفس الوقت تمثل بحوث الشخصية التي اعتمد في كتابتها على جهوده ، (١) أما رواياته الخالية من الإسناد فنراه يحسن تقديم المادة التاريخية فيها ويبدأها في عبارة أنه حدث (٢) أو حدثه بعض أسلم (٣) أو عن عبدالله بن كعب من لاأتهم : قال (٤) بالاضافة إلى هذا فقد وردتنا أكثر رواياته غير المسندة عن تلميذه محمد بن اسحاق قال : حدثني عبدالله بن أبي بكر قال : (٥) وبهذا فإنه يدخل إلى رواية النص بدون ذكر صاحب القول ، بعد أن ينتهي إليه الإسناد ، وبعمله هذا يكون غير متقيد بقواعد الرواية (٦) وبهذا فانه يكمل نصوصه المسندة بروايات غير مسندة يحسن فيها تقديم المادة التاريخية .

مما سبق نلاحظ أن عبدالله بن أبي بكر بن حزم ساهم في وضع إطار الدراسة التاريخية التي كان مركزها الأول المدينة المنورة ، مع المحدثين من معاصريه تلك الدراسة التي اتخذت دراسة لحديث أساساً لها ، إذ أن (أغلب المؤرخين القدماء كانوا من أصحاب الحديث ، فكانوا يتبعون في تدوينهم ومعالجتهم للتاريخ أسلوب المحدثين) (٧) وهذا مانلاحظه في دراسة عبدالله بن حزم ، التي تتسم بوجود نقص في مادته التاريخية التي كتبها فهذا ناتج عن ضياع بعضها ، فلم يصل إلينا منها سوى مقتبسات متناثرة وروايات متفرقة إلا أنها تفي بحاجة البحث وتكوين دراسة حوله . (٨) ومع هذا تبقى الفكرة التاريخية

---

(١) انظر مثلا رأيه في بيعة الانصار للرسول (ص) / الطبرى / تاريخ الطبرى /٢/٣٦٧ ، رأيه في جبريل عليه السلام ونزول الوحي / الطبرى / تاريخ الطبرى /٢/٣٨٦– ٣٨٧ .

(٢) انظر ابن هشام /السيرة النبوية /٢/٥٩٠ ، الطبرى / تاريخ الطبرى /٢/١٢٤،٣٦٧ ، ج٣/١١٥ الاصفهاني / الاغاني / ٤/١٩٨ .

(٣) ابن هشام / السيرة / ق٢/٣٣٢ الطبرى /تاريخ الطبرى /٣/ ١٠

(٤) الطبرى /تاريخ الطبرى / ٢/٥٩٦.

(٥) انظر ابن هشام / السيرة / ق١/٤٥٠ – ٤٥١ ق٢/٣٤٨ الطبرى / تاريخ الطبرى /٢/ ٦٤٦

(٦) جواد علي / موارد تاريخ الطبرى /١٥٧.

(٧) المصدر السابق /١٥٧ .

(٨) سبق وان مر بنا الاشاره حول تركيزه على الفترة المدنية ، ومغازى الرسول (ص) الا أن ذكر بعض غزوات الرسول لم تصلنا معلومات عنها عن طريق روايته ، كغزوة ذات العشيرة وقينقاع والسويق والقردة ، وذات الرقاع وأحد .

كاملة لديه عندما يخبرنا في ثلاثة نصوص أن غزوات الرسول (ص) كانت ستاً وعشرين غزوة .(١) وأما إشارته للأحداث التاريخية التي وقعت في عهد الرسول (ص) أو تلك التي حدثت بعد وفاته ، كانتخاب أبي بكر (رض) أو الردة وتوجيه الجيوش إلى أمصار الجزيرة العربية والشام ، فهي تعبير حي عن واقع الأمة ، وعن صلة الحوادث التاريخية بعضها ببعض مكونة بمجموعها فكرة التاريخ (تاريخ الأمة) . فهو لم يكتب عن السيرة والمغازي فحسب بل تخطى إطارها فكتب عن تاريخ الخلفاء في العهدين الراشدي والأموي بالرغم من كونها إشارات معدودة ومحدودة المعلومات ويمكننا القول بأنه كان قد جمع في دراسته هذه اسلوب المحدثين والمؤرخين . بدليل أن الدراسة التاريخية على عهده لم يتضح منهجها ، ولم يكتمل إطارها إلا على يد تلميذه محمد بن اسحاق (٢) الذي قلد نهج استاذه سواء في الكتابة التاريخية فنقل بعض رواياته (٣) أو في آستعارته التسلسل التاريخي منه في عرض مادته لغزوات الرسول (٤) ، وعليه فقد آهتم عبدالله بالتسلسل التاريخي للحوادث .

وإلى جانب اسلوبه وفكرته فهو يشير إلى الأماكن الجغرافية للحوادث، ولمواقع المعارك ،وهذا يكمل الفكرة التاريخية لديه ولدى القارىء لمادته مثلاً ذكره وفاة آمنة بنت وهب أم الرسول (ص) بالأبواء بين مكة والمدينة(٥)، وذكره مكان تجمع المشركين من بني ثعلبة ومحارب بذي أمر في غزوة غطفان(٦)

---

(١) مر ذكرها ضمن الاسلوب / انظر الطبرى / تاريخ الطبرى / ١٥٨،١٥٤/٣.

(٢) عبد العزيز الدورى / بحث في نشأة التاريخ عند العرب /٧٦.

(٣) بلغ ما رواه محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم أربعون رواية / انظر فهرست الطبرى / مطبوع مع الجزء العاشر / تاريخ الطبرى /٣٠٥ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبرى /٢٠٩.

(٤) انظر الطبرى / تاريخ الطبرى / ٣ / ١٥٢ /، ١٥٤، ١٥٨ .هورفيتس / المغازى الاولى ومؤلفوها / ٢٣ .

(٥) ابن هشام / السيرة / ق١ / ١٦٨ الطبرى / تاريخ الطبرى / ١٦٥/٢ .

(٦) الواقدى / مغازى رسول الله / ١٥١ .

وكذلك ماأورده في غزوة خيبر سنة ٧هـ حيث فتح الله على يد المسلمين حصن الصعب بن معاذ وهو حصن كثير الطعام في خيبر (١) ومن فتح مكة وصول المسلمين إلى ذي طوى ــ وادي بمكة ــ(٢) وقدم لنا بعض الأرقام عن عدد جيش المسلمين في غزوة غطفان فندب الرسول (ص) أربع مائة رجل وخمسين (٣) كما ذكر لنا عدد من أصيب من المشركين ئيوم الخندمة والمسلمون سائرون للدخول إلى مكة فقال : (وأصيب من المشركين ناسٌ قريب من إثني عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً) . (٤) فهذه أمثلة تاريخية تعود ضمن الروايات التي قدمها لنا آبن حزم وهي أرقام مقبولة إلى حد ما، وهي بنفس الوفت تكشف لنا مدى دقته وتمحيصه للمعلومات ، مبتعداً عن المبالغة ولهذا غلبت على اسلوبه طابع آلبساطة والوضوح .

ويتضح لنا من خلال دراسته آهتمامه المبكر بالزمن والتاريخ ، فذكر وفاة أم الرسول (ص) وهو آبن ست سنين ،(٥) ومكث الرسول في غزوة غطفان إحدى عشرة ليلة بعد أن آستخلف على المدينة عثمان بن عفان(٦) ، كما تطرق إلى الزمن (التاريخ) في حوادث أخرى ، وأخيراً يبدو لنا أنه راعى أهمية الوثائق المكتوبة (مراسلات الرسول (ص)) ، فنقلها لنا إلى جانب نصوصه التاريخية ورواياته ، ومما يكسب الأهمية لهذه جميعاً أنه رواها عن محدثين ثقاة كعائشة ، وعمرة بنت عبدالرحمن والزهري وعاصم بن قتادة ، وآبن عباس وغيرهم . وهذا لاشك يعطي لرواياته قيمة تاريخية بالرغم مما حدث لكتابته من فقدان وضياع قد تبقى على أثرها الدراسة التاريخية حولها غير واضحة الخطوط ناقصة .

---

(١) انظر الطبرى / تاريخ الطبرى / ١٠/٣ .
(٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ق٢ / ٤٠٥ .
(٣) الواقدى / مغازى رسول الله (ص) / ١٥١ .
(٤) ابن هشام / السيرة النبوية / ق٢ / ٤٠٨ .
(٥) الطبرى / تاريخ الطبرى /٢ /١٦٥ .
(٦) الواقدى /مغازى رسول الله / ١٥٣ .

وأخيراً أترك القارىء الكريم يتعرف على آثار عبدالله التاريخية التي كتبها.

فترة ماقبل الإسلام (التاريخ الجاهلي)

١. قصة ذبح ابراهيم لولده (١)
٢. ذكر قائد الفيل وسائسه بمكة ، ومصيرهما (٢)
٣. قصة عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب .(٣)
٤. حديث أساف ونائلة ومسخهما حجرين بالكعبة .(٤)
٥. وفاة آمنة ام الرسول (ص) وهو آبن ست سنوات بالأبواء بين مكة والمدينة .(٥)
٦. وصية عبدالمطلب لابنه ابي طالب برعايته لرسول الله (ص)من بعده(٦).
٧. ذكر لحديث الحمس عند قريش وموقف الرسول (ص) منها (٧).

أما فترة الإسلام فقد تناول فيها :

٨. من بيعة العقبة الأولى : إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير من الأنصار (٨)
٩. تسمية نقباء الأوس من قبل رسول الله (ص) (٩)

---

(١) الطبرى / تاريخ الطبرى / ٢٦٥/١ .
(٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ق١ /٥٧ ، علي بن برهان الحلبي / السيرة الحلبية / ج ١٠١/١ .
(٣) المصدر السابق / ق١ /٧٦ . ابن هشام/السيرة النبوية /ق٧٦/١.
(٤) ابن هشام السيرة / ق١ ٨٢ – ٨٣ .
(٥) ابن هشام / السيرة النبوية/ ق١ / ١٦٨ ، الطبرى/ تاريخ / ١٦٥/٢ .
(٦) الطبرى / تاريخ / ٢/ ٢٧٧ .
(٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ق١/ ٢٠٣ – ٢٠٤.
(٨) ابن هشام/ السيرة /ق٤٣٥/١ الطبرى / تاريخ الطبرى/٣٥٩/٢ ، ابن سيد الناس/عيون الاثر / ١٥٩/١
(٩) ابن هشام / السيرة النبوية / ق١ / ٢٤٦ ، الطبرى /تاريخ الطبرى /٣٦٣/٢.ابن كثير/ البداية والنهاية / ٣/ ١٦٢ .

١٠. ما قاله العباس بن عبادة في الخزرج قبل مبايعتهم للرسول (ص) (١).
١١. موقف قريش من بيعة الأنصار .(٢)
١٢. الوحي ومهمة جبرائيل عليه السلام (٣) .
١٣. ذكر أول من توفى بعد هجرة الرسول في المدينة (٤) وأول من ولد بعد الهجرة في المدينة (٥) .
١٤. اسلام عبدالله بن سلام بعد الهجرة .(٦)
١٥. من سنة ٢هـ : وحول غزوة بدر الكبرى ذكر : تصدى المسلمين لقافلة أبي سفيان ، وموقف أبي سفيان من الرسول ، وآستنفاره قريش لقتال المسلمين . (٧)
١٦. حديثه حول إشارة سعيد بن معاذ على الرسول (ص) ببناء عريش له خلال معركة بدر ، ومقتل أُمية بن خلف .(٨)
١٧. حديثه عن شهود الملائكة في وقعة بدر ومقتل أبي جهل (٩)
١٨. كلامه على الفيء وأُسارى بدر أَمثال عمرو بن أَبي سفيان بن حرب(١٠) وأسر أبي العاص آبن الربيع زوج زينب آبنة رسول الله (ص) وهجرة زينب إلى المدينة، موقف قريش منها مشورة أبي سفيان حولها (١١)

---

(١) الطبرى / تاريخ الطبرى / ٣٦٤/٢ .
(٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ق٢ / ٤٤٨ — ٤٤٩ ، الطبرى / تاريخ الطبرى /٣٦٧/٢
(٣) الطبرى /تاريخ الطبرى / ٣٨٦/٢ — ٣٨٧ ، ابن سعد / الطبقات / /١٩١ ، الواقدى / مغازى رسول الله / ٤٠ .
(٤) ابن هشام / السيرة النبوية / ق٥٠٧/١ ، الطبرى / تاريخ الطبرى / ٣٩٧/٢ .
(٥) ابو الفرج الاصفهاني / الاغاني /١١٥/٤ .
(٦) ابن سيد الناس / عيون الاثر / ٢٠٨/١ .
(٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ٦٠٦/١، الطبرى / تاريخ الطبرى / ٤٢٧/٢.
(٨) ابن هشام / السيرة النبوية / ٦٢٠، ٦٣١، الطبرى / تاريخ الطبرى / ٤٤٠/٢، ٤٥١. ،
(٩) ابن هشام / السيرة النبوية / ٦٣٣/١ — ٦٣٤ الطبرى / تاريخ الطبرى /٤٥٣/٢ — ٤٥٤.
(١٠) ابن هشام / السيرة النبوية / ق٤٥٠/١ — ٤٥١الطبرى /تاريخ الطبرى /٤٦٦/٢ .
(١١) ابن هشام / السيرة النبوية / ق٦٥٣/١، ٦٥٤ الطبرى / تاريخ الطبرى /٤٦٧/٢، ٤٦٨.

موقف الرسول من تجارة أبا العاص وإسلامه .(١)

١٩. آستنكار كعب بن الأشرف خبر مقتل المشركين يوم بدر غزوة حمراء الأسد . وآستعداد أبي سفيان للقاء المسلمين .(٢)

٢٠. خبر قدوم أبي براء عامر بن مالك من نجد إلى الرسول (ص) إرسال الرسول وفداً إلى نجد ، الغدر بالوفد وقتلهم . (٣).

٢١. جلاء بني آلنضير من المدينة ، ترك أموالهم ، قسمة أموالهم بين المسلمين ذكر من أسلم منهم (٤)

٢٢. ذكر من يستخلفهم الرسول (ص) في غزواته .(٥)

٢٣. ذكره غزوة الخندق ، وخروج بني النضير إلى مكة ، وتحالفهم مع قريش ، ولقاءهم بغطفان بن قيس وآتفاقهم على حرب الرسول . وإشارة سلمان الفارسي بحفر الخندق . ومقتل سعد بن معاذ في يوم الخندق (٦) .

٢٤. غزوة بني لحيان ، غزوة ذي قرد . قتال بن الأكوع وبلاءه . موقف الرسول منه . موقف المسلمين من الرسول بالقتال . تنظيم الرسول المسلمين(٧) .

٢٥. غزوة بني المصطلق سنة ٦هـ . وسبب غزو الرسول لهم . موت رجل من الأنصار ، آقتتال جهجاه بن مسعود وسنان بن وبر الجهني ، غضب عبدالله ابن أُبي بن سلول وتحريضه الناس ضد آلمهاجرين آعتذاره أمام(٨) الرسول (ص).

---

(١) ابن هشام / السيرة النبوية / ق١ /٦٥٨ الطبرى / تاريخ الطبرى /٤٧١/٢ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ق٢ / ٥١، ١٠٢ الطبرى / ج٢ / ٨٧ ، ٥٣٥ ، ابن سيد الناس / عيون الاثر / ج ٢ / ٣٧.

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية / ق٢ / ١٨٤ الطبرى / تاريخ الطبرى / ٢/ ٤٤٥ — ٤٤٦.

(٤) الطبرى / تاريخ الطبرى / ٥٥٤/٢ -- ٥٥٥.

(٥) الواقدى / مغازى رسول الله / ١٤١ — ١٤٥

(٦) ابن هشام / السيرة / ق٢/ ٢٥١ ، ٢٨٠ الطبرى / تاريخ الطبرى /٥٦٥/٢ — ٥٦٦، ٥٩٥، ابن سيد الناس / عيون الاثر / ج٢/ ٢٥١ .

(٧) ابن هشام / السيرة النبوية /ق٢ / ٢٨١ —٢٨٣ الطبرى / تاريخ الطبرى / ٥٩٦/٢

(٨) ابن هشام / السيرة / ٢٩٠/٢ —٢٩١، ابن سيد الناس ، عيون الاثر/ج٢/٩١.

٢٦. حديث الإفك في غزوة بني المصطاق ، سبب تخلف عائشة عن ركب المسلمين ، مرور صفوان بن المعطل السلمي بها إعراض الرسول عنها(١)
٢٧. من قصة الحديبية ، خروج الرسول معتمراً إلى مكة وتجنبه (ص) لقاء قريش رأي الحليس بن علقمة ، ثم ذكر رسول قريش إلى الرسول (ص) (٢) .
٢٨. بيعة الرضوان تحت الشجرة، وسرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة (٣).
٢٩. كتاب رسول الله (ص) إلى كسرى آنوشروان . (٤)
٣٠. غزوة خيبر سنة (٧هـ) وضع بني اسهم الأسلمين في الغزوة ، قسمة أموال خيبر على المسلمين ، إرسال عبدالله بن رواحة خارصاً على المسلمين ويهود خيبر (٥).
٣١. ومن سرايا الرسول (ص) : سرية غالب بن عبدالله في رمضان إلى الميفعة وصف حالة الرسول (ص) عندما دخل مكة معتمراً سنة ٧هـ . (٦)
٣٢. غزوة ذات السلاسل .(٧)
٣٣. غزوة مؤتة ومقتل جعفر بن أبي طالب ، وصية الرسول بأهله وحزنه عليه ، تشجيع عبدالله بن رواحة المسلمين على القتال ، آثار مؤتة على المسلمين ، وحديث سلمة بن هشام في المدينة (٨)

---

(١) ابن هشام / السيرة / ق٢/٢٩٧ – ٢٩٩ الطبرى / تاريخ الطبرى /ج٢/٦١١.
(٢) المصدر السابق / ق٢/٣٠٩ ، ٣١٢ ،الطبرى / تاريخ الطبرى ج٢/٦٢٣ ، ٦٢٨ .
(٣) ابن هشام / السيرة /ق٢/٣١٥ ،الطبرى / تاريخ الطبرى /٢/٦٣٢ ، ٦٤٣ ،ابن سيد الناس / عيون الاثر / ٢/١٠٨ .
(٤) الطبرى / تاريخ الطبري ٢/٦٥٥ .
(٥) ابن هشام / السيرة / ق٢ /٣٣٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ الطبرى / تاريخ الطبرى /٣/. ١ ، ٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، وانظر ابن كثير / البداية والنهاية / ٤/١٨١ .
(٦) ابن هشام / السيرة / ق٢ / ٣٧١ ،الطبرى / تاريخ الطبرى /٣/٢٤ .
(٧) الطبرى / تاريخ الطبرى / ٣/٣٢.
(٨) ابن هشام / السيرة / ق٢ /٣٧٦ – ٣٨٣ ، الطبرى / تاريخ الطبرى / ٣/٤١ ، ٤٢ .

٣٤. فتح مكة سنة (٨هـ) ، وصول الرسول (ص) إلى وادي طوى ، يوم الخندمة ، وذكره من أصيب من المسلمين والمشركين في يوم الخندمة.(١)
٣٥. غزوة حنين (٨هـ)عدة المسلمين ،وضع أم سليم بنت ملحان في آلقتال (٢)
٣٦. تقسيم الرسول أموال هوازن والمؤلفة قلوبهم من غنائم حنين أخبار الرسول (ص) عند رجوعه من حنين .(٣)غزوةتبوك .
٣٧. أمر الرسول (ص) بالتهيؤ لقتال الروم ، قصة وقعت لرجلين من المسلمين ، محنة المسلمين ومطر السماء عليهم .(٤)
٣٨. ذكره للوفود التي قدمت إلى الرسول (ص) وفد تميم ، ووفد حمير وكتابهم إلى الرسول في رمضان سنة ٩هـ(٥) وصية الرسول لمعاذ حين بعثه إلى اليمن (٦) وفد الرسول إلى نجران ، قدوم وفد الازد إلى الرسول ، ووفد زبيد ، ووفد عمرو بن معد بن بكر ، وفد عبدالقيس .(٧)
٣٩. كتاب مسيلمة الكذاب إلى الرسول (ص) والجواب عليه .(٨)
٤٠. ذكره عمال الرسول وتوزيعهم لجمع الصدقات على الأمصار .(٩)
٤١. ذكره لعدد غزوات الرسول (ص) .(١٠)
٤٢. ذكره وفاة الرسول (ص) والصلاة عليه ودفنه (١١) المغيرة بن شعبة وإلقاءه الخاتم في قبر الرسول (ص) أثناء دفنه .(١٢)

أما كتابته عن العهد الراشدي فهي :

(١) ابن هشام / السيرة / ق٢ /٤٠٥، ٤٠٧ - ٤٠٨
(٢) المصدر السابق / ق٢/٤٤٦ الطبرى / تاريخ الطبرى / ٣/ ٧٣، ٧٦
(٣) انظر الطبري /٣/٩٠،٩٣ .
(٤) ابن هشام/السيرة/ق٢/٥١٦، ٥٢٢/الطبري تاريخ الطبري/٣/١٠١،١٠٥
(٥) الطبرى / تاريخ الطبرى / ٣/١١٥، ١٢٠ .
(٦) ابن هشام / السيرة النبوية /٢/٥٩٠ .
(٧) المصدر السابق /ق٢/٥٢٨، الطبرى / تاريخ الطبرى /٣/١٣٠، ١٣٢، ١٣٤.
(٨) الطبرى / تاريخ الطبرى /٣/١٤٦.
(٩) المصدر السابق / ٣/١٤٧ .
(١٠) الطبرى / تاريخ الطبرى / ٣/١٥٢، ١٥٧، ١٥٨.
(١١) ابن هشام / ق٢ /٦٦٢،٦٦٤ الطبرى /٣/٢١١، ٢١٣، ٢١٧، ٢٤١.
(١٢) ابن سعد الطبقات ج٢/ ق٢ /٧٨.

ما ذكره في يوم السقيفة ، وانتخاب أبي بكر (رض) مشورة عبدالرحمن ابن عوف لعمر بن الخطاب حول مبايعة أبي بكر ، استقرار رأي عمر بمبايعته أمام الناس .(١)

حديثه عن الردة — ردة هوازن وسليم وعامر (٢) وردة حضرموت، قدوم الأشعث إلى أبي بكر وإسلامه من جديد (٣) ، توجيه الجيوش قبل أبي بكر إلى الشام ، وقعة القرقس أو القس قر (الجسر) .(٤)

ذكره لمعركة القادسية سنة ١٤هـ . (٥)

أما خلافة عمر بن الخطاب فقد ذكر عنها :—

١. خطبة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بالمسلمين عندما ولي الخلافة سنة ٢٣هـ (٦) .
٢. قسمة عمر بن الخطاب لوادي القرى بين المسلمين بعد إجلاء اليهود عن خيبر . (٧)
٣. ذكره لقصة وقعت في نجران على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٨).

أما خلافة عثمان بن عفان (رض) فقد تطرق إلى ذكر مقتله (٩) وهو النص الوحيد الذي وصل إلينا من بين رواياته والتي تعود إلى خلافة عثمان بن عفان . أما العهد الأموي :— فقد وصلنا منه نص واحد ذكره لمقتل جماعة من المسلمين على يد الحجاج في خلافة عبدالملك بن مروان(١٠)

---

(١) ابن هشام / السيره النبوية / ق٢ / ٦٥٧ .
(٢) الطبرى / تاريخ الطبرى /٣/٢٦٥، ٢٦٦ .
(٣) المصدر السابق / ٣/٣٣٩ .
(٤) المصدر السابق /٣/٣٨٧، ٤٥٩ .
(٥) المصدر السابق /٣/٥٧٥ .
(٦) المصدر السابق / ٤/٢١٤ .
(٧) ابن هشام / السيرة النبوية /ق٢/٣٥٧ .
(٨) ابن هشام / السيرة النبوية /ق١/١٣٦ ، الطبرى / تاريخ الطبرى /٢/٢٤ .
(٩) الطبرى / تاريخ الطبرى /٤/٤٢٣ .
(١٠) الطبرى / تاريخ الطبرى / ٦/١٩٣ .

المراجع ومصادر البحث

١. القرآن الكريم

٢. ابن حجر العسقلاني :

شهاب الدين ابي الفضل احمد ابن علي (ت٨٥٢هـ)
تهذيب التهذيب ١٢ جزء ط١ — دائرة المعارف النظامية — حيدر آباد — الدكن ١٣٢٦هـ — ١٣٢٧هـ .

٣. ابن خياط

خليفة بن خياط (ت٢٤٠ هـ)
الطبقات (رواية أبي عمران موسى بن زكريا(٤أجزاء حققه سهيل زكار مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٦٦ .

٤. ابن سعد

محمد بن سعد كاتب الواقدي
الطبقات الكبير ، عني بتصحيحه أدوارد سخاو م١ — ٩ . ليدن — بريل ١٣٢١هـ — ١٣٤٧

٥. ابن سيد الناس

فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد (ت٧٣٤هـ)
عيون الأثر في فنون المغازي والسير جزءان مطبعة القدسي والسعادة — القاهرة ١٣٥٦ هـ .

٦. ابن كثير :

عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)
البداية والنهاية ١٤ جزءا مطبعة السعادة — القاهرة ، ١٣٥١هـ / ١٩٣٢ م .

٧. ابن النديم :

الفهرست مكتبة الخياط بيروت ، ١٩٦٤ .

٨. ابن هشام :

أبو محمد عبدالملك بن هشام : الحميري (ت ٢١٣ — ٢١٨هـ)
السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وجماعته — القسم

الأول جزءان والقسم الثاني ج٣ ، ٤ / ط٢ مطبعة مصطفى الحلبي – القاهرة – ١٩٥٥ .

٩. الأصفهاني :

أبي الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)
الأغاني – ٢١ جزء – مطبعة التقدم – القاهرة .

١٠.البلاذري :

أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ على الأغلب .)
٠١ فتوح البلدان ٣ أقسام – نشره صلاح الدين المنجد . مطبعة البيان العربي – القاهرة ١٩٥٦ – ١٩٥٧م .
٠٢ أنساب الأشراف ج١ تحقيق محمد عبدالله – مطابع المعارف – القاهرة – ١٩٥٩م .

١١.حاجي خليفة

مصطفى بن عبدالله
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
م١ – ٢ اعادت طبعه بالاوفست – مكتبة المثنى بغداد .

١٢. الحلبي :

علي بن برهان الدين (ت٩٧٥ / ١٠٤٤م) .
٣أجزاء – إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون (السيرة الحلبية) مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده – ط١ القاهرة – ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

١٣ الذهبي

أبو عبدالله شمس الدين (ت٧٤٨هـ)
١. تذكرة الحفاظ جزءان – ط٣ – مطبعة المعارف ، حيدر آباد – الدكن – ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م .
٢. تراجم رجال روى عنهم بن اسحاق بريل – ليدن ١٨٩٠ م .

١٤. الطبري :
أبي جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)
١٠ أجزاء – تحقيق محمد أبو الفضل – دار المعارف القاهرة ١٩٦١ – ١٩٦٩ ج٢، ٣ – الطبعة الأوربية – بريل – ليدن – ١٨٨٣هـ – ١٨٨٥هـ .
المنتخب من ذيل المذيل .
١٥. الواقدي :
أبي عبدالله محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ)
مغازي رسول الله (ص) ط (مطبعة السعادة – القاهرة) – ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨م

المراجع الحديثة :
١٦. دائرة المعارف الإسلامية : –
نقلها إلى العربية أحمد الشنتناوي ورفاقه .
١٧. الدوري عبدالعزيز
بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ .
١٨. روزنثال :
فرانز
علم التاريخ عند المسلمين – ترجمة د. صالح أحمد العلي – الناشر مكتبة المثنى بغداد .
١٩. علي :
جواد
مقالة موارد تاريخ الطبري – منشورة في مجلة المجمع العراقي – ج١ السنة العاشرة مطبعة التفيض ، بغداد ١٩٥٠

٢٠. معروف
بشار عواد
مقالة : **أثر الحديث** في نشأة التاريخ عند المسلمين ـ دار الجمهورية ، بغداد ـ ١٩٦٦ . (طبعت في كراس صغير)
٢١. هورفيتس :
يوسف
المغازي الأولى ومؤلفوها . ترجمة حسين نصار ـ مطبعة مصطفى الحلبي ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م .

محمود ياسين التكريتي

مدرس مساعد ـ قسم التاريخ
كلية الآداب ـ جامعة الموصل

مكانة العرب ونفوذهم في العصر العباسي

١٣٢هـ – ٢٣٢هـ

صلاح عبدالهادي الحيدري

تعتبر قريش أعز القبائل العربية في الجاهلية والإسلام ، لها الجاه والثروة والرياسة والسيادة الدينية ، وقد ظلت كذلك طوال عهد الراشدين لاينُازعها في ذلك مُنازع .

وحين جاء الأمويون اتبعوا سياسة عربية في غالب أمورهم، لأنهم خشوا على العنصر العربي من الضياع والإندماج مع العناصر الأجنبية ، خاصة عندما أخذ عدد الداخلين في الإسلام من الأعاجم في الإزدياد بسبب كثرة الفتوحات وتوسيع رقعة الدولة فاعتمدوا على العرب دون غيرهم،

□ فحصروا فيهم الوظائف الإدارية والعسكرية،ونقلوا الدواوين من الفارسية والرومية والقبطية إلى العربية ، وضربوا السكة والنقود وكتبوا عليها اللغة العربية . علاوة على ذلك كان فيهم بيت الخلافة وأشراف الفاتحين وكبار العمال والولاة .

ويبدو أن شعور العرب بالتفوق والتعصب تجاه العناصر الأخرى في العصر الأموي لم يكن قاصراً على رجال الحكم ومظاهره ،بل امتد إلى العرب أنفسهم حتى قيل «إن بعضهم كان إذا مرت جنازة عربي صاح (واقوماه)

وإذا مرت به جنازة غير عربي قال (مال الله يأخذ مايشاء ويدع ما يشاء)(١). وهكذا ظل للعرب المكان الأول في الدولة الأموية حتى سقوطها .

وما أن جاء العصر العباسي الأول الذي شهد نمواً ملموساً في نفوذ الفرس لمساعدتهم بني العباس في الوصول إلى مركز الخلافة ، حتى بادر هؤلاء بمكافأتهم بتولي وممارسة تقاليدهم ونظمهم الإدارية كالوزارة مثلاً ، وهذا مادعا السيوطي (٢)إلى القول بأنهم «قدموهم على العرب حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها »

وعلى الرغم مما ادعاه السيوطي إلا أنهم في الواقع كانوا موضع ريبة وشك من قبل السلطة وعلى رأسها الخليفة العباسي الذي كان يجاريهم كما يبدو في بداية الأمر لأن الدولة العباسية في بداية نشوئها ، فكان العباسيون يحتاجون إلى من يؤازرهم في تلك الفترة العصيبة لاسيما وأن أعداء الدولة كانوا متربصين بها .

ولكن ما أن ثبتت الدولة العباسية أقدامها حتى نكلوا بهم ، وقمعوا تطلعهم إلى النفوذ والسيطرة ، فقتلوا أبا سلمة الخلال وأبا مسلم الخراساني ، كما نكبوا بعض العوائل الفارسية المتنفذة كالبرامكة وآل سهل .

لقد كان معظم رجالات العرب الذين اعتمد عليهم العباسيون ينتمون إلى قبائل عربية مشهورة ، كخزاعة ، وباهلة ، وبني المهلب ، وبني حمير ، وبني الحارث (٣) ، وبني تميم ، وبني عبدالقيس (٤) ،وغيرها من القبائل العربية . وقد لعب هؤلاء دوراً كبيراً في مساندة الدعوة العباسية وهي في مهدها ، إذ كان غالبية المشرفين على تنظيمها وسير أمورها من بين رجال

---

(١) دروزة ، محمد عزة –تاريخ العرب في الاسلام ص ٥٨١ بيروت، منشورات المكتبة العصرية.

(٢) السيوطي ، جلا ل الدين عبد الرحمن – تاريخ الخلفاء ص ٢٦٩ – ص ٢٧٠ القاهرة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩ م ط ٤ .

(٣) اليعقوبي ،أحمد بن أبي يعقوب – البلدان ص ٢٥٢، ليدن ١٨٩١ م.

(٤) الطبري ،أبي جعفر محمد بن جرير –تاريخ الرسل والملوك ج٧ ص ٤٦٤ القاهرة ١٩٦٦، الهمذاني ،أبو بكر أحمد بن ابراهيم ، مختصر كتاب البلدان ص ١٧٠ ليدن ١٣٠٢هـ

تلك القبائل ، فكانوا نُقباء للدعوة (١) ، وهؤلاء النُقباء هم (٢) : قحطبة بن شبيب الطائي ، مالك بن الهيثم الخزاعي ، خالد بن ابراهيم الذهلي ، موسى بن كعب التميمي ، لاهز بن قريظ التميمي (٣) ، سليمان بن كثير الخُزاعي ، عمرو بن اعين الخُزاعي ، القاسم بن مجاشع التميمي ، شبل بن طهمان مولى بني أسد ، عمران بن أسماعيل مولى آل أبي معيط ، طلحة بن زريق مولى طلحة الطلحات ، عيسى ابن اعين مولى بريدة بن حصيب الأسلمي . وبذلك نرى أن عدد النقباء العرب هم أكثر من الذين كانت اصولهم فارسية .

كما ساهمت تلك القبائل العربية فيما بعد عند إندلاع الثورة العباسية في مساعدة الجيوش العباسية الثائرة بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي ، الذي عينه إبراهيم الإمام قائداً أعلى للجيش العباسي ، والذي تمكن من إحتلال الكوفة هو وأبناؤه(٤).

وبعد قيام الدولة العباسية لم يتوان الخلفاء العباسيون في الإستعانة بقواد من العرب في القضاء على أعدائهم وخصومهم السياسيين ،

(١) تشير المصادر التاريخية إلى أن عدد نقباء الدعوة بلغ اثني عشر نقيباً ، كما وأن هناك نظراء النقباء وعددهم اثنا عشر ايضاً ، يحلون محل أحد النقباء إذا مات ، ومعظمهم من العرب (انظر مؤلف مجهول – اخبار الدولة العباسية – ص٢١٥ – ص٢١٩ بيروت ١٩٧١ م ، الدكتور عمر ، فاروق – طبيعة الدعوة العباسية – ص١٥٩ بيروت ١٣٨٩هـ = ١٩٧٠).

(٢) انظر – مؤلف مجهول – اخبار الدولة العباسية – ص٢١٥ – ص٢١٧ ، عمر ، فاروق طبيعة الدعوة العباسية – ص١٥٩

(٣) ويسميه صاحب كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص١٥٩ (لاحظ بن قريظة التميمي) .

(٤) مؤلف مجهول – أخبار الدولة العباسية – ص٣٢١ وما بعدها ، ابن قتيبة الدينوري ، ابي محمد عبد الله – الإمامة والسياسة – ص٢٢٥ القاهرة ١٩٠٤ م ، الخضري ، محمد – تاريخ الأمم الأسلامية – ص٢٥ القاهرة – ١٩٧٠م ، فاروق عمر – العباسيون الأوائل – ج ٢ ص٣٨ – بغداد – ١٣٩٢هـ = ١٩٧٣ م ، طبيعة الدعوة العباسية – ص١٩٧ – ص١٩٨

فهذا أبو العباس السفاح عندما أراد قمع ثورة منصور بن جمهور (١) في سنة ١٣٤هـ إستعان بقائد عربي من صميم العرب هو موسى بن كعب . بعثه على رأس جيش عدته ثلاثة آلاف من العرب والموالي بالبصرة ، والف رجل من بني تميم خاصة .(٢)

وتشير بعض المصادر التاريخية(٣) إلى أنه غلب عليه شخصية أبي الجهم بن عطية الباهلي ، كما إتخذ لنفسه سماراً وجلساء من العرب منهم أبو بكر الهذلي ، وخالد بن صفوان ، وجبلة بن عبدالرحمن الأزدي . كما وإنه أوكل إلى بعض رجالات من العرب بعض المناصب المهمة والخطرة في نفس الوقت كالشرطة والحرس الخاص ، فعين عبدالجبار بن عبدالرحمن الأزدي قائداً للشرطة العامة ، كما عين أبا بكر بن أسد الخزاعي قائداً عاماً للحرس الخاص(٤).

يتضح من دراسة تلك النصوص أن الخليفة العباسي أبا العباس السفاح كان يثق بهؤلاء الرجال ، ويعتمد عليهم في إدارة شؤون البلاد السياسية والعسكرية والإدارية ، ولذلك عهد إليهم بتلك المهمات الجليلة . ولم يقف عند هذا الحد بل نراه أيضاً يسمح بعقد المناظرات في مجلسه بين رجالات من العرب يتناظرون فيها بأمجادهم وأنسابهم وأحوالهم وهو في كل ذلك يستمتع بحديثهم وكلامهم العربي الأصيل(٥) .

---

(١) « وهو منصور بن جمهور بن حصى بن عمرو الكلبي من بني كلب بن وبرة ، كان من سكان « المزة » من ضواحي دمشق . وخرج مع يزيد بن الوليد على ابن عمه الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ ثم سار إلى العراق ، فقيل انه أفتعل عهداً على لسان يزيد بامرة العراق ، فحكم بها أربعين يوماً ، وجعل على شرطته حجاج بن أرطأة . ثم انه عزل فسار نحو بلاد السند ، فغلب عليها مدة . ولما استولى السفاح سنة ١٣٢هـ وجه لقتاله موس ابن كعب ، فألتقاد فأنهزم منصور ومات بالمفازة بين السند وسجستان عطشاً » . انظر — الزركلي — خير الدين— الأعلام ج٨ — ص ٢٣٥ — ص ٢٣٦ الطبعة الثالثة .

(٢) الطبري — تاريخ — ج٧ — ص ٤٦٤

(٣) اليعقوبي — تاريخ — ج٢ — ص ٣٦١ ، ص ٣٨٩ النجف — ١٣٥٨هـ ، الهمذاني — مختصر البلدان — ص ١٦٧ .

(٤) المصدر السابق — ج٢ — ص ٣٦١ ، ص ٣٨٩ .

(٥) الهمذاني — مختصر البلدان — ص ١٦٧ .

وأخذت مكانة العرب ومنزلتهم في العلو عندما ارتقى عرش الخلافة العباسية أبو جعفر المنصور الذي لعب دوراً كبيراً في تأسيس الدولة العباسية حتى إعتبر مؤسسها وكان يميل إلى العرب ،وليس أدل على ذلك من قوله عندما حاصر ابن هبيرة ومن معه من القبائل اليمانية في مدينة واسط مخاطباً إياهم « .... السلطان سلطانكم والدولة دولتكم » (١).

وهكذا آعتمد المنصور على رجال تلك آلقبائل العربية وآتخذ منهم قادة أشداء يذودون عنه ويحمونه وقت آلشدائد والملمات ، فاستعان بهم في قمع الحركات المناوئة للسلطان العربي ومنها الحركات الشعوبية (٢) . فعندما ثار الخراسانيون الفرس بزعامة سنباذ (٣) على أثر مصرع ابي مسلم الخراساني على يد الخليفة المنصور سنة ١٣٧هـ هب آلقائد العربي ابو جعفر جهور بن مرار لإخمادها (٤) .كما وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه في سنة ١٥٠هـ ثار استاذسيس لمقتل أبي مسلم الخراساني ، فاستولى على كثير من المدن الخراسانية كهراة وبادغيس ويستار ، فعظُم الأمر على المنصور ، فاختار

---

(١) الدينوري – الإمامة والسياسة – ص ٢٤١

(٢) « الشعوبية هي تعبير عن وعي الشعوب الأخرىوخاصة الفرس ، ومحاولتها ضرب الكيان العربي وازالة سلطان العرب . وهي وثيقة الصلة بالزندقة » – انظر – الدكتور الدوري عبد العزيز – الجذور التاريخية للقومية العربية – ص٣٥ – ط١ – بيروت ١٩٦٠ م.

(٣) (كان سنباذ رجلا مجوسياً من بعض قرى نيسابور وكان من أصحاب ابي مسلمالخرساني وصنائعه ، فلما قتل ابو مسلم ثار سنباذ وكثير اتباعه واطاعه أكثر أهل الجبال الواقعة جنوب بحر قزوين أو بحر طبرستان وغلب على كثير من بلاد خراسان ، واضطر المنصور أن يرسل اليه جيشاً كثيفاً خاض معه معارك واسعة) انظر– ابن الطقطقي،محمد بن علي بن طباطبا –الفخري في الآداب السلطانية – ص١٥٣ ط شالون ١٨٩٤ م (ويرى الدوري : ان سنباذ التف حوله الخرمية والغلاة وبشر في ثورته بنهاية السلطان واعلن انه يريد الذهاب إلى الحجاز وهدم الكعبة) . الجذور التاريخية للقومية العربية – ص٤٠ وفي رأينا ان هذه الحركة الشعوبية والحركات الأخرى المناوئه للسلطان العربي كانت قد اتخذت من مقتل ابي مسلم الخراساني ، حجة للقيام بأعمالها المضادة .

(٤) اليعقوبي – تاريخ – ج٢ – ص ٣٦٨ ، ابن الطقطقي – الفخري –ص ١٥٣

لهذه المهمة أحد رجالات العرب وهو خازم بن خزيمة الذي آستطاع إلحاق الهزيمة بخصمه ثم تمكن من أسره وحمله إلى بغداد (١) .

ويمكن أن نتبين منزلة العرب في عهد المنصور من خلال تخطيطه لمدينة بغداد، إذ آقتطع القطائع لرجالات من العرب وأسكنهم فيها — منها قطيعة الصحابة على نهر الصراة وقد سكنتها جماعات من قريش وربيعة ومضر واليمانية(٢)، كذلك آختط العرب لأنفسهم أرباض الكرخ وقطائعها فإليهم تنسب الدروب والسكك (٣) ، وبنيت قصور لحاشية الخليفة في درب سليمان . وينسب هذا الدرب إلى سليمان بن أبي جعفر في الشارع الأعظم على دجلة بين باب خراسان والجسر . وعند بنائه الجانب الشرقي من بغداد أسكن العرب فيه وأقطعهم آلقطائع أيضاً، فقد أشار اليعقوبي إلى قطائع لبني هاشم على رأس الجسر من جهة الشرق (٤) . كما أشار إلى قطائع تنسب إلى الخزاعيين والباهليين والمهالبة وتتصل بقطائع بني هاشم المذكورة (٥)، وقطائع اخرى لبني حمير وبني الحارث (٦) .

والحقيقة أننا لو دققنا آلنظر في تلك النصوص التاريخية لوجدنا أن تلك القطائع والأرباض لم تمنح من قبل المنصور إلا للأتباع المخلصين اولاً ثم للذين وثق بهم أو حاول كسبهم .

وقد اتخذ المنصور سماراً وجلساء من العرب منهم هشام بن عمر التغلبي ، وعبدالله بن الربيع الحارثي ، واسحاق بن مسلم العقيلي ، والحارث بن عبدالرحمن

---

(١) اليعقوبي — تاريخ — ج٣ — ص١١٥ ، ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد — العبر وديوان المبتدأ والخبر — ج٣ — ص ١٩٨ القاهرة — ١٢٨٤هـ ، السيوطي — الخلفاء — ص ١٧٤.

(٢) اليعقوبي — البلدان — ص ٢٤٣

(٣) نفس المصدر — ص ٢٤٦ .

(٤) اليعقوبي — البلدان — ص ٢٥٢ .

(٥) نفس المصدر — ص ٢٥٢ .

(٦) نفس المصدر السابق — ص ٢٥٢ .

الحرشي (١) . وكان يوصي حاجبه بأن يأذن لهم بالدخول عليه عندما يأتون مباشرة ويقدمهم على غيرهم (٢) .

كما أسند بعض المناصب الإدارية الهامة مثل مناصب الولاية لرجالات من العرب منهم :

يزيد بن حاتم المهلبي (٣)	ولاية أفريقية (تونس)
محمد بن الأشعث الخزاعي (٤)	ولاية مصر
معن بن زائدة الشيباني (٥)	ولاية اليمن
يزيد بن أسيد السلمي (٦)	ولاية أرمينية
روح بن حاتم المهلبي (٧)	ولاية السند ـ ثم فلسطين ـ ثم القيروان
المسيب بن زهير العنبي (٨)	ولاية خراسان

---

(١) اليعقوبي ـ تاريخ ـ ج٢ ـ ص ٣٦١ ، ص ٣٦٩ .

(٢) ابن المقفع ـ رسالة في الصحابة ـ (رسائل البلغاء) ـ ص١٣٠ ـ ط٤ القاهرة ـ ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤م .

(٣) اليعقوبي ـ تاريخ ـ ج٣ ـ ص ١١٨ ، وقد اشار الزركلي ، خير الدين ـ في كتابه الأعلام ج٣ ـ ص٦٣ ط٣ (إلى ان يزيد بن حاتم كان والياً على أفريقية في زمن الرشيد ايضاً) .

(٤) اليعقوبي ـ تاريخ ـ ج٣ ـ ص١١٨ (وهو محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي ، كان من كبار قواد المنصور ، ثم ولاه على بلاد مصر سنة ١٤١هـ وبقي فيها إلى أن توفي سنة ١٤٩هـ) انظر ـ الزركلي ـ الأعلام ـ ج٦ ـ ص ٢٦٤ .

(٥) اليعقوبي ـ تاريخ ـ ج٣ ـ ص١١٨ (وقد ولاه المنصور على بلاد اليمن وقد توفي سنة ١٥١هـ انظر ـ الزركلي ـ الأعلام ـ ج٨ ـ ص١٩٢

(٦) اليعقوبي ـ تاريخ ـ ج٣ ـ ص ١١٨ (ولاه المنصور ولاية أرمينية وبقي فيها حتى بعد مجيء المهدي بن المنصور للخلافة) انظر ـ الزركلي ـ الأعلام ـ ج٩ ـ ص ٢٢٩ .

(٧) اليعقوبي ـ تاريخ ـ ج٣ ـ ص ١١٨ (وكان حاجباً للمنصور ، ثم ولاه ابنه المهدي على بلاد السند ثم نقله إلى البصرة فالكوفة . وولاه الرشيد على فلسطين ثم ارسله والياً على القيروان وبقي فيها الى أن مات سنة ١٧٤ هـ) انظر الزركلي ـ الاعلام ـ ج٣ ـ ص٦٣

(٨) اليعقوبي ـ تاريخ ـ ج٣ ـ ص١١٨ (كان قائداً للمنصور ثم تولى رئاسة الشرطة في زمن المنصور والمهدي والرشيد في بغداد ، وقد ولاه المهدي ولاية خراسان ، وقد توفي سنة ١٧٥هـ) انظر الزركلي ـ الأعلام ـ ج٨ ـ ص١٢٤

هشام بن عمرو التغلبي (١) ولاية السند
خالد بن ابراهيم الذهلي (٢) ولاية خراسان
قثم بن العباس بن عبدالله بن العباس (٣) ولاية اليمامة وخراسان

وكان يكثر من اعتماد هؤلاء الولاة لثقته فيهم وتيقنه من إخلاصهم .

أما معظم القضاة الذين يفصلون بين الناس في أيامه فقد كانوا من العرب في الجانبين الشرقي والغربي من بغداد (٤) .

وهكذا عظمت مكانة العرب عند الخلفاء العباسيين حتى أصبحوا موضع استحسانهم وتقديرهم يركنون اليهم وقت الشدائد والأيام العصيبة ، فقد حظى آل المهلب وآل قحطبة بمنزلة عظيمة عند الخلفاء العباسيين وخاصة المنصور ، فأطلقوا أيديهم في شؤون الدولة حتى أصبحوا مضرب الأمثال .... وقد أشار الأستاذ المدور (٥) إلى أن المهلبيين كانوا من عظماء العرب ومن لهم الرأي المقدم عندهم ، والأمرة المطاعة عليهم ، فقد كانوا هم وآل قحطبة من القواعد الذين نصروا العباسيين على بني أمية ، ثم استمروا في مناصرتهم لهم ، فقدمهم أبو جعفر في المراتب من هذه الوجه حتى انصرفت اليهم الوجوه وانطلقت الألسن في مديحهم بالقصائد التي تعظم عن أن يقال مثلها في الخلفاء أنفسهم كقول المغيرة بن حنباء :—

أمسى العباد لعمري لاغياث لهم
إلا المهلب بعد الله والمطر
هذا يذود ويحمي عن ديارهم
وذا يعيش به الانعام والشجر

---

(١) اليعقوبي — تاريخ — ج٣ — ص ١١٨ (ولاه المنصور سنة ١٥١هـ على بلاد السند ، وقيل انه لما بلغها افتتح كشمير والملتان والقندهار وبنى فيها مسجداً ، وأخصبت البلاد في ولايته واستمر فيها ست سنوات ثم عاد الى بغداد سنة ١٥٧هـ حيث توفي في ذلك العام) — انظر — الزركلي — الاعلام — ج٩ — ص٨٦ — ص٨٧ .
(٢) الزركلي — الاعلام — ج٢ — ص ٣٣٣
(٣) السيوطي — الخلفاء — ص ٢٦٩
(٤) ابن سعد ، محمد — الطبقات الكبرى — ج٧ — ق٢ — ص ٧٥ ليدن ١٣٣٨هـ.
(٥) المدور جميل نخلة — حضارة الأسلام في دار السلام — ص٣٨ ط٢ — القاهرة — ١١٢٣هـ = ١٩٠٥ م .

ولم يقف الخلفاء العباسيون عند هذا الحد ، بل نرى انهم يتخذون لهم حرساً من العرب ، مبالغة في الحيطة ، فقد ذكر ان المهدي — عندما رجع من الحج سنة ١٦٠ ه أخذ خمسمائة من الأنصار يكونون حرساً له بالعراق وأقطعهم واجرى عليهم الأرزاق (١) .

كما وإنهم أبقوا على إجناد العرب في الجيش العباسي رغبة منهم في المحافظة على توازن العناصر المؤلفة للجيش العباسي ، وكان معظمهم يتكون من القبائل المضرية واليمانية (٢) ، وقد عرفوا بأسم — « عرب الدولة » (٣) ، ويذكر الأستاذ هل بأن عددهم كان يصل إلى ما يقرب من١٠٠٠٠٠-١٢٥ ألف جندي عربي (٤) .

وتشير بعض المصادر العربية إلى أن الخلفاء العباسيين اتبعوا سياسة العطاء ومنح الأرزاق لرجال من العرب ، وهي السياسة التي كان قد اتبعها الأمويون من قبلهم . فقد ذكر أن المنصور كان يجري عليهم الأرزاق والمعونات على حسب منزلتهم (٥) . ومن الطريف أن زياد بن عبدالله الحارثي ، كان قد طلب في كتاب بعثه إلى المنصور يسأله زيادة في عطائه وأرزاقه .... فأجابه المنصور إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعتا في رجل أبطرتاه ، وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك ، فأكتف بالبلاغة (٦) .

كما وأن إبنه المهدي قسم في سنة ١٦٤ ه « على بني هاشم أكثرهم خمسة وستين ديناراً وأقلهم خمسة وأربعين ديناراً ومشيخة القريشيين وأكثرهم خمسة وأربعين ديناراً وأقل القريشيين سبعة وعشرين ديناراً ومشيخة الأنصار أكثرهم

(١) ابن الأثير — الكامل — ج ٥ — ص٥٧ .
(٢) الدوري — العصر العباسي الأول — ص١٠١ بغداد ١٩٤٥ م .
(٣) لويس ، برنارد — العرب في التاريخ — ص١٢٠ بيروت ١٩٥٤ م .
(٤) ي . هل — الحضارة العربية — ص٨٤ القاهرة — ١٣٧٥ه = ١٩٥٦م .
(٥) ابن المقفع — رسالة في الصحابة (رسائل البلغاء) — ص١٣٠ .
(٦) السيوطي — الخلفاء — ص ٢٦٧ ط القاهرة — ١٣٨٩ه = ١٩٦٩ م .

سبعة وعشرين ديناراً وأقل الأنصار سبعة عشر ديناراً والعرب أكثر من الموالي(١) ولما نزل المهدي عيساباذ أمر أن تكتب أسماء أولاد المهاجرين والأنصار وفرق فيهم ثلاثة ملايين درهم فأغنى كل فقير وأجبر كل كسير (٢) . ثم قام الرشيد أيضاً ، فأجرى للمهاجرين والأنصار ووجوه أهل الأمصار (٣).
أما عن حياتهم الخاصة فقد امتلكوا الضياع والأراضي الزراعية الشاسعة (٤) وكانوا على ما يبدو يفلحون تلك الأراضي بواسطة أجراء وفلاحين من غير العرب . لأنهم كانوا يأنفون من مزاولة المهن اليدوية (٥) ، لذلك كانوا يتركون هذه الحرف في العصرين الأموي والعباسي إلى الأعاجم .
ونتيجة لهذه المكانة الإجتماعية اللائقة ، فقد حرص الكثيرون من رجالات الفرس على الإنتماء إلى بعض القبائل العربية (٦) رغبة في الوصول إلى تلك المكانة الإجتماعية التي كان يتمتع بها العرب ، وليس ادل على ذلك من بشار بن برد الذي يفتخر بولائه لبني عقيل فيقول :

إنني من بني عقيل بن كعب
موضع السيف من طلي الأعناق (٧)

---

(١) الخطيب البغدادي ، ابي بكر احمد بن علي – تاريخ بغداد – ج١٣ – ص ١٩٤ القاهرة ١٣٤٩= ١٩٣١م
(٢) الأربلي ، عبد الرحمن – خلاصة الذهب المسبوك – ص٦٦ القدس ١٨٨٥ م
(٣) الجهشياري ، ابي عبد الله محمد بن عبدوس – الوزراء والكتاب – ص١٧٧ ط١ – القاهرة – ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م .
(٤) التنوخي ، ابو علي الحسن بن علي – الفرج بعد الشدة – ج١ – ص ١٣١ – ص١٣٢ القاهرة ١٣٧٥هـ= ١٩٥٥ م
(٥) الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر – الحيوان – ج٥ – ص ٣٨٩ القاهرة ١٣٣٨هـ= ١٩٤٥ م ، العلي ، صالح احمد – التنظيمات الاجتماعية والأقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري – ص٦٥ ط٢ – بيروت – ١٩٦٩ م
(٦) يرى فان فلوتن : (ان المسلمين من غير العرب قد الحقوا منذ اعتناقهم الاسلام ببعض القبائل العربية على ان يكونوا موالي لتلك القبائل طمعاً في كسب بعض المظاهر المادية والمعنوية) انظر كتابه – السيادة العربية والشيعة والأسرائيليات ص٣٦ ، ص ٣٨ القاهرة – ١٩٦٥م
(٧) الأصفهاني ، ابو الفرج – الأغاني – ج٣ – ص٢٠ القاهرة – ١٢٨٥هـ

كما وان والبة بن الحباب انتحل له نسباً عربياً فأنكر ذلك عليه أبو العتاهية وهجاه :

أوالــب أنــت في العـــــرب
كمثـــل الشيـــص في الـــرطـــب (١)

غير أن مركز العرب مالبث أن تضعضع وسرى فيهم الضعف لعاملين الأول ؛ الصراع القبلي بين اليمانية والمضرية ، والثاني ؛ بينهم وبين الفرس الذين أخذوا يتبوأون مركز الصدارة ويحلون محل العرب في المناصب السياسية الخطيرة مستهدفين وراء ذلك استعادة أمجادهم القديمة .

ومما لاشك فيه أن الصراع القائم بين العصبيتين اليمانية والمضرية كان العامل الرئيسي في تفكك قواهم وتفتت سلطانهم . ومن المعروف أن الخليفة العباسي أفاد من هذا الصراع بين العصبيتين في عسكر العرب ، فتنافر المضريين واليمانيين وتنازعهم شغلهم عن التكتل والتفرغ للإنقلابات ضد الدولة وقد ورد في المصادر العربية مايشير إلى أن للخليفة العباسي دروا هاماً في إثارة هذا الصراع (٢).

كما أفاد الفرس من النزاع القائم بين الأمين والمأمون ، لتحقيق مآربهم فأيدوا المأمون وحزبه الفارسي بزعامة بني سهل ، ومنذ ذلك الحين استفحل أمرهم في الوقت الذي بدأ سلطان العرب يتدهور .

ولم تزل حالة العرب تسوء يوماً بعد يوم حتى كانت أيام المعتصم فانهار بخلافته سلطان العرب .

صلاح عبد الهادي الحيدري
مدرس مساعد— قسم التاريخ
كلية الآداب — جامعة الموصل

---

(١) الفياض ، عبدالله — تاريخ البرامكة — ص٣١ بغداد — ١٣٦٧هـ= ١٩٤٨ م
(٢) الطبري — تاريخ — ج٨ — ص٣٧ ، ابن الأثير — الكامل — ج٥ — ص٣٤ ، ابن الطقطقي — الفخري — ص٢٣٥

العالم الاديب عبد الملك بن حبيب

حازم عبد الله خضر

علم بارز من أعلام الثقافة في الأندلس ،تحدثت عنه عشرات من المصادر الأندلسية والمشرقية وأشادت بفضله في مجالات عديدة من الوان الثقافة العربية الاسلامية .

وقد سبق سعيد أعراب إلى تناول جانب من جوانب ثقافة عبد الملك وهو الجانب التعليمي في رسالة كتبها عبد الملك إلى معلم ولده ناقش هذه الرسالة وعدها أول نص تعليمي أندلسي ،واستنبط ملاحظات وتوجيهات عديدة في التربية والتعليم ونشر ذلك في مجلة الثقافة المغربيه. ولخصت الملاحظات التي استخلصها وناقشت بعض وجهات نظره فيها.

وكتب الدكتور محسن جمال الدين مقالاً في عبد الملك بن حبيب أكد على الجانب الادبي والشعر بصورة خاصة بعد التعريف بأهم الجوانب الاخرى مختصراً ونشره في مجلة الرسالة الاسلامية التي يصدرها ديوان الأوقاف ببغداد في عدد شباط وآذار سنة ١٩٧٤ .

ومع أن الجهدين قد تناولا نواحي معينة من ثقافة عبد الملك فإني قد أفدت منهما واستشهدت ببعض وجهات نظرهما وناقشت الاخرى في مواضع عديدة يجدها القارىء الكريم أثناء قراءته للبحث .

اسمه ونسبه :

(عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن عباس بن مرادس السلمي يكنى أبا مروان) (١) ويؤكد اليعمري هذا النسب أولاً ولكنه يورد رواية تجعل علماً آخر بين حبيب وسليمان باعتباره جد عبد الملك فيقول: « ... ونقل من خط الحاكم المستنصر بالله بأنه عبد الملك بن حبيب بن ربيع ابن سليمان ... » (٢) ويؤيد اليحصبي ذكر هذا الاسم .

ونلاحظ اختلافاً طفيفاً أيضاً في رسم أحد الأعلام عند ياقوت مع أنه يذكر النسب كاملاً حين يقول : « عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون ابن جلهمة بن عباس بن مرداس السلمي يكنى أبا مروان »(٣) ويبدو أن هذا تصحيف كثيراً ما يقع في تراجم الأشخاص .

ويقف الحميدي في ذكر نسب عبد الملك عند هارون ويضيف اليه بأنه من موالي سليم فيقول : «عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون أبو مروان السلمي من موالي سليم » (٤).

أما الضبي فينفرد باضافة المسيحية فيقول :(عبد الملك بن حبيب بن سليمان ابن هارون أبو مروان السلمي من موالي سليم المسيحية) (٣) .وذلك غير مستبعد للاختلاط الحاصل في الاندلس ويرد نسب عبد الملك مختصراً في عدد من المصادر بهذا الشكل (عبد الملك بن حبيب السلمي) (٤) .ويطرد نسبة عبد الملك على هذا النحو بين التفصيل والاختصار أو الاختلاف الطفيف في لفظ أحد أفراد النسب في جميع المصادر التي ترجمت له والمراجع التي تحدثت

---

(١) تاريخ علماء الا ندلس / ابن الفرضي ص ٢٦٩ ، وتهذيب التهذيب للعسقلاني ج آ ص٣٩

(٢) الديباج المذهب ابن فرحون ص ١٥٤ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣١ .

(٣) معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٤ ، وبغية الوفاة للسيوطي ص ٣١٢ .

(٤) جذوة المقتبس ص ٢٦٣ وتاريخ علماء الاندلس ص ٢٦٩ وغيرهما .

(٥) بغية الملتمس ص ٣٦٤ .

(٦) طبقات النحويين للزبيدي ص ٢٨٢ والمغرب في حلى المغرب ج ٢ ص ٩٦. وميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٦٥٢ .

عن ثقافته وعلمه .

مولده وحياته :

على الرغم من أننا نجد عدداً كبيراً من المؤرخين وأصحاب التراجم قد تعرضوا للكلام على عبد الملك بن حبيب ،فإن أكثرهم قد تعرض لسنة وفاته بالدرجة الاولى وكانت لهم آراء متعددة في تحديدها ،فقسم منهم يجعل الوفاة في رمضان من سنة ٢٣٨ هـ (١) ،وقسم آخر يجعل وفاته في ذي الحجة من سنة ٢٣٩ . (٢)

وهناك من لايحدد سنة وإنما يورد التأريخين فيقول الحميدي « وكانت وفاته بالأندلس في شهر رمضان سنة ٢٣٨ كذا قال يحي بن عمر وغيره ، وقيل مات في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين ومائتين بقرطبة » (٣)

أما سنة ولادته فلا نكاد نجد في المصادر من يذكر شيئاً بشأنها سوى السيوطي وهو متاخر ومع ذلك فلم يحدد تاريخاً وإنما ذكر ذلك بصورة تقريبية حين قال :« عبد الملك بن حبيب الفقيه الكبير عالم الاندلس أبو مروان السلمي ثم المرداسي الاندلسي القرطبي ولد بعد السبعين ومائة »(٤) ، نجد

من يذكر عمر عبد الملك ونرى المصادر تختلف في تقدير عمره فمن قائل أنه عاش أربعة وستين عاماً (٥) ،ومن قائل أنه عاش ثلاثة وخمسين عاماً كالفتح في المطمح والمقري في النفح وصاحب ترتيب المدارك الذي يرى أنه عاش ستة وخمسين عاماًوآخرين(٦)وهناك من يرى أنه عاش أربعة

(١) تاريخ علماء الاندلس / ص ٢٧٢ ، معجم البلدان جـ ٢ ،ص ٢٤٥ . شذرات الذهب حـ٢ص ٨٩ / ٩٠ العبر في خبر من غبر جـ ١ ص ٣٠٨ ، والنجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٩٣ .

(٢) المغرب في حلي المغرب جـ ٢ ص ٩٦ ، طبقات الحفاظ ص ٢٣٣ ومرآة الجنان جـ ٢ ص ١٢٢

(٣) جذوة المقتبس ص ٢٦٤ وبغية الملتمس ص ٣٦٥ والديباج المذهب ص ١٥٦ وغيرهما .

(٤) طبقات الحفاظ ص ٢٣٣ .

(٥) تاريخ علماء الاندلس ص ٢٧٢ ومعجم البلدان جـ ١ ص ٢٤٥ ، وشذرات الذهب جـ٢ ص ٨٩. وبغية الوفاة / ٣١٢ .

(٦) جذوة المقتبس ص٢٦٤ وبغية الملتمس ص٣٦٥ وطبقاتالفقهاء للشيرازي ص١٦٢ وغيرها .

وسبعين عاماً (١) .

وإذا تأملنا هذه المجموعات الثلاث من المصادر والارقام التي أوردتها في تقدير عمر عبد الملك وجدنا المجموعة التي قدرت عمره بأربع وستين سنة ربما كانت أقربها إلى الصواب ذلك أن فيها ابن الفرضي وهو متقدم على الجميع حيث توفي سنة ٤٠٣ ه ويليه ياقوت ،كما أن الأخذ برقم ٦٤ يتفق مع ما ذهب اليه السيوطي من أنه ولد بعد السبعين ومائة كما ذكرنا آنفاً .ويترجح هذا الرأي عندما ننظر في مواقف الدارسين المحدثين الذين حاول عدد منهم وضع تاريخ لولادة عبد الملك ووفاته خلافاً للقدماء وأُبادر إلى القول بأن ذكرهم لتاريخ ولادة عبد الملك إنما كان بالاعتماد على تاريخ الوفاة وذكر مقدار عمره في المصادر القديمة ولذلك وجدناهم يختلفون في هذا التقدير تبعاً لاختلاف القدامى فيه ، فقسم منهم يجعل ولادته سنة ١٧٤ ه (٢) وقسم آخر يجعل ولادته سنة ١٧٩ أو سنة ١٨٠ (٣) ، وهناك عدد آخر قد أغفل سنة الولادة فلم يتعرض لذكرها بالتحديد أو التقدير . وهكذا نجد إجماعاً أو شبه إجماع على سنة وفاته وإختلافاً كبيراً في سنة ولادته وتقدير عمره .وازاء ذلك نستطيع أن نرجح بأن ولادته حوالي سنة ١٧٤ أو أكثر منها بقليل وذلك إعتماداً على ترجيح عمره الذي رأينا أن يكون حوالي أربعة وستين عاماً بخاصة وأننا نجد بعض الباحثين المحدثين يتعرض لوفاة عبد الملك مختاراً رأي المجموعة التي تقول « عبد الملك بن حبيب توفي سنة ٢٣٩ وله من العمر أربع وستون سنة »(٤) .

أما التواريخ الأُخرى فإننا لانرى أنها تنسجم مع تأريخ الوفاة من جهة ومع الأخبار التي أشرنا إلى طرف منها من جهة أُخرى قبل قليل. ذلك أن جعل

---

(١) العبر في خبر من غبر ج ١ ص ٤٢٨ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي

(٢) الاعلام للزركلي ج ٤ ص ٣٠٤ . مجلة الثقافة المغربية ص ٥٧ مقال سعيد اعراب ص ١٠٧ آ ١٠٨

(٣) أثر العرب والاسلام في الحضارة الأوربية ص ٣٧١ . معجم المؤلفين ج ٦ ص ١٨١ .
تاريخ الأدب العربي / بروكلمان ج ٣ ص ٨٦ ، وتاريخ الفكر الأندلسي ص ١٩٥ .

(٤) فصول في الأدب الأندلسي د . حكمت الأوسي ، ص ٦٠ .

الولادةسنة ١٨٠ أو ١٧٩ يعني أن عمر عبد الملك ثمانية وخمسون أوسبعة وخمسون عاماً في الأقل وهو رقم لم يرد في أي من الروايات الكثيرة التي عرضنا جوانب منها وأقرب رقم له هو الذي يجعل عمر عبد الملك ستة وخمسين عاماً ثم يعقب عليه بذكر رواية الشيرازي التي تجعل عمره ثلاثة وخمسين عاماً (١)

أما ماسوى ذلك من الروايات والأخبار فبعيد لايمكن أن يتصور مع الروايات المتوفرة لدينا ، وإذا استطعنا أن نقدر ولادة عبد الملك بحوالي منتصف السبعين بعد المائة كان علينا أن نذكر مكان هذه الولادة، وأكثر المصادر تقول إنه ولد في (البيرة وسكن قرطبة) (٢) ونقرأ في أكثر من مرجع من المراجع الحديثة أنه ولد في حصن واط وقضى صدر شبابه في البيرة وقرطبة((٣) ،ومن المعلوم أن قرطبة في الفترة التي نشأ وترعرع فيها عبدالملك كانت تشهد النهضة العلمية والثقافية على نطاق واسع وكان فيها كبار العلماء والمثقفين المشهورين الذين تلقى عنهم عبد الملك ثقافته وعاومه الاولى ومنهم « صعصعة ابن سلام والغازي بن قيس وزياد بن عبد الرحمن .. » (٤)

وتحدثنا المصادر أن عبد الملك بن حبيب قد حصل علوماً كثيرة وألم بأطراف ثقافه واسعة قبل أن يرحل إلى المشرق على عادة الاندلسيين في رحلاتهم العلمية التي كانوا يرونها أمراً ضرورياً لاستكمال العلوم التي بدأوا بتحصيلها في الاندلس وبغية الوقوف على آخر ما توصل اليه المشارقة من الانجازات العلمية والثقافية ،هذا بالاضافة إلى ما تنطوي عليه الرحلة نفسها من المعاني في نفوس الاندلسيين لعل من أبرزها أنهم ينظرون إلى كل من تلقى عاومه في المشرق نظرة تختلف عن نظرتهم إلى من لم يسافر .. وتحدثنا بعض المصادر

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٦٢ ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٧ .
(٢) تاريخ علماء الأندلس ص ٢٦٩ ومعجم البلدان ج ١ ص ٣٤٤ في التعريف بمدينة البيرة .
(٣) تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٩٣ . مجلة الثقافة المغربية ص ٥٧ .
(٤) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٦٢ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣١ وغيرها .

أن عبد الملك قد رحل إلى المشرق حاجاً وأنه تفرغ للعلم والمعرفة بعد أدائه فريضة الحج وأقام بالمدينة المنوّره فترة من الزمن .

ويلاحظ المتأمل في المصادر أنها تختلف في سنة رجوعه من المشرق أما تاريخ سفره فإنه على رأي عدد من هذه المصادر (حج سنة ثمان ومائتين) (١) ولا نجد خلافاً في سنة رحيله بقدر مانجده في سنة رجوعه إلى الاندلس بعضهم يقول أنه «انصرف إلى الاندلس سنة ست عشرة وقد جمع علماً عظيماً.. »(٢) ونكننا نجد ما يدل على أنه تأخر في المشرق إلى ما بعد سنة ٢١٦ فيحدثنا اليحصبي أنه كتب بأبيات إلى أهله من المشرق سنة عشرين ومائتين .. »(٣) ونحن نميل إلى ترجيح القول برجوعه سنة ست عشرة أو أكثر من ذلك لأسباب عديدة لعل من أهمها الفترة الزمنية التي يستغرقها المسافر إلى المشرق ذهاباً وإياباً وقد تزيد على السنة في بعض الأحيان ومنها أن بعض المصادر ذكرت أن تاريخ رجوعه سنة ست عشرة أو أكثر .ومنها الاشارات العديدة التي تدل على اتصاله بالعلماء ومناظراته في الحجاز ومصر.

ومنها الابيات الشعرية التي أوردها اليحصبي وغيره في الحنين إلى وطنه ونفهم منها شوقاً شديداً ولهفة للقاء الأهل الاصدقاءمن العلماء والادباء في الاندلس وسيأتي ذكر هذه الأبيات عند الكلام على شعره .

وأخيراً فإن هناك من ذكر أن (رحلة عبد الملك استمرت ثماني سنوات (٤)

---

(١) شذرات الذهب ج ٢ ص ٨٩ . والعبر في خبر من غبر ج ١ ص ٤٢٨ . ذكر ابن حجر العسقلاني ان عبدالملك رحل سنة ثمان وخمسين ومائتين وذلك وهم لوقوع هذا التاريخ بعد وفاة عبد الملك بعشرين عاماً . انظر تهذيب التهذيب ج آ ص ٣٩٠ .

(٢) الديباج المذهب ص ١٥٤ وقد ذكر اليحصبي انه انصرف سنة (عشر) ولعل لفظة (ست) قد سقطت من الاصل وهو ، ينسجم مع رواية ابن فرحون المتقدمعلى اليحصبي .

(٣) ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) مجلة الرسالة الإسلامية ص ٥١ ، د . محسن جمالالدين .

والذي نراه أنها استمرت أكثر من هذه المدة للاسباب التي ذكرنا .

ومهما يكن فإن عبد الملك قد مكث في المشرق فترة طويلة لاتقل عن عشر سنوات إن لم تزد عليها وذلك له قيمة كبيرة في افساح المجال أمام العالم الدؤوب للإطلاع على ماتوصل اليه القوم من الإنجازات الثقافية في مختلف العلوم والفنون ولعل من الامور البارزة المهمة في هذه الرحلة لقاؤه بأصحاب الامام مالك وكان هذا اللقاء بالنسبة له هاماً باعتباره أحد علماء المذهب المالكي في الاندلس حيث تحول الاندلسيون اليه بعد أن كانوا على مذهب الامام الاوزاعي .ويصف بعضهم جانباً من نشاطه في المدينة أثناء رحلته فيقول (تردد على مجالس العلم في المدينة المنورة حيث درس مذهب الامام مالك وكان عند رجوعه إلى الاندلس من العناصر الفعالة في تحويل الاندلس إلى المذهب المالكي عن مذهب الاوزاعي ...» (١)

ونلاحظ أن بعض المؤرخين القدامى يقعون في وهم تاريخي عند وصفهم للقاء عبد الملك بأصحاب الامام مالك فيقول صاحب المطمح (انه لقي مالكاً ((٢) ويذكر آخر خبراً عن رحلته فيقول (ويقال أنه أدرك مالكاً آخر عمره ((٣) ويكرر المقري هذه الرواية ويضيف اليها : « ويقال أنه لقي مالكاً آخر عمره وروى عنه سعيد بن المسيب ... »(٤) ويكرر عدد من الباحثين المعاصرين هذه الرواية نفسها دون مناقشة (٥) .. أما مسألة لقاء الامام مالك فانها بعيدة بل مستحيلة الوقوع لسبب هام وواضح هو أن الامام مالكاً توفى١٧٩هـ(٦) أي قبل رحيل عبد الملك إلى المشرق بما يقرب من ثلاثين عاماً وحين كان عبد الملك صبياً .

---

(١) تاريخ الأندلس مقدمة لمحقق هامش ص ٢٣ .

(٢) مطمح الأنفس ومسرح التأنس / الفتح بن خاقان ص ٤٠ وجذوة المقتبس ص ٢٦٤ .

(٣) بغية الملتمس / ص ٣٦٥ .

(٤) نفح الطيب ج ٢ ص ٢١٥ .

(٥) المطرب في أدب الأندلس والمغرب / محمد عجاج ص ٩٧ ، والحلل السندسية ج ١ ص ٢٩١.
وانظر كذلك الرسالة الإسلامية ص ٥١ .

(٦) انظر في ترجمة الامام مالك الاعلام ج ٦ ص ١٨٦ ومعجم المؤلفين ج ٨ ص ٦٨ وغيرها .

ثقافتـــه وفقهـــه :

كثيراً ما تصف المصادر عبدالملك بأوصاف تدل على سعة علمه وذكائه بل إنه على مايبدو قد عدّ في العلماء قبيل أن يسافر إلى المشرق وعندما كانت سنه لاتتجاوز الثلاثين عاماً إن لم تقل عنها يقول الشيرازي رحل وهو فقيه عالم إلى المدينة فعرض كتبه على عبدالملك بن عبدالعزيز الماجشون ... » (١)

وعقد له اليحصبي فصلا تحت عنوان (ذكر مكانه وثناء الفضلاء عليه) ومما قاله فيه : (كان جماعاً للعلم كثير الكتب طويل اللسان فقيه البدن (٢) نحوياً عروضياً شاعراً نسابة اخباريا وكان أكثر من يختلف اليه الملوك وأبناؤهم من أهل الأدب » (٣) ونجد أحد الأدباء الأندلسيين المشهورين الذين دونوا أدب الأندلس وحفظوا لناسير عدد كبير من الأدباء الذين عاشوا قبل القرن السادس الهجري وهو الفتح بن خاقان نجده يثني على عبدالملك ويشيد بمآثره العلمية في شتى الفنون والآداب ، من ذلك قوله فيه : ... خلّدت منه الأندلس فقيهاً عالماً أعاد مجاهل جهلها معالماً وأقام بها للمعالم سوقاً نافقة ونشر منها ألوية خافقة وجلا عن الألباب صدأ الكسل وشحذها شحذ الصوارم والأسل وتصرف في فنون العلوم وعرف كل معلوم وسمع بالأندلس وتفقه حتى صار أعلم من بها وأفقه ....((٤(بل اننا نجده يحتل مكاناً بارزاً من الكتب المشهورة في الأدب واللغة ، ومن يتصفح معجم البكري يجده يعتمد في العديد من صفحاته على عبدالملك بن حبيب ، فقد أورد رأيه بعد شرحه للفظة جمع فقال : (قال عبدالملك بن حبيب : هي المزدلفة (وقال عبدالملك بن حبيب عرنة ليست من عرفة انما هي من الحرم وعرفة خارجة من الحرم ....) . (٥)

---

(١) طبقات الفقهاء ص ٢٨٢.
(٢) فقيه البدن عبارة مبهمة ويبدو أن فيها تصحيفاً أو أن المقصود بها إن صحت (صحة بدنة) .
(٣) ترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٢ / ٣٣ وانظر كذلك الديباج ص ١٥٤ .
(٤) مطمح الأنفس ص ٤٠ .
(٥) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع الصفحات ٣٩٢ و ١١٩١ وغيرها .

ولعلنا لانستبعد صحة الرواية التالية التي قرأناها عن ثقافة عبدالملك ومكانته.

« لما دنا من مصر في رحلته أصاب جماعة من أهلها بارزين لتلقي الرفقة على عادتهم فكلما أطل عليهم رجل له هيئة ومنظر رجحوا الظن فيه وقضوا بفراستهم عليه حتى رأوه وكان ذا منظر جميل ، فقال قوم : هذا فقيه وقال آخرون بل شاعر وقال آخرون بل طبيب وقال آخرون خطيب ، فلما كثر اختلافهم تقدموا نحوه وأخبروه باختلافهم فيه وسألوه عما هو فقال لهم : كلكم قد أصاب وجميع ما قدرتم أحسنه والخبرة تكشف الحيرة والإمتحان يجلي الإنسان ، فلما حط رحله وأتى الناس شاع خبره فقعد اليه كل ذي علم فسأله عن فنه وهو يجيبه جواب محقق فعجبوا ووثقوا بعلمه وأخذوا عنه وعطلوا حتى علماءهم » . (١)

وقد أبرز الباحثون المحدثون مكانة عبدالملك في كثير من دراساتهم في الثقافة والمثقفين الأندلسيين فسماه بعضهم العالم الشاعر (. (٢)

على أننا لاينبغي أن نغفل الفترة التي عاش فيها عبدالملك وحالة العلوم والثقافة فيها فقد عاصر أميرين أولهما الحكم بن هشام الذي تولى الامارة من سنة ١٨٠ وحتى سنة ٢٠٦ هـ. والثاني الأمير عبدالرحمن من سنة ٢٠٦ إلى ٢٣٨ ، وتتحدث المصادر أن الأمير الحكم كان أديباً شاعراً وناثراً يحب الأدب والأدباء ولكن عبدالملك لم يعل قدره ويرتفع مقامه إلا في ظل عبدالرحمن الأوسط الذي وثبت البلاد وثبتها الثقافية الواسعة بجهوده ورعايته ... (٣) وظهر عبدالملك مؤرخاً وأديباً مقرباً من الأمير و« انتشر سموه في العلم والرواية فنقله الأمير عبدالرحمن بن الحكم إلى قرطبة ورتبه في طبقة المفتين فيها فأقام مع يحي زعيمها في المشاورة والمناظرة » (٤) وتولى التدريس في جامع قرطبة وهو أكبر معهد في العاصمة الأندلسية حتى قال بعضهم رأيته يخرج من الجامع وخلفه ثلاثمائة طالب حديث

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ص ١٥٥ وترتيب المدارك جـ ٢ ص ٣٣

(٢) قضايا أندلسية ص ٧ والاعلام للزركلي جـ ٤ ص ٣٠٢ ودولة الاسلام في الأندلس محمد عبدالله عنان جـ ١ ٢٧٣ .

(٣) انظر في ذلك الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٦ / ١٩ .

(٤) الديباج المذهب ص ١٥٤ وترتيب المدارك جـ ٢ ص ٣٥ .

وفرائض وفقه واعراب ... » (١)

ويذكر بعض الباحثين المحدثين : « انه كان يقسم طلبته في مسجد قرطبة إلى مجموعات يدرس كل مجموعة علماً » . (٢) وهذا يدل دلالة واضحة على سعة علم الرجل ومعرفته بأهم أساليب التعليم التي تعتمد على تصنيف الطلبة وتدريسهم حسب قابلياتهم ومواهبهم ورغباتهم .... وقد يطول الكلام إذا عرضنا لجملة أخرى من آراء وأقوال العلماء والمؤرخين والدارسين فيه قديماً وحديثـاً .

آثاره :

ولعل مما يكمل هذه الصورة ويزيدها وضوحاً أن نعرض لبعض المؤلفات التي أوردت المصادر القديمة أسماءها على أنها جزء يسير من أصل ماخلفه ابن حبيب والذي بلغ الفاً أو يزيد كما تذكر مصادر عديدة (٣) غير أننا لا نملك من هذا العدد الكبير سوى أسماء عدد قليل من هذه المصادر ولم يصل الينا من هذا العدد سوى أثرين – فيما نعلم – الأول الرسالة التي نشرها وعلق عليها سعيد اعراب في مجلة الثقافة .والثاني كتاب مخطوط يتناول الأحداث التأريخية في وقت مبكر من حياة الانسان وحتى عصر متأخر وسنذكر الاثرين عند الكلام عن عبد الملك الناثر وعبد الملك المؤرخ .

على أن ذلك لايمنع من ايراد أسماء أهم الكتب التي أوردتها المصادر منسوبةاليه :

١. كتاب الواضحة(٤) في الفقه ويضم – على ما يبدو –مجموعة من الكتب

---

(١) الديباج المذهب ص ١٥٤ وترتيب المدارك جـ٢ ص٣٥

(٢) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٢٦ .

(٣) نفح الطيب جـ ٢ ص ٢١٤ ومن المحدثين الاعلام جـ ٤ ص ٣٠٢ وظهر الاسلام جـ ٣ ص ٢٥. وانظر كذلكالمطربفيأدب الأندلس والمغربمحمدعدجاج وعلي سعد ص ٩٧ . والحركة اللغوية فيالأندلس / البيرحبيب مطلق ص ٧٠ / ٧١ ، وعلمالتاريخ عند المسلمين .. وعرف صاحب كشف الظنون ببعض كتبه منها : علم اعراب القرآن وشرح الموطأ والواضحة انظر الصفحات ١٢١ / ١٢٣ / ٩٠٩ من الجزء الأول والصفحات ١٩٠٧ / ١٩٩٦ من الثاني

(٤) يبدو من تأكيد المصادر أن كتاب الواضحة أهم كتب عبدالملك في الفقه . سماه بعضهم (مصنف الواضحة) انظر مرآة الجنان ص ١٢٢ . وانظر كذلك روضات الجنات ص٤٣٤

الفقهية منها :

أ . الجامع .

ب . كتاب الفضائل .

ج . كتاب تفسير الموطأ .

د . كتاب غريب الحديث .

هـ . كتاب حروب الاسلام .

و . كتاب المسجدين .

ز . كتاب سيرة الامام في الملحدين .

ح . كتاب طبقات الفقهاء والتابعين .

ط . كتاب مصابيح الهدى .

ومن تواليفه الاخرى :

١ . أعراب القرآن .

٢ . كتاب الحسبة في الأمراض .

٣ . كتاب الفرائض .

٤ . كتاب السخاء واصطناع المعروف .

٥ . كتاب كراهية الغناء .

٦ . كتاب في النسب وفي النجوم .

٧ . كتاب الرغائب .

٨ . كتاب الجامع تأليفه وهو في مناسك النبي (ص) .

٩ . كتاب الورع في العلم .

١٠ . كتاب الورع في المال وغيره ستة أجزاء .

١١ . كتاب الحكم والعمل بالجوارح .

١٢ . كتب المواعظ سبعة .

١٣ . كتب الفضائل سبعة فضائل النبي (ص)وأصحابه وفضائل عمر

بن عبد العزيز وفضائل مالك بن أنس .

١٤ . كتاب أخبار قريش وأنسابها خمسة عشر كتاباً .

١٥ . كتاب السلطان وسيرة الامام ثمانية كتب .

١٦ . كتاب الباه والنساء ثمانية كتب وغير ذلك من كتب سماعه في الحديث والفقه وتآليفه في :

١٧ . الطب وتفسير القرآن ستون كتاباً .

١٨ . وكتاب القاريء والناسخ والمنسوخ ورغائب القرآن .

١٩ . كتاب الرهون والبدي والمغازي والحدثان خمسة وتسعون كتاباً.

٢٠ . وكتاب مغازى رسول الله (ص) اثنان وعشرون كتاباً .(١)

ولا يخفي أن عدد هذه الكتب يتجاوز العشرين باعتبار أن عدد منها يندرج في بعض الكتب الرئيسة ... ومهما يقل في احتمال المبالغة في هذا العدد واحتمال أن يكون بعض هذه الكتب فصولاً من أصل كتاب واحد على عادة المؤلفين في تلك العصور حيث كانوا يسمون الفصل أو ما يقل عنه أحياناً كتاباً ... مهما يقل من هذا القبيل فإن هذه الكتب بكثرتها وتعدد موضوعاتها سواء ما كان منها مفقوداً أو مخطوطاً تدل على سعة علم الرجل، وشمول ثقافية وعاو مكانته في علماء عصره ومثقفيهم حتى أثار ذلك حساده من العلماء والادباء الآخرين وتمثل شيء من ذلك فيما نقله ابن حيان حين قال : « كان يحيى بن يحيى وأصحابه الفقهاء يحسدون عبد الملك بن حبيب لتقدمه عليهم بعلوم لم يكونوا يعلمونها ولا يشرعون فيها اذ كان مع تقدمه عالماً بالاعراب واللغة متفنناً في العلوم القديمة » . (٢)

وربما وجدنا هذا الحسد يتطور إلى الطعن في علمه وضبطه حتى نجده

---

(١) كتاب الديباج المذهب ص ١٥٥ / ١٥٦ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٥ / ٣٦ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٣٤٤ . وقد وردت الكتب وأسماؤها واعدادها بصور تختلف عن هذا في مصادر عديدة أخرى .

(٢) المقتبس من أنباء أهل الأندلس ص ٤١ .

عند بعض المتأخرين يتهم بأن روايته ساقطة مطرحه ((١) ويردد شيئاً من من هذا ابن فرحون(٢)واليحصي ولكنهما يستدركان بأن هذا التضعيف ، تحامل من حساده ويستشهد اليحصي بقول منذر بن سعيد القاضي الاديب المشهور : ((انك لا تجد أحداً ممن يحكي عنه معارضته والرد لقوله ساواه في شيءْ وأكثر ما نجد أحدهم يقول كذب عبدالملك أو أخطأ ثم لايأتي بدليل على ما ذكره » . (٣) وشهادة منذر بن سعيد هذه لها قيمتها باعتباره من القضاة الأدباء والعلماء المشهورين في القرن الرابع الهجري.

عبدالملك الأديب :

وإلى جانب الثقافة الإسلامية الواسعة التي كان عليها عبدالملك في مجال الفقه والشريعة والتفسير والسير والمغازي يلاحظ المتتبع لأخباره أنه أديب مارس الأدب في فنيه المشهورين الشعر والنثر تدلنا على ذلك المجموعات الشعرية التي ذكرتها المصادر الأندلسية والمشرقية والأسطر النثرية القليلة التي نقرأوها في عدد آخر من هذه المصادر وإذ كانت الأخبار الدالة على شعره أكثر وأوضح من تلك التي تدل على نثره آثرنا أن نبدأ بالنظر في شاعريته .

وأبادر إلى القول بأن الدكتور محسن جمالالدين قد أورد معظم الأبيات التي وجدت في المصادر المشرقية والأندلسية ولكن فاتته بضعة أبيات أُخرى سأنبه عليها في مواضعها . (٤)

ومما تجدر الإشارة اليه أن مكانة عبدالملك الأدبية نوهت بها المصادر التي ترجمت له فوصفه بعضها بأنه « كان قد جمع علم الفقه والحديث وعلم الإعراب واللغة والتصرف في فنون الأدب وله تصانيف جمة في أكثر الفنون .. » . (٥)

---

(١) لسان الميزان لابن حجر ج ٤ ص ١٧٤ فيما ينقله عن ابن حزم .

(٢) الديباج المذهب / ص ١٥٦ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٦ / ٣٧ حيث يعقد الأخير فصلا بعنوان ذكر ما تحومل به عليه .

(٣) الديباج المذهب ص ١٥٦ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٨ .

(٤) أنظر مقال الدكتور جمالالدين المنشور في مجلة الرسالة الإسلامية .

(٥) أنباه الرواة على أنباه النحاة / القفطي ج ٢ ص ٢١٦ وتاريخ علماء الأندلس ص ٢٧٢ .

ووقف الباحثون المحدثون على بعض جوانب أدبه والأخبار المتواترة عنه فأشادوا بذكره وأكدوا على مكانته وعرف بعضهم بالجانب الأدبي من ثقافته فقال : « ومن الذين الفوا في الأدب في هذا العصر عبدالملك بن حبيب (توفي سنة ٢٣٩ (.... وكان أديباً نحوياً حافظاً وشاعراً متصرفاً في أضرب العلوم المختلفة في الأخبار والأنساب والأشعار وكانت له مؤلفات جيدة في الأدب .. (١)

ومن النماذج الشعرية التي ذكرتها المصادر أبيات يذكر فيها ابن حبيب شيئاً عن وضعه المالي ويشير إلى تفوق المغنين وتفضيلهم في العطاء والمنح عليه وعلى أمثاله من العلماء والفقهاء على قلة الفوائد التي يجنيها المجتمع من المغنين مقابل كثرتها وأهميتها لدى العلماء والفقهاء والمثقفين وكذلك مع الفارق الكبير بين جهد الإثنين :

صلاح أمري والذي ابتغى   سهل على الرحمن في قدرته
ألف من البيض – وأقلل بها   لعالم أو في على بغيته (٢)
يأخذها زرياب في رفقه   وصنعتي أشرف من صنعته

وقد ذكر صاحب المغرب أن المغني زرياب (٣) قد غنى بين يدي الأمير عبد الرحمن الاوسط بشعر أطربه فأعطاه ألف دينار ....

والابيات تدل على ظاهرة إجتماعية شائعة في عصر عبد الرحمن الأوسط وهي مكانة المغنين والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها وحالتهم المادية التي تتسم بالرفاه وسعة العيش مقابل ضيق وحاجة في أوساط اخرى في مقدمتها العلماء والفقهاء وقد أشار أحد الذين ترجموا لعبد الملك وأوردوا هذه الابيات ضمن الآثار الآدبية التي ذكرها له ، بأن عبد الملك « لم يكن من أهل السعة

(١) فصول في الأدب الأندلسي ، د . حكمت الأوسي ص ٦٠ وانظر كذلك : الحركة اللغوية في الأندلس

(٢) وردت هذه الأبيات في طبقات النحويين ص ٢٨٢ والجذوة ص ٢٦٥ والمغرب ج ٢ ص ٩٦ . وأنباه الرواة ج ٢ ص ٢٠٦ والديباج المذهب ص ١٥٦ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٦ ونفح وقد ذكرها الدكتور جمال الدين في مقاله .

(٣) زرياب : أبو الحسن علي بن نافع ، نشأ بالمشرق تلميذاً لاسحق الموصلي في الغناء سافر إلى الأندلس ونال شهرة واسعة : انظر ترجمته في المطرب لابن دحية ص ١٤٧ . وتاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ..

في دنياه ، بل كان من المقتر عليهم رزقهم » .(١)

ويرى بعض الباحثين أن عبد الملك أراد بهذه الأبيات أن ينفس عن نفسه ويبين أن رغبته في الحياة سهلة يسيرة ولكنه لم يستطع الوصول اليها مع أن قليلاً من المال يبلغه ما يريد » (٢) ونحن نعتقد أن مراد عبد الملك ابراز الفرق بين طبقته وطبقة المغنين ومن يتبعهم ولا يقتضي ذلك أن يكون متطلعاً إلى الحياة السهلة اليسيرة وأن قليلاً من المال يبلغه هذه الحياة وواقع الرجل في مكانته وجهوده يلقي ضوء واضحاً على هذه النظرة

ولعبد الملك أبيات اخرى توجه بها إلى الأمير عبد الرحمن الاوسط في يوم عاشوراء يحثه على الوفاء بالمستلزمات الاسلامية لهذه الذكرى فقال :

لاتنس – لا ينسك الرحمن – عاشورا	وأذكره لازلت في الأحياء مذكورا
قال النبي صلاة الله تشمله	قولا وجدنا عليه الحق والنورا
من بات في ليل عاشوراء ذا سعة	يكن عيشه في الحول محبورا(٣)
فارغبفديتك – فيما فيه رغبتنا	خير الورى كلهم حياومقبورا(٤)

وأورد المقرى ثلاثة أبيات منها مع اختلاف بين في بعض الألفاظ على النحو التالي :

لاتنس – لاينسك الرحمن – عاشورا	وأذكره لازلت في التأريخ مذكورا
قال النبي صلاة الله تشمله	قولاً وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسع في انفاق موسمه	أن لايزال بذاك العام ميسورا(٥)

(١) أنباه الرواة على أنباه النحاة ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) قضايا أندلسية د . بدير متولي حميد ص ٣٧ .

(٣) المقتبس / ا ن حيان ص ٤٨ .

(٤) هكذا ورد البيت – وفيه نقص – ولعل اضافة لفظة مثل (مدى) بعد لفظة (يكن) تعين على استقامة الوزن .

(٥) نفع الطيب ج٢ص٤١٢ ويبدو ان الدكتور جمال اعتمد هذه الرواية

ولاشك أن الباحث يفضل رواية ابن حيان على رواية المقري لمكانة الأول في مؤرخي الأندلس وتقدمه على المقري في الزمن والمكانة العلمية والثقافية مما أجمع عليه المؤرخون والدارسون قديماً وحديثاً . (١)

وإذا كانت هذه الأبيات من حيث مضمونها تتسم (بالبساطة) (٢) والوضوح والسهولة كما يرى بعض الباحثين فإن لها دلالة أخرى تتمثل في معالجة القضايا الإسلامية واحياء المناسبات والتذكير بأهميتها وأثرها في المجتمع وما ينبغي على الناس أن يقوموا به ازاءها وبخاصة الأمراء باعتبارهم قدوة لغيرهم وأسوة لرعيتهم وهم أقدر على إيفاء حق هذه المناسبة من عامة الناس.

وأخيراً فإننا نستطيع أن نلمح في الأبيات مظهراً من مظاهر الحياة الأندلسية والمجتمع الأندلسي في هذه الفترة ، ذلك المظهر الذي يدل على الإهتمام بهذه المناسبات واحيائها في ضوء التوجيهات النبوية الواردة بشأنها والتي انطلق منها عبدالملك في أبياته داعياً إلى التوسعة على المحتاجين والمعوزين استجابة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المناسبة وأمثالها .

ويأتي شعر عبدالملك أحياناً خلال المراسلات النثرية التي كان يكتبها لأصدقائه من الأدباء والعلماء ومن هذا النوع نجد أبياتاً أوردتها المصادر الأندلسية والمشرقية وهي موجهة ضمن رسالة بعث بها إلى صديق له من الأدباء اسمه محمد بن سعيد الزجالي (٣) أوردها الزبيدي إذ قال : (وكتب عبدالملك إلى محمد بن سعيد الزجالي (رسالة وصلها بهذه الأبيات : (٤)

كيف يطيق الشعر من أصبحت حالته اليوم كحال الغرق

---

(١) ينظر مثلا : مقدمة الدكتور محمود علي مكي في تحقيقه لجزء من المقتبس . ومجلة العربي عدد ٨٨ سنة ١٩٦٦ . مقال (المؤرخ ابن حيان وكتابه المقتبس في تاريخ الأندلس) للاستاذ محمد عبدالله عنان . (٢) قضايا أندلسية ص ٣٦ .(٣) محمد بن سعيد الزجالي أديب وكاتب للأمير عبدالرحمن الأوسط انظر في ترجمته : المغرب جـ ١ ص ٣٣٠ . والمقتبس ص

(٤) طبقات النحويين ص ٢٨٢ .

إذا قرضت الشعر أو رمته   حالت همومي دونه فانغلق
والشعر لا يسلس الا على   فراغ قلب واتساع الخلق
فاقنع بهذا القول من شاعر   يرضى من الحُضْر بأدنى العنق
أما ذمام الود مني لكم   فهو من المحتوم فيما سبق
ما حلت عن عهدك لا والذي   يجود بالرزق على من خلق

وقد وردت الابيات في مصادر أُخرى ولكنها تختلف عنها في بعض الألفاظ وعدد الأبيات فقد أوردها الفتح على الشكل التالي(وكتب إلى محمد بن سعيد الترحالي رسالة ووصلها بهذه الأبيات :

كيف يطيق الشعر من أصبحت   حالته اليوم كحال الفرق
فاقنع بهذا القول من شاعر   يرضى من الحفر بأدنى العنق
فضلك قد بأن عليها كما   بأن لأهل الأرض ضوء الشفق
أما تمام الود مني لكم   فهو من المحتوم فيما سبق (٢)

ويروى المقري الأبيات بالشكل التالي(وكتب إلى الزجالي رسالة وصلها بهذه الأبيات (٣) :

والشعر لا يسلس الا على   فراغ قلب واتساع الخلق
فاقنع بهذا القول من شاعر   يرضي من الخط بأدنى العنق (٤)
فضلك قد بأن عليه كما   بان لأهل الأرض ضوء الشفق
أما ذمام الود مني لكم   فهو من المحتوم فيما سبق

ويلاحظ أن أبيات الرواية الاولى أكثر من الأبيات الواردة في كل من روايتي الفتح والمقرى و بيت الثاني والبيت الأخير في الرواية غير موجودين

---

(١) الحضر : بضم وسكون وضم : ارتفاع الفرس في عدوه — القاموس ج ٢ ص ١٠
العنق : ضرب من السير فسيح سريع للإبل والخيل — انظر المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٣٨
(٢) مطمح الأنفس ص ٤١ . (٣) نفح الطيب ج ٢ ص ٢١٦ ، ويبدو أن الدكتور جمال الدين اعتمد هذه الرواية .
(٤) الكلمة جاءت بهذا الرسم هنا (الحط) وفيها تصحيف واضح والصحيح كما رويت سابقاً .

في روايتي الفتح والمقرى، كما أن هاتين الروايتين تختلف ثانيتهما عن الاولى بوجود البيت الثاني .

ونحن نفضل الرواية الاولى لانها وردت في مصدر سابق على مصدري الروايتين التاليتين إذ من المعلوم أن الزبيدي قد توفي سنة ٣٧٩، أما الفتح فمن رجال القرن الخامس وأوائل السادس وأما المقرى فمتأخر عن الاثنتين كثيراً .

ومهما يكن من أمر الاختلاف في الأبيات مما اضطررنا لذكر الروايات المتعددة المختلفة فإن هذا لا يغير من دلالتها على تصوير حالة نفسية يبدو أنها عرضت لعبد الملك فقد كان على ما يبدو يعاني من قلق وانشغال فكر لا يمكنه من التفرغ لنظم الشعر الذي لابد له من خلو بال وحضور قلب وهدوء حال واستقرار ويرجع بعض الباحثين هذا إلى ظاهرة عامة يمكن أن تلاحظ في حياة الأندلسيين الذين كانت « ظروفهم لا تسمح لهم بمعالجة الأشعار التي تمثل حياة الدعة والترف ، من الغزل والوصف ومجالس اللهو وهذا عبدالملك ابن حبيب السلمي العالم الشاعر الذي توفي سنة ٢٣٨ هـ يقول : ان الإنشغال وعدم الإطمئنان وقلة فراغ البال تدعو إلى الإنصراف عن الشعر والتجويد فيه وقد كتب رسالة إلى صديقه محمد بن سعيد الزجالي وصلها بهذه الأبيات(١)

وفي رأيي أن أبيات عبدالملك الصق بنفسه وشخصيته وثقافته من أن تكون ظاهرة عامة تسري على جميع شعراء الأندلس بل وحتى على شعراء عصره فقط بدليل أن شعر الشعراء يحوي أغراضاً متعددة ولم يقتصر على غرض واحد بعينه .

ولدينا نموذج آخر من شعر عبدالملك يقرب في ظروفه من ظروف الأبيات السابقة فهو وارد أيضاً ضمن رسالة نثرية كما تحدثنا المصادر ، غير أننا لا نجد شيئاً من نثر هذه الرسالة سوى الأبيات والإشارة إليها : (وكتب بن حبيب إلى الرشاش(٢) الأديب يستهديه مداداً ووجه إليه قارورة كبيرة(: —

(١) قضايا أندلسية ص ٧

(٢) الرشاش : أبو عثمان سعيد بن الفرج المعروف بالرشاش : أديب مترسل مشهور في عصر عبدالرحمن الأوسط ترجم له صاحب المغرب ج ١ ص ١١٤ وغيره .

إحتجت مــن حبر إلى ســقيــة فامدد لــنا منه (مــرساك((١)
وآبعــث وآن قل ّ بـــه طيـبـاً ولا تكن دونـــا فنلـحـــاك
ولا تـهـــولنــك قارورتــــــي فإنهـــا أقنع مـــن ذاك(٢)

ولعلنا نلاحظ طابع البساطة ــ شكلاً ومضموناً ــ على هذه الأبيات فموضوعها عادي يمكن أن يسلك في غرض الشعر الإجتماعي أو الإخوانيات وأما اسلوبها فيتسم بالبساطة والوضوح ولكنه مع ذلك يدل على موهبة في الشعر واضحة . ومما يتصل بهذا الشعر موضوعاً وشكلا بيت واحد أورده ابن حيان بعد أن قدم له بقوله أن (له بيت شعر في التعريض ببعض قضاة الأمير عبدالرحمن ضمنه كتاباً خاطبه في شأنه (من الخفيف) :

كــان بالقاسطين منـــا رؤوفاً وعلى المقسطين ســوط عــذب(٣)

على أننا نستطيع أن نفهم من البيت غرضاً آخر غير مادلت عليه الأبيات السابقة وهو نقد الأوضاع وآلأشخاص وبخاصة المقربين للأمير من القضاة فهو يصور القاضي بالإنحراف عن الحق بظلمه للناس ومحاباته للظالمين حتى كان بهم رؤوفاً رحيماً بينما هو على المحرومين وآلمظلومين سوط يلهب ظهورهم وينزل بهم أنواع العذاب والبلاء .

ومرة أُخرى نلاحظ إفتقار الرسالة إلى النص النثري وآقتصارها على النص الشعري مع أن الإشارة واضحة إلى هذا البيت ضمن رسالة نثرية بل إننا نستطيع أن نرجح بأن هذا البيت قد لايكون الوحيد وإنما هو واحد من مجموعة أبيات لم تصلنا كاملة . ومما نلاحظه في البيت المذكور تأثر عبدالملك

---

(١) يبدو أن في البيت نقصاً وخاصة في شطره الثاني، ولعل حرف الباء قد سقط من لفظة(مرساك) إذ لا يستقيم الوزن إلا بوجوده .

(٢) ترتيب المدارك جـ ٢ ص ٤٥ . ولم ترد الأبيات في أي مصدر آخر . كما لم تذكر في مجلة الرسالة الإسلامية .

(٣) المقتبس ص ٤٨ ، ولم يذكر البيت في مجلة الرسالة الإسلامية .

بالقرآن الكريم والفاظه فلفظة القاسطين وتعني الظالمين وردت في قوله تعالى : « وآما القاسطون فكانو لجهنم حطبا »(١) وأما لفظه المقسطين فتعني العادلين المنصفين وقد وردت في قوله تعالى: وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيءَ إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وآقسطو إن الله يحب المقسطين» .(٢)

فإذا توقفنا قليلاً بعد هذه الصورة الشعرية التي أوردناها لعبدالملك وأعدنا النظر في جميع الصور الأخرى السابقة عليها وجدناها تمثل لنا شعر عبدالملك في ظل الأمير عبدالرحمن الأوسط وبعد رجوعه من رحلته الإسلامية العلمية إلى المشرق والتي قدرنا أنها إستغرقت حوالي عشر سنوات أو أكثر ، أما الصور التي سنوردها الآن فهي تمثل لنا الشعر الذي قاله عبدالملك أثناء رحلته ومن المؤسف أننا لانملك من هذه الصور الشعرية سوى إثنتين : —

أما أولاهما فقد قالها عبدالملك دفاعاً عن نفسه وتأكيداً لشخصيته الثقافية ومنزلته العلمية حيث يفهم منها أنه قوبل بحذر وتحفظ بل ربما بأعراض وفتور يدل على جهل بحقيقته وآستصغار لشأنه (... وحكى أنه قال في دخوله الشرق وحضر مجلس الأكابر فازداراه من رآه فقال : —

لا تنظـــرن إلى جسمي وقلّتــه ... وآنظر لصدري وما يحوي من السنن
فرب ذي منظر من غير معـــرفة ... ورب من تزدريه العين ذو فطن
ورب لؤلؤة في عـــين مزبلـــة ... لم يلق بال لها إلا إلى زمـــن(٣)

ونفهم من الأبيات بالإضافة إلى الفتور الذي إستقبل به عبدالملك أبان وصوله المشرق نفهم أنه كان نحيف الجسم رقيقاً لايلفت مظهره نظر الناس ولا يتوقعون أن ينطوي مثله على ذلك العلم الذي حواه . كما نفهم أيضاً

---

(١) سورة الجن آية (٦) ، وانظر تفسير اللفظة في القاموس ج ٢ـص ٣٩٥ .

(٢) سورة الحجرات ، آية (٩) ، وانظ تفسير اللفظة في القاموس ج ٢ ص ٣٩٥ .

(٣) مطمح الأنفس ومسرح التأنس ص ٤١ . ونفح الطيب ج ٢ ص ٢١٦ ، وقد وردت في مجلة الرسالة الإسلامية .

معالجة عبدالملك لآفات إجتماعية طالما نخرت في جسم االتمع في كل زمان ومكان وهي إعتماد المظاهر مقياساً للإحترام والتعظيم والحكم على الأمور والأشخاص بالظاهر السطحي دون آلباطن الحقيقي . وكم ضاع من آلناس وفقدوا ماكان ينبغي لهم من الإحترام والتعظيم بسبب هذا آلمقياس ومنهم من أُهمل وكان محط آزدراء وآحتقار إلى زمن طويل حتى يتهيأ له أن يكشف عن نفسه ويثبت بطلان آلحكم عليه كاللؤلؤة الملقاة في مزبلة لايتوقع أَحد أن يجدها في مثل هذا آلمكان وقد يطول زمن ضياعها حتى يتهيأ لها أن تُرفع وتُوضع في مكانها الصحيح .

ومن أَبيات هذه آلمجموعة الصورة الثانية التي قالها في المشرق ويبدو أنه كتب بها إلى أهله سنة عشرين ومائتين :—

أُحبُ بلاد الغربِ والغرب موطني ألا كل عربيّ عليَّ حبيبُ
فيا جسداً أَضناه شوقٌ كأنه إذا نُضيت عنه الثياب قضيبُ
ويا كبداً عادت رُفاتاً كأَنها يلدّغها بالكاويات طبيبٌ
وأَهلي بأَقصى مغرب آلشمس دارهم ومن دونهم بحر أَجش مهيبُ
وهول كريه ليله كنهاره وسير حثيث لركاب (تنوبُ) (١)
فما الداءُ إلا أَن تكون بغُربة وحسبُكَ داءٌ أَنَّ يُقالَ غريبُ
فياليتَ شعري هل أَبيتن ليلةً بأَبأَكناف نهر الثلج حين يصوفي
وحولي صحابي وبنتي وأُمها ومعشر أَهلي والرؤوف مجيب (٢)

ولا يخفى أَن هذه آلأبيات تمثل غرضاً طالما تردد في شعر الأندلسيين القرنين الثاني والثالث الهجريين فكثيراً ماكانوا يحنون إلى أَوطانهم ويرسلون الزفرات الحرى يصوغونها شعراً معبراً أَصدقَ تعبير عن حُبهم لوطنهم وتعلقهم به كالذي نجده لعبدالرحمن الداخل في مخاطبته نخلة وجدها في الأندلس فذكرته بأَهله ووطنه في المشرق :

(١) لعل لفظة (دؤوب) بدل (تنوب) في آخر هذا البيت حيث يكون المعنى أكثر دقة واستقامة.
(٢) ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٦ والديباج المذهب كاملة سوى اختلاف وتصحيف في بعض الألفاظ وقد ذكرت الأبيات في الرسالة الإسلامية سوى البيت السادس .

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلةٌ تناءت بأرض الغرب عن وطن النخل
فقلتُ شبيهي في التغرُّب والنوى وطول التنائي عن بنيَّ وعن أهلي
نشأتِ بأرض أنتِ فيها غريبةٌ فمثلكِ في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتكِ غوادي المزن في المنتأى الذي يسحّ ويستمري السماكين بالوبل(١)

وتذكرنا هذه الأبيات بقصائد عديدة لشعراء مشارقة في هذا المعنى أو غيره ولكن في نفس القافية والوزن كما يدل على تأثر الأندلسيين بالمشارقة وحرصهم على محاكاتهم في أدبهم وبخاصة في فترة القرنين الثاني والثالث أي الفترة التي عاش بها عبدالملك بن حبيب .(٢)

عبدالملك الناشر

وإذا جئنا إلى النظر في الملكة الأدبية الثانية — وهي الكتابة والنثر وجدنا قدراً قليلاً لايُعين على تكوين صورة واضحة متكاملة عن النثر الذي كان عبدالملك يمارسه ولكنه على كل حال يعطي فكرة موجزة ولمحة خاطفة... ولقد أشرنا سابقاً إلى أن بعض النصوص الشعرية وردت ضمن رسائل بعث بها عبدالملك إلى الأمير عبدالرحمن تارة وإلى أصدقائه تارةً أُخرى لكننا لانجد بين أيدينا نصوص هذه الرسائل وأشرنا كذلك إلى أن هذا كان نهجاً عاماً لدى الأدباء الأندلسيين وهو الإنتقال من النثر إلى الشعر لتجديد نشاط القارىء وتشويقه إلى الإستمرار في القراءة والتتبع ولكن المؤسف أن لانجد هذه النماذج كاملة بين أيدينا مما يجعل أمر القول في نثر عبدالملك وخصائصه محاطاً بكثير من التحفظ والحذر ومتسماً بالعموم والإجمال أكثر من انصافه بالتخصيص والتفصيل .

وينفرد اليحصبي (٣) بإيراد نص فيه أسطر قليلة يمكن أن تُعد نموذجاً من نثر عبدالملك وتنبهنا على ممارسته لهذا الفن بشكل أوسع وأشمل وإن لم يكن قد وصلنا كاملاً .

---

(١) البيان المغرب ابن عذاري المراكشي ج ٢ ص ٩٠ ، وانظر كذلك ص ٨٩ أبيات أخرى في نفس المعنى أو قريب منه لعبدالرحمن الداخل نفسه .

(٢) وقد أشار الدكتور محسن جمال الدين إلى هذا التأثر اشارة عامة ، انظر الرسالة الإسلامية ص ٥٥

(٣) ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٦ / ٤٧ .

(ولما بلغه من تحامل الفقهاء عليه ، ما شق عليه ، كتب إلى الإلأمير عبد الرحمن : ـأسبغَ الله على ٱلأمير كرامته وأعلى في الجنة درجته ، ان العذ ري أكرم الله الأمير قال أبياتاً أُعجبَ بها ٱلعلماء (مافيها مثل يضرب على الأمير) في خاصة نفسي واليسير من ٱلتعرض يكفي غيره من التصريح كما قال الشاعر :

لذى ٱللُبِ قبل اللوم ماتقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما (١)

وهي :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيــه في ٱلقومِ أعداءٌ له وخصوم (٢)
كضرائر الحسناء قلـن لوجههـا حسـداً وبغيـاً إنـه لـدميـم
يلقى اللبيبُ مشتمـاً لم يجتـرم شيم الرجـال وعرضـه مشتوم

وما هذا إلا كما قال زهير :

وأخـذ التحمي ليس يبرحُ حاملاً ذنباً عليكعر فت أم لم تعرف (٣)

ونجد نموذجاً يمكن أن نضمه إلى الأسطر السابقة لكي نستطيع أن نقف على بعض ٱلخصائص النثرية التي ٱمتازت بها كتابة عبدالملك ...

وهذا ٱلنموذج: نص رسالة كتبها عبدالملك إلى معلم ولده وقد نشرها(٤) سعيد اعراب ودرسها من ٱلوجهة التربوية والتعليمية، وسنأتي لدراسته هذه بعد قليل.

أما نص الرسالة فهو : ـ

فليكن أول ماتؤدب نفسك ، فإن عيني متعلقة بهم وأعينهم متعلقة بك ،

---

(١) ورد البيت منسوباً للمتلمس في ديوانه بهذه الصورة :

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الانسان إلا ليعلما

انظر ديوان المتلمس ص ٢٦ تحقيق حسن كامل الصيرفي ١٩٧٠ ، ونسبه ابن عبد ربه لعقيل بن أبي طالب (انظر العقد الفريد ج ٤ ص ٦) .

(٢) أورد ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ٢ ص ٩٠ هذه الأبيات في باب الحسد ولم يسم قائلها كما قدم البيت الأخير وجعله أولا وأورده بهذه الصورة :

وترى اللبيب محسداً لم يجترم شيم الرجال وعرضه مشتوم

(٣) لم أقف على هذا البيت في ديوان زهيربن سلمى ولافي ديوان ابنه أبي كعب . وفيه تصحف على ما يبدو ولعل (أخو) بدل أخذ هي الاصل ليستقيم الوزن والمعنى) .

(٤) نشرت الرسالة في مجلة الثقافة المغربية ج٧ سنة ١٩٧٢ .

فالحسنُ لهم ماآستحسَنتَ والقبيحُ عندهم ما آستقبحتَ ، علمهم كتاب الله ولا تُكرههم عليه فيملّوه ولا تخرجهم من فن إلى فن حتى يحصّلوه لأن آزدحام العلوم مضلّةٌ للفهم ومشقّةٌ للذهن ، وعلِّمهم من الشعرِ أعفّه ومن آلحديثِ أشرَفهُ وكنْ لهم مثل الطبيب المُشفق لايضع الدواء إلا في موضع الداء وهددهم بي ولا تضربهم دوني وآجعل أدبكَ لهم مدحاً يزدادون رفقاً وشوة وتطلقهم في النهار ثلاثة أوقات : بعد الصحو للإفطار ، وقبل الظهر للغدا وبعض الراحة، ومع عشية النهار وذلك بحسب قصر النهار وطوله، يوسع عليهم في طوله ويضيق عليهم في قصره، وآطلقهم يوم الخميس بعد كتبهم للألواح وإصلاحها وتجويدها، وليس عليهم رجوع إلى المكتب إلا صبيحة السبت» (١)

والنص الأول مع الأبيات فيدل بوضوح على تحامل الفقهاء وحسدهم لعبدالملك وأنه كان في وقت ما هدفاً يرمى من قبل الحاسدين والمبغضين ..

وهو إلى جانب هذا يدل على تأثر عبدالملك بالشعراء والأدباء المشارقة وحفظه لأشعارهم وآستشهاده بمجموعات من أبياتهم في نثره وشعره .

وربما استطعنا أن نلمح اتجاهاً نقدياً يعتمد الموازنة بين المعاني وارجاعها إلى قائليها ولكنه على كل حال اتجاه ضعيف ولمحة خاطفة لا تمكن من الحكم الواضح ولا تسوغ وصف عبد الملك بالنقد على أن النصين الاول والثاني إذا نظر اليهما من خلال دلالتهما النثرية أمكننا القول بأن عبد الملك ناثر وان له اسلوباً واضحاً فيهما غير أن هذا الاتجاه لا يكاد يخرج عن اسلوب المشارقة بل نجد نصاً مشابهاً للجاحظ نسبه الى عتبة ابن ابي سفيان في وصية لمؤدب ولده : ((... ليكن أول ما تبدأ به من اصلاحك بني اصلاحك نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم مااستحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت ، علّمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملّوه ولا تتركهم فيه فيهجروه ثم روّهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه ولا

(١) مجلة الثقافة المغربية جـ٧ سنة ١٩٧٢ مقال سعيد اعراب .

تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلّة للفهم ، وعلّمهم سير الحكماء وأخلاق الادباء وجنبهم محادثة النساء ، وتهددهم بي وأدبهم دوني وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الماء ولا تتكل على عذرى ، فإني قد اتكلت على كفايتك وزد في تأديبهم أزدك في بري إن شاء الله)) (١) .

ويتضح من النصين أن بينهما تشابها كبيراً إلى درجة تدفع إلى القول ، باعتماد أحدهما على الاخر فكان عبد الملك أخذ هذه الوصية ونسج على منوالها واعتمد بعض عباراتها ولكنه خالف في بعض مبادىء التربية وأضاف إليها المنهج اليومي للتعليم كما سنرى عند النظر في الرسالة من الوجهة التربوية والتعليمية.

غير أن مايجعلنا في الحكم باعتماد عبدالملك على الجاحظ أن البيان والتبيين لم يظهر في المشرق إلا بعد سنة ٢٣٣(٢) وإذا كانت وفاة عبدالملك سنة ٢٣٨ أو ٢٣٩ على ما مر بنا فإن من الصعب أن نتصور وصول كتاب البيان إلى الأندلس بهذه السرعة كما أن كتابة عبدالملك رسالته إلى معلم ولده تلفت نظرنا إلى أن هذه الرسالة ربما كتبت قبل هذا التاريخ بفترة ، لأن أولاده قرؤا العلم عنه وكانوا كباراً عند وفاته(٣) .

ومهما يكن من أمر التشابه أو الإختلاف بين الرسالتين فإن رسالة عبدالملك تعطينا صورة عن خصائص كتابته التي تتميز بالسجع وقصر العبارة ... وغيرها من الصفات والخصائص التي نجدها في اسلوب الجاحظ خاصة وأساليب كتاب المشرق عامة ولعل مما يؤيد هذا أن الأندلسيين في هذه الفترة كانوا معنيين أشد العناية بمتابعة أهل المشرق وترسم خطاهم في الأدب شعره ونثره . وإذا كنا في شك

---

(١) البيان والتبيين جـ٧ ص ٧٣ .

(٢) ذلك ما توصل اليه عبد السلام هارون في مقدمته لتحقيق البيان والتبيين . ، بعد النظر في علاقة الجاحظ بأحمد بن أبي دواد وتوجه الجاحظ بكتاب البيان اليه قبيل وفاته سنة ٢٣٣ انظر مقدمة المحقق للبيان والتبيين ص١٥/١٦ .

(٣) ترتيب المدارك جـ٢ ص ٤٨ والديباج المذهب ابن فرحون ص ١٥٤ .

من اعتماد عبدالملك على الجاحظ في هذه الرسالة فنحن أمام احتمال القول بنسبتها إليه في وقت متأخر من حياته وإذا كان سعيد أعراب قد نشرها وهو يعتقد أنها لعبدالملك من خلال العبارات التي تبدو واضحة فيها ... فلم يبق أمامنا إلا أن نفترض اعتماد عبدالملك على أدباء آخرين أو على تيار النثر المشرقي بصورة عامة وذلك يمكن أن يكون قد حدث في رحلته للمشرق واطلاعه على اسلوب الجاحظ وغيره قبل أن يظهر البيان والتبيين .

عبدالملك المعلم والمربي :

وإذا أعدنا النظر في هذه الرسالة من خلال النهج التربوي والتعليمي وجدناها قد احتوت جملة من التوجيهات التربوية والتعليمية في تربية الصبية وتعليمهم وفق أحدث الوسائل التعليمية وألوان النهج المتبعة الآن في أماكن عديدة من العالم وهي مثار دراسات المتخصصين والمعنيين بشؤون التربية والتعليم ...

وقد إلتفت سعيد أعراب إلى أهمية هذه الرسالة بعد أن عثر عليها مخطوطة ونشرها ثم علق عليها باستنباط أهم القواعد والأسس التربوية والتعليمية التي كان عبدالملك يرى ضرورة اتباعها من قبل المعلمين لتكون رسالتهم ايجابية منتجة وتكون جهودهم ناجحة مثمرة . وسأورد ملخصاً لهده النقاط مع الإشارة إلى النصوص التي استنبطت منها :—

١ . شخصية المعلم وما ينبغي أن تكون عليه من القدوة الحسنة والسيرة الفاضلة وهي من قول عبدالملك في صدر الرسالة (فليكن أول ما تؤدب به نفسك فإن عيني متعلقة بهم وأعينهم متعلقة بك ، فالحسن لهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت ...) .

٢ . ويخطط ابن حبيب لتعليم أبنائه منهجاً يضم من أهم فِقَره و اولى مواده : (تعليم كتاب الله(حفظاً ومدارسة وترتيلاً لما في ذلك من أثر كبير في رسوخ العقيدة الصحيحة واستيعاب الاصول الأولى لأكثر العلوم العربية والاسلامية مما يشكل القرآن الكريم أصلاً أصيلاً له .

٣ . وينصح ابن حبيب معلم ولده أن يأخذهم بالرفق والترغيب دون الاكراه والترهيب وذلك واضح في قوله : (ولا تكرههم عليه فيملّوه و ...) .
٤ . ومن القواعد الأساسية في التربية والتعليم حتى الآن — وقد إلتفت إليها عبدالملك التدرج في تدريس الموضوعات للطلبة فلا ينتقل بهم من موضوع إلى آخر حتى يستوعبوه ويقفوا على تفاصيله ودقائقه فيقول : (ولا تخرجهم من فن إلى فن حتى يحصّلوه لأن ازدحام العلوم مضلّة للفهم ومشقة للذهن) .

٥. ومن المواد التي تضمنها منهج عبدالملك في التربية والتعليم : تعليم الشعر ولكنه قيّد ذلك بأن يكون الشعر الذي يدرس مبرء من المجون والعبث أو القبح والهجاء .

٦. ويحث المعلم على تعليم الحديث الشريف فيقول : (وعلمهم من الشعر أعفّه ومن الحديثِ أشرفه) ويقصد بشرف الحديث صحته وسلامته من الضعف والوضع وغيرهما .

والذي نميل إليه أن المقصود بشرف الحديث حديث الأدباء والعلماء وأقوالهم إذ الحديث النبوي شريف كله .

ويرى الأستاذ أن ذكر الحديث الشريف ووجوب تعليمه مع القرآن الكريم وعدم الإكتفاء بالشعر العفيف مذهب مغربي وأندلسي خاص .

٧. ويشترط ابن حبيب في المعلم أن يكون حكيماً في تصرفاته مع طلبته كالطبيب الذي (لايضع الدواء إلا في موضع الداء) .

٨. ويتطرق ابن حبيب إلى مشكلة هامة شغلت المربين منذ القديم وهي : عقوبة الطفل وقد كانت وما تزال موضع أخذ ورد فمنهم من أباحَ الضرب ومنهم من منعه ومنهم من توسط ، وابن حبيب من المتشددين في هذا الباب فهو لايُبيح لمعلم أبنائه أن يضربهم أو يُغيضهم (فهددهم بي ولا تضربهم دوني) .

٩. ومن القضايا الهامة التي التفت إليها عبدالملك أن يجعل المعلم تأديبه مدحاً وتشجيعاً لاذماً وتقريعاً . وهذا فيما نعتقد أصل من الأصول الخطيرة

في التربية وإن كان البعض يستهين بأثره غير مقدر لحقيقة أبعاده ونتائجه... يقول عبدالملك في ذلك : (وأجعل أدبك لهم مدحاً يزدادون رفقاً وشوقاً (، ويعلق ، اعراب على ذلك بقوله : « والمسألة تتصل بعلم النفس ، فمن كان مرباه – كما يقول ابن خلدون – بالعسف والقهر ، طابه القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث خوفاً من انبساط الأيدي إليه بالقهر وفسدت معاني الإنسانية التي له ثم يجعل الأستاذ الباحث ما تبقى من الرسالة متعلقاً بما يسميه :

اليوم الدراسي والأسبوع الدراسي :

ويفهم من توجيهات عبدالملك في هذا الخصوص أن الأسبوع الدراسي في رأيه يبدأ صباح السبت وينتهي في عصر الخميس ولذلك يكون يوم الجمعة بطوله عطلة .

وهذا يفهم من قوله (ونطلقهم في النهار ثلاثة أوقات ....

١. من الصباح الباكر إلى وقت الضحى يدرس فيه الصبيان القرآن الكريم.
٢. عند الضحى استراحة لتناول الفطور .
٣. من الضحى إلى ماقبل الظهر للكتابة وتعليم الخط .
٤. وقبل الظهر ينصرف الصبيان إلى بيوتهم لتناول الغداء .
٥. بعد الظهر يدرسون بقية العلوم من شعر وحديث وما إلى ذلك .
٦. وعند الظهر استراحة خفيفة تختلف بحسب طول النهار وقصره ...(١)

وبعد أن ينتهي اعراب من عرض أهم النقاط التي وقف عليها في رسالة عبدالملك يعقب على ذلك بقوله :

(ولابن حبيب آراء تتصل بالتربية والتعليم جاءت متفرقة في بعض كتبه أورد طائفة منها القابسي في رسالته (٢)...) ومن طريف آرائه أنه أباح

(١) الثقافة المغربية ج٧ سنة ١٩٧٢ ص٥٩/٦٥ .

(٢) انظر علم التاريخ عند المسلمين والتعليم في رأي القابسي الدكتور أحمد فؤاد الاهواني ، ، ص ٢٧٤ وص ٢٧٦ وغيرها

الإستئجار على تعليم الشعر وأيام العرب وخالف أئمة الفقه في ذلك ..
ثم يختم بحثه بقوله :

(فنحن إذا نظرنا إلى ابن حبيب كأحد المربين في الإسلام ومن الرعيل الأول في الغرب الإسلامي ، نجد أنه صاحب رأي وصاحب رسالة ترفع اسمه في قائمة المربين ولا سيما إذا عرفنا أنه عاش في القرن الثالث الهجري أي في صميم القرون الوسطى التي يعدها المؤرخون من عصور الظلام والتأخر في حياة العالم) .(١)

عبدالملك المؤرخ :

ونود أن نلقي بعض الأضواء على جانب هام آخر من جوانب ثقافة هذا العالم الكبير في فترة خطيرة من فترات الأندلس كانت تحدث خلالها تحولات كبيرة في جميع نواحي الثقافة والمعرفة وألوان العلوم والفنون والآداب ومظاهر الحضارة .

هذا الجانب هو التاريخ حيث كان عبدالملك على مايبدو من المعينين الذين شغلت جهوده مكاناً بارزاً في الدراسات التاريخية في هذه الفترة المهمة من تاريخ المجتمع الإسلامي في الأندلس .

يحدثنا الزبيدي أن لعبدالملك عدداً كبيراً : (من دواوين الفقه والحديث والأخبار ((٢) ويحدثنا الف ضي عن عبدالملك بن حبيب مؤكد على الجانب التاريخي في ثقافته فيقول : (أن له مؤلفات في الفقه والتواريخ والآداب كثيرة حسان).(٣)

أما ابن سعيد فإنه يشيد بثقافة عبدالملك وجهودة في ميدان التاريخ والمؤرخين وأنه كان : (نابه الذكر في تاريخ بن حيان والمسهب وغيرهما(٤) والمصادر

---

(١) مجلة الثقافة ج٧ سنة ١٩٧٢ ص ٦٥ .
(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ٢٨٢ .
(٣) تاريخ علماء الاندلس ص ٢٦٩ .
(٤) المغيب في حلى المغرب ج٢ ص٩٦ .

الثلاثة المذكور أندلسية قريبة من عهد عبدالملك وتعد من الأسس والقواعد الرئيسة في مصادرنا الأندلسية ولعل أهم مافي أخبار هذه النصوص تأكيدها على إعتماد ابن حيان في مؤلفه التاريخي المشهور على عبدالملك وإذ كان ابن حيان من الشخصيات التاريخية البارزة المتسمة بالدقة والعمق والإستقصاء(١) فإن إعتماده على عبدالملك يلفت الدظ إلى أهمية الأخير ومكانته في التاريخ والمؤرخين في عصره ... وإلى جانب هذا نرى مؤرخاً خر من مؤرخي الأندلس يعتمد إعتماداً بارزاً وهاماً على عبدالملك كقوله مثلاً وهو يروي عن عبدالملك :

« ... وقال عبدالملك بن حبيب ، عن الليث بن سعد أن إنساناً جاء إلى موسى لما وصل ناحية طليطلة فقال إبعث معي أدلك على كنز فبعث معه رجالاً ...»
« وقال عبدالملك بن حبيب ، لما ولي الأندلس السمح بن مالك الخولاني سنة ماية في الأندلس في خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه دخل الأندلس جيش من العرب » .

(قال عبدالملك بن حبيب يرفعه إلى نعيم التجيبي .....)(٢)

وهكذا لو إستعرضنا العديد من كتب التاريخ والتراجم الأندلسية لوجدناها تعتمد على عبدالملك بن حبيب ربما يشير بعضها إلى كتابه في التاريخ على أنه مصدر هام رئيس من مصادره عن فترة مهمة من فترات التاريخ الأندلسي .

وإذا عرفنا هذه المكانة التي يمثلها عبدالملك في كتب التاريخ الأندلسي وحتى المشرقي إلى حد مااستطعنا أن نتغاضى ولو قليلاً عن قضية ضياع كتب عبدالملك في التاريخ مادامت هناك نصوص تاريخيه تروى عن عبدالملك وتكوّن ركناً بارزاً في عدد من مصادر الأندلس على أن هناك أثراً

---

(٤) مقال محمد عبد الله عنان في مجلة العربي (المؤرخ ابن حيان وكتابه المقتبس) عدد ٨٨/ ١٩٦٦ .

(٥) تاريخ افتتاح الاندلس / الصفحات ٢٠١ /٢٠٧ /٢١٠ /٢١٤ على التوالي . وانظر كذلك الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٥٩ وصفحات أخرى .
وانظر كذلك علم التاريخ عند المسلمين الصفحات ١٠٠ /٥٢٧/٦٤٧/وغيرها .

تاريخياً باقياً هو (الكتاب المسمى بالتاريخ) (١) يرى بعضهم ن : « أول كتاب صنف في ألأندلس ، وبقي إلى الآن ينسب إلى أبي مروان عبدالملك ابن حبيب السلمي المرداسي الألبيري القرطبي » (٢) . هذا الكتاب مايزال مخطوطاً في المكتبة البودلية في أكسفورد وعنوانه كما يرد في هذه المخطوطة هو : « كتاب في إبتداء خلق آادم وحواء وما كان من شأنهما مع إبليس وعدة الأنبياء نبياً نبياً إلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعدة الكتب المنزلة وعدة الخلفاء إلى حين إستفتاح الأندلس وما وجد فيها من الذهب والفضة والجوهر والياقوت والزمرد والأمتعة وما أخرج منها وعدة ملوكها ومن يلها وذكر شيء من الحدثان وما يعلم منهما في بعض البلدان وكم عمر الدنيا وما مضى منها وما بقي إلى أن تقوم الساعة . تأليف : عبدالملك بن حبيب رضي الله عنه وفيه ذكر القضاة — قضاة قرطبة لابن الحارث» .(٣)

ثم يمضي الكاتب في وصف المخطوطة فيقول : « . . . ونجد في الورقة الأولى من هذه المخطوطة بيان بمحتوياته وفيها تبين أنه يبدأ بالكلام على: أولية خلق الدنية ويتحدث فيه عن أول مابدأ الله به خلقه في السموات والبحار والجبال والجنة والنار وآدم وحواء ثم ماجرى بينهما وبين إبليس ثم بعض سير الأنبياء حتى يصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ويتكلم عن الكتب المنزلية ثم يذكر سير الخلفاء حتى فتح الأندلس » . ثم يحدثنا عما يوجد بالأندلس من الذهب والفضة واللآلئ والياقوت والزمرد وما إلى ذلك من الخيرات وميون الثروة ...) . (٤)

هذا المخطوط التاريخي الذي قدم موجزاً لوصفه كما ورد في أحد مراجعنا الأندلسية هو الأثر الوحيد الذي نعرف أنه موجود مخطوط من كتب عبدالملك

(١) تاريخ الفكر الاندلسي / بالنثيا ص١٩٥ وتاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ص ٤٧٩

(٢) تاريخ الادب العربي / بروكلمان جـ٣ ص ٨٦ .

(٣) تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٩٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٩٥ .

التاريخية ... يدل عنوانه على موضوعاته ، فهو يبدأ مع بدء الخليقة ثم يتدرج في تتبع الحوادث سائراً مع الزمن متعرضاً لأهم الأحداث التي تهم الناس منذ القديم . والكتاب بهذا يبدو ذا أهمية في التاريخ العربي العام والأندلسي بوجه خاص ولكن ذكره لأحداث وقعت بعد وفاة عبد الملك جعل بعض الباحثين يشك فيه جملة ويرى أنه ربما كان منسوباً اليه و ((أن ابن حبيب لم يكتب الكتاب أو لم يكتب الا جزء منه)) . (١)

واذا أضفنا إلى هذا ما لاحظه عدد من الباحثين الذين اطلعوا على المخطوطة المذكورة من وجود ((بعض الاساطير التي نسجت حول فتح المسلمين للاندلس)) (٢) استطعنا أن نفهم الدوافع التي دفعت البعض إلى التقليل من قيمة كتب عبد الملك عامة والقول بأن : ((تآليفه لم تظهر ترض أهل العلم المحققين وما وصل الينا منها يؤيد هذا الرأى)) (٣) . ونقول أنه اذا كان لهذا الرأى ما يبرره عند من يطلع على مخطوط عبد الملك التاريخي فان هذا لاينبغي أن ينسحب على مؤلفاته كلها بسبب مكانة الرجل العلمية وشهرته التاريخية واعتماد المصادر العديدة على ما أورده من أخبار وبخاصة ابن حيان كما أشرنا سابقاً . ويؤكد هذه المكانة الدارسون والمتخصصون بالتاريخ واللغة والحضارة في عصرنا الحديث فيصفه أحدهم بأنه : ((أول مؤرخ أصيل أنجبته الاندلس)) . (٤) ونجد هذا الباحث يقرن عبد الملك إلى أشهر المؤرخين المصريين فيقول : ((واذا كان من المتعارف عليه بين المؤرخين أن أول مؤرخ بمصر الاسلامية هو عبد الرحمن بن الحكم ، فان من المتعارف عليه بينهم كذلك أن أول مؤرخ للأندلس الاسلامية هو عبد الملك بن حبيب ...)) . (٥)

---

(١) تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٩٥ .

(٢) الادب الاندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٢٦ / ١٢٧ .

(٣) شيوخ العصر في الاندلس ص ٣٤ وانظر كذلك دائرة المعارف الاسلامية جـ١ ص ١٢٩ ؛

(٤) أثر العرب والاسلام في الحضارة الاوربية ص ٨٧ والادب الاندلسي من الفتح إلى سقوط الحضارة ص ١٢٦ /١٢٧ .

(٥) المصدر نفسه ص ٣٧١ .

لقد كان عبد الملك عالماً في شتى فروع المعرفة وكان كما وصفه كثيرون ((متصرفاً في أضرب العلوم المختلفة في الاخبار والانساب والاشعار وكانت له مؤلفات جيدة في الأدب إلى جانب تآليفه الكثيرة في التواريخ والفقه ...)) (٦)

وقد يطول بنا الحديث اذا ذهبنا نستقصي آراء الباحثين في علمه وثقافته قديماً وحديثاً ولعل ما أوردناه من بعض نصوصهم يكفي في اعطاء صورة واضحة عن مكانة الا جل في الاوساط العلمية الثقافية والتاريخية ... ولا نرى بعد هذا تضعيف الا جل والتقليل من شأنه بعد الذي رأينا من الاشادة بمكانته وفضله من قبل المتخصصين والعارفين بالدراسات التاريخية والادبية وغيرها ومعهم عدد آخر من الباحثين يرون رأيهم في توثيق عبد الملك واعتباره رأساً في علم التاريخ وباقي ألوان الثقافة الاخرى .

حازم عبدالله خضر
استاذ مساعد/قسم اللغة العربية

(٦) فصول في الادب الاندلسي ص ٦٠ .

١. الاتابكي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى٨١٣، ٨٧٤.النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

٢. ابن حيان : أبو مروان
المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعلق عليه د. محمود علي مكي : دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٣ .

٣. ابن خاقان : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبدالله بن خاقان القيسي المتوفى سنة ٣٣٥ ، أو ٥٢٩ .
مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، طبعة مطبعة السعادة .

٤. ابن دحية :
المطرب في أشعار أهل الغرب .

٥. ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي .
كتاب العقد الفريد ، ت . أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الإيباري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥ .

٦. ابن سعيد : عبدالملك
المغرب في حلى المغرب ، تحقيق وتعليق د. شوقي ضيف ط. دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ .

٧. ابن الفرضي : أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ المتوفى سنة ٤٠٣هـ .تاريخ علماء الأندلس ، نشر :

الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ .

٨. ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ٢١٣–٢٧٦ .
عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر نسخة مصورة من طبعة دار الكتب، ١٩٦٣

٩. اابن القوطية : أبو بكر
تاريخ آفتتاح الأندلس حققه وشرحه عبدالله أنيس الطباع دار النشر للجامعيين .

١٠. البكري الوزير الفقيه أبو عبيد الله عبدالله بن عبدآلعزيز البكري الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٨٧ .
معجم ماآستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق وضبط مصطفى السقا .طبعة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة سنة ١٩٤٧ .

١١. الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .
البيان والتبيين ، ت.عبدالسلام محمد هارون ، ج ١، ط.٣، سنة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م الناشر : مكتبة الخانجي –القاهرة ومكتبة الهلال ببيروت ، المكتب العربي بالكويت .

١٢. الحموي : الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي .
معجم البلدان ، طبعة دار صادر بيروت ١٣٧٤ ١٩٥٥.

١٣. الحميدي : أبو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله الحميدي المتوفى سنة ٤٨٨ .
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، مكتبة الثقافة الإسلامية .

١٤. الحنبلي : المؤرخ الفقيه الأديب ابو الفلاح عبد الحي بن آلعماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ــ لبنان

١٥. خليفة : العالم آلفاضل والأديب والمؤرخ آلكامل الاديب مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة .
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، منشورات المكتبة الإسلامية ــطهران .

١٦. الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ .تذكرة الحفاظ

١٧. الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ .
العبر في خبر من غبر .

١٨. الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ .
ميزان الإعتدال في نقد الرجال دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى ، ١٩٦٣ .

١٩. الزبيدي : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩.
طبقات النحويين واللغويين ، ت. محمد أبي آلفضل ابراهيم الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ أمين الخانجي بمصر .

٢٠. السخاوي : الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩١٢ .
الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، مكتبة المثنى ــ بغداد.

٢١. السيوطي : العلاّمة الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي.
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة الطبعة الأولى ،

مطبعة دار السعادة بمصر .
٢٢. السيوطي : العلامة الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ٩١١/٨٤٩ .
طبقات الحفاظ ،ت . علي محمد عمر . نشر مكتبة وهبة. الطبعة الأولى ١٩٧٣ .
٢٣. الشيرازي : أبو اسحق الشيرازي الشافعي ، ٤٧٦/٣٩٣ .
طبقات الفقهاء محققة وقدم له د. إحسان عباس ، دار الرائد بيروت ، ١٩٧٠ .
٢٤. الأصبهاني : الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني .
روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات الطبعة الثانية ١٣٤٧هـ .
٢٥. الضبي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي ، المتوفى سنة ٥٩٩ .
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، طبع في مدينة مجريط ،بمطبعة روخس سنة ١٨٨٢ .
٢٦. العسقلاني : الإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين بن أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
تهذيب التهذيب نسخة مصورة عن الطبعة الأولى حيدر آباد ١٣٢٦ دار صادر بيروت .
٢٧. العسقلاني : الإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين بن أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدرآباد الدكن عمرها الله إلى أقصى زمن سنة ١٣٣٠هـ .
٢٨. الفيروزآبادي :مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي .
القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر .

٢٩. القفطي : الوزير جمال الدين أبوا المحاسن علي بن يوسف القفطي.
إنباه الرواة على أنباه النحاة . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .
٣٠. المراكشي ابن عذاري
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . تحقيق ومراجعة : ج . س . كولان . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان الطبعة الأولى ، كتب التعليقات د . احسان عباس ، ١٩٦٧ .
٣١. المقري :الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني .
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،الطبعة الأولى ١٣٦٧ ١٩٤٩ .
٣٢. اليافعي :الشيخ الإمام أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان عفيف الدين اليافعي اليمني المكي المتوفي سنة ٧٦٨هـ .
مرآة الجنان وعزة اليقظان ، مطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة بمدينة حيدر آباد سنة ١٣٨٨ هـ .
٣٣. اليحصبي :القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المتوفي سنة ٥٤٤ .
ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، ت . د . أحمد بكير محمود ، دار صادر بيروت.
٣٤. اليعمري :الإمام الجليل العلامة قاضي القضاة برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المكي .
الديباج المذهب في أعيان المذهب ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥١

المراجع

١. أرسلان :الأمير شكيب .
الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، منشورات مكتبة الحياة .

٢. أمين :الأستاذ أحمد أمين .
ظهر الإسلام ، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الخامسة ١٩٦٩ .

٣. الأوسي :د . حكمت الأوسي .
فصول في الأدب الأندلس ، مكتبة النهضة بغداد ، الطبعة الثانية ١٩٧٤ .

٤. بالنثيا :آنخل جنثالث بالنثيا .
تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مؤنس ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥ ، مكتبة النهضة المصرية .

٥. بروكلمن :كارل بروكلمن .
تاريخ الأدب العربي ترجمة د . عبدالحليم النجار ، طبعة دار المعارف بمصر .

٦. حميد :دكتور بدير متولي حميد .
قضايا أندلسية ، نشر دار المعرفة بالقاهرة الطبعة سنة ١٩٦٤

٧. الزركلي :خيرالدين الزركلي .
الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والعرب والمستعربين والمستشرقين .

٨. روزنثال :فرانز روزنثال .
علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة د . صالح أحمد العلي ومراجعة محمد توفيق حسين ، نشر مكتبة المثنى سنة ١٩٦٣.

٩. عجاج :محمد عجاج وعلي سعد .
المطرب في أدب الأندلس والمغرب ، الطبعة الأولى ١٩٣٢ ١٩٣٣ .

١٠. عنــان :محمد عبدالله عنان .
دولة الإسلام في الأندلس (من الفتح إلى بداية عهد الناصر ــ العصر الأول ــ القسم الأول ، الطبعة الثالثة نشر مؤسسة الخانجي ١٩٦٠ .

١١. فــروخ :الدكتور عمر فروخ .
تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ــ المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٢.

١٢. كحالة :الدكتور رفعت رضا كحالة .
معجم المؤلفين ــ تراجم مصنفي الكتب العربية ــ مطبعة الترقي ١٣٧٧ ١٩٥٨ .

١٣. مؤنس :د حسين مؤنس .
شيوخ العصر في الأندلس ــ الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٥ .

١٤. مركز :باشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة يونسكو . طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ .

١٥. مطلــق :البير حبيب مطلق .
الحركة اللغوية في الأندلس ، المطبعة العصرية صيدا ،

١٦. هيكــل :دكتور أحمد عبدالمقصود هيكل .
الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة الثالثة ١٩٦٧ .

١. دائرة المعارف الإسلامية :

المجــلات :

٢. مجلة الثقافة المغربية ، تصدرها وزارة الثقافة والتعليم الأصلي والعالي و ، ج ٧ ، سنة ١٩٧٢ ،

مقال سعيد اعراب ، رسالة ابن
إلى معلم ولده .
٣. مجلة الرسالة الإسلامية ، شهرية يصدرها ديوان الأوقاف في
عدد شباط وآذار ، **١٩٧١** .
٤. مجلة العربي الكويتية العدد ٨٨ سنة **١٩٦٦** .
مقال الأستاذ محمد عبدالله عنان بعنوان
ابن حيان وكتابه المقتبس) .

الاتجاه الرومانسي في القصة العراقية القصيرة

حتى ثورة تموز عام ١٩٥٨

الدكتور عمر الطالب

ظهرت في الفترة التي سبقت اعلان الحرب العالمية الثانية إلى جانب قصة الرواية المكثفة القصة العاطفية والعوامل التي أدت إلى ظهورها في العراق في هذه الفترة عديدة . فقد كان لأدباء المهجر أثر كبير في نفوس القراء العراقيين ، فهم الذين حملوا لواء الثورة على القديم بعنف واصرار واستطاعوا أن يلائموا بين تلك الالوان الزاهية المستمدة من نعم الطبيعة في موطنهم الاصلي والدوي الجديد والروح المرهفة التي استمدوها من عالمهم الجديد .

فكان من ذلك حصيلة أدب جديد (١) وقد أثر جبران بالذات ، ونظراته المتشائمة للحياة ورومانسيته المخرقة في عدد كبير من كتّاب القصة في العراق أمثال عبد المجيد لطفي وعبداللطيف الدليشي وغيرهما .

ولم يفل تأثير مصطفى لطفي المنفلوطي في القراء العراقيين والادباء ، على وجه الخصوص ، عن تأثير جبران خليل جبران فيهم . فقد تمكن اسلوبه في القلوب وأمسى أكثر الكتّاب قراء وسر الذيوع في أدب المنفلوطي قصصه التي تصف الألم وتمثل العيوب الاجتماعية باسلوب طلي وسياق مطّرد ولفظ مختار (٢) يضاف الى ذلك ما ترجم الزيات من روائع الأدب الرومانسي كـ (آلام فرتر) لجيته و (روفائيل) للامارتين وغيرهما من القصص الرومانسي .

(١) انظر عبدالقادر حسن أمين (القصص) ص ١٨-١٩ .

(٢) انظر عبدالقادر حسن أمين (القصص) ص ٢١ .

وما نشرته الصحف والمجلات من ترجمات لهذا النوع من القصص وبالأخص ما نقل عن الفرنسية على أن الاتصال الفكري والثقافي بين العالم الغربي والعراق ومع تغير مناحي الحياة نتيجة التأثير الغربي فيها جعلنا نرى في البيت الواحد أما بالعباءة وابنة سافرة وأن يتغير الولد تجاه والده ، وأن يبقى ظل المرأة باهتاً عند الطبقة المحافظة خلف أسوار البيت في المدن ، يضرب حولها الحجاب وينظر إليها على أنها مركز الخطيئة الى جانب امرأة تخرج للعمل مع الرجل أو فتاة تدخل المدرسة لتتعلم ، على أن هذا التطور كان متفاوت الأثر فقد برز في المدن أكثر من بروزه في الريف وتغلغل في الطبقات الارستقراطية والبرجوازية أكثر من تغلغله في الطبقات الشعبية والعمالية . وكان الأقطاع يدافع عن نفسه بحجج النضال السياسي والزندقة ولكن دون نجاح كبير سوى ما قد يتركه في كل صدر من هوة وقلق ، محاولا تثبيت الأوهام والخرافات البالية في النفوس وما من شك في أن اجتماع العوامل السابقة قد خلق الاتجاه الرومانسي في الأدب العراقي . وأعطانا كتّاب القصة الرومانسيين روحاً جديدة وفكراً جديداً ووقفوا من ظلم المجتمع لهم موقف الشكوى ووقف بعضهم موقف المستمرد على هذا المجتمع لايحق لهم الرضى الفردي والاجتماعي . وكانوا نقلة من الاعتدال الى التطرف الخيالي والعاطفي ، وأبراز الفردية وجعلها مركز الرؤية بالنسبة للكون والانسان والحياة ، وكل ما يمت إليهم بصلة هو بالقياس إلى الفرد الرومانسي ذاتي ونسبي وترتبط هذه الفردية بالحرية التي اعتز بها الرومانسيون وجعلوها شعاراً لهم وحملوا مشعلها تعبيراً عن مشاعرهم وعن أحلامهم في سعادة حرمهم إياها المجتمع ، وتعبيراً عن الآمال العامة للوطن الذي يخيم عليه ظلام الاستعمار المقنع تقيده بقيود الذل والعبودية وامتزجت هاتان الدعواتان الى الحرية حرية الفرد وحرية الوطن — داخل نفوس الكتّاب امتزاجاً كاملاً ووقفوا بسببها في مواجهة الاستعمار الغربي وساقوا على لسان أبطالهم صرخاتهم في سبيل الحرية المسلوبة التي كانت مكبوتة في هذه الفترة فإننا نلاحظ أنها لاتخفي ذوات كتّابها ، وإنما تبرزها

وتكشفها جزئياً أو كلياً متوسلة بضمير المتكلم الذي يظهر في صياغة رومانسية أحاسيس المؤلف ويدور محور القصة حول موقف شعوري واضح قد يقصر وقد يطول ولكنه لا يخضع لتخطيط معين ، وإنما يجري في حرية واسترسال يسوق فكرة معينة أو يعكس حالة نفسية ، أي يتناول مضموناً حراً تماماً كالشكل الحر الذي حوى هذا المضمون (١) وقد أثر الاتجاه الرومانسي في كتابات عدد كبير من القصصيين العراقيين مثل عبدالمجيد لطفي وذنون أيوب وصلاح الناهي ، واستمر في تأثيره بعد الحرب العالمية الثانية عند بعض القصصيين الذين سنعرضهم بعد ذلك في دراستنا للاتجاه الرومانسي المتأخر .

وقد كانت الرومانسية في هذه الفترة مشوبة بواقعية لم تستكمل جوانبها المختلفة لارتباط الكاتب العراقي بواقعهالاجتماعي ارتباطاً كبيراً وهذا هو السبب في قلة الأقاصيص التي تتحدث عن الحب والهيام ، وكثرة الأقاصيص التي تتناول مآسي الحياة ومسراتها . ومن الصعوبة بمكان أن نميز هذين الاتجاهين بصورة منفصلة عن بعضها في القصة العراقية القصيرة في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية لأن القصصيين العراقيين تأثروا بعوامل واحدة وعاشوا ظروفاً متشابهة ، ولكن الفرق بين القصاص الواقعي والقصاص الرومانسي أن الثاني لم يستطع مجابهة الحياة بقسوتها وشدتها ولم يستطع تفهم المؤثرات باستيعاب وتعقل بل تملكه الفزع منها وهرب بعيداً عنها الى عالم الخيال ، فخلق منه عالماً خاصاً به واندفع وسط آلامه وأحزانه يجترها ويتفنن بها . وكأنه يُكفّر عن سيئات المجتمع وقسوته أما القصاصالواقعي فقد استطاع مجابهة الحياة وترصيد ظواهرها ودوافعها بعمق وإدراك وعرف مواطن ضعفها وعوامل قوتها ولم ينهزم أمامها ، بل ترصدها ودرسها عن كثب وسجل تأثيرها وانطباعها وايحاءها ، لذا نجد أن القصص الرومانسي في العراق قبل الحرب لم يستطع التخلص من تأثير الواقع لأن القصاص الرومانسي ، رغم جنوحه نحو الخيال ،

(١) قارن محمد مندور (الادب ومذاهبه) وصفاء خلوصي (الادب المقارن) . فصل الرومانسية .

ما تزال جذوره مرتبطة بالأرض ، مثال ذلك (نهاية) لذنون أيوب ، يعرض لنا فيها شيخاً في السبعين من عمره يحتسي الخمرة حتى يدمنها بعد موت زوجته التي كان يحبها حباً عظيماً ولا يجد ضيراً في ذلك ، فهو خير من (الشيخ مسعود) المرابي الثري الذي يؤدّي الفرائض ولكنه يرهق الناس برباه ، وهو خير من (الشيخ صالح) الذي دعا الى غلق المدارس ، فهما وأضرابهما ذئاب يرتدون جلود الحملان ، ويمرض البطل ، وحين يعرض نفسه على الطبيب يخبره بدنو أجله . فتأبى عليه نفسه أن يموت كما يموت الناس العاديون ، فيشتري قارباً ويحمل به شيئاً من شراب وثقلاً يربطه برجله ، ودواء مخدراً يزرقه في جسمه ، تتم تلك الميتة على هذه الصورة التي تجافي الواقع كل المجافاة . فالقصة رومانسية النزعة : موت الزوجة المحبة الوفية ، اخلاصه لزوجته وعزوفه عن الزواج بعد موتها اكراماً لذكرها ، اغراقه الاحزان بالخمر والمخدرات ، أصابته بمرض عضال لا أمل في شفائه ، ميتته الغريبة في النهاية . ومع كل هذا الاغراق في الرومانسية نجد البطل — مرتبطاً بالأرض ، فهو يحقد على الشيخ صالح لأنه يقف في طريق فتح المدارس ، ويكره الشيخ مسعود الذي يرهق الفقراء برباه . «ما قولك بالشيخ صالح الذي صرح علانية بوجوب غلق المدارس لأنها تبث الكفر وقتل كل من تسول له نفسه ارتكاب ما يسميه المحرمات ومقاومة كل ما يسمى تجدد أو اصلاحاً ، أترى ربه يسر من عمله هذا الذي يضعف شعباً بأسره ويجعله طعمة سائغة لكل مستعمر زنيم أو ظالم طاغية» (١).

وكذلك قصة سليم بطي (بنت الطحان) (٢) فهي قصة رومانسية تمتلىء بالعواطف والأحاسيس ، تعيش البطلة لأحزانها وآلامها بعد أن يمرض والدها ويصبح رجلاً عاجزاً مقعداً على أثر رفسة حصان ، فتستدعي أمها

---

(١) ذنون أيوب (صديقي) ص ٢١–٢٢ .

(٢) جريدة البلاد العراقية عام ١٩٤٣ ، مجلة الاديب ، العدد العاشر عام ١٩٤٦ .

قريبها (فرحان) ليساعد في تشغيل الطاحون ، فيتحين فرحان الفرصة للايقاع بالأم . ليبثها الحب تارة ويهددها أخرى حتى تسقط في حبائله . فيفرض سيطرته على البيت ومن فيه ، ويغازل الابنة التي تشعر نحوه باحتقار بعد أن عرفت قصته مع أمها ، وتخطب البطلة من قبل معلم يحبها ، فيقف فرحان في طريق سعادتها لأنه يريدها لنفسه ويهددها وأمها بفضح علاقته بالأم . ولم تفد معه التوسلات والدموع ، الى أن ينتهي على يد الأب المقعد الذي يعرف كل شيء فيجذبه معه إلى بئر الطاحون ، ويموت الاثنان ويتصور الناس أن فرحان ذهب ضحية الأب عندما أراد انقاذه وهو يحاول الانتحار . فالقصة رومانسية النزعة ، الأب الشاب القوي الذي يتحطم على أثر رفسة حصان لايمكن أن تجعل المصاب معقداً أعمى مشوه الوجه ، استدعاء القريب للمساعدة، شرور القريب ،فهو لا يتحلى بخصلة خيّرة واحدة، خائن عاهر مبتز حقير، وقوفه في طريق زواج متحابّين مخلصين، نهايته على يد الأب في قاع بئر الطاحون تضحية الأب بحياته من أجل سعادة ابنته. ولكن هذه الرومانسية مشوبة بواقعية أيضاً، ضعف زوجة شابة لزوج معقد أمام قوة طاغية لشاب يفعل المستحيل في سبيل الوصول إلى ما يريد. خطوبة المعلم للابنة بمراسيم شائعة في المجتمع العراقي. خوف الابنة على سعادتها أنْ تهدم أمام تهديدات فرحـــــان .

وإلى جانب القصص الرومانسي المشوب بالواقعية نجد قصصاً واقعية ذات نزعة رومانسية أيضاً، فالقاصّ العراقي الواقعي رغم التصاقه بالأرض وترصده لمظاهر المجتمع العراقي تـدفـــعه عـواطفه الثائرة إلى الجنوح نحو الخيال أحياناً وابتعاده عن الواقع كما في قصة (نفنوف العيد) لأنور شاؤول من مجموعته (الحصاد الأول). تعدُ الأم ابنتها بثوب جديد بمناسبة العيد وكانت قد وعدتها به في العيد المنصرم ،أسرّت الأمُّ الأمر إلى زوجها، فباع الأبُ ملابس ابنه الذي مات منذ سنتين ،والتي أبقاها للذكرى،كما باع خاتمه الفضي ذكرى خطوبته، واشترى الثوب لابنته. وعندما عاد إلى الدار أخبر بأنّ

زوجته في السجن لأنها همّت بسرقة قطعة قماش، وفي العيد لبست الفتاة ثوبها الجديد ،وذهبت لزيارة أمّها في السجن. الخط العام للقصة ـ واقعي الاتجاه ـ فهو يصوّر ما تعانيه الطبقةالفقيرة في العراق من ضيق وحرمان، ولكن اللمحات الجانبية أطرتها رومانسية حزينة .الطفلة ولهفتها إلى ثوب جديد فيالعيد ، ضيق ذات اليد، وعدممقدرة الأسرةعلى تحقيق أمنية ابنتهاالوحيدة، بيع الاب ثياب ولده المتوفى التي تحمل ذكرى مؤلمة، بيعه خاتم الزواج الذي يحمل ذكرى سعيدة ، سرقة الأم من أجل ابنتها قضاء الطفلة العيد في السجن وهي تزور أمها. أما كان الأجدر بالكاتب لو التزم الواقعية في قصته بأن يبتعد عن كل هذه المنعطفات ويجعل الأم تدير أمر شراء الثوب مع الأب للتوصل إلى حل لهذه المشكلة ؟

ومثلها قصة (شرف) لذنون أيوب من مجموعته (ضحايا) ١٩٣٧ وتدور حول شاب يقتل اخته لأن أحد الناس طعن بشرفها أمامه وبعد أن يقتلها تثبت شهادة الطبيب بأنها عذراء ، فلا يجد الأخ طريقاً للتكفير عن خطيئته إلا في الانتحار . من الطبيعي جداً في العراق أن يقتل الأخ اخته غسلاً للعار بل قد أصبح هذا العمل عادة مجيدة وتقليداً مقدساً يدفع فاعله الى مصاف الأبطال ، ولا تزال هذه العادة موجودة حتى الآن كما كانت قبل عشرات السنين . ولكن القصة لم تخل من خيال جامح كاقدام البطل على الانتحار لشعوره بتبكيت الضمير ، بل أن قتله أخته لمجرد أن يعيّره عدو له بأفعالها شيء غير طبيعي فماذا يحدث في مثل هذه الحالة في العراق ، يتأكد الأخ من الأمر فاذا ثبت له صحة ما قيل أقدم على قتل اخته والا فإنه يقتل المفتري على عرضه وما رسم الكاتب قصته بهذا الشكل إلا لإثارة عواطف القراء ضد هذه العادة المرذولة . ومن أبرز القصصيين الرومانسيين في هذه الفترة عبدالمجيد لطفي في مجموعته القصصية (أصداء الزمن) الصادرة عام ١٩٣٨ إذ عبر في رومانسيته الحزينة الشاحبة السلبية عن آلام نفسه وشقائها ، كان شاباً تحدوه آمال عراض وبصدمه واقع مرير ، وبين هذا وذاك سالت عبراته

وتلاحمت بين ظلمات نفسه ودجناتها بسماته . وتعد (أصداء الزمن) وسطاً بين الشعر والنثر ، والكاتب شاعر تجلت شاعريته في جميع ما كتب ، وان كان بأسلوب النثر . (١) وقد شغف بالأدب الرومانسي الذي كان يغذيه أدب المهجر ويمده بتيار من القوة والحياة لما كتب المنفلوطي وما ترجم الزيات . وكتاباته أقرب الى الشعر بما تحويه من عواطف فياضة وما يتناول من موضوعات . كما تركت أيام الشدائد والأحزاب في نفسه ألماً مكبوتاً ، وتركت مشاهداته الكثيرة آثاراً موجعة في نفسه كثيراً ما استطاع أن يعكسها بصدق وحرارة فيما كتب . (٢)

وتنقسم قصصه الرومانسية إلى قسمين . قسم يُصوّر أحلام شاب يصدر عن ذات غائمة تنطلق في تخيلاتها السارحة إلى غير مصير . وتتحول القصة إلى تتبعات هائمة ، ومواقف في الشعور ضحلة وخواطر ومناجاة لا عمق فيها ولا أبعاد كما لاحظنا في (أصداء الزمن) . والقسم الثاني ، قصص الحادثة وهي أرقى من القسم الأول ويتعرض فيها لطفي لقضايا اجتماعية يهاجم فيها الظلم الاجتماعي والنفاق الاجتماعي والحواجز الاجتماعية . وقصصه لا تعكس الا الألوان الفاجعة ولا توحي بغير المأساة . ولا يرى في الحياة إلا جانبها الباكي المظلم ، فلا يعرف غير مناظر البؤس والألم والفقر . ولعل هذه الصور القاتمة للحياة اختمرت في حسه منذ الصغر وكانت أثراً من آثار نشأته التعسه الفقيرة . وهذا ما نلمسه في مجموعته القصصية الثانية (قلب لأم) الصادرة عام ١٩٤٤م . وطابع هذه الأقاصيص طابع اجتماعي يصوّر آلام الناس وأحزانهم . يروي بعضها بأسلوب الحكاية كما في (نهاية ذئب). وفي اقصوصته (قلب لأم) يتزوج الأب إمرأة ثانية هي إبنة شيخ دون أن تعلم زوجته الأولى من الأمر شيئاً . وحين تعلم بالخبر تمرض وعلى فراش الموت يطلب الزوج غفرانها فتفعل . أما الأسلوب فجاء بسيطاً ساذجاً لأنه مروي على لسان طفل ، وكان حديث

(١و٢) انظر جميل سعيد ، التيارات الادبية الحديثة في العراق ص ٤٠–٤٣–٤٥ .

الطفل لسذاجته البالغة لا يلائم فنية القصة .(١) وفي (طبيب الطبقة العليا) شعور انساني عميق رغم اغراقة في المبالغة والبعد عن الواقع حيث طلق الطبيب زوجته الارستقراطية لأنها عارضته في تكريس وقته لمعالجة المرضى الفقراء .

إن الشيء اللافت في قصصه هذه أنه يشعرنا أنها حقيقية نقلها كما هي في الواقع (٢) أو جرت حوادثها بالفعل في مكان وزمان معينين بحيث يبدو أنه لا يكتب الا ما يعرفه عن الحياة أي ما توحي إليه به رغباته ومشاعره فلا يصف إلا ما يحسه ذاته ولا ينقل إلا ما يؤثر تأثيراً مباشراً في نفسه . بالطبع أن المادة الخام تنفصل عن الواقع الخارجي عندما تتحول إلى عمل فني ولا يمكن معادلتها به أو مناقشتها على أساسه ، ومع هذا فإن أقاصيصه تلك لم تصدر عن ذاتية اجتماعية موضوعية ، وان كانت غايتها اصلاح المجتمع .

بدأ عبد المجيد لطفي يجفو تلك السطحية التي لازمت كتاباته ليبدأصفحه لامعة من نتاجه القصصي في مجموعته (في الطريق) الصادرة عام ١٩٥٨م . والتي أطلق عليها اسم القصة الأولى .

وتأبى شاعريته إلا أن تظهر في كتاباته «أن الحياة الآن مترامية الأطراف وما أنا فيها إلا وحش ... احتضنتُ رأسي ، وغمرتني بقبلات حارة لم أجد أعذب وأصفى منها ... وقليلاً قليلاً أطبق العالم كله عليّ بأنياب حادة بيضاء ملوثة كريهة ، وهي تغادرني في القطيع الكبير لتموت وحيدة في وطنها في الشمال» (٣) أما باقي أقاصيص المجموعة فإنها تنحو نفس المنحى في تصوير البؤس والفقر والتشرد . في (الأديب الصغير) يحاول الأب الثري أن يشتري صحيفة شهيرة من أصحابها الفقراء ، ليشق ولده المتأدب مستقبله على صفحاتها ، ولكن أصحابها يأبون ذلك .

---

(١) انظر عبدالقادر حسن أمين ، القصص ، ص ٨٢ .

(٢) يقول لطفي في قصته (كالكلاب تماماً) : ثق بضميري أيها القارىء فأنا لم أزد على الحادثة حرفاً واحداً بل اني قصرت كثيراً في اعطاء الصورة الحقيقية لتلك الحادثة .

(٣) عبدالمجيد لطفي ، في الطريق ، ص ٥٨ .

يقارن الكاتب بين الحياة البائسة الشريفة التي يحياها العمال وحياة التبذل والاستهتار والنعمة التي يحياها الأغنياء ، ونلمس فيها روح ذنون أيوب الهادفة إلى التحرير وتجسيد الأفكار وخلق الوعي السياسي لا معالجة المشاكل الاجتماعية فقط . (١)

تطور لطفي في هذه المجموعة واستطاع أن ينفذ إلى ضمير الشعب يصور أحلامه وآلامه ومشاكله بعمق ودقة ، ونلمس تأثير قراءاته للأدب الغربي لا سيما الأدب الروسي ، فالقصة عنده متأثرة بأدب تشيخوف حيث لا يلتفت إلى العقدة ونقطة التنوير ، والقصة عنده قصة الأثر والانطباع لا قصة العقدة . وفي اقصوصته (فنجان) تحاول الزوجة أن تثني زوجها عن قيمة ومثله في الحياة ولكنها تفشل ، وفي (دمعة محمود) تصوير لمأساة فلسطين ، تصف اللاجئين وآمالهم في العودة إلى الوطن السليب ولكن شخصية محمود جاءت مسطحة خالية من الأبعاد ، نموذجية مجردة لا حياة فيها .

عبدالمجيد لطفي كاتب شاعر ، على أنه في نثره أحسن منه في شعره وهو أحسن ما يكون حين يتحدث عن الحب وعن عواطفه الحزينة ، ومع أنه ميّال إلى معالجة الأوضاع الاجتماعية الراهنة إلاّ أنه يضحي أحياناً بالفكرة من أجل الجمال الفني إذا اقتضى الحال وهو في هذا لا يقتفي أثر ذنون أيوب الذي يعتبر الفكرة أقدس من الجمال الفني .

ويغرق عبدالله حسن في الرومانسية عبر قصص مجموعته (أقباس الغرام) ١٩٣٨ : (رفيقة حياتي ، حادثة غرام في بومبي) ونستطيع أن نستجلي هذه السطحية عبر موقف من قصته (قصة غرام) «ثم لم تلبث أن وضعت رأسها في حجر الفتى وألقت بنفسها بين ذراعيه حتى أغمي عليها وأُغمي عليه وبينما هما في سكرات الإغماء ...» .(٢)

ونجد فيها كثيراً من المواقف غير المناسبة «ولما انتهيت من ذلك السباب

---

(١) انظر كتابنا : الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية ، ص ١٠١–١٤٠ .

(٢) عبدالله حسن ، (أقباس الغرام) ص ٣٩ ، .

والشتائم نظرت إليّ بهجة فرأيتها قد برقت أساريرها ووقفت كمن اكتشفت شيئاً جديداً ثميناً فخجلت من نفسي واعتذرت إليها وقلت : أرجوك المعذرة يا سيدتي على تفوهي بهذه الكلمات» .(١)

وتقف مجموعة فؤاد بطي (صيحات الفؤاد) ١٩٣٩ لتؤكد التصاق الكاتب العراقي بالواقع مهما نظر إلى السماء وأغرق في رومانسيته . تبيع الفتاة عرضها مقابل مبلغ زهيد لشراء دواء لوالدها وعندما تعود إلى الدار تفاجأ بموته في (ندوة) .

ويقص كامل بطل القصة في (شعاع أحمر) حبه لفتاة متعلمة تريد لها زوجاً متعلماً لا جاهلاً . وتعد قصة (هكذا نحن) أفضل قصص المجموعة فهي تحكي قصص ثلاث راقصات تقبض عليهن الشرطة متهمة إياهن بالدعارة . وتمتاز بروحها الفكهة حين تكشف عن جهل الشرطة . ولم يستطع الكاتب التخلص من العيوب الشائعة للقصة العراقية آنذاك من ركاكة الاسلوب وشيوع الأخطاء اللغوية ، والتعليمية واطلالات الرأس لبيان رأي أو قول موعظة ، «إنما باعت نفسها للحصول على اجرة العملية فما أعظم هذه النفس وما أقدس هذا الشعور» . (٢) ولكنه يمتاز بقدرة جيدة على إلتقاط الزوايا ، ويحسن حبك القصة بصورة فنية .

* * * * *

وقد ضمت مجموعة (مآسي الحياة) ١٩٤٢ للياهو خضوري قصصاً مترجمة لموباسان والفونس دوديه وقصة واحدة من تأليفه (مأساة اجتماعية) وهي قصة مغرقة في رومانسيتها ، يحب البطل فتاة ، تزل الفتاة فيقتلها ثم ينتحر . ولا نجد في هذه الجموعة شيئاً جيداً غير سلامة اسلوب الكاتب وخلوّها من الأخطاء اللغوية .

* * *

---

(١) عبدالله حسن ، اقباس الغرام ص ٢٠ .

(٢) فؤاد بطي ، صيحات الفؤاد ، ص ٢١ .

وهكذا تضيع القصة ضمن إطار هذا الاتجاه وسط تأجج العواطف وانسيابها فليس هناك شخصية ولا حدث متكامل ولا فكرة ولا أي مقوم من مقومات الشكل القصصي ، هناك فقط هيكل عظمي تبرز عليه أحاسيس القلب الذاتية ويشف بصورة واضحة عن فقر الصنعة وضعف حرفية الشكل ، وهكذا تفقد القصة عندهم إطارها المحكم ولا يبتغون منها إلا ما تحمله من موقف شعوري يكشف عن طبيعة المضمون الحر ويزدحم بأحاسيس الذات المتضخمة ويبعدون من الواقع الخارجي ويبالغون في جوانب كثيرة منه، تسقط القصة القصيرة عندهم في الشكل ويظهرهم هذا السقوط أنهم غير قادرين بوعي أن يتخلصوا من ذواتهم ككل رومانسي ليلاحظوا غيرهم ويبدأ الفنان في اليوم الذي يتخلص فيه من الفناء في ذاته ليرى سواه .

ونجد ضمن الاتجاه الرومانسي قصصاً تحليلية لا ترضى بالإنفعال السطحي السريع مثل كتابات عبدالوهاب الأمين في مجموعته القصصية (قصص في الأدب الحديث) الصادرة عام ١٩٣٧ والتي تعتمد على تحليل العواطف وتضخيم وتهويل الإنفعال أحياناً وتحريك الشخصيات لتنقل الأفكار و الإنفعالات كما في (ترنيمة الوداع) حيث نجد امرأة تندب أباها المتوفى بألم وحرقة بينما يتطلع حبيبها إلى مفاتن جسدها دون أن يشاركها ألمها ويسرف الكاتب في وصف مفاتن جسدها وينتهي بها الأمر إلى الزواج من غيره ، والحدث مستبعد وغريب ، إذ كيف تسنى لرجل أن يدخل داراً يقام مأتم ليتغزل بمحاسن فتاة مفجوعة بوالدها .(١) ولكنه أراد تصوير ضياع هذا الشاب ليصور فتاة عاتية أوقعت في شراكها صديقين ، تظهر لكل منهما أنها تحبه دون سواه ، إلى أن ينكشف أمرها وينفضّا عنها . وهي اقصوصة جيدة اكتنفها الغموض ليساعد على تصوير ضياع الفتاة ثم يحدثنا عن شاب برم بحياته التافهة ، فأراد أن يقوم بعمل غريب يلفت إليه أنظار الآخرين ، كأن

---

(١) عبدالقادر حسن أمين ، القصص ، ص ٩٥-٩٦ .

ينتحر أو يمارس نظم الشعر ولكنه لم ينجح في مسعاه ويسير على نفس الطريق في أقاصيصه الأخرى (من ليالي الضيم) و (حب مفاجيء) و (الحمور) وتتسم أقاصيص الأمين بتصوير القلق الذي يعانيه جيله وقد يورد صوراً يهدف منها العظة والعبرة ولكن بأسلوب غامض غير بيّن كما يعنى بوصف الجزئيات واختيار زوايا الرصد ، ويمتاز اسلوبه بالايحاء وقد يلتوي عليه الإفصاح أحياناً إلا أنه في الجملة قليل الأخطاء . وهو يختار موضوعات جزئية لم يتعود عليها القراء ويعدونها خطيئة لا تغتفر كأن يعقد علاقة حب بين بطل القصة وزوجة خاله في قصة (قصة من مذكرات مطوية) وهو حدث غريب يطرقه الكاتب لأول مرة في الأدب العراقي نجده بعد ذلك في مسرحية أدمون صبري (أديب من بغداد) . وقد ضمت مجموعته (ذباب) ١٩٥٢ ، خمس قصص مترجمة وقصتين موضوعتين فقط . نجد في قصة (الرجوع) شاباً متزوجاً وهو أب لأطفال لطفاء يعقد علاقة مريبة من إمرأة فاتنة لعوب ، يقرر في باديء الأمر تركها ويحرق صورها ، ولكن الصدفة تلعب دورها فيلتقي بها في السينما ويدرك مدى سيطرتها عليه ، يواعدها ، ويكذب على زوجته ، ويذهب للقائها ولكنه سرعان ما يحس بالندم فيعود أدراجه . وفي قصته (نكسة) تحليل جيد لشاب لاه لا يهتم لشيء غير ملذاته ، يشاهد بائعة يانصيب يدهسها الباص فينقلب فجأةً إلى انسان جاد . ويبدو أن الكاتب في اتجاهه التحليلي هذا قد تأثر بالأدب الغربي ولا سيما بالقصة الموباسانية .

* * *

ويشابه سليم بطي عبدالوهاب الأمين في نزعته الرومانسية التحليلية وقد نشر عدداً من الأقاصيص في الصحف المحلية وكان ينهيها في الغالب بفاجعة . وهويميل إلى وصف الظلم الاجتماعي وتضخيم الأحداث ، والاعتماد على تحليل النوازع الانسانية في (ضحية) (١) يصور لنا منظر البؤس البالغ والقسوة

(١) جريدة البلاد ، العدد ٢٠٠ ، عام ١٩٣٠م .

التي انطوت عليها قلوب المترفين (١): تخرج الأم تستجدي المارة ولكن أحداً لم يمد لها يد العون . وتطرق باباً فيخرج إليها رجل ضخم الجثة وما أن تطلب منه إحساناً حتى يجتذبها إلى الداخل ويحاول أن ينال بغيته منها ، فلم يستطع فيلجأ إلى ضربها حتى تستسلم في النهاية ، ثم يطردها دون أن يعطيها شيئاً بعد أن قضى وطرّه منها وتنتهي الاقصوصة بموتها جوعا هي وأطفالها . وقد حشيت الأقصوصة بوصف الحرب وما سفكت فيها من ماء (٢) ، وحاول الكاتب أن يؤثر على القراء عن طريق الوعظ والتهويل . وفي (ضحية رأس السنة) (٣) يصور لنا شقاء أُم وكدحها طول النهار في الخدمة ، كي توفر القوت لوحيدها ، وفي ليلة رأس السنة تتأخر الأم في العودة ، فيخرج طفلها لمشاهدة منهاج العيد فتسحقه سيارة مسرعة وما ان تراه امه حتى تفيض روحها . وفي أقصوصة (تقريع الضمير) (٤) يستمع الكاهن إلى المحتضرة المعترفة تقول له بأنها خانت زوجها (جوزيف) الذي أصرّ على الزواج من فتاة غنية ، وأثمرت خيانتها ابنتها فكتوريا التي تحب كمال ابن جوزيف ، وتطلب من الكاهن أن لا يسمح بزواجهما لأنهما أخوان ، وتنتهي القصة بلجوء فكتوريا إلى الدير تلبية لأمر القسيس . (٥) ونلمس في قصصه تأثير القصة الموباسانية أيضاً .

* * *

أما أقاصيص لطفي بكر صدقي التي نشرها في الصحف المحلية ، فهي تدور حول موضوع واحد ، الحب والخمرة ، وهو خير من مثّل الضياع الذي كان يحياه الفرد العراقي في عصره ، في تناقضه بين متطلبات العقل والقلب التي تحتمها الحياة وتحققها الحضارة الوافدة من الغرب وبين الواقع الذي كبل

(١) انظر عبدالقادر حسن أمين ، القصص ص ٨٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٨٧ .
(٣) جريدة البلاد ، العدد ٤ ، عام ١٩٣٠م .
(٤) جريدة البلاد ، العدد ١٣٣ ، عام ١٩٣٠م .
(٥) ويعد سليم بطي من أبرز كتاب المسرحية في العراق في العشرينات من هذا القرن .

الفرد بقيود ثقيلة من التقاليد والسيطرة الاجتماعية والاقتصادية التي يفرضها معيل الأسرة ، والتخلف السائد في جميع مناحي الحياة والوقوف بقسوة ضد الأفكار الحرة والتجديد . ويعود هذا الاتجاه بشكل أكثر تكاملاً ونضوجاً عند عبد الملك نوري وغانم الدباغ ومحمد روزنامجي بعد الحرب العالمية الثانية ، ولم يوفق الكاتب في أن يخلع على أبطاله الحياة التامة التي تعجّ بالحركة والنشاط ، شخصيات ضائعة لا أبعاد لها ، وكأنه أراد ذلك ليخلق الانسجام بين الشخصية والحدث . في (جنون الحب) (١) يسرف البطل في الشراب ، وهو يجترّ ذكريات حب ، ويفشل الكاتب في نقل صورة واضحة المعالم عن ذلك الحب . ولكنه ينجح في تصوير ضياع هذا المحب لفشله في تجربة الحب القاسية تلك . وفي (نهاية حب) (٢) ينتحر البطل ، لأن الحبيبة طلبت إليه أن يتركها لأنها متعبة ، وبعد ان تسمع البطلة دوي الرصاص ، وتلمح جسد حبيبها ، تحسّ بفجيعتها ، وفراغ حياتها . ويسير على نفس الاتجاه في أقاصيصه الأخرى مثل (صوت الحب) (٣) و (سكران) (٤) .

ويجد الدارس قصصاً تستحق الوقوف لقصاصين اعتمدوا في قصصهم لا على المضمون العاطفي فقط بل عنوا عناية كبيرة بالتحليل والاهتمام بفنية القصة . ولكنهم لم يجمعوا قصصهم في كتاب واحد فنجد أن يوسف متي اهتم منذ بداية الثلاثينات بنشر القصص في المجلات العراقية ، مثل (ضحية العهد(٥) في القرية (٦) ، الرسالة(٧)) ، وهي «لا تخلو من دقة تعبير ومن تحليل للعواطف يشف عن تفهم مبكر لفن القصة ، وتبشر بتطوره الأخير» (٨) ولكنها لا

(١) جريدة الاخاء الوطني ، العدد ١٨ ، عام ١٩٣١م .
(٢) جريدة الاخبار العدد ٤٣٥ ، عام ١٩٣١ .
(٣) جريدة السياسة ، العدد ٣٣٨ ، عام ١٩٣١ .
(٤) جريدة البلاد ، العدد ٤١٦ ، عام ١٩٣١ .
(٥) الحاصد السنة الثالثة ، كانون أول ، ١٩٣٠ .
(٦) الحاصد ، العدد ٣٣ السنة الثالثة ، آذار ١٩٣٢ .
(٧) الحاصد ، العدد ٢١ السنة الرابعة ، كانون أول ١٩٣٢ .
(٨) عبدالاله أحمد ، نشأة القصة تطورها في العراق ص ١٢٩ .

تخلو من عيوب القصة الرومانسية التي ذكرناها سابقاً . وظهرت امكاناته القصصية عبر قصصه (عاطفة جامحة) (١) حطام (٢)، سخرية الموت(٣) ، في القصة الأولى يُصوّر لنا يوسف ،تي الحرمان الذي تعانيه امرأة محرومة من الحب والحنان تحاول اشباع هذا الحرمان مع صبي تطيل مداعبته وتحاول إثارته ولكنه لا يعي ما تفعل . وعندما يمرض الصبي تعوده (سعاد) بطلة القصة فتميل إلى الصبي مقبلة فيمنعها صارخاً ضجراً .

وقد نجح الكاتب في تحليل عواطف بطلته وصراعها وردود فعلها (٤) «و اضطرمت ميول شاردة من العطف والشهوة والأمومة وانحنت في رغبة .. وألصقت شفتيها المرتجفتين بثغره الملتهب وراحت في قبلة راعشة تمتص الشفاه القرمزية امتصاصاً وألقت نظرة خاطفة على باب الغرفة ثم على وجه النائم وأحست شعوراً حزيناً يجذبها نحوه وداهمها شعور فاضح إلى الاضطجاع بجانبه وضمه إلى صدرها المضطرم ميولاً ورغبات وغمرته بلثماتها العذبة الحنون» . ونجد نفس المضمون في قصة (صراع) لشاكر خصباك من مجموعته التي تحمل نفس الاسم التي أصدرها عام ١٩٤٨ .

أما قصته الثانية (حطام)فهي تستبطن عواطف شاب لقي حبيبته ــ طالبة المدرسة سابقاً ــ في دار للبغاء يتمتع بها كل من يدفع الثمن «واستراح إلى الضرب وهاجت أعصابه وغلت دماؤه فمسك كتفيها وضغطهما بقوة وقسوة وامتدت يده على ثوبها فتمزق أعلاه وبرز نهداها الناضجان يضطربان على صدرها العاري .وقاوم حتى النهاية نظراتها الدامية المليئة فتنة وانتحابا .وتركها يشيعه نشيجها المتقطع العالي مع شذى عطر الياسمين » ونجد أن الفتاة لاتستنكر مهنتها بل تتعامل معه كما يتعامل صاحب المهنة الذي يحترم مهنته .ونجد هذه

---

(١) الحاصد السنة الرابعة ، العدد الثاني ، ١٩٣٢ .

(٢) مجلة عطارد ، العدد الاول ، السنة الاولى ، آب ١٩٣٤ .

(٣) مجلة الحاصد ، العدد ٤٢ السنة الثالثة ، أيار ١٩٣٢ .

(٤) شجاع العاني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ٤٣ .

النظرة في قصة (ساقطة) لذنون أيوب من مجموعته (الضحايا) ١٩٣٧ .وهي نظرة جديدة وجريئة بالنسبة للفترة التي كتبت فيها القصة . «وقد استطاع الكاتب أن يصور مشاعر بطله ببراعة ،مستخدماً كل الأدوات التعبيرية في الفن القصصي فهو لايقتصر على استخدام السرد والحوار في الكشف عن شخوصه ،بل يحاول رصد الحركة والفعل واستخدام اسلوب التداعي والذكريات ليسلط أنوار التحليل الساطعة على نفسيات شخوصه (١)

أما قصته الثالثة فتنزع إلى تحليل عواطف أب يتألم لمرض ابنه .هولا يكتفي بالالم العاطفي بل يحلل عواطفه تجاه ابنه ،مرضه ،موته ،علاقته به .وقد أجاد الكاتب في هذا التحليل ونجد شبها بينها وبين قصة (قاعدة البرج) لذنون أيوب من مجموعته (برج بابل)١٩٣٩ .« لقد اهتم يوسف متي برسم الظلال التي تعمق من الحدث وتزيد من الأثر الذي يتركه جو القصة المشحون واستخدم المطر استخداماً موفقا .فالمطر يهطل حين كان الأب يعاني أفكاراً متضاربة تجاه ابنه ويكف عن الهطول حين تستقر أفكاره على أمر معين ثم يعود الى الهطول وبشدة ،حين يكتشف الأب موت طفله .. كما أن استعانته بالمؤثرات الخارجية في النهاية ليزيد من عمق الاحساس بالمأساة موفقة ناجحة»(٢) إن الاتجاه التحليلي الذي ظهر عند يوسف متي تبلور بعد ذلك عند نزار سليم وعبد الملك نوري وفؤاد التكرلي (٣) وغانم الدباغ في خمسينات هذ القرن.

وقد اتجه يوسف مكمل ضمن الاطار الرومانسي إلى العناية بالوصف الخارجي للحدث ومشاركة الشخصية نوازعها النفسية .ففي قصة (القطرات الاولى) (٤) يصور لنا الكاتب عواطف رجل أحب فتاة فرنسية عندما كان هناك ،فيقرر الذهاب لزيارتها وعندما يصل باب دارها يسمعها تغني

---

(١) شجاع العاني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ١١١ .
(٢) عبدالاله أحمد ، نشأة القصة وتطورها في العراق ، ص ١٦٩ .
(٣) شجاع العاني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٢ ، ١٠٣ .
(٤) مجلة الحاصد ، كانون الاول ، ١٩٣٥ .

تلك الأُغنية التي كانت قد غنتها له في مامضى من الزمن ،فيقصر عن طرق الباب لأنه اعتقد بأنها تغني هذه الأُغنية لزوجها وقد اكتنفتهما السعادة كما كانت تلفهما في الماضي — هي وهو — « نجد القاص في رسم شخوصه وفي تصوير العالم الداخلي لهذه الشخوص يعتمد على التصوير الخارجي المباشر ، وفي هذه القصة نلمس البذرة الاولى لهذا الاسلوب الذي كان يهدف آنذاك إلى انتشال القصة العراقية من براثن السرد التقليدي ومن النزعة التعليمية التي طغت عليها » (١) ولم يتبلور هذا الاتجاه الا في نهايات الستينات من هذا القرن عند سرجون بولص ومحمد خضير ومحمد مل عارف (٢).

الرومانسية المتأخرة :

عرضنا في القسم الاول من هذا البحث العوامل التي أدت الى ظهور الرومانسية في القصة العراقية وسماتها المميزة لها . وقلنا أنها رومانسية مشوبة بواقعية لم تستكمل جوانبها المختلفة . . ونحن نلمس أثر هذا الاتجاه في القصة العراقية بعد الحرب العالمية الثانية . ولم يكن السبب الوحيد في استمرار ، كثرة القصص المترجم عنها واهتمام الصحف والمجلات العربية والعراقية بنشر هذا النوع من القصص والاتصال الفكري والثقافي بين العراق والعالم الغربي من جهة ، والعالم العربي من جهة أخرى ، ولا اغراق السوق الادبي بنتاج القصصيين الرومانسيين المتأخرين من العرب أمثال محمد عبد الحليم عبد الله ويوسف السباعي وغيرهما فحسب . فقد وجدت الرومانسية ، نفسها على وفاق مع روح البلاد وأعطت العوامل السياسية والاجتماعية والنفسية وعاطفة الشعب المفرطة والاحداث المتأزمة المتتابعة في العراق ، كالانطباع المأسوى الذي تركته الحرب في النفوس والآلام الانسانية التي سببت الحرب والخوف من المجهول الذي ولدته القنبلة الذرية ، ومأساة

---

(٤) شجاع العاني المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٢ ، ١٠٣ .

(٥) شجاع العاني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٢–١٠٣ .

فلسطين وما خلفت من جروح غائرة في كرامة كل عربي ، والثأر للكرامة العربية المهدورة عام ١٩٤٨ ، وثورة يوليو عام ١٩٥٢ والانتفاضات المتوالية في العراق ومأساة العدوان الثلاثي ، وحلاوة الفوز والانتصار عام ١٩٥٦ ، كل ذلك مجتمعاً أعطى الاتجاه الرومانسي أرضاً صالحة ملائمة .

عرفت القصة العراقية التمزق الطبقي ، وقد أعطانا كتاب القصة الرومانسيين روحاً جديدة ، وفكراً جديداً ، ووقف أكثر القصصيين من ظلم المجتمع موقف الشكوى، بل وقف بعضهم موقف التمرد على هذا المجتمع بتحقيق الرفاه الفردي والاجتماعي .

واذا رجعنا إلى القصص الرومانسي الذي كتب في هذه الفترة ، نلاحظ ان القصة لا تخفي ذوات كتّابها ، وانما تبرزها وتكشفها جزئياً أو كلياً . ويدور محور القصة حول موقف ، أو أحداث غريبة تعتمد على المصادفات المدهشة والنهايات المفاجئة . ولكنه هنا وهناك لا يخضع لتخطيط معين ، وانما يجري في حرية وفي استرسال ، يسوق فكرة معينة أو يعكس حالة نفسية ويتناول مضموناً حراً تماماً كالشكل الحر الذي حوى هذا المضمون ويضعف الفن القصصي بين الشكل الحر والمضمون الحر ، ولا نستطيع أن نقول عن ذلك الشكل الحر أنه شكل من أشكال القصة القصيرة الفنية أنه في منزلة بين المقالة وبين القصة ، ففيه خصائص المقالة من حرية في الاسترسال وقلة العناية وفيه من القصة بعض حوادث السرد ورسم شخصيات وسير الاحداث ، وان جاءت هذه الأحداث بعيدة الوقوع في مجتمعنا . تعتمد على المصادفات والمفاجآت والغرائب .

واستمر هذا الاتجاه إلى مابعد الحرب العالمية الثانية تحت تأثير الصدمات النفسية التي عاناها الشعب العراقي والتي دفعت بعض أدبائه المبتدئين في مضمار كتابة القصة القصيرة المسحوقين تحت عجلات المجتمع الثقيلة والمكبلين بقيود عاداته وتقاليده القديمة أن ينفروا من الواقع وينصرفوا عنه فالتفت فريق إلى

الطبيعة يبثها شكواه من الحياة ورغبته الجامحة في التنفيس عن مكنونات نفسه وعكف فريق آخر على ذاته يردد أحاسيسها ، وفريق ثالث يخلق عالماً مليئاً بغرائب الأحداث ومصادفاتها ، وفريق رابع يحاول أن ينسى آلامه بتحطيم القيود الثقيلة وطلب الحرية لنفسه ولابناء قومه . ويسبح في خيالاته بأجنحة ملائكية.

واصطبغت الرومانسية المتأخرة في العراق كسابقتها بطابع الحزن والكآبة وابتعدت عن الواقع ولم يستطع أدباؤها أن يخلقوا من الالم العظيم أدباً عظيماً.

وسار في الاتجاه الرومانسي عدد كبير من كتاب القصة المبتدئين ونسجوا على منوال الكتاب الرومانسيين العرب ، فعبد اللطيف الدليشي في مجموعة (غرام في الريف) الصادرة عام ١٩٤٥م مثل واضح للرومانسية بخيالها الجامح وأحداثها الغريبة وجوها القاتم المظلم ونهاياتها الحزينة ، وتسطح شخوصها واتهامها المجتمع وتقاليده بالوقوف أمام الحياة السعيدة التي يجب أن تعاش وبطلاوة لاسلوب واعتماده على الخيال الجامح والعواطف المتدفقة والعبارات الملونة الجميلة .

في أقصوصة (أحلام الشباب) يبادل (أياد) الطالب الفقير (ثريا) الفتاة الغنية الحب الا أن الأب يقف حائلاً دون سعادتهما ، فتموت (ثريا) حين يزوجها والدها من رجل غني لاتحبه ، وينتحر أياد .

ويقف المرض حائلاً بين سعادة زوجين متحابين فيموت الأب بعد إنجاب ابنته التي لاتجد أباً يحنو عليها في (غرام في الريف).

وتتشابك الأحداث وتتسع رقعة الزمن في (الشهادة) ويفصل (اياس) من عمله لأنه لايحمل شهادة عالية ، ويعمل في صحيفة ويبرز في عمله وتقع في حبه (لمى) زوجة صديقه وتأبى عليه شهامته الخيانة فينتحر العاشقان .

ومجموعة (دماء ودموع)لفتاة بغداد الصادرة عام ١٩٥٠ ، أقرب إلى القصة الطويلة لسعة رقعة الحدث وزمانه ومكانه مع رومانسية مغرقة حيث تبيع الأخت دمها لتعول أخاها المريض في مصح من مصحات لبنان وينتاب الأخ الشك في سلوك أخته فيقتلها وحين تنكشف الحقيقة يصاب بالجنون .

وفي بائعة الأطفال تأوى الأم إلى جامع بعد وفاة زوجها حيث يسرق أطفالها الصغار وتصاب بالجنون .

وتسيل الدماء كتدفق العواطف العنيفة في مجموعة جعفر الشيخ علي (آلام وآمال) الصادرة عام ١٩٥٣ م . ويقتل اللقيط بتحريض من زوجته (امرأة ولقيط) .

ويتزوج الأب من حبيبة ابنه (غرام الشيخوخة) ،وتقتل الزوجة زوجها أثر خلاف بسيط (صريع المادة) . ونجد في مجموعة (قصص واقعية) لخضر عباس عام ١٩٥٨ م أحداثاً غريبة ، يقتل شاب فتاة قريبة الشبه بخطيبته التي خانته وينتهي إلى مستشفى المجاذيب (لحظة لقاء) . وينتحر العاشقان حين يصر أهل الفتاة على تزويجها من رجل غني (حفلة زفاف) ويقتل الزوج زوجته وبناته ظناً منه أنهن فاجرات ويقاد إلى المشنقة وهو سعيد (ضحية الجهل) . ويشعر القارىء في قصص عبداللطيف الربيعي في مجموعته (وفاء البؤساء) الصادرة عام ١٩٥٦ م ، بأنه في عالم يخلقه الكاتب ، ليس هو عالمنا الذي نحيا فيه وليس لأهله قوانينا وعاداتنا وإنما هي قوانين مستمدة من عالم الكاتب الذي خلقه وخلق أبطاله . يتجولون فيه ويفعلون ما يحلو لهم . (١)

ويبدو أن عناوين الأقاصيص اخترعت قبل أن توضع القصص على الورق ، فيدفع حب العنوان الكاتب إلى اختراع صراع رجل مع فتاة يريد أن يغتصبها وحين يفشل في اغتصابها يخرج خنجره ليطعنها .

وقد اقتبست أفكار بعض الأقاصيص من واقع الحياة الغربية ك (ذهبت بلا دعوة) حيث يوقف – البطل – حياته على دراسة الطب بعد موت حبيبته بمرض السل .

أما بؤس الحب والنهايات الفاجعة والقتل والانتحار في سبيل الحب فوسيلة من وسائل انهاء قصصه .

---

(١) انظر داؤد سلوم ، الادب المعاصر في العراق ، ص ٩٤ ، .

ويعالج فاضل جاسم الصفار مجموعته (آمال وآلام) الصادرة عام ١٩٥٦ موضوعات ذات أحداث لاحظ لها من الواقعية . وحين يعرض لنا أحاديث شخوصه نشعر شعوراً أكيداً أنه لايتكلم بلسان الواقع وإنما يخلق الشخوص وينطقهم كما يشاء لاكما تشاء ظروفهم وطبيعة حياتهم . بما يبدعه خياله من أساليب تختلف خشونة وسلاسة ، وبأفكار قد لاتدور بخلدهم وبألفاظ لاتستعمل في جملنا وتعابيرنا ونحن نتخاطب بعضنا مع بعض . (١)

ويحتوي كتاب (ليالي ملاح) لمليحة اسحيق على قصص غير ناجحة وانطباعات وتأملات . وكل ما يقال فيه أنه أشبه بدفاتر الإنشاء التي يحتفظ بها الناشئون . (٢) وأقاصيص تدور حول المرأة .: تسقط الطائرة بزوجها وتعيش لدموعها (من آهات القصور) .وأُخرى يتركها زوجها إلى زوجة صديقه (من صور الخيانة) . وثالثة يموت حبيبها بالسل وتلحق به بعد إصابتها بالمرض ذاته (ليت القدر يعفو حين يقسو) .

وقد تشوب الرومانسية واقعية اجتماعية عند نفر آخر من الكتاب ، كفؤاد ميخائيل وشاكر السعيد وكل منهما يمتاز بأسلوب جيد وتمكن من التعبير الجيد وتصور أقاصيصهما موضوعات مختلفة من الحياة لاموضوعاً معيناً ؛ مع اكتمال التجربة الشعورية عندهما ، وخاصة عند فؤاد ميخائيل الذي ينقل أحاسيس البطل ومأساته إلى القارىء فيشاركه أحاسيسه وانفعالاته . وفي مجموعته (عيون الليل) الصادرة عام ١٩٥٣ م صور عديدة للمجتمع العراقي ، من أب يقسو في معاملة ابنه الشاب بتحريض من زوجه رفض الابن مطاوعتها على الاثم (عيون الليل) إلى أم تخشى على ابنتها الصغيرة أن تسلك طريق الخطيئة مثلها بحكم قسوة الظروف (من الهاوية) وشاب عاطل لايجد عملاً رغم الشهادة التي يحملها لأنه لايملك خطاب توصية (عودة) .

(١) المصدر السابق ، ص ٩٩

(٢) المصدر السابق ص ٨٥ .

واستخدام الكاتب التحليل النفسي ضمن اطار اجتماعي في عدد من أقاصيصه (الندم ، الغريب) تصور الأخيرة عواطف صباغ أحذية تعرض إلى الإهانة من زبون « وخفض أحمد رأسه ثم حمل أدواته وخرج كانت السماء ترسل رذاذاً خفيفاً من المطر ، وكانت مصابيح الطريق تبدو غاضبة شاردة النور . وخيل اليه وهو يسير أن أشباحاً سوداء ترقص أمامه وتصرخ في وجهه – حمار – نعم إنه حمار لايربطه بالآدمية أي رابط ، وبدأ يتسلل إلى قلبه حقد هائل مدمر على الوجود ، على الكون ، على هذه الحياة التي يحياها » (١) .

ولكن القصص العاطفي المحلق في أجواء الخيال هو العنصر الأكثر شيوعاً في المجموعة : فتاة تخطف خطيب صديقتها وتترك صديقتها للموت حزناً (قلب ميت) ، وعاملة أرمل تستلم لرئيس العمل (الأجر الإضافي) وطفولة مشردة تقود إلى الجريمة (شجرة الذكريات) وشاب يؤدي به حبه الفاشل إلى الجنون (المجنون) .

أما شاكر السعيد في مجموعته (نفوس جديدة) الصادرة عام ١٩٥٦ م ، فهو أكثر اغراقاً في الرومانسية من فؤاد ميخائيل وان جاء اسلوبه سلساً معبراً كإسلوب فؤاد .

وتبدو شخصياته شوهاء ،غير ناضجة أحياناً كما في أقصوصة (فكرة) حيث يخسر البطل – مرتبه في القمار فيسرق من خزانة الشركة التي يعمل فيها ويلقى القبض عليه . ويطرد – البطل – من العمل لأنه طالب مدير الشركة الأجنبي بزيادة الاجور ويودع السجن في أقصوصته (مظاهر كذابة) ولم يوفق المؤلف في تحليل انفعالات البطل في مسيرته من الشركة إلى الدار بعد فصله من العمل .

ويلجأ الكاتب إلى الاسلوب الخطابي مما يبعد أقاصيصه عن الواقع ويزيدها تكلفاً كما في أقصوصته (صوت مراكش) إذ يخاطب البطل – أمه قائلاً :

---

(١) عيون الليل ص ٤٥ .

« سأذهب إلى حيث ينتظر الوطن .إلى حيث يدعوني صراخ الحرية إلى حيث يموت الجسد وتعيش المثل العليا إلى حيث أبناء شعبي يكافحون .سأذهب يا أُماه ولتعلمي أن موتي شريف فباركيني ياأُماه وليكن الله في عونك وعون الأُمهات المنكوبات اللواتي فقدن أولادهن ». (١)

وتطغى المشاعر والعواطف في أقصوصته (التأمل الحزين) حيث يربط الحب بين قلب ــ البطل ــ وفتاة مسيحية مريضة بالسل يراها على الشاطئ. ويختم القصة بموت الحبيبة وهيام البطل على وجهه كما فعل مجنون ليلى . وتطلع علينا نفس العواطف والمشاعر في أقصوصتيه (لقاء في لونابارك) (حلم قصير) ويقتل خزعل الحارس المسن ولده لأنه حاول السطو على منزل لسرقته أقصوصة (خزعل) ويسقط منهكاً يقبل ولده المضرج بدمائه . ومــن أبرز كتاب الجيل الثاني في الاتجاه الرومانسي : كارنيك جورج ومحمد بسيم ذويب ومحمود محمد الحبيب .وسنعرض لانتاجهم القصصي.

كارنيك جورج :

أغرق كارنيك جورج نفسه في الحب ،فهو مادة أقاصيصه كلها في مجموعتيه (سهاد البريئة) الصادرة عام ١٩٤٨ و (دموع عذراء) الصادرة عام ١٩٤٩ .ولن تجد غير الحديث عن الحب واللقاء والقبل والمطاردة في الشارع ،وفي السينما .وبدأ الكثير من صور الحب التي عرضها القاص أقرب إلى العبث منها إلى الأقاصيص الناضجة . فهي تحليق في الخيال ،واسراف في المواقف الغرامية لايصدر الاّ عن مخيلة مراهق ،يحس الأشياء بأعصابه الملتهبة وينظر الامور بعيون جائعة (٢)

يعتمد جورج في أقاصيصه على الأحداث الغريبة والنهايات المفاجئة والتحليق في سماء الخيال .في (سهاد البريئة) يصور حباً عميقاً بين اثنين ،

(١) نفوس جديدة ص ٨٦ .

(٢) عبدالقادر أمين (القصص) ص ١٧١ .

ولكن الفتاة تحاول قطع خطوبتها بحبيبها والالم يحز في نفسها ويحاول الشاب أن يعرف السر في الأمر إلى أن تبوح له بأن عمها قد اغتصبها بعد أن وضع لها مخدراً في الشراب .

إن هذا الحادث لايمكن وقوعه مطلقاً في العراق بالاضافة إلى جو اللهو والخمر الذي أطر به المؤلف أقصوصته ،إن الأغراق في المبالغة.وإيراد ما يناقض الحياة لايصلحان أبداً كأساس صحيح لاقصوصة فنية

ويمضي كارنيك في مجموعته الثانية (دموع عذراء) على طريقته في الأغراق والمبالغة بالاضافة إلى أن طابع السرعة في كتابة هذه الأقاصيص جليّ في اضطراب حوادثها وهلهلة اسلوبها .

يروى لنا في (رجلان وامرأة) أن شاباً يقع في حب راقصة ويقنعها بالزواج منه ، ثم يستأذن أباه في الزواج ويحكي له أبوه تجاربه مع زوجته وكيف انتهى الزواج بالطلاق ، ويحاول الابن معرفة أمه ، فيفاجئه الأب بقوله : (انها تلك التي كانت تتأبط ذراعك بالامس) وهي بعينها التي خطبها الابن لنفسه .

كيف حدث ذلك وبهذه السرعة ؟ وكيف يتزوج انسان من أمه ؟ ، ان كارنيك جورج يعتقد ان القصة هي مجرد أحداث غريبة وغير معقولة.

وفي (الفريد) صورة لعبث الطلاب وتندرهم بزملائهم واستغلال ، الضعف في بعضهم للضحك واللعب . اذ يبعث زملاء (الفريد) اليه برسالة يوهمونه بأنها من فتاة متيّمة تسأله لقاء في السينما ويكتشف بعد ذهابه ان الحبيبة ليست الا زميلاً مقنعاً بثياب النساء وأقاصيص كارنيك جورج أقاصيص حب يائس لاأمل فيه تلفها رومانسية كئيبة مغرقة في الخيال في) ذات السيارة الحمراء) يحب الشاب فتاة غنية ويحاول أن يفوز بعطفها فلا يجد سبيلاً غير رمي نفسه أمام سيارتها فيموت . وفي (رسالة شاعر)

يرسل العاشق إلى حبيبته رسالة حب بعد أن صدته عنها « ومضت أيام واذا بحبك يتحول إلى عبادة صامتة ،ولكن ماذا أفعل من الخير أن أبتعد، لأ بعد حي عن قلبك ، حبي الذي تحول إلى عبادة حبي الذي لاتؤمنين به ولا بوجوده » . (١)

يقول جورج في اقصوصة (بين ربيع وخريف) : « هذه القصة ، كتبت بطريقة جديدة في فن الاقصوصة . وهي أن يكون القارئ هو البطل فيهـا » . (٢)

تحب الخادمة الصورة التي تتطلع اليها سيدتها وتقفل عليها الصندوق وذات يوم تنسى السيدة المفتاح ، فتهرع الخادم إلى الصورة التي عشقتها دون أن تراها ، فاذا بها صورة قديمة لسيدتها .

لم نجد في الاقصوصة هذا الفن الجديد الذي ادعاه بل هي أقصوصة ، غريبة الحدث بعيدة عن الواقع مثل بقية أقاصيص المجموعة . ولا تقف الغرابة عند هذا الحد بل نجد الأب يغازل ابنته(معاون المدير) ، والاخ يعرض أخته على صديقه مقابل نقود (اغراء) .

ولايعطينا الكاتب الملامح النفسية الحقة للشخصيات بل يتكلم عنها من السطح وتبدو ثابتة غير متطورة .إنها نماذج ليست انسانية الخاق ولا الابعاد ولا تتصف بصفة الفرد المتحيز ،استخدمها لابراز الحدث والفكرة .وهو كرومانسي لايرى في الحياة الا جانبها القاتم المظلم ، ويجمح به خياله في معظم الأحيان بعيداً عن الأرض التي يحيا الناس فوقها رغم أنه يشعرنا بأن أقاصيصه حقيقية نقلها كما هي من الواقع أو جرت حوادثها بالفعل في مكان وزمان معينين ،بحيث يبدو أنه لايكتب لنا الا ما يعرفه من الحياة أي مما توحي اليه به رغباته ومشاعره .

---

(١) كارنيك جورج (دموع عذراء) ص ٣٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

محمد بسيم ذويب :

إن أقاصيص محمد بسيم ذويب صور ولوحات شاعرية رقيقة تخلو من الحبكة الفنية للقصة القصيرة ،يغلب فيها الموضوع على الشكل ،والقصة عنده تصاغ أحياناً في هيكل روائي لافي هيكل قصة قصيرة بحيث يخرج القاريء نتيجة للطفيليات وكثرة المسارب الجانبية وتعدد المواقف وفقدان التوقيت مشوشاً لايملك وحدة التأثير أو الانطباع ،ولا يخضع لتوتر نفسي وأحد من بداية القصة حتى نهايتها .

ويعني الكاتب بالدقائق والجزئيات الجانبية التي لاتغني ولا تفيد ولا تمت بصلة إلى الموضوع العام وتفرض على القصة فرضاً دون أن تكون لها ضرورة تلقي على القصة مزيداً من الضوء بل على العكس فإن هذه الفضلات كثيراً ماتطمس معالم الشخصية في قصة وتفسد توازن هيكلها .ومثلها في ذلك إطلالات الرأس والتدخل والتقريرية.

نظم محمد بسيم ذويب الشعر وهو في الخامسة من عمره (١) وأصدر أول كتبه وهو تلميذ في الكلية العسكرية عام ست وعشرين ،وتأثر في شعره بشعراء المهجر . وزاول كتابة القصة ونشر أول قصة قصيرة في جريدة الحديث الحلبية سنة ١٩٣٠ م،ونشر في الجرائد والمجلات العراقية الكثير من الشعر والنثر .

كتب مجموعته القصصية الأولى (آثام) الصادرة عام ١٩٥٧ باسلوب اخباري استخدمه المؤلف وقام مقام الوسيط بين الأبطال والقراء ،ولم يحسن الكاتب الربط بين الأحداث المتفرقة التي تتكون منها القصة .وفيها نهايات مدهشة وطرق خاصة من الموت بالسل والدهس ،لقتل الاشخاص الذين يريد أن يتخلص منهم الكاتب لغرض إنهاء القصة .

ويبدو تأثير المنفلوطي وجبران واضحين في كتابات الذويب ، فهي ،

---

(١) من رسالة الكاتب الى الدكتور داؤد سلوم .

مغرقة في الخيال والبعد عن الواقع . مؤطرة بحب بائس ونهايات مفجعه . متكلفة . في (بدلة العيد) لم تجد الأم من نهاية لشقائها وشقاء طفلها الا الموت غرقاً بعد أن يرد الجار الغني سؤالها ثوباً لابنها في العيد .

وتبادل الفتاة متبنيها الحب بصمت وتعترف له بعاطفتها وهي على فراش الموت بعد اصابتها بالسل في (قلبي لغيره) . وفي نهاية أب) يغتصب الرجل ربيبته فتنتحر ويصاب الأب بالجنون .

وتصطاد الأخت المتزوجة خطيب أختها فلا تجد الاخت غير طريق ، الانتحار في (أُختي الصغرى) . وفي المجموعة صور لم يرسلها لنا الكاتب كما هي في قصة (نبوءة تحققت (و) الكلبة غرود) حيث تدس زوجة الأب السم لابن زوجها فيموت ويموت والده حزناً عليه ، وتنحدر ابنتها إلى الرذيلة ، وتصاب زوجة الأب بالعمى ، ولا تجد غير التسول طريقاً للعيش

أما اقصوصة (محنة زوجين) فقد رويت كما يروى الحبر التاريخي أو محاضر المحاكم ، بأحداث متشابكة بعيدة عن الواقع (١) .

ورغم تماسك اسلوبه تشيع فيه الخطب والنصائح مما يضعف الفنية في أقاصيصه : تخاطب المتسولة رجلا غنياً رد سؤالها (أليس المال الذي ، تتمتعان به من تعب الفقراء أمثالي ومن قوتنا الذي احتكرته فمنعته عن أفراد الشعب الجياع ... فان كنت قد ورثته عن أبيك فهل تعلم كيف جمعه أبوك فكدسه في خزانته الخاصة أو في البنوك ... ماالخدمة التي قد قدمها أبوك أو تقدمها أنت لهذا الشعب الذي تستعلي على أبنائه) (٢) .

محمود محمد الحبيب

تحتوي مجموعته القصصية (صرعى) الصادرة عام ١٩٤٩ على عدد من الاقاصيص التي تدور حول العواطف الثائرة والحب اليائس وتنتهي

---

(١) داؤد سلوم ، الادب المعاصر في العراق ص ٩٩ .
(٢) محمد بسيم الذويب (آثام) ، ص ٣٥ ، من اقصوصة (بدلة العيد) .

نهايات فاجعة مؤلمة . ويمتاز اسلوب الكاتب بالقوة والمتانة ، لولا أنه يكثر من استعمال الصفات (أُمي الكريمة ، والدي الكريم) مما يضعف الاسلوب القصصي الفني . كما أنه يستخدم الاسلوب الخطابي في الحوار وكأن البطل في حفل عام لا يتحدث إلى نفسه أو إلى شخص قريب منه .

(حرام يا هيفاء أن تظهري كل حركة حبيبة إلى القلوب وتغني شتى الأغنيات الساذجة البسيطة بلغة يفهمها أطفال في عمرك ..... لم ياابنتي تحرميني من احتضانها بعد عودتي مرهق الأعصاب ... بنيتي دنيا طفو تلك مهشمة باردة وعواطفك مريضة خرساء وتصرفاتك اتجهت في رافد لايتغير بل يصب في حياتنا العناء والعذاب) (١) . ولم يحسن الحبيب رسم شخصياته فبدت ظلالاً باهتة لاحياة فيها ، بل وكأن جميع الشخصيات شخصية واحدة لاغير ، كلها تقع في الحب وتشقى وتتعذب وتنتهي نهايات مؤلمة .

في اللهب الأزرق) يحب الشاب فتاة مسيحية ويخطبها لنفسه ولكنها ترفض تغيير دينها خوفاً على مستقبل أُختها الصغيرة وسمعة عائلتها . وفي (الضحية (يحب واصف ابنة عمه ولكن زوجة عمه تراوده وحين تيأس منه تحاول تزويج ابنة زوجها كي يبقى لها وحدها . ويكشف واصف لعمه سلوك زوجته فيطرده العم من الدار ، ثم يقع في غرام راقصة يتزوجها . وفي (الختام الدامي (يغرق سليم نفسه في الشهوات ويغتصب غجرية ، فتنتقم أُمها منه بخطف ابنته الوحيدة التي يراها بعد سنين ترقص مع الغجر . وفي (رسالة شاعر) يموت الشاعر حباً ووجداً . وفي (ثورة في الريف) يقتل الريفي ابنته لأنها تكلمت مع شاب حضري بينهما حب متبادل . وفي (عالم الطفولة) تنتحر الطفلة الصغيرة لأنها تغار من أُختها المولودة حديثاً . وقد حمل الكاتب الطفلة من العواطف ما لا يستطيع قلبها الصغير حمله ، بالاضافة إلى الصفحات الطوال التي استغرقتها مناجاة الأم لإبنتها المنتحرة .

---

(١) محمود محمد الحبيب (صرعى) ص ٥٨ .

مهدي السامرائي ـ عباسج الجابري :

كاتبان مبتدآن تتسم أقاصيصهما في مجموعتيهما (الهياكل الصادرة سنة ١٩٤٥ و(دموع الماس (الصادرة عام ١٩٥٨ بالضعف الفني وتهافت الاسلوب وهزاله . وشخصياتهما لاتكاد تبين وسط ضباب العواطف الثائرة والانفعالات الهائجة .وكلها تدور حول موضوع واحد هو (الحب) الذي ينتهي نهايات قاتمة سوداء . والحديث في أقاصيصهما بعيد كل البعد عن واقع الحياة يقتنصانه من خيالهما الجامح .

يرتكب البطل جريمة قتل ،لأن حبيبته سرقها شاب غني يعيره دائماً بأنه لقيط(الأوراق الذابلة).ويقتل الزوج زوجته وصديقه انتقاماً لشرفه(نهاية قصة) وتموت الحبيبة وتتركه للدموع (مجد كاذب ، بثينة) .

أما في (دموع الماس)توقع ـ هيام ـ ابن عمها في حبائلها ويترك البطل حبيبته ـ سلمى ـ ويتزوج ابنة عمه ويقعده المرض نتيجة لتأنيب الضمير فتتركه زوجته،ثم تسرع اليه حبيبته سلمى وتكون إلى جانبه في محنته .وفي (الضمير) يقتل الأخ أخته بعد أن يجد رسالة غرام عندها ثم يكتشف براءتها فتنتحر .ويطالب صديقه الحكم باعدامه لأنه السبب في موت انسانين .

(وفي أحلام) يعود الحبيب إلى مدينته فيجد أن حبيبته التي عاهدته على الحب قد تزوجت .وفي) ابن العم (يقتل ابن العم عمه وزوج ابنة عمه،لأن عمه رفض تزويجه ابنته .فإذا كانت الرومانسية قبل الحرب الثانية لها مايبررها فإن استمرارها بعد الحرب لم يقدم للادب في العراق رافداً يخصبه .

ـ المراجع ـ

١ ـ جميل سعيد ،نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق ،معهد الدراسات العربية القاهرة ، ١٩٥٤ .

٢ ـ داؤد سلوم الادب المعاصر في العراق مطبعة المعارف ،بغداد ،١٩٦٢.

٣ ـ شجاع العاني المرأة في القصة العراقية ،دار الحرية للطباعة ،بغداد١٩٧٢.

٤ ـ صفاء خلوصي دراسات في الادب المقارن ،مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٨.

٥ ــ عبد الاله أحمد،نشأة القصة وتطويرها في العراق مطبعة شفيق بغداد ١٩٦٩ .
٦ ــ عبد القادر حسن أمين القصص في الادب العراقي الحديث مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٦
٧ ــ عمر الطالب الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية ،دار العودة بيروت ١٩٧١
٨ ــ عمر الطالب ،القصة العربية بين القومية والمحلية ،بحث القي في الجامعة العربية في مؤتمرها السنوي لعام ٩٧٢ .
٩ ــ محمد مندور ،الادب ومذاهبه ،معهد الدراسات العربية ،القاهرة ١٩٥٥ .
١٠ ــ جريدة الاخاء الوطني العدد ١٨ ،لعام ١٩٣١ .
١١ ــ جريدة الأخبار ،العدد ٤٣٥ لعام ١٩٣١ .
١٢ ــ مجلة الاديب اللبنانية ، العدد العاشر لعام ١٩٤٦ .
١٣ ــ جريدة البلاد الاعداد ٤٥ ، ١٣٣ ، ٢٠٠ لعام ١٩٣٠ العدد ٤١٦ لعام ١٩٣١ ، وعام ١٩٤٣
١٤ ــ مجلة الحاصد ،السنة الاولى ،كانون أول لعام ١٩٣٠ الاعداد ٢ ،٢١ ، ٣٣ ، ٤٢ السنة الثالثة عام ١٩٣٢ .
١٥ ــ جريدة السياسة ،العدد ٣٣١ لعام ١٩٣١ .
١٦ ــ مجلة عطارد ، العدد الأول آب ١٩٣٤ .

ــ المصادر

جميع القصص والروايات التي ورد ذكرها في البحث .

الدكتور عمر محمد الطالب

مدرس ــ قسم اللغة العربية
كلية الآداب ــ جامعة الموصل

صورة القصيدة الجاهلية

علي محمد علي الحبوبي

نظم الشعر الجاهلي في أوزان عديدة تمثلها البحور التي آستنبطها الخليل بن أحمد الفراهيدي جميعاً — خمسة عشر بحراً — وإنْ كانت بعض هذه البحور قد غلبت على الشعر يومذاك ، كالطويل والبسيط والوافر وآلكامل وآلمديد والرجز .

وتناولت القصيدة الجاهلية موضوعات مختلفة ، تنقلت بينها ، وآلتزمت في التعبير عنها ، طرقاً ثابتة وصوراً مُحدَّدة وتقاليد فنية . لم تَحِدْ عنها ولم تسع إلى تغييرها . ذلك لأنَّ هذه الأغراض والموضوعات والتقاليد والقوالب التعبيرية كانت ثمرة جهود طويلة سلفت ، لانستطيع أنْ نتتبعها لأنّ التاريخ لم يحفظ لنا إلا الحلقة الأخيرة منها ، ممثلةً فيما بقي لنا من شعر القرن آلسابق على ظهور الإسلام . وهذه الآثار فيما بقيت تكشف لنا عن آلعَراقة وآلنُضج ، وتَصوّر إعجابَ هؤلاء بما وصلوا إليه ، وآعتقادهم أنَّ ما بلغوه يمثل النهاية التي ليس وراءها شيء يطلب .(١) .

تبدأ القصيدة الجاهلية بالتشبيب ، فكان الشاعر يقف على الأطلال ، الدّارسة والشخوص البالية ، بعد أنْ ألحّ عليها المطر الغزير غِبَّ بين الأحبة ويتتبع الحبيبة في رحلتها الطويلة وفي منازلها التي تحل بها أثناء هذه الرحلة ،

(١) عن محاضرات الدكتور محمد محمد حسين لطلبة السنة الثانية في جامعة الإسكندرية لعام ١٩٦٤ ١٩٦٥ م .

بسيل من العواطف الثائرة والمشاعر الفياضة ، ثم يُفضي إلى الصحراء الواسعة التي تجوب الريح أرجاءها ، فتثير الفزع في نفوس سالكيها وتحملهم على الحرص على بقايا الماء ، خوف الهلاك والضياع ، وتهزل النوق القوية الصلبة التي يستعين بها المسافرون على اجتيازها حتى تغدو هُزلاً ضوامر لاتقوى على حمل نفسها ، بعد ذلك العناء البالغ والنَصب الشديد . وأخيراً يعرض الشاعر — في خلال قصيدته — لألوان من الشعر تُصوّر البيئة حيناً ، وتصور ما يجري عليها من أحداث حيناً آخر ، أو يبرز المثل الأعلى ، كما يتصوره هو من ناحية ، وكما يتصوره عصره من ناحية أُخرى ، وقلما تختلف الصورتان لأنّ مايتصوره الشاعر مستوحى من قيم العصر ومفهوم الجماعة العربية ، كأنْ يصور الشاعر ذلك المثل تصويراً مباشراً حين يمجّده في الفخر والمدح ووصف الحروب وأبطالها ، ويصوره تصويراً سلبياً حين يهجو كل من يتعارض معه أو يناقضه .(١)

وبهذا أصبحت القصيدة الجاهلية تجري على نظام ثابت لايختل . فهي تبدأ بالوقوف على الأطلال ووصف رحيل الأحبة ، وتنتقل إلى وصف الناقة وتصوير الصحراء وما فيها من حيوان ونبات وجماد ، ثم تنتقل إلى المدح أو الهجاء.وربما أسقط الشاعر من قصيدته قسماً أو قسمين من هذه الأقسام ، ولكن هذه الأغراض إذا كانت ممثلة في القصيدة فهي تجري دائماً على هذا النظام ، أو تجيء عليه في الأغلب الأعم .

ولما كان هذا الترتيب للقصيدة الجاهلية التزاماً لم يشذ عنه شاعر ، لهذا لايمكن اعتبار القسم الأخير من القصيدة هو الغرض الأصيل الذي قصد اليه الشاعر وأن القسمين الأولين ما هما إلا تمهيد له ، لأن الجهد الفني المبذول في هذه الأقسام الثلاثة والعناية الكبيرة التي حظيت بها منه يدلان على انها في درجة واحدة من حيث الثبات والأصالة والاهتمام ، ويدلان على أنهما — أي الجهد الفني والعناية — موزعان توزيعاً عادلاً لاإجحاف فيه . وربما يصح هذا القول بالقياس

(١) الهجاء والهجاء في الجاهلية : ص١٦ .

إلى الشعراء المتأخرين الذين التزموا بهذا الترتيب تقليداً ومحاكاة لاانفعالاً وشعوراً.

إن هذا الترتيب الذي خضعت له القصيدة الجاهلية تعبير عن الواقع الذي كان يواجهه العربي يومذاك وتصوير للحياة التي كان يحياها في تلك الحقبة من الزمن ، حين فرض عليه التنقل في مجاهل الصحراء ، بحثاً عن منابت الكلاء ومصادر المياه . وقد كانت الحياة قاسية بالغة القسوة عندما تحمل هذه القبائل على هجر أوطانها والرحيل بعيداً عن مواطن استقرارها المعهودة إلى الضرب في مناكب الأرض الفلاة ، سعياً وراء ما يسد الرمق ويطفيء الغليل حتى غدت حياتها الكلية عنواناً للرحيل الدائم والهجرة الموصولة ، لم تذق فيها طعم الاستقرار شأن أهل الحواضر والمدن . وقد تلتقي عدة قبائل — تختلف أصولها ومواطن منازلها الأولى — عند مرعى معشب تستقر عليه أو غدير ماء تحف حواليه مدة من الزمن ، ثم يتبدد اجتماعها عندما ينضب الماء ويفنى النماء ، فتزم كل قبيلة رحالها إلى منازلها الأولى التي غادرتها في فصل الجفاف . وكما اجتمعت هذه القبائل على غير موعد مضروب كذلك يكون التعارف عن غير قصد منها بفعل عوامل الاجتماع ووحدة المعاش ، فإذا النهار المشرق رعي دائم ، وإذا الليل الساجي سمر موصول ، وإذا الاختلاط البريء — وما يفرضه الجوار والتعاون بين الشباب والشابات — لاتحول دونه عوائق أو عقبات . وقد يتعلق قلب شاب من هؤلاء الشباب بحب فتاة من الحي المجاور لحيه . يخالسها النظرات ويتحدث اليه حين يلتقي بها — في ود وحنان ، فأن ضربت عصا البين بالرحيل وتهيأت المطايا للظعن ، وأقفر المكان من تلك الحياة العامرة ، أودعت هذه الحبيبة في قلب محبوبها صورة يضم الاضلاع عليها ، ويلفها بمشاعر الأسى والحزن ويلونها بالدم والدموع .

فأن ألم بالمكان الحبيب كرّة أخرى مع قومه حين تدفعهم الهجرة اليه ثانية ، أو مع خواطره حين تسوقه اليه سوقاً عنيفاً ، ووقف به ساعة أو بعض ساعة ، متجولاً في ذلك الربع الدارس ممعناً النظر في مواطن الوصل واللقاء،متأملاً ما بقي من آثار الحي من وتدأو نؤى أو إثفية أو مما تخلف

بعد الرحيل ، ناظراً إلى الغربان تنعق فيه والآرام والأبقار وصغارها تجوس نواحيه ، بعد أنْ كان آهلاً بقاطنيه ، ثارت الذكريات في نفسه وعصف به الشوق وتملكه الحنين ، وحلق به الخيال على أجنحته ، ليبصر الجمال وهي تتهيأ للسفر ، وصاحبته في الهودج بين النساء ، فيجرى وراءها حتى تغيب في بطن الصحراء ، ثم يؤوب إلى نفسه بعد هذه الرؤى الحالمة التي تتخللها مناظر وألوان ليواجه واقعه وما هو فيه . (١)

فهذه المناجاة الحزينة الدائمة التي يسكب فيها خلاصة شعوره نحو الطالل ليست أمراً منكراً على العربي، بعد أن أدركنا واقعه، وعرفنا الظروف التي تحيط به

فالواقع المرير كان له شأن كبير في تقرير مصيره ، يوم فرضت عليه ضرورة البقاء أنْ يعيش متنقلاً على صفحة البيداء ، مخلفاً في كل بقعة ، قيها فلذة من كبده وقطعة من تاريخه ، لا يستقر في موطن ولا يعرف ، الراحة ، ويكره على التنقل ويدفع اليه دفعاً . (٢) ولهذا كانت المرأة هي السكن والقرار في هذه الحياة القاسية ، يطمئن عندها من اضطرابه ويسكن اليها من وحشته ، وقد غدا آثر شيءٍ إلى نفسه وأحبّه إلى فؤاده حبيبة يسترجع معها الذكريات الحلوة والمرة ، ويبثها لواعج هواه وشكواه ، إنْ أسعفته الظروف أَنْ يلتقي بها ويجتمع معها ، فإنْ حال الزمان دون ذلك فلم يجد سوى الربع يروى أديمه بدموعه تارة ويخاطبه عن الحبيبة الظاعنة المأثورة تارةً أُخرى ، ويتلمس كل ما لها من آثار ومخلفات في ساحته ، ويظل عند هذا الحنين كلما أثاره الشوق وعصفت به الأشجان . ويعمق هذا الحنين ويشتد كلما كان الأثر أكثر اندراساً ، لأن تأثيره أقوى في ، في النفس وأعمق في استثارة العواطف والأحاسيس . ٣)

وبعد هذا الحديث الملتصق بنفسه والطافح بأشجانه وأحزانه يتطرق

(١) عن محاضرات الدكتور محمد محمد حسين لطلبة السنة الثانية في جامعة الإسكندرية لعلم ٦٤/٩٦٥
(٢) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ص٩ .
(٣) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ص١١ .

إلى ذكـر الصحراء والناقة والضرب في الفلوات ، وإنضـاء المطي بالأسفار ووصف هذا الحيوان الوحيد الذي يقاسمه سّراءَ الحياة وضراءها .

لقد كان حديث الناقة والخوض في مجاهل البيداء لوناً من المغامرات الأثيرة إلى النفوس الشعراء ، حين يستعيدون بهذا الحديث عنصر المخاطرة والفتوة والشباب الذي خلفوه وراءهم .

وهذا الجزء يعدّ متمماً لتلك الخواطر والذكريات عن المرأة وألوان العلاقة بها(١)

صور هؤلاء الشعراء الناقة قوية صلبة ،قد خصّها صاحبها بمزيد العناية ووافر الاهتمام فعلفها وأراحها وطرد عنها الفحول كي تحافظ على قوتّها ولا يرهقها الحمل .فإذا أزمع الرحيل فهي صبور تتحمل آلام الطريق وتصل الليل بالنهار في سير متواصل دون كلل أو إعياء .حتى إذا انتهت الرحله بدت ضامرة ضاوية ،تشكو إلى صاحبها مما ألم بها من الارهاق والتعب والنصب فيعزيها على ذلك بما سينال من عطاء الممدوح ونواله .(٢)

لقد شغلت الناقة حيزاً كبيراً من القصيدة الجاهلية ،فعدّوها حيناً وسيلة لتمضية الهموم كما في قول طرفة بن العبد : (٣)

وأني لأمضي الهمّ عند احتضاره بعوجاءَ مرقال تروح وتغتدي

وعدُوها حيناً آخر جسراً يوصلهم بالممدوحين ،كما في قول الأعشى :(٤)

لا تشكيّ إليَّ من ألم النّسـ ـع ولا من حفاً ولا من كلال
لا تشكيّ إليَّ وآنتجعي الاسـ ـود أهل الندى وأهل الفِعال

ولهذا عكفوا عليها يصفون قوة خلقها ومتانته ،ويقدمون لأعضائها التشبيهات الكثيرة الملموسة التي تبرز الناقة وتجلي عناصر القوة والجرأة والسرعة التي تتحلى

---

(١) الشعر العربي بين الجمود والتطور : ص٣٤ .
(٢) اساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة : ص٥٣ .
(٣) جمهرة اشعار العرب في الجاهلية وآلإسلام : ص٣٨٠ .
(٤) جمهرة اشعار العرب في الجاهلية وآلإسلام : ص٢٦٢ .

بها .وكان حديث طرفة بن العبد عنها مثالاً يحتذى ومنهجاً يُتبع عند الشعراء إذْ لم يترك عضواً من أعضائها إلا وذكره وأردفه بتشبيه يبرزه ويجلّيه ،وكأنه يهدف إلى أنْ يقيم لها تمثالاً يتأمله ويتقرى محاسنه ،كلما شاقه ذكر الناقة وآثر أنْ يستحضر صورتها (١) فكان « الشعراء يسهبون في أوصافهم ويستطردون استطرادات غريبة في أحاديثهم ،وهي في معظمها تنحصر في الصفات التي تؤكد قوة هذه الناقة ،وشدة مقاومتها لعوارض الصحراء وسرعتها في قطع مسافاتها ، وفي كل صفة من هذه الصفات تتجلى براعة الشاعر الذي يمنح هذا الموصوف مايجعله أكثر قدرة على السير وأشد مقاومة لما يعترضه من مصاعب ،وأخف سرعة في الوصول إلى المكان المحدّد له »(٢)

ثم كانوا يُعقبون بالصور المعهودة عن الحمار والثور والظليم ،لبيان السرعة والقوة والقدرة على مواجهة الصعاب وتحمل المتاعب والأهوال (٣)

فلا غرابة بعد ذلك كله — إذا ما أصفاها الشاعر الجاهلي خلاصة مشاعره ومنحها صفو القول وأشاد بنعوتها وأوصافها وذكرها بعد المرأة الظاعنة والأطلال الداثرة ،فقد كانت شريكة حياته ،تشاطره سعيه وكفاحه ،ويطرد بواسطتها همومه وأحزانه ،وتسهل عليه بلوغ مآربه ،وتقاسمه مخاوف الليل وحرارة النهار في تلك الفلاة المقفرة .

أما حديث الشاعر عن قيم العصر إيجاباً وسلباً ، متمثلاً ذلك في نفسه أو في قومه او في شخص بعينه فيمكن أن يلاحظ في اعراض المديح و الفخر والهجاء

فهو في المديح يقيم مدحه على مايراه في ممدوحه من كرم الجوار والعزة والآباء والشجاعة والفتك في الأعداء والكرم ورعاية الحقوق ، من غير أن يعمد فيه إلى الغلو في الصفات ، ولا يتوسل إلى الصنعة في النسج والبناء ، فالصدقُ أبرز مايتحلى به الشاعر في المديح ، حتى غدا سُنّةً محببة الإحتذاء

(١) لاحظ معلقة طرفة بن العبد في : جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والإسلام : ص ٣٨٠ / ٣٩٦ .

(٢) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ص٣٤ — ٣٥ .

(٣) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ص٣٥ .

عند شعراء العصر الجاهلي في الأغلب الأعم . ولكن عندما إتخذ المديح وسيلة إلى الكسب ، وحرفة لاستدرار العطاء ، عندها أعرضَ عن الحقيقة ومال إلى المبالغة ، وترك البديهة إلى الصنعة ، كي يحقق مايريد من التاثير في الممدوحين(١) فكان زهير الذي إختصَّ بأشراف قومه وحسّان بن ثابت الذي دار في فلك الغساسنة ، والنابغة الذي تعلق بأذيال النعمان بن المنذر ، أما الأعشى فقد جعاه « حرفة خالصة للمنالة والتكسب ، إذ لم يترك ملكاً ولا سيداً مشهوراً في أنحاء الجزيرة إلاّ قصده ومدحه وفخّم شأنه معرضاً بالسؤال ». (٢)

وهو في الفخر يقيم فخره على الإهتمام بالقبيلة والإعتزاز بمكانتها ، فهي موئله ومعقل رجائه ودولته التي يجد في كنفها الأمن والرعاية ، كما يرتبط معها بعقد إجتماعي أصّلته التقاليد ووثقته العادات ، حتّى صار الإثنان لايستغني أحدهما عن الآخر ، لا القبيلة تستغني عن شاعرها لأنه لسانها والمعبّر عنها في كل المواقف والظروف ، ولا الشاعر يستغني عن قبيلته لأنها كهفه الذي يأوي إليه ويلقى فيه الحفاوة والتكريم . ولهذا إنطلق يتغنى بمآثرها ويبين غابرها ويذكر ما تمتاز به بين القبائل من مكانه ورفعة ، من غير أنْ أنْ يقصد إلى التعالي على قبيلة بعينها أو يهدف إلى الرد على شاعر بعينه ، وإنْ كان في شعره مايدلّ على هذا التعالي أويشعر بهذا الرد المقصود(٣)

---

(١) العصر الجاهلي : ص ٢١١.

(٢) العصر الجاهلي : ص ٢١٢ ، — لقد كان الأعشى على رأس الشعراء المتكسبين الذين احتفلوا بشعرهم لهذه الغاية ، أنظر ما قاله في الأسود المنذر بن ماء السماء « لا تشكي إلي وانتجعي الأسود....» في جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : ص ٢٦٢وما بعدها،وديوانه ص ٧ وما بعدها.

(٣) أنظر معلقة لبيد بن ربيعة من قوله« إنا إذا التقت المحافل لم يزل... » في جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، ص ٣٢٨ وما بعدها،وشرح القصائد التسع المشهورات ص ٤٤٨ وما بعدها ومعلقة عمرو بن كلثوم في جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ص ٣٤٤ وما بعدها ،وشرح القصائد التسع المشهورات ص ٦٢٨ وما بعدها، ومعلقة الحارث بن حلزة اليشكري في شرح القصائد التسع المشهورات ص ٥٦٣ وما بعدها، ولم يرد لها ذكر في جمهرة أشعار العرب إذ لم تعتبر — عدد بعض الدارسين القدماء — من المعلقات.

م/١٧

ثم هو في الهجاء يقيم هجاءه على كل مايناقض المثل العليا عنده وعند المهجو على حد سواء ، مناقضة مبنية على السخرية والإستهزاء ، إذ يصمه بالبخل الذي كان في عرف الناس كلهم وفي عرف العصر نبزاً يرمى به الرجل وطعناً تنفذ فيه سهام الشاعر ، عندما يتصوره — مثلاً — شبعان ممتلئ البطن من الطعام وجيرانه يتضورون جوعاً لايجدون مايتبلّغون به ، دون أن يلتفت إليهم وينقذهم من مسغبتهم . أو يصمه بالجبن والإستنامة إلى الدعة والسكون ، والأرضُ من حوله تموج بالأبطال من ذوي المآثر والأفعال ، حتى يمزقه ويقضّ مضجعه ويحيل نهاره إلى ليل مظلم لايرى من خلاله بارقة النور .(١)

وبهذا ندرك أنّ ترتيب القصيدة الجاهلية لم يأت إعتباطاً ولا حملاً للنفس على نهج مرسوم وطريق معلوم ، ولكنه ترتيب تفرضه المشاعر وتقدره وجدانات الشاعر قوة وضعفاً . فهي وحدة مترابطة ، على الرغم من تشتت الموضوعات التي تضمها وتباعد العلاقة بينها ، لأنها مستقاة من تجربة عاطفية ، ومن واقع له سلطانه على الناس والشعراء على حد سواء . وقد استقرت هذه الصورة في ذهن ابن قتيبة ، حتى جعل من الشاعر المجيد من يفتتح قصيدته بذكر الديار والدمن والآثار ، فيبكي ويخاطب الربع ويستوقف الرفيق ، ويذكر أهلها الظاعنين وانتجاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث ، ثم يصل ذلك بالنسيب ، فيشكو شدة الوجد وألم الفراق ، ليميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه ، بعد ذلك يرحل في شعره فيشكو النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير ، وإنضاء الراحلة والبعير ، ثمّ يدلف إلى المديح فيبعث الممدوح على المكافأة ويهزه للسماح

---

(١) أنظر ما قاله الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة :

تبيتون في المشتى ملاءا بطونكم — وجاراتكم غرثى يبتن خمائصاً

ديوانه : ص ١٤٩.

وما قاله قريط بن أنيف في هجاء قومه الذين ألفوا الذل والهوان :

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد — ليسوا من الشر في شيء وان هانا

عن ديوان الحماسة : القسم الأول ص ٢٢ وما بعدها :

ويفضله على الأشباه . « فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدّل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد»(١) .

وشاعت في القصيدة الجاهلية تقاليد أُخرى ، من قبيل الإلتزام بقوالب تعبيرية معينة ، والإستعانة بتشبيهات متكررة ، وذكر صور واحدة .

فمن القوالب التعبيرية المعينة الإلتزام بأسلوب واضح في طريقة التخلص من صورة إلى أُخرى . فإذا أَراد الشاعر أنْ يتخلص من الغزل إلى وصف الرحلة تخلص بطريقة معروفة قلماً يشذ عنها .

فإنْ كان واقفاً بالأطلال قال لما رأيت ان الاطلال لاتجيبني نهضت إلى ناقتي . وإن كان يتحدث عن رحيل صاحبته قال: هل تلحقني بهم ناقة ؟؟ وإنْ أَحبّ أنْ يذكر صدود صاحبته عنه وإعراضها قال : فصرِّم حبلها وآقطع ودّها مثلما قطعت ودكّ بالسفر على الناقة شديدة . وإنْ ذكر ماكان بينه وبينها من ود قال : فدعها وسلّ الهم عنك بجسرة .(٢)

ومن التشبيهات المتكررة مايتعلق بالصحراء والناقة ، مثل تشبيه الطرق في الصحراء بالخطوط في الكساء ، وأعلام الطريق بالرجال ، ووحشة الصحراء بصوت البوم أو بعزيف الجن أو بنواح الخلاء ، والهوادج في الصحراء بالسفن في لج البحر .(٣) ووصف الصحراء بأنها مطموسة المسالك ، مدفونة المناهل ، وبأن ماء آبارها راكد غير سائغ . وتشبيه الناقة بالبنيان الضخم ، ووصفها بتلاحم الفقار ، وتصويرها قبل السفر وقد علفها صاحبها وأحسن القيام عليها وتصويرها بعد الرحلة هزيلاً ضامرة ، وتصوير نشاطها في الهاجرة حين يخفق السراب وكأن هـرّاً قد علق برحلها فهو ينهشها ويبعثها على الإسراع . وتشبيه هيكلها حين تضمر وقد إرتفع فوق أرجلها بتابوت الميت

(١) الشعر والشعراء: ج١ — ص ٢٠ والنص من ص ٢١ .
(٢) أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة : ص ٧٤/٧٥.
(٣) أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة : ص ٧٨-٨١ .

وقد حمل على هام الرجال ، وآثار السيور في جسمها المهزول باثار المشي أو الماء في الصحراء حين يترك طرائق واضحة ، وذنبها بشمراخ البلح ، وعينها بالمرآة ووصفها بأنها تستخف بالردف ، وتسير ولا طعام لها إلاّ ماتجترّ فضل مافي معدتها ، وأنها تثير الحصى لسرعتها .(١)

ومن التشبيهات أيضاً مايتعلق بمختلف الأعراض ، فمن ذلك تشبيه الأطلال باثار الوشم وبالكتابة البالية ، والنساء بالظباء ، وأردافهن بالكثيب ، وبشرتهن الصافية بالؤلؤ وبالبيض المكنون ، ووجههن بالقمر الوضاء ، وأسنانهن بالؤلؤ ، وبالبلور وبأوراق زهر الأقحوان ، وشعرهن الأسود بالليل وبخطوط الكساء ، وعيونهن بعيون البقر ، وجيدهن بجيد الغزال ، وربقهن بالخمر وبالعسل ، وأناملهن بهدابّ الحرير ، وقوامهن بغصن البان ، ومشيهن بمشي القطا ، وكنايتهم عن دقة خصر المرأة بقولهم (صفر الوشاح) وعن ضخامة الأرداف بقولهم (ملء الدرع) وعن إمتلاء الساقين بقولهم « صامتة الخلخال». ومن تشبيه الوصل بالحبل ، وفيض الدموع بفيض الدلاء ، والمحب بالأسير والسكران ، والشجاع بالليث وباللسيف ، والكريم بالبحر وبالغيث ، والقامة بالرمح ، والحرب المريرة بالناقة العجوز وبالفحل الشرس ، والذي يثير الحرب ويؤججها بالذي يمد النار بالحطب ، والموت بالكأس المرة ، والفرس السريع بالعقاب بالسابح ، والفرس الطويل الظهر بجذع النخلة وبقناة الرمح.

وتصويره في سرعته وكأنه يباري رمح راكبه محاولاً أنْ يسبقه ، والسهام في سرعتها حين تنطلق بالنحل ، ولمعان السيوف بترقرق صفحة الغدير ، والعدو المغير بالضيف ، وتعبيرهم عن التنكيل به بالقرى على سبيل التهكم ، وكنايتهم عن الطويل القامة بأنه طويل النجاد ، وعن الشريف بأنه رفيع العماد ، وعن المنجد ذي المروءة بأنّه واري الزناد .(٢)

---

(١) مقدمة ديوان الأعشى : ص ذ — ص . ج

(٢) مقدمة ديوان الأعشى ص : ض .

ومن الصور ، صورة الحمار الوحشي عندما تتنكر له الطبيعة ، وتسد عليه مسالك العيش ، حتى يتبرم من واقعه ، فيسعى ليطفئ ظمأه وظمأ أتانه التي يسوقها سوقاً عنيفاً ويحرص عليها من الفحول ، وهي تنفر منه وتتقيه برجليها إذا مادنا منها ، ليرد بها عين ماء حفت بالعشب الطويل الذي يكمن فيه الصائد ، وعندما يقترب من الماء ، ويهمّ أنْ يدس فمه فيه ، اذا بسهام الصائد تنصب عليه،فيفر منها مسرعاً لايلوي على شيئ،تتبعه اتانة بسرعة . وصورة الثور حين تدهمه السماء بغيث منهمر ، يفر منه إلى شجرة الأرطى عند نجوة من الأرض ، ليقضي الليل مندّساً بين أغصانها ومع بشائر الفجر يعدو مسرعاً ، فإذا بالأرض تنشق عن كلاب ضارية تعدو وراءه بهمة ظاهرة فيكر عليها مستبسلاً في الدفاع ، حتى يظهر عليها ويخلفها تخوض بدمائها ثمّ صورة الظليم والنعامة،حين يدركهما الظلام وهما في مكان من الصحراء فيجريان بهمة متناهية ليدركا أفراخهما قبل إشتداد الظلام ونزول البرد . (١)

لقد كانت هذه القوالب التعبيرية والتشبيهات المختلفة والصور المعهودة مما تعارف عليه الشعراء الجاهليون ، حتى غدت تقاليد فنية التزموا بها في قصائدهم. وقد يأتي بعض الشعراء بالمبتكر من هذه الصور والتشبيهات بحسب ماتسمح به بيئته وآفاق خبرته من القرب أو البعد عن مصادر الحضارة والثقافة . فزهير بن أبي سلمى تغلب عليه الحكمة ، كما تغلب عليه الصنعة والصقل ، ويهتم في بعض جوانب شعره بالتصوير والتفصيل لبعض المشاهد ، وتلوين هذه المشاهد بألوان زاهية محببة إلى نفسه .(٢) ونلحظ عند الأعشى ظاهرة أسلوبية واضحة ألا وهي الإستدارة وقد تأثر بها الأخطل التغلبي من الشعراء الدولة الأموية ، وهي صورة من صور الترابط الذي يقوم بين الأبيات ، والمقصود بها توالي مجموعة متلاحمة من الأبيات تجري على نظام متسق يقوم

(١) أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة : ص ٥٣ وما بعدها ، وحدة الموضوع في القصيد الجاهلية : لوحة الصيد : ص ٤١ ، وما بعدها.

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ص ٢٤ وما بعدها ،وديوان زهير : ص ٩-١٣.

فيه كل بيت بنفسه في معناه ، ولكن المعنى العام لايتم إلاّ بالبيت الأخير منها .(١) وفي شعر النابغة وآلخنساء شواهد على هذه الظاهرة .

كما نجد عند الأعشى أيضاً وعند إمريء القيس ظاهرة القصص ، حين يسوقان الغزل أحياناً على صورة الحوار ، ويتطرقان فيه إلى مايقوم بينهما وبين النساء من الحديث . فالأعشى يمهد للقاء بصاحبته برسول يبعثه إليها فيحسن الدخول إلى مضاربها بعد أنْ يفلت من أعين الرقباء ، ليخبرها بموعد زيارة الأعشى ، ثمّ يأتي الأعشى ليأخذ قسطه من الحديث والمعابثة وآلمجنون .(٢) أما إمرؤ القيس فيقصد صاحبته من غير رسول ، حين يسمو إليها بعد أنْ ينام أهلها ، وتدور بينهما كأس الحديث ، ويأخذ معها في المعابثة واللهو حتى يقضي مأربه ، وهي تخبره بمخاوفها إنْ علم أهلها بوجوده معها ، لكنه يسكن روعها باستعداده للقتال وقدرته على التحدي والنزال .(٣)

فهذه هي القصيدة الجاهلية في كل ماتناولته من موضوعات ، وما إلتزمت به من ألوان التعبير وطرق التخلص من موضوع إلى آخر ، والتشبيهات والصور المعهودة .

---

(١) مقدمة ديوان الأعشى: ص — غ والشاهد في قصيدة : « ودع هريرة.....» في قوله:

ما روضة من رياض الحزن معشبة — خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق — مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة — ولا بأحسن منها إذ دنا الاصل

(٢) مقدمة ديوان الأعشى: ص ب — م ،وقسم من القصائد التي عرضت هذه القصص .

(٣) ديوان امريء القيس : ص ٣١—٣٣ ، ونجد مثل ذلك في المعلقة التي ملأها بقصص النساء مثل قصة دارة جلجل ، وقصة بيضة الخدر ص ١٠—١٨.

المصادر :

١ ــ أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة بين الأعشى والجاهليين ، للدكتور محمد محمد حسين ــ مطبعة دار النشر والثقافة ــ الإسكندرية مصر ــ ١٣٧٩هـ ــ ١٩٥٩م .

٢ ــ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق : علي محمد البجاوي = مطبعة لجنة البيان العربي ــ مصر ــ الطبعة الاولى ، ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م.

٣ ــ ديوان الأعشى الكبير ــ ميمون بن قيس بن جندل ــ تحقيق وشرح الدكتور محمد محمد حسين ــ المطبعة النموذجية ــ مصر ــ ١٩٥٠م

٤ ــ ديوان امرئ القيس : تحقيق : محمد أبوالفضل ابراهيم ــ مطبعة دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ــ ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م .

٥ ــ ديوان زهير بن أبي سلمى : شرح الامام ثعلب ــ مطبعة دار الكتب المصرية ــ مصر ١٣٦٣هـ ــ ١٩٤٤م .

٦ ــ شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد الحسن المرزوقي ــ تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون ــ مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ــ الطبعة الأولى ــ مصر ــ ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م .

٧ ــ شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس تحقيق أحمد خطاب ــ مطبعة الحكومة ، بغداد ــ الطبعة الاولى ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م .

٨ ــ الشعر والشعراء : لأبي عبدالله بن مسلم بن قتيبة ــ مطبعة دار الثقافة بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٦٩م .

٩ ــ الشعر العربي بين الجمود والتطور/ للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى طبع مصر

١٠ — العصر الجاهلي : للدكتور شوقي ضيف — مطبعة دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٦٠ .
١١ — الفن ومذاهبه في الشعر العربي : للدكتور شوقي ضيف — مطبعة دار المعارف بمصر الطبعة السابعة= ١٩٦٠ م .
١٢ — محاضرات الدكتور محمد محمد حسين لطبعة السنة الثانية في جامعة الاسكندرية ١٩٦٤
١٣ — الهجاء والهجاءون في الجاهلية : للدكتور محمد محمد حسين — مطبعة أحمد مخيمر مصر/ الطبعة الاولى / ١٩٤٧ م .
١٤ — وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية — للدكتور نوري حمودي القيسي — مطبعة دار الكتب في الموصل — الطبعة الاولى — ١٣٩٤ — ١٩٧٤م.

علي محمد علي الحبوبي

مدرس—قسم اللغة العربية
كلية الاداب—جامعة الموصل

محمد بن كناسة الأسدي

حياته ، شعره ، نصوص باقية من كتابه: الانواء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحن ،هنا، أزاء شاعر زاهد وراوية من العصر العباسي الأول لم يحفل به الرواة،كما ينبغي ، إذ لم يدونوا — على الرغم من أنّ القرن الثاني كان قرن تدوين — من أخبار حياته وشعره إلا القليل القليل، وقد عمّر .

والقليل من أخبار حياته التي آنتهت إلينا لا تكاد تجلو لنا حياته، فضلا عن آضطرابها في آسمه وآسم أبيه ووفاته .

والقليل من شعره الذي جمعناه، ليس سوى مقطوعات — في أغلبها — يبدو فيها قصير النفس.

وأكثر من ذلك فإن تصانيفه الثلاثة مفقودة، آللهم إلا نقولات يسيرة من أحدها، سأفرد لها فصلة خاصة بعنوان: نصوص باقية من كتاب: (الأنواء) لابن كناسة.

وبعدُ فأنا أرى أنّ خمول ذكر هذا الرجل معزو إلى زهده وآعتزازه بكرامته وآنصرافه إلى رواية الشعر والحديث بعيداً عن آنتجاع الاشراف والسلطان .

ولايسعني بآخره، إلا أنْ أجزل الشكر لأخي عبد الوهاب محمدعلي العدواني على جملة فوائد أعانتني في ما أقدم. ومن آلله العـــون .

محمد قاسم مصطفى

القاهرة ١٥/١٢/ ١٩٧٤

حياته

اسمه ونسبه :

اتفق لنا سياق نسبه ، من الروايات الكثيرة التي دارت حول اسمه واسم أبيه وجده، على أنه : محمد بن عبدالله (الملقب بكُناسة) بن عبدالأعلى بن عبيد الله ابن خليفة .. بن مازن .. ويفضي في آخره إلى: أسد بن خزيمة .

وإذ ذكرت بعض الروايات الجد الثاني بأنه : عبدالله(١) ، فقد أسقطه بعضها الآخر.(٢)

واعتور اسم أبيه واسم جده خلط كبير في المصادر التي اتصلت بها ، على النحو الذي تراه :

محمد بن عبدالله بن عبدالأعلى بن كناسة (٣)

محمد بن عبدالأعلى بن كناسة (٤)

محمد بن أبي عبدالله بن عبدالأعلى(٥)

محمد بن عبدالله بن كناسة بن عبدالأعلى بن عبدالله (٦)

محمد بن عبدالله بن يحيى كناسة .(٧)

ويجيء ابن خلكان فيذكره بقوله (٨) : «محمد بن كناسة ، وهو لقبه ، واسمه : عبدالأعلى بن عبدالله بن خليفة ...»

---

(١) تاريخ بغداد ٥/٤٠٤ ، انباه الرواة ٣/١٥٩ ، نور القبس ٢٩٧ ، وفيات الأعيان ٢/٢١٠ ، تهذيب التهذيب ٩/ ٢٥٩

(٢) الأنساب ٤٨٧ب ، اللباب ٣/٥٢ .

(٣) الجرح والتعديل ق٢ مج ٣ص ٣٠٠ .

(٤) الطبقات الكبرى ٦/٤٠١ ، المعارف ٥٤٣ مراتب النحويين ٧٣ ، الأغاني ٢١/ ٩٠ ، طبقات الزبيدي ٢١١ نور القبس ٢٩٧ ، بغية الوعاة ١/١٢٦ .

(٥) الكامل في التاريخ ٦/٣٨٥ .

(٦) نور القبس ٢٩٧ .

(٧) أنوار الربيع ١/١٥٤ .

(٨) وفيات الأعيان ٢/٢١٠ .

أما ابن النديم (١) — وشايعه اسماعيل بن محمد البغدادي — (٢) فقد شذّ في اسم الرجل واسم أبيه ؛ فهو عنده : عبدالله بن يحيى . كذلك ، شذّ في أمالي المرتضى ،(٣) فجاء : «عبدالله بن عبدالأعلى» .

ليس هذا فحسب ، فقد اضطرب المصدر الواحد في سياق نسبه .

فهذا ابن أبي حاتم الرازي (٤) أورده صحيحاً ، وبادر فقال : «وهو محمد بن عبدالله بن عبدالأعلى بن كناسة.»

وهذا أبو الفرج الأصفهاني جاء بنسبه الصحيح في ترجمته له ، (٥) ثم ساقه لنا في موضع آخر على نسق لانتفق فيه معه ، هو : «محمد بن عبدالأعلى ابن كناسة» .

وبعد أن ثبّت ابن النديم ما شذّ من اسمه واسم أبيه : «عبدالله بن يحيى» ، سردهما صحيحين في ما قرأه بخط ابن الكوفي(٦) في موضع آخر من مؤلفه.(٧) وقص أثره في ذلك اسماعيل بن محمد البغدادي .(٨)

أما نور القبس(٩) فنص على : محمد بن عبدالاعلى بن كناسة»،ثم أردفه بقول آخر فيه ، هو : «وقيل : .. محمد بن عبدالله بن كناسة بن عبدالاعلى ابن عبدالله » . وهما مما لانميل إلى التسليم بهما .

ولم يشأ المرزباني أن يدع النسب مضطرباً ازاء تضارب الروايتين ، وانما

---

(١) الفهرست ٧٠.

(٢) إيضاح المكنون ٥٠٧/٢ ،هدية العارفين ٤٣٩ ،وأنظر : الكنى والألقاب ٣٩٣/١، سرقات أبي نواس ٨ (نقلا عن ابن النديم)،القزويني وشروح التلخيص ٤٦٢.

(٣) ١٧١/١.

(٤) الجرح والتعديل ق٢ مج٣ ص ٣٠٠.

(٥) الأغاني ٣٣٧/١٣.

(٦) الفهرست ٧٠.

(٧) الفهرست ٩١.

(٨) هدية العارفين ٤٣٩.

(٩) ص ٢٩٧.

قطع بصحته في قوله : «كذا في هذا النسب ، والصحيح أن كناسة هو عبدالله ، أبو محمد (بن) كناسة » .

وواضح مما أسلفنا ـ أن الخلط الذي طالعتنا به طائفة من مصادر ترجمة يمكن أن يعزى إلى ما وقع في مساق نسبه من تحريف أو اقحام (ابن او (أبي) .

ويكنى أبا يحيى . وانفرد ابن النديم (١) ـ عدا ما قرأه بخط ابن الكوفي ـ بأنه يكنى أبا محمد . وقفا أثره اسماعيل بن محمد البغدادي (٢) أيضاً .

وتردد ابن حجر العسقلاني فذكر الكنيتين . (٣)

نسبته :

عرف شاعرنا بابن كناسة . ويرد هذا اللقب على أنه لأبيه ، وهو ما أميل إليه ، لكن جماعة ممن ذكروه كذلك ، أردفوه بقولهم (٤) : «وقيل : لقب جده» .

ومن هنا ، كانت نسبته «الكُناسي» . (٥) وهي عند ابن الأثير (٦) ليست نسبة إلى «الكناسة» محلة بالكوفة تباع بها الدواب ، (٧) وإنما هي نسبة إلى الجدّ .

وروى لنا المرزباني (٨) ما قيل في سبب هذا اللقب ، الذي أُطلق على أبيه : بأن أُمه رأت ، وهي حامل به ، كأنها وجدت في كناسة سواراً ، أو أنه

---

(١) الفهرست : ٧٠ .

(٢) إيضاح المكنون ٢ / ٥٠٧ ، هدية العارفين ، ٤٣٩ ، الكنى والألقاب ١ / ٣٩٣ ، سرقات أبي نواس ٨ (نقلا عن ابن النديم)، القزويني وشروح التخليص ٤٦٢ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ .

(٤) تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٤ ، انباه الرواة ٣ / ١٥٩ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ ، تقريب التهذيب ٢ / ١٧٧ .

(٥) الأنساب ، ٤٨٧ب ، اللباب ٣ / ٥٢ ، تبصير المنتبه ٣ / ١٢٢٠ ، تاج العروس / كنس

(٦) اللباب : ٣ / ٥٢ .

(٧) الأنساب ٤٨٧ ب ، معجم البلدان ٤ / ٤٨١ .

(٨) نور القبس ، ٢٩٧ .

كان آخر أولادها ، فكأنه كناسة بطنها .

كذلك ، هناك نسبة صريحة نمته إلى أسد ، وأحياناً إلى الكوفة .

مولده ووفاته :

وإذا كان الرواة قد اضطربوا في اسمه واسم أبيه وجده ولقب أبيه ، فإنهم اتفقوا على مولده بالكوفة سنة ثلاث وعشرين بعد المائة ، ثم يأخذ الاضطراب طريقه إلى وفاته . فإن شعره يقفنا على إحساسه بتقدّم السن ، فقال — وهو يطوي سبعين من سني عمره :(١)

كأَنَّ سبْعاً مَضَتْ لي في تصعُّدها
إلى الثمانينَ كانَتْ غُدْوَةَ الغادي

وصار ينوء بالضعف والعجز في آخر عمره ، فما هو بمستطيع أن يزور صديقاً له كان قد ألف زيارته . قال :(٢)

ضَعِفْتُ عنِ الإخوانِ حتى جفوتُهم
على غَيرِ زُهدٍ في الإخاءِ ولا الودِّ
ولكِـــنَّ أيامي تخرُّ من مُنَّتي
فما أَبلغُ الحاجات إلا عـلى جَهْـدِ

وذهب المرزباني إلى أنه عمّر طويلاً ، غير أنه لم يصب حين قال : (٣) انه قارب التسعين .

وذهب ابن سعد(٤) (ـ ٢٣٠هـ) إلى أن ابن كناسة مات سنة تسع ومائتين .

ونقل لنا الخطيب البغدادي (٥) قول ابن قانع (ـ ٣٥١هـ) الذي التقى فيه مع ابن سعد في تاريخ الوفاة ، لكن الخطيب يعود فيرى السنة التي استقرت عندها

---

(١) القطعة ٨ .

(٢) القطعة ٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ ،تقريب التهذيب ٢ / ١٧٧ .

(٤) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٠١ ،وانظر : تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ .

(٥) تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٨ بغداد ،وانظر : تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ .

أغلب المراجع ، فقد توفيّ بالكوفة لثلاث خلون من شوال سنة سبع ومائتين ، على عهد الخليفة المأمون (١٩٨ ــ ٢١٨هـ) ، بعد حياة استغرقت اربعاً وثمانين سنة.

نشأته وحياته :

نشأ بالكوفة في مستهل العصر العباسي الأول وما صاحبه من تغيرات اجتماعية وفكرية . ثم انتقل إلى بغداد ، مقر الحكم ، فأقام بها (١) . لكن ستاراً صفيقاً يسدل بيننا وبين تلك النشأة وهذه الإقامة . فنحن نجهل : كم قضى من عمره بالكوفة ومتى انتقل إلى بغداد ، وكم أقام بها ! وما بين يدي من مصادر لا تفصح عن شيء من ذلك .

أضف إلى ذلك أننا لا نكاد نعرف من حياته الطويلة إلا النزر اليسير . وكل ما وقفتُ عليه من حياته الاسرية هو اسم أُمه : حسنة بنت موسى بن موسى بن جابر .(٢) وهي من بني عجل .(٣) أما أبوه فلم أجد له ذكراً .

وكانت له زوجة يضيق بها ذرعاً ويبغضها ويثقل عليه مكانها . فقال معرّضاً بها ، وقد مرّ بمصلوب على جذعٍ : (٤)

أيـا جذْعَ مصلوبٍ أتى دونَ صَلْبه
ثلاثونَ حولاً كاملاً ، هـل تُبادلُ ؟
فمـا أنـت بالحِمْلِ الـذي قـد حملتَـه
بأغرضَ منّي بالـذي أنـا حامـل

وأنجب ، في ما عرفنا من أولاده ، اثنين : يحيى ، وقد تخطّفته المنية منه فحزن عليه حزن زاهد ،(٥) وعبدالأعلى الذي روي أن أباه كان يسدي إليه النصح ويعظه في صغره . وشعره أفصح عن العناية التي كان يوليه إياها في تربيته ، وقد رآه يلعب مع أحداث لم يرضهم فنصحه بتركهم .(٦)

(١) الفهرست : ٧٠، تاريخ بغداد ، ٥ / ٤٠٤ .
(٢) الأنباه ٥ /١٦١ نقلا عن المرزباني).
(٣) الأغاني ١٣ / ٣٤١ .
(٤) القطعة ١٧ .
(٥) القطعة ١٩ ،
(٦) القطعة ٢٥ .

وخاله (١) أبو اسحاق ابراهيم بن أدهم (– ١٦٢هـ) ، من رواد التصوف الاسلامي . وقد لقيه شاعرنا في الكوفة حين وفد إليها (٢) ورثاه بعد وفاته . (٣) وليس بعيداً أن يكون له أثر ما في اتجاهه – هو الآخر – إلى الزهد .

والرجل الأخير الذي نعرفه ممن يمتون إليه بصلة النسب ، هو عم شاعر اسمه : أبو سماك الأسدي .(٤)

وإلى ذلك ، كانت له جارية شاعرة يقال لها : دنانير ، عرفت بالظرف والذكاء وسعة الثقافة والقدرة على المشاركة في الأحاديث . ومن هنا كان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر .(٥) وكان يعتزّ بها ، فلما ماتت حزن عليها ، ورثاها .(٦)

صفاتـــه وشخصيتـــه :

شخصية ابن كناسة شخصية زاهد ، أبي النفس ، صالح . ولذلك ، أمسك عن المدح والهجاء . وعلى الرغم من أن حاله رقّت وعاش الكفاف ، فإنه أعرض عن انتجاع السلطان والأشراف بعلمه أو بشعره . وحسبنا أن نرجع إلى قوله : (٧)

تُؤَنّبني – أنْ صنتُ عِرْضي – عصابةٌ
لها بين أطنابِ اللئامِ بصيصُ
يقولون : لو غمّضتَ لازددتَ رفعةً
فقلتُ لهم : إني ، إذن ، لحريصُ

---

(١) وقيل : ابن خاله (الأغاني ١٣ / ٣٤١) .
(٢) الأغاني : ١٣ / ٣٤١ ، نور القبس ٢٩٨ .
(٣) القطعة ٢٤ .
(٤) انظر خبره في الأغاني ١٣ / ٣٤٤ ، المختار ٧ / ٧٣ ، المهذب ٩ /٥ .
(٥) الأغاني ١٣ / ٣٣٧ ، المختار ٧ / ٧١ ، التجريد ٢ / ١ / ١٥٣١ .
(٦) القطعة ٢٨ .
(٧) القطعة ١٤ .

أتكلمُ وجهي — لا أباً لأبيكُـــــمُ —
مطامعُ عنها للكرامِ محيصـــــــــــــــــسُ ؟
معاشي دوينُ القوتِ ، والعــرضُ وافــر
وبطنيَ عن جدْوى اللئامِ خميصـــــــسُ

لنجده يرفع عقيرته برفض المطامع وعطايا اللئام ، ويحرص على كرامته وعفته .

وهو متواضع ، لا يجد غضاضة في خدمة أُسرته . فقد مرّ في الكوفة ، وبيده بطن شاه يحملها إلى عياله ، ويعرض عليه رجل أن يحملها عنه فيرفض ، ويقول :(١)

لا ينقُصُ الكــامِلُ من كمـالِــــهِ
ما جرّ من نفعٍ إلى عِيالِـــــــــــــهِ

وهناك عنصر آخر من عناصر شخصيته هو أن ظاهره وباطنه سواء . وكان يعكس هـذا العنصر عندما أبدى امتعاضه من رجــل يمت إليه بصلة ، كان يجالسه ويكتب الحديث ويتفقّه ويظهر نسكاً وأدباً ، ثم أطلع منه على باطن يخالف ظاهره ، فقال له :(٢)

ما مَنْ رَوى أدبــاً فلم يعمَلْ بــــــه
ويكفَّ عن دَفْــعِ الهــوى بأريــــبِ
حتّى يكونَ بما تعلّمَ عامــــــــلاً
من صالـــحٍ ، فيكونَ غيرَ مَعيـــــبِ

لكن تلك السمات التي انمازت بها شخصيته ، لم تحل بينه وبين حبه للجمال والطبيعة والظروف .

---

(١) القطعة ٢٢ .

(٢) القطعة ٣ .

فقد كان يخرج إلى الحيرة في وقت الربيع مع جاريته وصديق له ليتمتع بالطبيعة وجمالها .(١)

وهو ظريف عف ، فقد مرّ في طريق الكوفة بجويرية جميلة تلعب الكعاب و(٢)داو بينهما حوا (٣).

قال لها : أنت ، أيضاً ، لو ضعتِ لقالوا : ضاعت جارية . ولو قالوا : ضاعت ظبية كانوا أصدق . قالت : ويلي عليك ، ياشيخ ! وأنت أيضاً تتكلم بهذا الكلام ؟ ! فكُسف ثم تراجع ، وقال :

وإنّي لحلوٌ مخبري ، إن خبَرتني
ولكنْ يُغطّيني ، ولا ريبَ بي ، شيَخْ

تبسمت ، وهي تلعب ، وقالت : فما أصنع بك ؟ فقال : لا شيء وانصرف .

* * *

ولنقف عند زهده ، سمة بارزة من سمات شخصيته ، ولنحدد طبيعته .

زهده :

في القرن الثاني ، تمازجت عناصر المجتمع وتداخلت وشائج الثقافة وتبلورت آراء ومذاهب في مراكز الحضارة الاسلامية ، ومنها : الكوفة .

وعلى النقيض من تيار المجون ، نشأ تيار آخر إنضمَ إليه فقهاء وزهاد .

واتسعت حركة الزهد وتباينت : فاتجاه مثّله أبو العتاهية وتأثر فيه بعناصر دخيلة ، لكن ابن كناسة كان من طور الزهد الذي بُلّ من تلك العناصر . فكان زهده اسلامياً محضاً ،(٤) اتسم بالطابع الوعظي .(٥)

---

(١) الورقة ٨٩ ،الأغاني ١٣ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،بدائع البدائه ٢١٨ .
(٢) الكعاب : فصوص النرد .
(٣ الأغاني ٣٣٨/١٣ مهذب الاغاني٩/٢ .
(٤) أبوالعتاهية : ٦٤ .
(٥) أبو العتاهية : ٢٥٢.

ولا غرو أن للبيئة أثراً في سلوكه سمْتَ الزهد في الحياة والشعر ، ولربما كان لخاله ابراهيم بن أدهم الزاهد وانصرافه إلى سماع الحديث النبوي وروايته ، أثر واضح في هذا الاتجاه .

ولزهده مظاهر ، منها أنه ترفّع عن التذلل للأشراف أو التقرب للسلطان — على الرغم من فقره ، وآثر العيش على الكفاف ، واعتد بنفسه وكرامته . لذلك ، لا نعرف له مطامح تدفعه إلى معترك الخلافات المذهبية والسياسية التي عنفت في هذا القرن ، وقد جاء بغداد — مصطرع الآراء والمذاهب — وأقام فيها ، كما أسلفنا .

ثقافته وروايته :

ليس بين أيدينا ما يبل الغلة عن تعلمه . وكل ما ألممنا به أنه نشأ بالكوفة ، وأخذ عن جلة الكوفيين ، والتقى برواة الشعر وفصحاء بني أسد ، وأبرز هؤلاء : جَزْى وأبو الموصول وأبو صدقة .(١)

وصار يعرف بالنحويّ الاخباري (٢)، وذكره الزبيدي (٣) في الطبقة الثانية من اللغويين الكوفيين .

وشُهر ، أيضاً ، بين شعراء الكوفة وعلمائها الرواة للشعر والأخبار والحديث.(٤)وأورده ابن سعد(٥) ضمن الطبقة السابعة من طبقات الكوفيين في الحديث.

واتفق الذين تحدثوا عنه أن له علماً بالعربية وأيام الناس والشعر .

ونظرة في آثاره التي أشادت المصادر إليها ، تقفنا على تنوع ثقافته

وقد لعبت الرواية دوراً بارزاً في تدوين التراث العربي الخالد ، وبخاصة في القرن الثاني الهجري ولابن كناسة حظ في رواية الشعر وأخبار شعراء ممن يستشهد بشعرهم ، فضلاً عن رواية الحديث

* * *

(١) الفهرست ٧٠ ،الإنباه٣ / ١٦١ .
(٢) العبر ١ / ٣٥٣ ،طبقات النحاة ١٣٨ ،الشذرات ٢ / ١٧ .
(٣) طبقات النحويين ٢١١ ،البغية ١ /١٢٦ (نقلا عن الزبيدي) .
(٤) نورالقبس ٢٩٧ ،تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ .
(٥) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٠١ .

ا

أما الشطر الأول من روايته فأطلّ علينا فيه رواية لشعر الكميت بن زيد الأسدي وأخباره (– ١٢٦هـ) .

فقد أفادنا أبو الطيب اللغوي (١) نقلاً عن أبي حاتم أن ابن كناسة كان يعرف شعر الكميت .

وذكر ابن النديم (٢) أن جماعة روت شعر الكميت عن ابن كناسة ، الذي رواه عن جزى وأبي الموصول وأبي صدقة ، ممن عرفوا برواية الشعر والفصاحة بالكوفة من بني أسد .

وفي الأغاني (٣) والموشح (٤) أخبار وشعر للكميت مروية عن ابن كناسة .

حقاً ، أن ابن كناسة ألّف كتاباً في سرقات الكميت من القرآن وغيره لكنه ذاد عنه وردّ على اسحاق بن ابراهيم الموصلي حين تتبّع مساوئه وعيوبه في شعره .(٥) وهذا دليل على أنه لم يكن متعصباً للكميت أو عليه .

وروى لنا شعراً وأخباراً لنصيب (٦) (– ١٠٨هـ) ، وذي الرمة (٧) (–١١٧هـ) ، وأبي عطاء السندي (٨) (–بعد ١٨٠هـ) .

وروى لقاء أدبياً بين الكميت ونصيب (وقيل : ذي الرمة) ألقى الكميت فيه شعراً نقده عليه نصيب .(٩) كذلك ، روى عن حماد الرواية خبرقصيدة عمر بن أبي ربيعة :

طال ليلي وتعنّاني الطربْ

كان الوليد بن يزيد قد استنشده إياها (١٠) .

---

(١) مراتب النحويين ٧٣،
(٢) الفهرست : ١٥٧ .وأنظر : شعر الكميت ١ /٦٥ .
(٣) الأغاني ١٧ / ٣ ،٨ ،٢٤ ،٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ١٨ /٧ ، ٢١ / ٩٠ .
(٤) الموشح ٤٠ ، ١٩٧ .
(٥) الموشح ٤٠ .
(٦) الأغاني ١ / ٣٣٦ ،٣٥١ ، ٣٧٣ .
(٧) الأغاني ١٨ / ٨ ،٤١ .
(٨) الأغاني ١٧ / ٣٢٧ .
(٩) مجالس العلماء ١٨١ ،الموشح ١٩٣ .
(١٠) الأغاني : ١ / ١٤٠ .

وذكر ابن كناسة أنه رأى عاتكة التي وردت في شعر الأحوص :
يابيت عاتكة التي اتعزّلْ(١)

* * *

وهذا شطر آخر ، له أثره وخطره ، هو أنه محدث . فلقد روى لأئمة عرفوا–في وقته–بالثقة ، عن طريق السماع .(٢) ومنهم (٣) هشام ابن مروة بن الزبير (– ١٤٥ أو ١٤٦هـ) ، وأبو محمد سليمان بن مهران الأعمش (– ١٤٨هـ) ، ومِسعَر بن كِدام (– ١٥٣هـ) ، وعمر بن ذر الهَمْداني (– ١٥٣هـ) ، وجعفر بن بُرقان (– ١٥٤هـ) ، وفِطْر بن خليفة (– ١٥٥هـ) ، وعبد العزيز بن أبي داود (– ١٥٩هـ) ، وسفيان الثوري (– ١٦١هـ) ، والمبارك بن فضالة (– ١٦٤هـ) ، ويحيى بن أبي الهيثم العطار .(٤)

ونصّ الخطيب البغدادي على أنه وفد إلى بغداد وروي عن : هشام بن عروة ، واسماعيل بن أبي خالد ، وسليمان الأعمش وجعفر بن برقان . (٥)

ومن هنا ، فإنك لواجد أصحاب الحديث يكثرون عليه ويجتمعون ليكتبوا عنه ما يروى لهم من الأحاديث النبوية .(٦)

لكن ما حجم رواياته ؟ أمامنا رواية تقول : «قد حُمل عنه شيء من الحديث(٧) وأُخرى تشير إلى أنه روى حديثاً كثيراً . (٨) وثالثة تذكر أن له رواية في الحديث . (٩)

---

(١) الأغاني : ٢١ / ١٠٢ .
(٢) الا نباه ٣ /١٦٠ .
(٣) الجرح والتعديل ق ٢ مج ٣ص ٣٠٠ .الأغاني ١٣ /٣٤٥ ،الأنساب ٤٨٧ ب اللباب ٣ / ٥٢ ، نورالقبس ٢٩٧ ،ميزان الا عتدال ٣ /٩٢، العبر١/ ٣٥٣ ، طبقات النحاة ١٣٨ تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ لسان المتزان ٦ / ٦٩٤ ،شذرات الذهب ٢ / ١٧ .
(٤) ورد اسمه في كتب الرجال ،لكن وفاته فيها غفل .
(٥) تأريخ بغداد ٥ / ٤٠٤ .
(٦) الأغاني ١٣ / ٣٤٣ .
(٧) الأغاني ١٣ / ٣٣٧ ،والتجريد والمختار والمهذب وأنظر :المعارف ٥٤٣ .
(٨) الأغاني ١٣ / ٣٤٦ .
(٩) الأغاني ١٣ / ٣٤٥ ،والتجريد .

وابو الفرج الذي قدم الرواية الثانية مرتين ثبّت الرواية الأولى في مستهل ترجمته له .

وابن واصل الحموي الذي أورد الرواية الثانية في آخر ترجمته له ، نص على الرواية الأولى في أولها .

ومهما يكن من اضطراب ، فإن الأحاديث التي وصلت إلينا مروية عنه يسيرة .(١)

* * *

كذلك ، فثم ثقات من المحدّثين رووا عنه . (٢) وذكر القفطي .(٣) أن الجم الغفير قد روى عنه .

وممن روى الحديث عنه :(٤) أبو خَيثمة النّسائي (ـ ٢٣٤هـ) ، ومحمد بن عبدالله بن نمير (ـ ٢٣٤هـ) ، وأبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (ـ ٢٣٥هـ) ، وأبو كُرَيْب (ـ ٢٣٩هـ) ، وأحمد بن حنبل (ـ ٢٤١هـ) ، وعبدالله بن الحسن الهاشمي (ـ ٢٤٥هـ) ، وحميد بن زنجويه (ـ ٢٥١هـ) ، ومؤمل بن اهاب (ـ ٢٥٤هـ) ، وأحمد بن منصور الرمادي (ـ ٢٦٥هـ) ومحمد بن اسحاق الصاغاني (ـ ٢٧٠هـ)، وأبو علي الحسن بن علي بن الفرات الكرماني (ـ بعد ٢٨٦هـ) ، وابراهيم بن اسحاق ابن أبي العنبس ، وأحمد بن حازم أبي غرزة ، وأحمد بن سعيد الجمال ، وأحمد بن عبدالله بن ادريس النرسي ، وأحمد بن يونس الضبي ، والحارث بن أبي أسامة ، ومحمد بن سعد العوفي ، ومحمد بن الفرج الأزرق .

وليس عجيباً أن يروى عنه الثقات من المحدّثين ، فالصدق والتثبّت والثقة من السمات التي أضيفت عليه في رواية الحديث . فقد وثقة يحيى بن مَعين

(١) الأغاني ١٣ / ٣٤٦ ،تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٤ ،والتجريد والمختار .
(٢) الأغاني ١٣ / ٣٤٥ .
(٣) الانباه ٣ / ١٦٠ .
(٤) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٠١ ،تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٤ ،الأنساب ٤٨٧ ب، اللباب ٣ / ٥٢، الوافي ٥ / ٣٧٧ ،طبقات ابن سهبة ١٣٨ ،لسان الميزان ٦ / ٦٩٤ ،تهذيب التهذيب ٢٥٩/٩

(ـ ٢٣٣هـ) ، وأبو داود وعلي بن المديني والعجلي ،(١) وذكره محمد بن حبان (ـ ٣٥٤هـ) في «الثقات» .(٢).

وانفرد أبو حاتم الرازي (ـ ٢٧٧هـ) بالقول : أنه كان صاحب أدب وأخبار ، يكتب حديثه ولا يحتج به .(٣).

وقال الذهبي (ـ ٧٤٨هـ) : «فيه لين» .(٤).

آثاره

لم يقصر ابن كناسة نشاطه العلمي على رواية الشعر والاخبار والحديث وانما امتد إلى التأليف فكانت له ثلاثة كتب ، وعلى الرغم من أننا لا نعرف من أمر بعضها الا اسمها وموضوعها ،فانها لصاحبها فيها ثقافة متعدده تلك هي :

(١) كتاب ((معاني الشعر)) .

(٢) كتاب ((سرقات الكميت من القرآن ، وغيره)) .

ويعد هذا الكتاب من قدم الكتب (٥) التي بحثت في السرقات بعد اشتداد الجدل بين النقاد حول الشعراء . (٦)

(٣) كتاب الانواء . ذكره بو الطيب اللغوى فقال (٧) له كتاب في النجوم على مذهب العرب)) .

وأبو حنيفة الدينورى (ـ ٢٨٨هـ) كما يحكي عن ابن كناسة أشياء كثيرة عن الكواكب (٨) سنفرد لها مسرد مستقلاً .

---

(١) تأريخ بغداد ٥ / ٤٠٧ ،الا نباه ٣ / ١٦٠ ،نور القبس ٢٩٧ ،ميزان الا عتدال ٣ / ٥٩٢ الوافي ٤ / ٣٧٧ ،طبقات النحاة ١٣٨ ، تهذيب التهذيب ٢٥٩/٩ ، لسان الميزان ٦٩٤/٦ شذرات الذهب ٢ / ١٧ .

(٢) تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ .

(٣) الجرح والتعديل ق٢ مج ٣ص ٣٠٠ ،طبقات النحاة ١٣٨ ،تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ ميزان الا عتدال ٣ / ٥٩٢ ،شذرات الذهب ٢ / ١٧ .

(٤) طبقات النحاة ١٣٨ .

(٥) القزويني وشروح التلخيص ٤٦٢ ،مشكلة السرقات في النقد العربي ٧١،٧٦،٧٧ .

(٦) سرقات أبي نواس / المقدمة ص ٨ .

(٧) المعارف ٥٤٣ ،مراتب النحويين ٧٣ .

(٨) كتاب الأنواء لأبن قتيبة / المقدمة .

شعره :

لم يعن الرواة بشعر ابن كناسة اذ ليس بين ايدينا ذكر لديوانه . وكل ماعرفناه أن شعره وقع في خمسين ورقة . (١)

لكن الذي لا شك فيه هو أن ما وصل الينا منه قليل. وندلل على ما، نقول بديباجة القطعة (١٦) : ((وقال من قصيدة طويلة)) ثم وردت، أربعة أبيات منها .

ونسوق دليلاً آخر : فقد كان حاضراً الذهن في قول الشعر مرتجلا له (٢)

ولعل ذلك يرجع إلى عزوفه عن الاشراف والخليقة ، وقصر نفسه الشعرى وتمسكه بالزهد الاسلامي الخالص فلا يلفت النظر الرواة ويغريهم بتدوينه وانصرافه إلى العلم والمعرفة بعيداً عن الحياة التي كانت تعج بالخلافات السياسية والمذهبية، حقاً انه شاعر من المحدثين لم يحتج بشعره الاصمعي (٣) لكن بعض العلماء والشعراء أنشدوا شعره ،منهم : أبو محمد اسحاق بن ابراهيم الموصلي (٤) — كان على صلة قوية به — وأبو عبيدة (٥) (— ٢٠٨هـ) والتوزي النحوي (٦) (— ٢٣٠هـ) ، ودعبل بن علي الخزاعي (٧) (— ٢٤٦هـ) والجاحظ (٨) (— ٢٥٥هـ) والمبرد (٩) (— ٢٨٥هـ وثعلب (١٠) (— ٢٩١ هـ)

أما المصادر الرئيسة التي عولنا عليها في تخريجات شعره فهي : البيان والتبيين والحيوان ،وكتاب الأنواء لابن قتيبة ،والفاضل ،والورقة ،والبديع والتشبيهات والاغاني ،والفهرست وأمالي المرتضى ومحاضرات الادباء ،ونور القبس والوافي ،والصبح المنبي .والمصادر الأُخرى تعضدها وتوثقها .

وآن لنا أن نتناول موضوعات شعره الموزعة بين الزهد والرثاء والوصف والفخر.

---

(١) الفهرست : ١٦٤

(٢) الأغاني : ١٣ / ٣٤١ .

(٣) مراتب النحويين ٧٣ .

(٤) الأغاني ١٣ / ٣٤٠ .

(٥) أمالي القالي ٢ / ٢٠٤ .

(٦) الورقة ٨٨ .

(٧) الورقة ٨٨ .

(٨) الورقة ٨٨ .

(٩) معجم الادباء ١ / ١٤٣ .

(١٠) الورقة ٨٦ ،زهر الآداب ٤٧٩ .

وأول ما يهمنا منها شعره الزهدي : فهو صورة صادقة لحياته وسلوكه والوعظ هو السمة التي غلبت عليه ،بحيث اتسعت به وبسواه حركة اسهام الشعر في ميدان الوعظ (١) .

هو ، إذن ،وقف موقف الواعظ في شعره .ولم يشأ أن يدع ابنه وجده يلعب مع أحداث لايطمأن اليهم ،دون أن يعظه وينصحه باختيار الصديق الصالح . وراح يضع بين يديه صفات الصديق الطالح ،وهي : ترك الصلاة ،والتهاون في أدائها ،وهجر الخدين والمرء يتهم بما يتهم به قرينه (٢) .

ولم يسكت على رجل من عشيرته أطلع منه على باطن لايتفق مع ظاهره في كتابة الحديث وطلب الفقه واظهار الادب والنسك ،فقال له : (٣)

ما روى مَنْ أدبا فلم يعملْ بـه
ويكفَّ عن دَفْعِ الهوى بأريب !
حتى يكونَ بما تعلّم عاملا
من صالحٍ فيكون غيرَ معيب

وأكد على طلب العلم ودعا إلى قراءة القرآن ومجالسة (٤) العلماء وطلب الآداب ، لكنه يرى ألاغناء في ذلك كله ما لم يقترن بالتقوى (٥) .

و خاطب الانسان مبدياً أشد العجب منه ، وهو يتشبث بالبقاء ونهايته سلطان الهوى (٦) .

وانتعاج الاشراف والسلطان من المخزيات ــ في رأيه ــ ويريد أن يلقى

---

(١) أبو العتاهية ٢٥٢ هـ

(٢) الأغاني ١٣ / ٣٤٤ .

(٣) القطعة ٣ .

(٤) القطعة ٤ .

(٥) القطعة ١٨ .

(٦) القطعة ٦ .

ربه ولم تخالطه منها دنية،فالتذلل، للحصول على المال ، مناقض لاعتداده بنفسه وعفته . (١)

وله مراث ، استسلم فيها لارادة الله ورضاه بها . ولهذا ، لم يطالعنا، بصور الاسى واللوعة والصبر الذي انفرط عقده، على الرغم من أن من بين الذين رثاهم : ابنه وخاله وجاريته .

والصفات التي ندبها فيهم غير تلك التي ألفناها . وانمازت مراثيه القصيرة بصدق العاطفة ، فأفصحت عن نفثات انسانية للصلات الأجتماعية . وفي مقدمتها : مرثيته في ابنه يحيى . قال : (٢)

وسميتُه يحيي ليحياولم يكنْ
إلى ردّ أمر الله فيه سبيلُ

فكبت مشاعر هزته بالاستسلام لأمر الله ، ومن هنا لم يطل المرثية ، وانما قصرها على بيتين .

وأطول مرثية له في خاله ابراهيم بن أدهم العابد ، واستغرقت عشرة أبيات(٣). وخاله فيها قد تخلى عن الدنيا وما فيها من مستمتع وغنى ، وسيطر حلمه على جهله ، وهو صامت في أكثر ما تلقاه ، لكنه اذا قال بزّ وأفحم ، . وهو مستكين ، خاشع متواضع ، لكنه ليث في الكريهة .

وفي جاريته : دنانير ، حمد الله ووحّده ، ثم عزا قلة ما قال من شعر في رثائها إلى شدة الحزن التي أفحمته على ما ذكر . (٤)

وحين رثى اسحاق بن القاسم بن الاشعث (٥) امتزج مطلع الرثاء بتجربة انسانية ، هي : ألا مفر من المنية . والصفات التي اسبغها عليه : السماحة والنزاهة والنهي ، ومكارم الاخلاق .

---

(١) القطعة ١٤

(٢) القطعة ١٩ .

(٣) القطعة ٢٤ .

(٤) القطعة ٢٨ .

(٥) القطعة ١٦ .

ولما مات حماد الراوية رثاه (١) بأنه أخو ثقة وصافي الود وبذهاب فساد الزمان وفناء العلم .

وله قطعتان بوصف الطبيعة (٢) في الكوفة وما جاورها أيام الربيع فالكوفة وسط في ارتفاعها فلا تبرد ولا تشتد حرارتها فصفا العيش فيها وطاب

ومضى في القطعة الثانية يذكر مواضع ، مثل : محل الخيام في النجف فوق الجنان والأنهار ، والرحى والسدير والحيرة البيضاء ، والفرات ،والمسجد المعمور .

وفي وصفه للحيوان قصره على الفرس ، وصف مشيه بالاعتدال ووصف سرعته بالعقاب تطلب العسبار ، في المطر .

وفي وصف الحرب : وقف عند نارها ، بأنها عارض من حديد ونار.

وتلقانا مقطوعة واحدة من شعره في الفخر بنفسه وأخلاقه ، وهذه ، المقطوعة تعكس لنا نفسيته المتسامحة ، ولا عجب أن يفخر الشاعر بها ، وهو يعبر عن ذاته . وخلقه يقوم على خفظ الاخاء والضن به . لذلك ، فهو يغضي عن أمور كثيرة ولو حرص عليها لقطعت صلته بصاحبه . فهو يجهل ما يأتي غيره وليس بجاهل ويستر ما أراد الآخر لشيء أن يستره ولا يسأل عن شيء حيل بينه وبينه .

ومن العسير أن نصدر أحكاماً قطعية عن مقومات شعره ،مما جمعناه له لكننا – على أية حال – نستطيع القول : أنه جرى فيه مع الطبع في طريقة تعبيره وعرض أفكاره .

وهو لم يكن يقصد إلى بعض ألوان البلاغة التي وردت فيشعره دون تكلف. فبعض كتب البلاغة ،تعرض لنا قوله في « التجنيس » : (٣)

(١) القطعة ٣ (من المنسوب له) .
(٢) القطعة ١٠ ، ١ (من المنسوب له).
(٣) البديع ٢٦ .

وسميتُه يحيي ليحـيا ، ولم يكن
إلى رد أمر الله فيه سـبـيـلُ

وفي « الانسجام » : (١)

فيّ انقباض وحشمـة ، فإذا
لاقيتُ أهل الـوفاء والكـرمِ
خلّيتُ نفسي على سـجيتّهـا
وقلتُ ما قلـتُ غير محتـشم

ومما يلفت النظر أنه عبر عن ذاته وسلوكه في أصالة وصدق .ومعانيه في موضوعات شعره مستقاة من رؤاه المعاصرة ،ومعروضة في اسلوب خطابي وعظي ،متجاوزاً التقاليد الموروثة ،وبخاصة في الغاء المقدمة ،على الرغم من أنه كان راوية للشعر .

ويمكن أن ننسبه ،لذلك ،إلى مدرسة التجديد من مدارس الشعر في القرن الثاني .(٢)

ما وصل الينا من شعره

— البـاء —

— ١ —

التخريج :

الورقة ٨٩ . الأغاني ١٣ / ٣٤٣ . مهذّب الأغاني ٩ / ٤ .

قال في وصف الكوفة :

(من مجزوء الرمل)

(١) سفُلتْ عن برْد أرضٍ
حلّهـا الـبردُ عـذابـا

(١) أنوار الربيع ٤ / ٦٥ .
(٢) أبو العتاهية ، ٧٥ — ٨٥ .

(٢) وعَلَتْ عن حَرٍّ أُخرى
تُلهِبُ النارَ التهابا
(٣) مُزِجتْ حَرّاً ببَرْدٍ
فصفا العيشُ وطابا

— ٢ —

التخريج :
كتاب الأنواء ١٩٢ ،الأزمنة والامكنة ٢ / ٣٢٨ .
قال في كيفية الاهتداء بالنجوم ،وذكر طريق مكة :
(من الطويل)

(١) يؤُمُّ النجوم السابعات من الّتي
تأوّب إلاّ أَنْ تأوّبَ عقربُ
(٢) فإن هي آبتْ فالنّعائمُ أَمها
وبلدتها ثمّ السوابع أصْوب *

التخريج
الأغاني ٣٤٤/١٣ . أدب الدنيا والدين ٣٩ . مهذّب الأغاني ٤/٩.
قال في رجل من عشيرته خالف ظاهره باطنه :
(من الكامل)

(١) ما مَنْ رَوى أَدباً فلم يعملْ به
ويكفَّ عن دَفْعِ الهوى بأَريبِ
(٢) حتىّ يكونَ بما تعلّم عاملا
من صالحٍ ، فيكونَ غيرَ مَعيبِ
(٣) ولقلّما تُغْني إصابةُ قائلٍ
أَفعالهُ أَفعالُ غيرِ مُصيبِ

* انظر في تفسير التبيين النص «١٢» من « أنواء » ابن كناسة ، الوارد تلو هذه المجموعة الشعرية.

— التاء —

— ٤ —

التخريج :

نور القبس ٣٠٠

قال في العلم

(من الوافر)

(١) ومَنْ قرأ الكتابَ فأدّبته
من الفُرقان آيٌ محكماتُ

(٢) وجالس عليةَ العلماء حتى
وعَى مأثورَ قولهمُ فماتوا

(٣) وطالبَ سائرَ الآداب حتّى
تقصّرَ عن مبالغه الصفات

(٤) رَوى فَوعى ، وقال فساعَدتْه
ينابيعُ الكلام المُعْجِبات

(٥) فإنْ يكُ ، بعدُ ، مُتّقياً تكامَلْ
له المُتَخَيّراتُ الصّالحات

(٦) وإلاّ ، فهوْ مأفونٌ شَقيٌّ
بما سعِدَتْ به قبلُ النجاة

— الخاء —

— ٥ —

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٣٣٨ ،مهذّب الأغاني ٩ / ٢ .

قال يداعب جويرية في طريق الكوفة

(من الطويل)

(١) وإني لَحلوٌ مَخْبري إنْ خَبرتني
ولكنْ يُغطّيني ،ولا رَيْبَ بي ، شَيَخْ

— الدّال —

— ٦ —

التخريج :

الأبيات في : الأغاني ١٣ / ٣٤٢ ،وتجريد الأغاني ق ٢ / ١٥٣٢/١ ومهذّب الأغاني ٩ / ٣ .

وفي مختارات الأغاني ٧ / ٧٣ : (١، ٢، ٤،).

وفي : تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ : (١، ٤) .

قال في الدّنيا والنّفس :

(من الطويل)

(١) ومن عَجبِ الدُّنيا تَبقّيكَ للبِلى
وأنّك فيها للبقاءِ مُريدُ !

(٢) وأيُّ بني الأيّام الاّ وعندَه
من الدّهرِ ذَنْبٌ طارفٌ وتليدُ ؟

(٣) ومَنْ يأمنُ الأيّامَ ؟ أمّا انْبياعُها
فخَطْرٌ ، وأمّا فَجْعُها فعتيد

(٤) إذا اعتادتِ النّفسُ الرّضاعَ من الهوى
فإنّ فطامَ النّفس عنه شديد

التخريج :

الورقة ٨٨ .الأغاني ١٣ / ٣٤٢ .تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٧ .الأنساب ٤٨٧ب. اللباب في تهذيب الأنساب ٣ / ٥٢ .إنباه الرواة ٣ / ١٦٠ .الوافي ٤/ ٣٧٨. مهذّب الأغاني ٩ / ٣ .

---

(٣) الانبياع : الوثوب بعد سكون . والخطر : ضرب الفحل بذنبه يميناً وشمالا .
العتيد : الحاضر المهيأ .

قال في آخر عمره ردّاً على معتبة من صديق :

(من الطويل)

(١) ضَعُفْتُ عن الإخْوان حتى جَفوتُهمْ
على غير زهد في الإخاء ولا الودّ

(٢) ولكنَّ أيامي تَخرّمْنَ مُنّتي
فما أبلغُ الحاجات إلاّ على جَهْد

التخريج :

الوافي ٤ / ٣٧٨ .

قال بعدما أسنّ :

(من البسيط)

(١) كأنّ سَبْعاً مضَتْ لي في تَصعّدها
إلى الثمانين كانتْ غُدوةَ الغادي

(٢) لم يَبْقَ من مرّها إلاّ تذكُّرُها
كالحُلْم في طول إفراعي وإصْعادي

التخريج :

الحيوان ٥ / ٥٥١

قال يصف فرسا :

(من الخفيف)

(١) يَكْتِفُ المَشْيَ كالذي يَتَخطّى
طُنُباً أو يَشُكُّ كالمُتَمادي

---

(٢) تخرم : اقتطع واستأصل .
المنة : القوة .

(٢) الإفراع هنا : الانحدار .والإفراع والإصعاد : من الأضداد .
(اللسان / صعد) .

(١) يكتف المشي : حرك كتفيه إذا مشى .
الطنب : حبل الخباء .
يشك : يغمز في جربه ، يظلع .
المتمادى : اللجوج .

التخريج :

الورقة ٨٧ .

قال في الكوفة ونزهتها :

(من الخفيف)

(١) أَيُّ مَبْدى ومنظرٍ ومَزارِ وأَعتبارٍ لناظريْ ذي آعتبارِ!
(٢) في مَحلِ الخيامِ ،في النجفِ المُعْرِضِ فوق الجنان والأنهار
(٣) فالرَّحى ،فالسَّديرِ فالحيرةِ البـ ـيضاء ذاتِ الحصونِ والأخْبار
(٤) فا.... مَخلجـاتُ الفُراتيْـ ـياتُ تُهْدى لها الشّمال الصحارى
(٥) فالفراتُ المُغيرُ يُحْنِي على الكو فةِ ذاتِ الرُّبا وذاتِ القرار
(٦) مَسْجدٌ كان من عليّ وسَعدٍ عامراً ،بُرْهةً ،ومن عمّار

التخريج :

الحيوان ١ / ١٨٢ .المعاني الكبير ١ / ٢٨١ .الورقة ٨٨.

قال يصف فرسا :

(من الخفيف)

(١) كالعُقابِ الطّلوبِ يضْربها الطّلْلُ ،وقد صوّبتْ على عِسْبار

التخريج :

الحيوان ٥ ١٣٣

قال في نار الحرب :

(من الخفيف)

---

(٤) صدر البيت مضطرب ،لم يتهيأ لنا تمامه ووجهه .
(٥) القرار : المستقر من الأرض .
(٦) أراد الامام علي بن أبي طالب (– ٤٠هـ) وسعد بن أبي وقاص (– ٥٥هـ) وعمار بن ياسر (– ٣٧هـ).

(١) خَلْفَها عارضٌ يَمدُّ على الآ   فاق سِتريْنِ :من حديدٍ ونارِ
(٢) نارُ حَرْبٍ يَشُبُّها الحدُّ والجدْ   دُ ،وتعْشي نوافذَ الأبصار

— الشّين —

—١٤—

التخريج :

نور القبس ٢٩٨ .

قال في اشتداد الحرّ والعطش في رمضان :

(من البسيط)

بين العِشاء وبين العصرِ منزلةٌ
يكاد يذبحُ فيها الصَّائمُ العطشُ

— الصاد —

—١٥—

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٣٤٠ ،مهذّب الأغاني ٩ / ٣ :(١ — ٤ ، ٦).

الأبيات في : مختار الأغاني ٧ / ٧٢ .

قال في كرامته وعزة نفسه عن انتجاع السلطان

(من الطويل)

(١)تؤنّبني — أن صنْتُ عرضي — عصابةٌ   لها ،بين أطناب اللّئام ،بصيصُ
(٢)يقولون : لوغمضتَ لازددْتَ رفعةً   فقلتُ لهم :إني إذن ،لحريص !
(٣)أتكلِمُ وجهي — لاأبا لأبيكمُ —   مطامعُ عنها للكرام محيص ؟
(٤)معاشي دوينَ القوت ،والعرضُ وافرٌ   وبطنيَ عن جدوى اللئام خميص

---

(١) العارض : السحاب المعترض في الافق ،وأراد : الجيش .
(٢) تعشي : تضعف .
النوافذ : حديدات البصر .
(٤) الجدوى : العطية . خميص البطن : ضامرها

(٥)أَعزُ وأَزكى من ثراءٍ يُمنُه عليك لئيمٌ — ماحييت — أَصوص
(٦)سأَلْقى المنايا لم أُخالطْ دنّية ولم تَسْرِ بي في المُخْزيات قلوص

— العين—

التخريج : —١٩—
الصبح المنبي ٢١٨ .
قال :

(من الطويل)
ترى خيلَهم مربوطةً بقبابهم وفي كلّ قُطْبٍ من سَنابكهاوقعْ

— القاف—

التخريج : —١٧—
نور القبس ٢٨٢ .
قال في رثاء إسحاق بن القاسم بن الأشعث * من قصيدة طويلة :

(من الكامل)
(١)هل للنُّفوسِ من الحوادث واق؟ أَنى ؟وليس على المنّيةِ باقِ
منها
(٢)إنَّ السَّماحةَ والنزاهة والنُّهى كفّنَّ في خِرق عليكَ رقاق
(٣)وإذا برزْتَ به برزْتَ بمرْتدٍ متأزّرٍ بمكارم الأَخلاق
ومنها :
(٤)وإذا غَشيتُ ديارَه خنقّتْني حتّى أُحلّل بالبكاء خناقي

— اللام —

التخريج : —١٨—
الورقة ٨٧ .الأغاني ١٣ / ٣٣٩ .تجريد الأغاني ق ١٥٣٢/١/٢ .
مهذّب الأغاني ٣/٩ .

---

(٥) أصوص : شديد .
(٦) القلوص : الناقة الشابة .
* لم أقف على ذكر له .

قال يعرّض بامرأته ،إذ مرّ بمصلوب على جذع :

(من الطويل)

(١)أيا جذْعَ مصلوبٍ أتى دون صلْبه ثلاثون حولاً كاملاً ،هل تُبادلُ ؟

(٢)فما أنت بالحِمْلِ الذي قدحملته بأغرضَ منّي بالذي أنا حامل !

—١٩—

التخريج :

نور القبس ٢٩٩ .

قال في طلب العلم :

(من الطويل)

(١)تعلَّمْ ،فليس المرءُ يُخلق عالماً وليس أخو علْمٍ كمن هو جاهلُ !

(٢)وإنَّ كبيرَ القومِ لاعلْمَ عندَهُ صغيرٌ ،إذا التفّتْ عليه المحافل

—٢٠—

التخريج :

البديع ٢٦ . معاهد التنصيص ٢٠٨/٣ .

الورقة ٨٦ ، الصناعتين ٣٢٨ (دون عزّو) ، زهر الآداب ٤٧٩ ، انباه الرواة ١٦١ ، نور القبس ٢٩٧ : (٢ ، ١) .

أنوار الربيع ١٥٥/١ : (١) .

قال في رثاء ولده يحيى :

(من الطويل)

(١) وسَمّيتُهُ يَحيى ليحيا ، ولم يكُــــــنْ
إلى ردّ أمْر الله فيه سَبيـــــــــلُ

(٢) تيَمّمتُ فيه الفألَ حينَ رُزقْتُــــــــــه
ولم أدْر أنَّ الفألَ فيـــه يَفيـــلُ

—٢١—

التخريج :

الأبيات في نورالقبس ٢٩٩ .

---

(٢) أغرض : من الغرض ،وهو الضجر والملال .

(٢) يفيل : يخطيء .

وفي : الوافي ٣٧٩/٤ : (٢ — ٥) .
قال مفاخراً بنفسه وأخلاقه :

(من الطويل)

(١) وما أنا في ما منه أُخرجتُ داخلٌ
ولا أنا عمّا حيزَ دوني بسائل

(٢) إذا المرءُ يوماً ، أغلقَ البابَ مُرْتجاً
ليسترَ أمراً كنتُ كالمتغافل

(٣) وأعرضُ حتّى يَحْسِبَ المرءُ أنّني
جهلْتُ الّذي يأتي ، ولستُ بجاهل

(٤) وإنّي لأغُضْي عن أمور كثيرة
وفي دونها قطْعُ الحبيب المُواصل

(٥) حِفاظاً وضِنّاً بالإخاء وعُقْدةً
إذا ضيّعَ الإخوانُ عقْدَ الحبائل

—٢٢—

التخريج :
التشبيهات ٢٧٢ .
قال :

(من المنسرح)

(١) أبوكَ أدْهَى النِّجاد حاملُه
كم من كميٍّ آدَمٍ ومن بطَلِ

(٢) يأخذُ من مالِه ومن دمِه
لم يُمْسِ من ثائرٍ على وجَل

—٢٣—

التخريج :
الأغاني ٣٣٩/١٣ ، تاريخ بغداد ٤٠٦/٥ . محاضرات الأدباء ١٢٧/١

(١) النجاد : حمائل السيف .
الآدم من الناس : الأسمر .

(دون عزو) . إنباه الرواة ٣ / ١٦٠ . نور القبس ٢٩٧ . مختار الأغاني ٧ / ٧٢ مهذّب الأغاني ٦/٩ .

قال فيمن يخدم عياله :

(من الرجز)

لا يَنقُصُ الكاملَ من كمالِه
ما جرّ من نفعٍ إلى عيالِه

— الميم —

— ٢٤ —

التخريج :

نور القبس ٣٠٠ .

قال في النعمة :

(من الرمل)

(١) حَسدوا النّعمةَ لمّا ظَهَرَتْ
فرَموها بأباطيلِ الكَلِمِ

(٢) وإذا ما اللهُ أَسْدَى نعمةً
لم يَضِرْها قولُ حُسّادِ النّعَمِ

— ٢٥ —

التخريج :

الفاضل ٩١ : (١ ، ٥ ، ٧ ، ٨) .

الورقة ٨٨ : (١ — ٤ ، ٧ ، ٥ ، ٨) .

الأغاني ٣٧/١٣ ٣ : (١ ، ٤ ، ٨ ،) .

الأغاني (مرة) ٤١/١٣ ٣ : (١ ، ٤ ، ٧ ، ٦ ، ٨ — ١٠) .

الأمالي ٢ / ٣٠٤ : (٧ ، ٨ ، ٤) .

زهر الآداب ١٩٩ : (١ ، ٤ ، ٨ ، ٥ ، ٧) .

نور القبس ٢٩٨ : (١ ، ٣ ، ٢ ، ٤ — ٦ ، ٨ ، ٩) .

تجريد الأغاني ق ١/٢ ١٥٣١ : (١ ، ٤ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٩ ، ١٠) .

الوافي ٣٧٨/٤ : (١ ، ٢ ، ٤—٦ ، ٨ ، ٩) .

مختار الأغاني ٧١/٧ : (١ ، ٤ ، ٨) .

مهذّب الأغاني ٢/٩ : (١، ٤، ٦، ٨، ٩، ٧، ١٠) .

قال في رثاء إبراهيم بن أدهم :*

(من الطويل)

(١) رأيتُكَ لا يُغْنيكَ ما دونَه الغِنى
وقد كانَ يُغْني دون ذاك ابن أدْهَما

(٢) أخاً لكَ يَحْمي سيفُه ولسانُه
حِماك ، ولا يَغْشى لكَ الدَّهْرَ مَحْرَما

(٣) تَخلَّى من الدُّنيا ، وكان بمَنْظَرٍ
ومُستمتعٍ فيها أنيقٍ وأَنْعَما

(٤) وكان يَرى الدُّنيا صغيراً كبيرُها
وكان لأمرِ اللهِ فيها مُعظِّما

(٥) يُشيعُ الغِنى ، إن نالَهُ ، وكأنّما
يُلاقي به البأساءَ عيسى بنُ مَرْيما

(٦) وللحِلْمِ سلْطانٌ على الجهلِ عندهُ
فما يستطيعُ الجهلُ أن يَتَرمْرَما

(٧) أخافَ الهوى حتّى تَجنّبهُ الهوى
كما اجتنَبَ الجاني الدّمَ الطّالبَ الدّما

(٨) وأكثر ما تَلْقاهُ في القومِ صامتاً
وإن قال بذّ القائلين فأفْحما

(٩) يُرى مستكيناً خاشعاً مُتَواضِعاً
وليثاً إذا لاقى الكريهةَ ضَيْغَما

---

* هو أبو اسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلي أو التميمي البلخي ثم الشامي . من الزهاد الاعلام . مات سنة ١٦٢ هـ .

(خلاصة تذهيب الكمال ١٣)

(٦) يترمرم : يحرك فاه للكلام .

(١٠) على الحدثِ الغربيّ من آلِ وائـــل
سلامٌ وبـرٌ ما أبرَّ وأكْـرَمـا !

النّـــون

— ٢٦ —

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٣٤٣ . مهذّب الأغاني ٩ / ٤ .

قال ينصح ابنه عبدالأعلى في اختيار الصديق :

(من مجزؤ الكامل)

(١) يُنبيكَ عن عَيْب الفتَـــى
تَرْكُ الصّلاة أو الحديــنْ

(٢) فإذا تهاونَ بالصّــلا
ة فمالَــه في النّاس دينْ

(٣) ويزَنُّ ذو الحــدَث المُريــ
ـب بما يُزنُّ به القَرينْ

(٤) إنَّ العنيــفَ – إذا تكنَّـ
ـنَفَهُ المُريبُ – هو الضّنينْ

— ٢٧ —

التخريج :

نور القبس ٣٠٠ .

قال في الكبر وإرادة الله ، سنة ١٦٣هـ :

(من الطويل)

(١) على حينَ أنْ شابتْ لداتي ولم أشِبْ
فمنْهـا لِحَـىً مُبيضّةٌ وقُرونُ

---

(٣) يزن : يتهم .

(٤) الضنين : المتهم .

(٢) وناصَيْتُ رأسَ الأربعين ، فأَقْبَلَــــتْ
قساوةُ جِنّي الشّباب تَليـــــنُ

(٣) إذا ما أَراد اللهُ أَمراً فإنّمــــــــــا
يقولُ له : كنْ ! قولَـــةً فيكـون

(٤) ويَعْنَى الفَتى بالأمْـــر ما لم يكـنْ لـــهُ
من الله في الدُّنْيـــا عليــه مُعين

— ٢٨ —

التخريج :

نورالقبس ٣٠٠ .

قال في المدح :

(من مجزوء الكامل)

(١) أَســـدٌ على أَعــدائـــه
ما إنْ يليـــنُ ولا يهـــــونُ

(٢) فإذا تمكّنَ منهــــــمُ
فهناكَ أَحلَـــــمُ مـا يكــون !

— ٢٩ —

التخريج :

الأغاني ٣٤٥/١٣ . مختار الأغاني ٧٤/٧ . مهذّب الأغاني ٥/٩

قال في رثاء جاريته ، دنانير :

(من المنسرح)

(١) الحمـــدُ لله لا شريـــكَ لــه
يا ليتَ ما كــان منك لم يكُــــن !

---

(٤) يعنى : ينصب .

(٢) إن يكن القولُ قلَّ فيك ، فما
أفْحمَني غيرُ شدّة الحـــــزَن

ـ٣٠ـ

التخريج :
أمالي المرتضى ١٧١/١
قال في الرثاء :

(من الطويل)

(١) صحبتُك قبل الرُّوح ، إذ أنا نطفـــةٌ
تُصانُ ، فما يبدو لعين مَصونها

(٢) أرى المرءَ ديناً للمنايا ، وما لهـــا
مِطالٌ إذا حلّتْ بنَفْس دُيونها

(٣) فماذا بقاءُ الفرع من بعد أَصلــــه ؟
ستلْقَى الّذي لاقى الأصولَ غصونها

ـ٣١ـ

التخريج :
محاضرات الأدباء ٦١/١ .
قال في من يأتي ما يعيبه على غيره :

(من البسيط)

(١) ياواعظَ النّاسِ : قد أَصبحتَ مُتّهمـــاً
إذ عبتَ منهم أُموراً أنت تأتيهـــا

(٢) كمَن كسا النّاسَ من عُرْيٍ ، وعورتُــه
للناسِ باديةٌ ما إن يُواريهـــا

المنسوب له ولغيره

الرّاء

—١—

التخريج :

الأبيات له في الأغاني ٣٤٢/١٣ ،ومهذّب الأغاني ٤/٩ .

وفي : بدائع البدائه ٢١٨ :الأول، لابن كناسة ،والأبيات :(٢، ٤—٦)

لدنانير— جاريته ،والثالث لشاعر من الكوفة .

قال يصف الحيرة وما جاورها :

(من الكامل)

(١) الآنَ حـــينَ تزيّـــنَ الظّـهْـــــرُ
مَيْثــاؤه وبـــراقُـه العُـفْـــــرُ

(٢) بسطَ الـــربيعُ بهـــا الرّيــاضَ كمـــا
بُسطـــتْ قـــطوعُ اليَمنْـــة الحُـمْرْ

(٣) بَـــريّـــةٌ في الـبحـر نابتــــةٌ
يُجْبــى إليـــها البَرُّ والبَحْرْ

(٤) وجَـــرى الفراتُ على ميـــاســـرها
وجـــرى على أيمـــانها الـزَّهْرْ

(٥) وبَدا الخورنَـــقُ في مـــطالعـــها
فرداً يلـــوحُ كأنّـــه الفَـجْـــر

(٦) كانَتْ منازل للملـــوك ، ولـــم
يُعْلَمْ بهـــا لملـــكٍ قَـبْـــر

---

(١) الميثاء : الرملة السهلة والرابية الطيبة .
البراق : جمع برقة أو برقاء ،وهي غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .
العفر : من الظباء التي تعلو بياضها حمرة .

(٢) قطوع اليمنة : بسط اليمن .

(٣) الخورنق : قصر كان بظهر الحيرة .

— ٢ —

التخريج :

الأبيات له في : الفهرست ٩١ ،ونور القبس ٢٩٨ .والأبيات (٢ — ٤) له في معجم الأدباء ٢٦٦/١٠ ،ووفيات الأعيان ٢١٠/٢ .

والأبيات لرجل من بني أسد رثى أخاً له مات في غربة، في : شرح ديوان الحماسة ١٠٥٧/٣ .

والأبيات دون عزوفي : البيان والتبيين ١ / ٢٥٧ .

قال في رثاء حماد الراوية : *

(من المنسرح)

(١) أَبعدْتَ مِـن نومكَ الغـرارَ ، فـما
جاوزْتَ حتّى انْتهى بكَ الـقَـدَرُ

(٢) لـو كان يُنْجـي من الرَّدى حَـذَرٌ
نَجّاكَ مما أَصابكَ الحَـذَرُ

(٣) يَرْحمُكَ اللهُ مِن أَخ يا أَبـا الـ
ـقاسم ، ما في صفاتـه كَـدَرُ

(٤) فهكـذا يفْسدُ الزّمـانُ ويَـفْـ
ـنَى العلْمُ منه ، ويَدْرُسُ الأَثَر

الميم

—٣—

التخريج :

البيتان له في : البيان والتبيين ٣٤٨/٣ الورقة ٨٧ تاريخ الطبري ١٣٦٦/١١ ، الأغاني ٣٤١/١٣ ،بهجة المجالس ٥٩٣/١ ،تاريخ بغداد ٤٠٦/٥ ،محاضرات

* هو أبو القاسم حماد بن سابور — وقيل : ميسرة — بن المبارك .كان عالماً في أيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها .مولده سنة ٩٥ هـ ووفاته سنة ١٥٥ هـ.

(١) غرار النوم :قلته .

(٤) في نور القبس ما يفيد أن هذا المعنى مأخوذ من مقولة عبدالله بن عباس في زيد بن ثابت (وقيل : إسماعيل بن زيد بن حماد) إذ دلي في قبره : « من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فكذا ذهابه » .

الأدباء ٩/٢ ، الأنساب ٤٨٧ب إنباه الرواة ١٦٠/٣ ، نور القبس ٩٨ ٢ ، تجريد الأغاني ق ٢/ ١٥٣٢/١ ، مختارات الأغاني ٧٣/٧ نهاية الأرب ٧/٥ ، الوائي ٧٨/٤ ٣ أنوار الربيع ٥/٤ ٦ ، مهذّب الأغاني ٧٣/٧ .
وينسبان إلى أبي نؤاس في : ديوانه ٧ وإلى أحمد بن أبي البغل في المنتحل ٦٧ .
وفي معجم الأدباء ١٤٣/١ أنشدهما المبرد دون نسبة وتردد عبدالله الفقير في عزوهما بين ابن كناسة وأبي نؤاس .
وهما دون عزو في : حكاية أبي القاسم البغدادي ٣ ، ولباب الآداب ٢٣٢
قال في مباسطة الكرام والانقباض من اللئام :

(من المنسرح)

(١) فيَّ انقباضٌ وحشمــــةٌ ، فــإذا
لاقيــتُ أهــل الــوفاء والكرَمِ

(٢) خلّيــتُ نَفْسي عــلى سَجِيّتــهــا
وقلــتُ ما قــلتُ غــيرَ مُحْتشِمِ

— اختلاف الروايات —

— ١ —

(١) الأغاني والمهذب : زادها البرد .
(٢) الأغـــاني : مزجت حينا

— ٢ —

(١) الأزمـــنة : آتت فالنعائم آيها .

— ٣ —

(١) المهذب : يامن ، تحريف لايستقيم معه البيت .
(٢) أدب الدنيا والدين : ولم .. زيغ الهوى بأديب.
(٣) الأغاني : يغني

---

(١) انقباض : انكماش وعدم تبسط .
حشمة : استحيا ووقار

— ٥ —

(١) المهذب : ولكن تقطيعي ، تحريف .

— ٦ —

(١) المختار ، التهذيب : تيقّنك البلى .

(٢) المختار : وإنْ مِنْ بني .

(٣) التجريد ، المهذب : أَما اتساعها ، تحريف.

— ٧ —

(١) الأنساب ، اللباب : خفقت .

الأنساب : على الإخوان .

الأغاني، المهذب : في الوفاء .

الوافي : وفي الود

(٢) تأريخ بغداد ، الأنساب ، اللباب ، الإنباه : قوتي .

وفي الوافي : مدّتي .

— ١٤ —

(٤) المهذب : معاش .. وبطنك .

المختار : من جدوى الملوك .

(٦) المختار : دناءة .

المهذب : ولم يسر .

—١٧—

(٢) الأغاني ، التجريد ، المهذب : بأضجر .

— ١٩ —

(١) الورقة ، الإنباه ، النور ، الزهر : فسمّيته

الزهر ، المعاهد : فلم

الإنباه ، النور : إلى قدر الرحمان فيه

(٢) رواية البيت في : الورقة ، الإنباه ، النور ، المعاهد:

تفاءلتُ — لو يُغْني التّفاؤلُ — باسْمه
ومـا خلْتُ فألاً قبـل ذاكَ يفيـلُ

وفي الزهــر : حين رزئته ، تحريف .

— ٢١ —

(٢) الإنباه : ما ينقص .. ما جر من خير .
المحاضرات ، النور : ما نقصّ .

— ٢٤ —

(١) الورقة ، النور ، الوافي : لايكفيك .
الأغاني (مرة) : ما يكفيك .
الزهر : لاترضى بما دونه الرضا .. كان يرضى .
الورقة ، الأغاني (مرة) ، النور ، الوافي : كان يكفي.

(٢) الوافي : ولا يغنى .

(٤) الأغاني ، الزهر ، التجريد ، المختار ، المهذب : صغيراً عظيمها.
الأغاني (مرة) : قليلاً كثيرها فكان .
الأغاني ، النور المختار ، الوافي ، المهذب : وكان لحقّ الله .

(٥) الورقة ، الزهر : الغنى في الناس إن مّسه الغنى .
الورقة : ويلقى .
الزهر : وتلقى .

(٦) التجريد ، المهذب : أن يتزمزما .

(٧) الأغاني (مرة) ، الأمالي : أمات الهوى.
الزهر ، التجريد ، المهذب : أهان الهوى .

(٨) الوافي : ما يلقى من القوم .
النور : ما يلقى على القوم .
الأمالي ، الزهر ، في الناس .

الزهر : بزّ.
الأغاني ، الأغاني (مرة) ، النور ، الوافي ، المختار ، المهذب : فإن .. وأحكما .
الورقة : وأفحما .
الأمالي : وأفهما .
(٩) الأغاني (مرة) : لاقى الكتيبة .

ـ المنسوب له ولغيره ـ

ـ ١ ـ

(١) البدائع : .. تزيّن القطر .. أنجاده ووهاده العفْر .
(٢) عجز البيت في البدائع :
بُسطتْ ثياب في الثّرى خُضْر
(٤) البدائع : وسري الفرات .. أيمانها النهر .

ـ ٢ ـ

(١) شرح ديوان الحماسة ، النور : أبعطت .
شرح ديوان الحماسة : أسرعت .
البيان والتبيين ، شرح ديوان الحماسة ، النور : يومك الفرار .
البيان والتبيين ، شرح ديوان الحماسة : حيث انتهى .
(٣) البيان والتبيين ، شرح ديوان الحماسة ، الارشاد ، النور ، الوفيات : .. أخي ثقة .. لم يك في صفو ودّه .
(٤) شرح ديوان الحماسة ، الارشاد ، الوفيات : «فيه» في موضع «منه».

ـ ٣ ـ

(١) الورقة ، ديوان أبي نؤاس ، الأغاني ، المنتحل ، تاريخ بغداد ، حكاية أبي القاسم البغدادي ، الأنساب ، الإنباه ، التجريد ، المختار نهاية الارب المهذب : « صادفت » في موضع « لاقيت » .

وفي تاريخ الطبري ، النور : جالست .
وفي محاضرات الأُدباء : أبصرت .
وفي لباب الآداب : لقيت .
وفي معجم الادباء الوافي : رأيت .
(٢) مصادر التخريج جميعها ، ماعدا البيان والتبيين : أرسلت .
معجم الادباء : وجئت ما جئت .
الورقة ، تاريخ الطبري ، المنتحل ، النور ، الوافي : ماشئت.

نصوص باقية من كتاب : الأنواء لابن كناسة

فيما تقدم أوردنا ما وصل إلينا من شعر ابن كناسة ، ماكان منه صريح النسبة إليه ، وما كان متدافعاً مشكوكا في نسبته ، وسبقت لنا إشارة إلى كتابه (الأنواء) فرأينا أن نفرد لما بقي منه مبثوثا في المصادر المختلفة فصلة خاصة نرتب فيها المادة المجموعة على نحو مارتب ابن قتيبة كتابه : (الأنواء) الذي حفظ لنا كثيراً من مقولات صاحبنا في هذا الباب من العلم اللغوي .

(١)

(معنى النوء)

وكان ابن كناسة يقول : إذا سقط نجمٌ مع الصبح ، ذهب نوؤُه .
(كتاب الأنواء لابن قتيبة ٩)

(٢)

(الهنعة)

وقال ابن كناسة : (يقال للهنعة : الزرق الميسان) (١) فإنما ينزل القمر

---

(١) زيادة من « الازمنة والامكنة » :

بالتحايي .(١) وهي كواكب ثلاثة حذاء الهنعة ، والواحدة منها تحياة .(٣)

(كتاب الأنواء ،لابن قتيبة ٤٢)

الأزمنة والأمكنة ١ / ١٨٩

اللسان / هنع (دون عزو)

(٣)

(الجوزاء)

أخبرنا آبن المرزبان ،قال : حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه (إبراهيم الموصلي) ، قال : سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر (خزيمة بن مالك بن نهد) (٣)

إذا الجوزاء أردفتِ الثُرّيا

ظننتُ بآل فاطمة الظنونا

فقال : يقول : إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي تُرى فيه الثّريا، خفتْ تفرّقَ الحيّ من مجمعهم .والثّريا تطلعُ (٤) بالغداة في الصيف والجوزاء(٤) تطلع بعد ذلك في أول القيظ .

(الأغاني ١٣ / ٣٣٨

مختار الأغاني ٧ / ٧٢

مهذب الأغاني ٩ / ٦)

(٤)

(السماك)

قال آبن كناسة : وربما عدل القمر فنزل بعجز الأسد .وهي أربعة كواكب بين يدي السماك الأعزل منحدرة عنه في الجنوب مربّعة على صورة النعش

---

(١) زيادة من « الا زمنة والا مكنة ».

(٢) تخياة .

(٣) اللسان / ردف .

(٤) – (٤) ساقط من المختار .

يقال لها : عرش السماك (وتسمى أيضاً الأحمال) (١) وتسمى الخباء..
قال القُتبي (٢) ،والذي عندي أن الأمر كما قال ابن كناسة .

(كتاب الأنواء ،لابن قتيبة ٦٢،)
(شروح سقط الزند ١٥٢٦)
(الأزمنة والأمكنة ١٩٢/١)

(٥)

(سعد الذابح وسعد بُلع)

وقال ابن كناسة : سعد الذابح كوكبان متقاربان سمّي أحدهما ذابحاً، لأن معه كوكباً صغيراً غامضاً يكاد يلزق به ،فكأنّه مكبّ عليه يذبحه والذابح أنور منه قليلاً .

قال : وسعد بُلع : نجمان معترضان خفّيان .

قال أبو يحيي : وزعمت العرب أنه طلع حين قال الله عزّ وجلّ : (ياأرضُ ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) .(٣)قال : وسعد السعود : كوكبان . وهو أحمد السعود ،ولذلك أُضيف إليها .وهو يشبه سعد الذابح في مطلعه. وسعد الأخبية : ثلاثة كواكب على غير طريق السعود مائلة عنها ،وفيها اختلاف وليست بخفية غامضة ،ولا مضيئة مُنيرة .سميت سعد الأخبية ،لأنها إذا طلعت خرجت حشرات الأرض وهوامّها من جحْرتها ، جعلت جحرتها لها كالأخبية .

(تهذيب اللغة واللسان / سعد)

(٦)

(البوارح ومنازلها)

وقال ابن كناسة : كلُّ ريح تكون في نجوم القيظ فهي عند العرب

---

(١) زيادة من الأزمنة والامكنة .
(٢) لم يرد قول ابن قتيبة في : الأزمنة والأمكنة .
(٣) هود / آية ٤٤ .

بوارح . قال : وأكثر ما تهبّ بنجوم الميزان ، وهي السّائم . قال ذو الرّمة :

لا ، بل هو الشّوقُ من دار تخوّنَهـــا
مرّاً سحابٌ ، ومرّاً بارحٌ تَرِبُ

فنسبها إلى التراب ، لأنّها قيظيّة لا ربْعيّة .

(اللسان / برح)

(٧)

(الأزمنة وتحديد أوقاتها عند العرب)

قال أبو يحي بن كناسة في صفة أزمنة السنة وفصولها ، وكان علاّمة بها :
إعلم أنّ السّنة أربعة أزمنة : الربيع الأول ، وهو ، عند العرب العامة : الخريف (١) ، ثم الشتاء ، ثم الصّيف ، وهو الرّبيع الآخر (٢) ثم القيظ.
قال : وهذا كله قول العرب في البادية .
قال : والربيع الاول هو الخريف عند الفرس يدخل لثلاثة ايام من ايلول .
قال : ويدخل الشتاء ثلاثة ايام من كانون الاول .
قال : ويدخل الصّيف الذي هو الربيع عند الفرس ، لخمسة أيام تخلو من آذار . ويدخل القيظ ، الذي هو صيف عند الفرس ، لأربعة أيام تخلو (٤) من حزيران.
قال أبو يحي : وربيع أهل العراق موافق لربيع الفرس ، وهو الذي يكون بعد الشتاء ، وهو زمان الورد ، وهو أعدل الآونة (٥) وفيه تقطع العُروق (٦) ويشرب الدّواء .

---

(١) اللسان : الربيع الاول ، وهو الذي تسميه الفرس : الخريف .
(٢) الأزمنة والأمكنة : وذكر ابن كناسة ابو يحيى أن العرب تسمي الشتاء الربيع الأول ، والصيف الربيع الآخر .
(٣) شرح أدب الكاتب : الصيف.
(٤) لم ترد « تخلو» في شرح أدب الكاتب .
(٥) شرح أدب الكاتب : الأزمنة .
(٦) شرح أدب الكاتب : العروض .

قال : وأهل العراق يُمطرون في الشتاء كله ،ويُخْصبون في الربيع الذي يتلو الشتاء .
وأما أَهل اليمن فإنهم يُمْطَرون في القيظ ويخصبون في الخريف الذي تسميه العرب : الربيع الأول .

(تهذيب اللغة / ربع ،شرح أدب الكاتب ، للجواليقي ١٣٠ ،شروح سقط الزند ١٧٧٦ ،حكاية عن الأزهري ،اللسان / صيف)

(٨)

(فصل الخريف)

وقال ابن كناسة : خمسة أنواء من انواء الخريف: الفرغ المؤخر،والحوت والشرطان ،والبُطَين ، والثّريّا ،وليس بعد الثّريّا وَسْميّ . وذكر أن النّجمين الباقيين من نجوم أنواء هذا الفصل للوليّ،وهو المطر الذي يأتي بعد الوسمي . (كتاب الأنواء ،لابن قتيبة ١١٦)

(٩)

(ذكر الشمس والقمر)

وقال : كانت العربُ تسمى ليالي الشهر عشرة أَسماء ،لكلّ ثلاث منها اسمٌ : فالثلاث الأُول الغُرر ،وذلك أَن أَول كل شيء غُرّته .ثم النفل ، ومعنى النّفل أَن العرب كانت تصوم الغرر كأنها وظيفة عليها ،والنُّفل شبهُ النّافلة . ثم الدُّرع ان الأرض قد لبسها القمر ، ثم العشر لقولك : عشرة ،إحدى عشرة، اثنتا عشرة ثم البيضُ ،فإنّها من أَول الليل إلى آخره قمرٌ ،ثم الظُّلَم ثم الحِنْدِس أَشدُّ ظلمةً من الظُّلم،والدّآدي، والمحاق : فالدّآديء كأنه وقع في القمر الدّاء فهو يذهب ،والمحاق آخر الشهر إذا وقع فيه المحاق .والعاشرة — أَي تمام الثلاثين — الفلتة .ومعناها :أَن ليس كل شهر يتِمُّ فإذا تَمَّ سّموه الفَلْتة .

(نور القبس ٢٩٩)

(١٠)

(العوّاء)

وأما العواء فإن ابن كناسة جعلها أربعة أنجم ... وزعم أبو يحيى أنها سميت العواء بالكوكب الرابع الشمالي منها .وإذا عزلت عنها هذا الكوكب الرابع كانت الباقية مثفاة الخالقة . (الأزمنة والأمكنة ١٩٢/١)

(١١)

(العواء)

وقال ابن كناسة : هي أربعة كواكب : ثلاثة مثّفاةٌ متفرقة ،والرابع قريب منها كأنه من الناحية الشامية ،وبه سميت العواء ،كأنه يَعْوي إليها، من عواء الذئب .

قال : وهو من قولك : عَوِيتُ الثوب إذ لويته كأنه يَعْوي لمّا انفرد.

قال : والعواء في الحساب يمانيةٌ .وجاءت مؤنثة عن العرب .

قال : ومنهم من يقول : أوّل اليمانية السماك الرامحُ ولا يجعل العواء يمانية للكوكب المَرْد الذي في الناحية الشامية .

(اللسان / عوى)

(١٢)

(الشولة)

قال ابن كناسة : الشولة التي ينزل بها القمر حذاء القلب في حاشية المجرّة.

(الأزمنة والأمكنة ١٩٤/١)

(١٣)

(الفلك)

قال ابن كناسة : بين السماء ما بين الدبور والجنوب عن يمينك إذا استقبلت القبلة قليلاً .

(الأزمنة والأمكنة ٨/٢)

(١٤)

مواقيت الضراب والنتاج)

قال ابن كناسة : إذا انزي على الشاة عند اطلاع نجم من النجوم بالغداة جدت حين ينوء والنخلة مثل الشاة سواء .

(الأزمنة والأمكنة ٢ / ١٧١)

(١٥)

قال ابن كناسة : وأفضل النتاج الربعي ، لايزال ما نتج قوياً حسن الحال إلى سقوط الصرفة . وهي آخر نجوم الربيع ثم ينتجون في أول الصيف إلى سقوط الغفر ، وذلك صالح .

(الأزمنة ولأمكنة ٢ / ١٧٣)

(١٦)

(الرياح الأربع وتحديد مهابها)

وذكر أبو يحيى بن كناسة أن خالد بن صفوان قال : الرياح أربع : الصبا ومهبّها ما بين مطلع الشرطين إلى القطب . ومهب الشمال ما بين القطب إلى مسقط الشرطين ومهب الدبور ما بين مسقط القطب الأسفل . ومهب الجنوب ، بين القطب الأسفل إلى مطلع الشرطين .

(الأزمنة والأمكنة ٢ / ٧٥)

(١٧)

قال أبو يحيى : الناس على قول خالد : فالقبول هي المشرقية ؛ لأنها من قبل المشرق تجيء . قال :

إذا قلت هذا حين أسلو يشوقني نسيم الصبا من حيث يطّلع الفجرُ

والدبور تناوحها وهي المغربية .

(الأزمنة والأمكنة ٢ / ٧٦)

(١٨)

(ذكر الرياح وتحرير مهابها)

وقال ابن كناسة : تخرج النّكباء ما بين مَطْلَع الذّراع إلى القطب ، وهو مَطْلع الكواكب الشاميّة .وجعل مابين القطب إلى مسقط الذّراع مَخْرَج الشمال وهو مسقط كل نجم طلع من مخرج النّكباء من اليمانيّة .واليمانيّة لاينزل فيها شمس ولا قمر إنّما يُهْتَدى بها في البر والبحر ،فهي شاميّة.
(اللسان / نكب)

(١٩)

(مخايل السحاب)

وقال ابن كناسة : هي عن يمينك إذا أنت استقبلت القبلة قليلاً .
(كتاب الأنواء ،لابن قتيبة ١٦٩)

(٢٠)

(كيف يكون الاهتداء بالنجوم)

قال محمد بن كناسة : إذا سقط منزل من منازل القمر بالغداة عند نوئه

قال محمد بن كناسة : إذا سقط منزل من منازل القمر بالغد عند نوئه، فعُدّ منه (١) سبعة أنجم على موالاة العدد : فالسابع هو القبلة ،إلاّ أن تسقط(٢) العقرب . فإذا سقطت العقرب ،فالنّعائم قبلة ،والبلدة بعد تلك الساعة قليلاً قبلة أيضاً .

ثم يعود الحساب .

فإذا سقط سعد الذّابح ،فالحوت قبلة ،وهو السابع .

ومثال ذلك أنه إذا سقط الشّرطان ،كان السابع منه الذّراع ،فهو (٣) القبلة .وإذا سقط البطين فالنّثرة قبلة .وإذا سقطت الثّريّا فالطّرف قبلة .

---

(١) الأزمنة : منها .
(٢) الأزمنة : يسقط .
(٣) الأزمنة : وهو .

وإذا سقط (١) الدّبران فالجبهة قبلة . وإذا سقطت الهقعة ، فالزَّبرة قبلة . وإذا سقطت النّثرة ، فالسماك قبلة . وإذا سقط الطّرف ، فالغفر قبلة . وإذا سقطت الجبهة فالزباني قبلة واذا سقطت الزبرة فالاكليل قبلة .

ثم يقع الشّك في القبلة عند سقوط الصّرفة والعوّء والسماك والغفْر والزّبانيّ والإكليل والقلب والشّولة والنعائم والبلدة . وذلك ؛ لأن العقرب تسقط جميعا فلا يستقيم الحساب على سبعة أنجم . غير أنه إذ سقطت (٢) العقرب كلها ، كانت النّعائم قبلة ، ثم البلدة قبلة ، والقبلة قريب منها ثم يسقط سعد الذّابح ، فيكون رأس الحوت قبلة ، وهو مزموم (٣) بالكفّ الخضيب . فيرجع (٤) الحساب إلى السّابع .

قال ابن كناسة في ذلك ، وذكر طريق مكة

يؤمّ النّجوم السابحات من التي تأوّب إلا أن تأوّب عقربُ
فأن هي آبت (٥) فالنعائم أوسع (٦) وبلدتها ثم السوابع اصوب

قال : وكواكب العقرب أربعة منازل تطلع في الأوقات التي بيّنت وتسقط كلها في وقت واحد .

(كتاب الأنواء ، لابن قتيبة ١٩٠)

(الأزمنة والأمكنة ٢ / ٣٢٨)

(٢١)

(في الاهتداء بالنجوم)

وقال ابن كناسة : وفي الاهتداء بالنجوم يقو الشاعر :

نؤُمُّ بافاق السماء وترتمي مغانيها أرجاء دواية قفْرِ

(الأزمنة ولأمكنة ٢ / ٢١٧)

---

(١) الأزمنة : سقطت .
(٢) من : الأزمنة .
(٣) الأزمنة : مذموم ، تحريف .
(٤) الأزمنة : ويرجع .
(٥) الأزمنة : آنت ، تصحيف .
(٦) الأزمنة : آيها .

المراجع والمصادر

أدب الدنيا والدين للماوردي . تحـ مصطفى السقا مصر ط ٤ سنة ١٩٧٣ .
إرشاد الأريب ،لياقوت الحموى .ط ١ بعناية مرجليوث .مصر سنة ١٩٢٧.
الازمنة والامكنة للمرزوقي ،ط ١ ، حيدراباد سنة ١٣٣٢ .
الأغاني ــ لابي الفرج الأصفهاني .ط.الهيئة المصرية العامة .
الأمالي ــ للقالي .المكتب التجاري ،بيروت .
أمالي المرتضى ــ لعلي بن الحسين .تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم ،بيروت ،ط٢ سنة ١٩٦٧ .
إنباه الرواة على أنباه النحاة ــ للقفطي ،تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم ،مط. دار الكتب ،القاهرة ،سنة ١٩٥٥ .
الأنساب ،للسمعاني ،لايبزك سنة ١٩١٢ .
أنساب الأشراف ــ للبلاذري .تحـ محمد حميد الله .
أنوار الربيع في أنواع البديع ــ لعلي بن معصوم المدني .تحـ شاكر هادي شكر كربلاء ،العراق .
الأوراق ــ للصولي . نشرة ج . هيورث دن .
إيضاح المكنون ــ للبغدادي ،ط٣ سنة ١٩٤٧ .
بدائع البدائه ــ لأبي الحسن علي بن ظافر الازديّ .تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم مصر ، سنة ١٩٧٠ .
البداية والنهاية ــ لابن كثير .مكتبة المعارف بيروت ط ١ سنة ١٩٦٦ .
البديع ــ لابن المعتز .تحـ أغناطيوس كرا تشقوفسكي .لندن سنة ١٩٣٥ .
بغية الوعاة ــ للسيوطي .تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم .مط .عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٦٨ .
بهجة المجالس وانس المجالس ،للنمري القرطبي ، تحـ محمد مرسي الخولي ــ مصر.
البيان والتبيين ــ للجاحظ .تحـ عبد السلام هارون.دار التأليف ،مصر ط٣ سنة١٩٦٨.

تاج العروس ــ للمرتضى الحسيني الزبيدي، ،ط ١ مصر سنة ١٣٠٦ .
تاريخ بغداد ــ للخطيب البغدادي .نشرة دار الكتاب العربي ، بيروت .
تأريخ الرسل والملوك ــ للطبري .طهران .
تبصير المنتبه بتحرير المشتبه للعسقلاني أحمد بن علي . مصر.
تجريد الأغاني ــ لابن واصل الحموى .تحـ طه حسين وزميله ،القاهرة سنة ١٩٥٧.
التشبيهات ــ لابن أبي عون . تصحيح : محمد عبد المعين خان ،كمبرج سنة ١٩٥٠
تقريب التهذيب ــ للعسقلاني ،تحـ عبد الوهاب عبد اللطيف .
تهذيب التهذيب ــ للعسقلاني ،دار صادر ،بيروت ،
تهذيب اللغة ــ للأزهري .مصر .
الجرح والتعديل ،للرازي ط١حيدر آباد سنة ١٣٦١ .
حكاية أبي القاسم البغدادي ــ لمحمد بن أحمد أبي المطهر الازدي .نشرة آدم متز هايد لبرج سنة ١٩٠٢ .
الحيوان ــ للجاحظ .تحـ عبد السلام هارون .مط مصطفى البابي الحلبي
خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال ــ للخزرجي الأنصاري ،ط١ سنة ١٣٢٢.
ديوان أبي نواس ــ رواية حمزة بن الحسن الاصبهاني .شرح محمود أفندي واصف . مط. العمومية ،مصر سنة ١٨٩٨ .
زهر الآداب ــ للحصري ،تحـ علي محمد البجاوى .القاهرة ،سنة ١٩٥٣.
سرقات أبي نؤاس ــ لمهلهل بن يموت .تحـ وشرح محمد مصطفى هدارة. مط . أحمد مخيمر ، مصر .
شذرات الذهب ــ لابن العماد الحنبلي .
شرح أدب الكاتب ــ للجواليقي .نشرة مكتبة القدسي ،القاهرة سنة ١٣٥٠.
شرح ديوان الحماسة ــ للمرزوقي ،سنة ١٩٥٢ .
شروح سقط الزند ،مصورة طبعة دار الكتب سنة ١٩٤٨ القاهرة .
شعر الكميت بن زيد الأسدي ــ تحـ داود سلوم ،بغداد سنة ١٩٦٩ .

الصبح المنبي عن حيثية المتنبي – ليوسف البديعي. تحـ مصطفى السقا وزملائه دار المعارف ،مصر ١٩٦٣.
الصناعتين – لابي هلال الحسن بن عبد الله ،تحـ علي محمد البجاوي وزميله مط. عيسى البابي ،سنة ١٩٥٢ .
الطبقات الكبرى – لمحمد بن سعد الزهري .بيروت سنة ١٩٥٧ .
طبقات النحاة واللغويين –لابن قاضي شهبة .تحـ محسن غياض ،مط . النعمان، النجف ، سنة ١٩٧٣ .
طبقات النحويين واللغويين – للزبيدي ، تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم ، مصر سنة ١٩٥٤ .
العبر في أخبار من غبر – للذهبي ،تحـ صلاح الدين المنجد ،الكويت .
أبو العتاهية : حياته وشعره – لمحمد محمود الدش . القاهرة سنة ١٩٦٨ .
العصر العباسي الاول – لشوقي ضيف ،دار المعارف،مصر سنة ١٩٦٩ .
عيون الأخبار – لابن قتيبة – طبعة دار الكتب المصرية .
الفاضل – للمبرد .تحـ عبد العزيز الميمني القاهرة سنة ١٩٥٦ .
الفهرست – لابن النديم ،ليبزك سنة ١٨٧٢ .
القزويني وشروح التخليص لأحمد مطلوب ،سنة ١٩٦٧ .
الكامل في التأريخ – لابن الأثير دار بيروت ،سنة ١٩٦٥ .
الكنى والأسماء – لابي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي . حيدر آباد سنة ١٣٢٤ .
الكنى والألقاب – لعباس القمي .مط الحيدرية – النجف سنة ١٩٦٩ .
لباب الآداب – لاسامة بن منقذ .تحـ أحمد محمد شاكر ،مط .الرحمانية مصر سنة ١٩٣٥ .
اللباب في تهذيب الأنساب – لابن الأثير ،مكتبة القدسي ،القاهرة ،سنة١٣٥٦ .
لسان العرب – لابن منظور .بولاق ،سنة ١٣٠٠ .
لسان الميزان – للعسقلاني .حيدر آباد ،سنة ١٣٣١ .
مجالس ثعلب– .تحـ عبد السلام هارون ، النشرة الثانية .دار المعارف .

مجالس العلماء – للزجاجي .تحـعبد السلام هارون الكويت سنة ١٩٦٢.
محاضرات الادباء ،للراغب الاصبهاني .القاهرة سنة ١٣٢٦ .
مختار الأغاني لابن منظور .تحـ عبد العزيز أحمد . القاهرة ،سنة ١٩٦٥ – ١٩٦٦.
مراتب النحويين – لابي الطيب عبد الواحد بن علي .تحـمحمد أبو الفضل ابراهيم .مط. نهضة مصر .
مشكلة السرقات في النقد العربي– لمحمد مصطفى هداره .
المعارف – لابن قتيبة تحـ ثروت عكاشة .مط. دار الكتب سنة ١٩٦٠ .
المعاني الكبير – لابن قتيبة الدينورى ،حيدر آباد الدكن – الهند ،سنة ١٩٤٩
معاهد التنصيص – لعبد الرحيم بن أحمد العباسي .تحـ محمد محيي الدين عبد الحميد .مط .السعادة ،مصر سنة ١٩٤٨ .
معجم البلدان – لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى .ط .صادر بيروت .
معجم الشعراء – للمرزباني ،تحـ عبد الستار أحمد فراج . دار احياء الكتب العربية ،القاهرة ،سنة ١٩٦٠ .
معجم المؤلفين–لعمر رضا كحالة .مط. الترقي ،دمشق .
المنتحل – للثعالبي ،الاسكندرية ،سنة ١٩٠١ .
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء – للمرزباني .
مهذب الأغاني–تصنيف محمد الخضري .مط. مصر
ميزان الاعتدال – للذهبي .مصر سنة ١٣٢٥ .
النجوم الزاهرة – لابن تغرى بردى .ط .دار الكتب العربية ١٩٣٠ .
نهاية الأرب – للنويري .مصورة ط. دار الكتب .
نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني ، لليغمورى ،تحـرودلف زلهايم ، فيسبادن سنة ١٩٦٤ .
هدية العارفين– للبغدادي .استانبول ١٩٥١ – ١٩٥٥.
الوافي بالوفيات – للصفدي ،ط٢ باعتناء هلموت ريتر سنة ١٩٦١ .
الورقة – للجراح ،تحـ عبد الوهاب عزام وزميله .دار المعارف مصر ١٩٥٣.

وفيات الأعيان – لابن خلكان . تحـ إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٩.
Brockelmann – Geschichteden Arabischen litteratur , leyde , 1943,G63 .

ـ ملاحظات على المصادر ـ

(١) في الحيوان ٥ / ١٣٣ :
على الآفا .. ق   وصوابه: على الآ ..فاق .
(٢) في الورقة ٨٧ :
على الكـ .. ـوفة   وصوابه: على الكـو.. فة .
وفي ص ٨٧ ،ورد البيت مضطربا :
فا .. لحلجات الفراتيات تُهْـ.. ـدي لها الشمال الصحاري
وصوابه :
فا .. لحاجات الفراتيـ .. ياتُ تُهدي لها الشمال الصحاري
وفي ص ٨٨ :
الـ .. طَلّ   وصوابه : الطّ .. ـطلّ
أو : الطّـ.. ـلُّ
(٣) كتاب الكنى والأسماء ٢ /١٦٥ : أبو يحيى محمدبن عبد الله بن عبد(الأعلى)
(٤) في الأغاني ١٣ / ٣٤٢ .
وكان يحيى يستحسنها ولعله أراد : أبا يحيى (آبن كناسة) ، وإلا فإن هذه العبارة مقحمة .
(٥) الأنساب ٤٨٧ ب : قيل : إن كناسة لقب جده (عبد) الأعلى .
(٦) نور القبس ٢٩٢ :
هل للنفوس من الحوادث من واقِ
والصحيح باسقاط (من) الثانية ، ليستقيم الوزن .
وفي ص ٣٠٠ موضعان :
الأول : أورد كلمة « العسبار» وشرحها ولم يورد بيت ابن كناسة

الذي جاءت فيه هذه الكلمة .

وأقحم في الصفحة ذاتها قول ابن عباس ،مما لايمت بصلة إلى ترجمة ابن كناسة .

(٧)طبقات النحاة ص ١٣٨ : ابن حاتم الرازي ، ولعله خطأ مطبعي صوابه أبو حاتم الرازي .

أو : ابن أبي حاتم الرازي .

أما الكنى والألقاب ١/ ٣٩٣ ، فبدلاً من أن يعنى بشخصية ابن كناسة وزهده ،انصرف إلى خاله : ابراهيم بن ادهم ليسرد روايات عن تصرفه أقرب إلى الاسطورة منها إلى الحقيقة .

محمد قاسم مصطفى

مدرس مساعد — قسم للغة العربية

كلية الاداب — جامعة الموصل

نظرة في موسيقى الشعر العربي وعروضه

محمد علي الحسيني

لكل أُمة من الأمم موسيقى قومية متوارثة ، نشأت من طبيعة ظروفها وعاداتها وتقاليدها الاجتماعية ، ومن طبيعة صراعاتها ومحاولة احتكاكها ومحاكاتها للطبيعة ، وهي تعبر عن «الصفات العقلية والنفسية لكل شعب » (١) من الشعوب .

وقد اعتادت هذه الأمة أو تلك جرساً من الألفاظ خاصاً ، وانسجاماً في مقاطع مفرداتها وتراكيبهامتميزاً.وسارت على قواعد وأصول في لغتها حقباً متطاولة متطورة، حسب ما يستجد لها من حاجات ويحصل لها من احتكاك بلغات الأمم الأخرى ،غير مبتعدة عن الصميم والجوهر .

□ ولكل أُمة — أيضاً — أشعار متميزة ، وأوزان من الشعر خاصة ، متقومة بتلك الموسيقى ، وقائمة على احساسها الفني بلغتها وتعابيرها ، تلذ بسماعها وتطرب لإنشادها ، وعلى هذا النمط من الحياة يجري الخلف تابعاً السلف .

« وحين نستعرض ما درجت عليه الشعوب من أوزان وقوافٍ لأشعارها ، وما ألفوه من نظام لتلك الأوزان والقوافي نلحظ أن التجديد فيها نادر وأن تطورها بطيء جداً » . (٢)

(١) معالم الموسيقى العربية ص ٣ .

(٢) موسيقى الشعر ص ١٨ .

ومن الصعب جداً أن تتطور بسرعة آذان الشعوب ، وتعتاد موسيقى جديدة – هي كالطفرة – تراد لها دون أن تريدها هي طواعية واستجابة لظروفها المتطورة وصراعاتها المستجدة .

ودليلنا على ذلك كله موسيقى شعرنا العربي منذ نشأته الموغلة في القدم وحتى عصرنا الحديث ، فلم تمس بالجوهر ، ولم تفقد الاصالة الايقاعية المتوارثة .

وقد حدث أن درس الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة (١٧٥ هـ) أوزان الشعر العربي وقوافيه ، واستقراها استقراء ، وخرج هو وتلاميذه بنتائج علمية ثابتة في عصر بدأ العرب فيه تسجيل علومهم وتدوين آثارهم ، ووضع الكتب العلمية – على شكلها الصحيح – في لغتهم . (١)

وأراد الخليل إلى وضع قواعد في أوزان الشعر العربي وقوافيه ، كما أراد إلى وضع قواعد في مفردات العربية وأصواتها ، فكان كتاب العين ، وكتاب العروض ، وكتاب الايقاع ، وكتاب النغم ، وهي اعمال أدبية لغوية بكر كان الخليل فيا رائد الموسيقى وعلم العروض والقوافي ،ورائد الحركة المعجمية في ميدان اللغة والأصوات . (٢)

وقد أحصى الخليل الأوزان الشعرية فكانت (خمسة عشر بحراً) (٣) ، وأسمى كل وزن بـ (البحر) لمشابهته له في سعته واستيعابه لكل ما ينظم عليه من معان وأخيلة دون نفاد ، كما أسمى هذه القواعد في أوزان الشعر بعلم (العروض) ، لأنه يعرض عليه الشعر ، فيعرف صحيح الوزن فيه من سقيمه أو أنه ألهمه في (مكة المكرمة) التي من أسمائها العروض ، لاعتراضها في

(١) ينظر المكتبة العربية ص ٥ وما بعدها ، ومصادر التراث العربي ص ٥ وما بعدها ، والمعاجم العربية (المقدمة) ، و (نشأة التدوين عند العرب) ص ٢ من محاضراتنا في (مناهج البحث اللغوي لسنة ٧٤–١٩٧٥م .

(٢) تنظر المصادر السابقة وعبقري من البصرة ص ٩٥ .

(٣) يرى الدكتور المخزومي أن عبقرية الخليل لا تسمح بأن يستدرك عليه الا خفش البحر السادس عشر بل هي خرافة جازت على الباحثين عصوراً ، ينظر (عبقري من البصرة) ص ١٠٥ .

وسط البلاد ، أو أنه اسم لعمان التي كان يقيم فيها الخليل (١) ، أو أنه اسم للجمل الذي هو سفينة الصحراء وجمالها ، أو أنه الخشبة العارضة في الخيمة .

وعلى بيت الشعر – بفتح الشين – قام بين الشعر – بكسر الشين – في كثير من معانيه ومصطلحاته ورموزه . وبقي عروض الخليل هذا يدرس عبر الأزمنة والأمكنة المختلفة ، دون أن يزيد عليه الدارسون شيئاً يذكر اللهم إلا في مسائل جزئية ، تكاد تكون استنباطاً من هذا العلم الذي وضعه الخليل متكاملاً تقريباً أو استدراكاً (٢) عليه في وزن مستخرج أو قافية متصيدة .

ولصعوبة هذا العلم ، وحاجته إلى مؤهلات الذكاء والفطنة ، والأذن الموسيقية ، ولكثرة مصطلحاته ورموزه ، كاد يعافه حتى الشعراء والمتأدبون والنقاد الذين لايمكنهم الحكم على الشعر العربي إلا بعد الوقوف على مسائله والالمام بأصوله وقواعده ، ولا يكادون يلجأون اليه إلا في مناسبة حوار أو جدال ، ليكون فيصلاً وحكماً .

والحركات الشعرية المتحددة في (الأوزان) و (القوافي) سواء منها ما تبنته العامة ك (المواليا) و (الكان وكان) و (القوما) و (السلسلة) و (الزجل) وما اليها ، أو ماكان معرّباً ك (الدوبيت) الفارسي ، (٣) أو ماأبدع فيه أهل القريض ك (المزدوجات) و (المثلثات) و (المربعات) الاعتيادية ، و (المخمسات) و (المسدسات) و (المسمطات) و (الموشحات) بأنواعها قديماً وحديثاً ، (٤) وحركة (البند) ، (٥) وحركة (الشعر الحر) حديثاً لم

---

(١) ينظر في التقطيع الشعري والقافية ص ٢٦ .

(٢) قيل أن الأخفش الاوسط – تلميذه – استدرك عليه بحراً اسماه (المتدارك) أو (المحدث) استوحاه من (المتقارب) ، كما أنكر وجود بحرين هما (المقتضب) و (المضارع) لندرتهما .
ينظر موسيقى الشعر ص ١٤٠ . وغيره من الكتب المعنية بعلم العروض .

(٣) ينظر ميزان الذهب ص ١٤٠ .

(٤) ينظر في هذه الفنون الشعرية كتاب (فن التقطيع الشعري) وكتاب (موسيقى الشعر) وكتاب (الايقاع في الشعر العربي) بشكل مبسط حديث .

(٥) ينظر عن البند كتاب عبدالكريم الدجيلي البند في الأدب العربي وتاريخه ونصوصه) مفرداً فيه.

تكد تمس جوهره ولم تخرج على أصوله وقواعده ، إلا توهما من الواهمين ، أو جهلاً من الجاهلين .

ونحن لا نوافق الدكتورة عاتكة الخزرجي على أن حركة الشعر الحر (بدعة)(١) بل هي ابداع رائع ما دامت خاضعة لهذه (الوحدة الإيقاعية) وسائر مقومات الشعر الأصيلة .

إن الوحدة القياسية التي أفادها الخليل من الميزان الصرفي – بتصرف – هي (التفعيلة) ، وهي الوحدة النغمية الأساس التي يقوم عليها ميزان الشعر العربي عموماً ، وهذه التفعيلة متكونة من جزأين رئيسين هما (السبب) و (الوتد) وهما أساس في كل تفعيلة من التفعيلات (الثماني) (٢) التي يقوم على ايقاعها الشعر العربي ، والتي تدخلها الزحافات والعلل المعروفة في علم العروض .

والتفعيلات الثماني هي :

فعولن ، فاعلن ،

مفاعيلن ، مستفعلن ، فاعلاتن ، مفاعلتن ، متفاعلن ، مفعولات .

اثنتان منها (خماسيتان) : متكونتان من سبب واحد ووتد واحد وهما الأوليان . وست منها (سباعية) : متكونة من سببين ووتد واحد وهي الست الباقية .

والسبب : حرف متحرك فساكن ، مثل (لم) أو (لا) وهو السبب الخفيف وحرف متحرك فمتحرك مثل لم (أر) وهو السبب الثقيل .

والوتد : حرف متحرك فمتحرك فساكن ، وهو الوتد المجموع ، مثل (نعم) أو (رمى) ، ومتحرك فساكن فمتحرك ، وهو الوتد المفروق ، مثل (لات) .

(١) ينظر مقالة (الموسيقى في الشعر العربي) لها في مجلة الأستاذ مجلد ١٥ لسنة ١٩٦٩ م وكذلك المقابلة معها في مجلة الكتاب العدد ٩ لسنة ١٩٧٤ م .

(٢) عدها بعض العروضيين (عشرا) بفصل (فاعلاتن) إلى (فاع لاتن) و (مستفعلن) إلى (مستفع ان) وذلك بسبب مجيئها في الدائرة الرابعة (المشتبه) لأجل ايجاد (وتد مفروق) يساوق تفعيلة (مفعولات) التي تنتمي لهذه الدائرة . وهذه – ايضا – من جملة المشكلات التي يجرها نظام الدوائر بالاضافة الى ماسنعرض له من تكثير المصطلحات وتعقيدها .

وبتكرار تفعيلة واحدة – أو تفعيلتين منسجمتين – من هذه التفعيلات الثماني بعدد (معين) يحصل (الشطر)، وهو ماتقرره الأذن الموسيقية العربية مثل :

متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن – ثلاثاً – في (الكامل) التام .

و فعولن مفاعيلن ، فعولن مفاعيلن – أربعاً – في (الطويل) .

ومن الشطرين يحصل (البيت) الشعري المعروف ، شريطة أن يكون مكسوعاً (بفاصلة نغمية) متكررة في كل بيت ، يقفو بعضها بعضاً تسمى (القافية) أي المقفوة (فاعلة بمعنى مفعولة) : وهي كتلة من مقاطع صوتية – أو مقطع صوتي واحد – يلزم منها التكرار بالصورة المذكورة وفق قواعد واصول ، بولغ فيها حتى أصبحت علماً خاصاً يسمى (علم القافية) (١) وتخصص بها رجال متمرسون سموا (علماء القافية) ، وقد كثرت في هذا العلم الرموز والمصطلحات التي لاداعي لكثير منها .

ومن عدد الأبيات لاتبلغ (السبعة) تتكون (القطعة) أو المقطوعة الشعرية ومن السبعة فصاعداً (القصيدة) العربية التقليدية ، وإذا نظم الشاعر بيتاً واحداً سمي (يتيماً أو مفرداً ، وان نظم بيتين سميا (نتفة) . (٢)

ولو سقطت تفعيلة واحدة من (المصدر) وأخرى مثلها من (العجز) بضم الجيم – سمي البيت (مجزوءاً) أيْ : أصابه الجزء وهو القطع ، (٣) كما أنه لو سقطت تفعيلتان منهما سمي (منهوكاً) ، أي ذهب ثلثاه فقد نهك ، ولو نظم على شطر واحد منه سمي (مشطوراً) (٤) . وهكذا نلاحظ جذوراً للتحرر

---

(١) ينظر (علم القافية) في كتاب (فن التقطيع الشعري والقافية) للدكتور صفاء خلوصي ص ٢١٢ وما بعدها ، وكذلك حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث) ل (س . موريه) ص ٧ وما بعدها .

(٢) ينظر ميزان الذهب ص ٢٠ .

(٣) ويقال : « جزأه من باب قطع ، وجزأه تجزئة : قسمه أجزاء » مختار الصحاح – مادة جزأ – ص ١٠١ .

(٤) ينظر في هذه المصطلحات – أيضاً – مقدمة الدكتور صفاء خلوصي في كتابه (فن التقطيع الشعري والقافية) وغيره من كتب العروض .

من سلطان البيت والقافية عند الشاعر العربي ، يقصد بها إلى الانفلات من عدد التفعيلات المحدد وإلى التنوع في نظام القافية .

ولو استقرينا الشعر العربي بكل أشكاله وألوانه قديماً وحديثاً ، لرأينا أنه لم يخرج على هذه الوحدة الأساسية التي وضعها (الخليل) — التفعيلة — سواء ما كان منها في الموشحات (أو غيرها والتي تمثل القمة المتطورة لسلم (المزدوجات) و (المثلثات) و (المربعات) الاعتيادية و (المخمسات) و (المسدسات) و (المسمطات) المتطورة بدورها عن (التصريع) والتقفية .. — في اغلب الظن — كبداية للشطرين بقافية موحدة . وقد عرف التصريع والتقفية منذ العصر الجاهلي في مطالع اصحاب المعلقات او القصائد المشهورات كقول امرىء القيس (من الطويل) :

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وطرفة بن العبد (من الطويل) :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وزهير بن أبي سلمى (من الطويل)

أمن أمِّ أوفى دمنة لم تكلّم ... بحومانة الدرّاج فالمتثلّم

ولبيد بن ربيعة العامري (من الكامل)

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبّد غولها فرجامها

وعنترة بن شداد العبسي (من الكامل)

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

والحارث بن حلزة اليشكري (من الخفيف)

آذنتنا ببينها أسماء ... ربّ ثاو يمل منه الثواء

وعمرو بن كلثوم التغلبي (من الوافر)

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الاندرينا

والاعشى ميمون بن قيس الوائلي (من البسيط)

ودعّ هريرة أن الركب مرتحل		وهل تطيق وداعاً أيهــا الرجل

والنابغة الذبياني من (البسيط) :

يادار مية بالعلياء فالســـــند		أقوت وطال عليها سالف الأبد

فتطور من نظام الشطرين إلى الثلاثة فالأربعة فالخمسة فالستة فالموشحات التي تمثل القمة في نظام الاشطر وتنوع القوافي والأوزان . حيث تنظم هذه الفنون جميعها على أبحر معروفة من أبحر الخليل ، أو على أساس معين من نظام الأشطر والأبيات التي تنتهي بنهايات متعارفة .

وكذلك ما كان في الأوزان التي شاعت بين العامة في العصر العباسي نتيجة لاختلاط الشعوب وتطور الحياة الاجتماعية ، أي ما يمكن أن نسميه بالشعر الشعبي كـ(المواليا) : التي منها (الموّال) المعروف في الأُغنيات الحزينة — غالباً — والتي قيل عن نشأتها أنها ترجع إلى (أيام نكبة البرامكة) ورثائهم من قبل جارية لهم على وزن يقرب من (البسيط) حيث كانت تقول بعده (يامواليا) ، وتحرر شيئاً فشيئاً من الاعراب ، ودخله اللحن والألفاظ العامية (١)

و (الكان والكان) : الذي هو تحلل من قواعد الاعراب — أيضاً — ووزنه قريب من (المجتث) مع مخالفة الشطر الثاني الأول بشبه (مجزوء الرجز) ودخول عبارة (كن وكان) رواية للتأريخ والسير ضمن مواعظ وحكم .

و (القوما) : الذي هو كأخويه في التحلل من الاعراب ، ووزنه مستفعلن فعلان) وهو قريب من (مجزوء الرجز) أيضاً ، ويقال عن سبب التسمية أنها جائية من قول المسحّر (قوما نسحر قوما) .

---

(١) والذي يؤكد هذا المعنى أن وزن الموال العراقي— أو الدارمي — يقرب من (البسيط) ويغلب عليه طابع الحزن والاجتواء . كقول الشاعر :

هاك ابره هاك الخيط خوى ارد اكلفك		ومسرد الدلال شله اعل عرفك

وأجيب عنهبردود طريفة سلباً وايجاباً نذكر منها الرد الايجابي :

خذت ابره اخذت الخيط هاردت اشله		بس نفذه بي سويت انهرت كله

أو (الدوبيت): الذي دخل العربية لاختلاط العرب بالأمم الأعجمية الداخلة في الإسلام ، والمعروف عنه أنه (فارسي) الأصل ، كما يوحي بذلك اسمه ، وشطره : (فعلن متفاعلن فعولن فعلن) وبتكراره (أربع) مرات يحصل (بيتان)وهو معنى الدوبيت بالفارسية ، إذ أن (دو) : اثنان ، و (بيت) : البيت الشعري العربي المعروف ، والأصل فيه أن لايدخله اللحن .(١) غير أن الدكتور مصطفى جواد يرى ان لـ (الابوذية) صلة وثيقة به حيث يصور تطور اللفظة بالشكل الآتي : إن العامة حولت (دوبيت) إلى (ذوبيت) — بالذال المعجمة — ثم أصبحت (بيت ذو) عن طريق القلب المكاني ، ثم تطورت إلى (أبوذية) ، (٢) وليس مستبعداً هذا التطور اللغوي في التسمية لو كان وزن (الابوذية) نفس وزن (الدوبيت) .

ومهما قيل عن (البند) أو (الشعر الحر) فهما يخضعان لهذا الأساس نفسه من (نظام التفعيلة) مع تطور طبيعي لحركة الشعر العربي المستمرة .

فالبند : عبارة عن تكرار تفعيلة (مفاعيلن) أو (فاعلاتن) منفردتين في مقطوعات شعرية ، أو ممزوجتين معاً ، لتقارب وزنيهما في موسيقى بحر (الهزج) وبحر (الرمل) ، إذ بتقديم السبب الأخير من (مفاعيلن) تصبح (لن مفاعي) أو بتأخير السبب المتقدم من (فاعلاتن) تصبح (علاتن فا) وهما بوزن واحد . وأرى أن للبند علاقة ما(بالإغرام) : الذي يتم فيه البيت بتفعيلاته المحددة دون أن تتم الكلمة ، فيدوّر جزؤها الباقي بعد القافية إلى بداية البيت التالي ، وهكذا .ولا سيما أنه يبدو محدثا ،إذ لم يعرف في شعر العرب وإنما يتعمده المحدثون — كما يقول أبو العلاء المعري — وذلك كقول الشاعر من (الهزج) وتفعيلته (مفاعيلن) أحدى تفعيلتي (البند) المشار اليها :

أبا بكر لقد جاءتـ ـك من يحيى بن منصو
ر الكأس فخذها منـ ـه صرفا غير ممزو

(١) ينظر ميزان الذهب ص ١٤٤ .

(٢) ينظر فن التقطيع الشعري والقافية ص ٢٩١ ، كما سمعت هذا الرأي منه — رحمه الله — مشافهة .

جـــــة جـــنّـبـلـــك الله أبـــا بكر مـــــن الســـــو

وقد شاع فن (البند) في وسط العراق وجنوبه في الفترة المظلمة حتى نهضة الشعر الحديث ،وفي الأوساط الدينية خاصة ، ويرى الأُستاذ السيد مصطفى جمال الدين أنّ (الشعر الحر) امتداد لهذا اللون الشعري المذكور إذ كل منهما تحرر من(نظام الشطرين) (٢) .

والذي يقوي هذا الرأي ويدعمه أن أحد روّاد الشعر الحديث (بدر شاكر السياب) هو من قرية (جيكور) جنوبي العراق، وقد ولد فيها سنة ١٩٢٦م وهو من البيئة التي تركز فيها (فن البند) وبقيت موسيقاه في أوساطها الأدبية ما يقرب من ثلاثة قرون نابضة متدفقة في كتابات الادباء والشعراء في رسائلهم الاخوانية ،وفي مديح النبي وأهل بيته — عليهم السلام — وما إلى ذلك من أغراض شاعت في تلك الفترة (٣) .

وهذا نموذج من (البند) للسيد محمد القزويني المتوفى سنة (١٣٢٥ هـ) أرسله لابن أخيه (ذاكراً فيه اسم هذا الفن) :

« ومن أعمامك الغر
أخذت الطرف الأعلى من الفخر
فلا زال لك التوفيق من بارئك الحق رفيقاً
ويا دام لك الفضل كما كان لأسلافك أهل العز والمجد طريقا

(١)ينظر عن (الاغرام) (فن التقطيع الشعري و القافية) ص٤٦٧ وقد نقل الدكتور صفاء خلوصي شيئا منه عن الفصول و الغابات) للمعري ص ٤٤٥ .

(٢)ينظر(الايقاع في الشعر العربي) موضوع (البند) وموضوع (الشعر الحر) م-ا .

(٣)على أننا يجب أن لا نغفل تاثير الشعر الغربي وموسيقاه على شعرنا الحديث بشرط عد المبالغة و المغالاة ،حيث يبالغ(س.موريه) في كتابة(حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث)ص ١٠ بقوله:((وتحت تاثير الغرب حاول بعض الشعراء العرب أن يقدموا معجما شعريا واستعارات وموضوعات جديدة وأن يكتشفوا أشكالا وموسيقى جديدة تناسبهم لكي يكونوا قادرين على تجنب ما اعتبروه اسلوبا استعباديا ونغمة رنانة وخطابية من جانب الشعر العربي التقليدي)) .

وفي هذا بلوناك
وفي صحة ما قد طرق الأسماع ذا اليوم امتحناك
فأرسلنا اليك (البند) اكراماً وتبجيلا
لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » (١) .

و (الشعر الحر) : تكرار تفعيلات تزيد على (تفعيلتي البند) المذكورتين : (مفاعيلن) و (فاعلاتن) بتفعيلات أخر استسيغت من موسيقى (البحور الصافية) غالباً مثل (متفاعلن) من الكامل و (مفاعلتن) من الوافر و (مستفعلن) من الرجز و (فعولن) من المتقارب و (فعلن) من المتدارك ، بالاضافة إلى ما ذكرناه من تفعيلتي الهزج والمديد المتقدمين ، مع التزام بنظام العلل والزحافات التي تقتضيها هذه التفعيلات في نظام بحورها ، ولاسيما في التفعيلات التي تكون فيها القافية أو تحل محلها . (٢) أو بالأحرى التزام بالموسيقى العربية المستساغة في تطوير هذه التفعيلات في الحشوات أو في نهايات الأشطر الموسيقية (الفاصلة) بين شطر وآخر — القوافي — .

والجديد في موسيقى (الشعر الحر) أنه — كالبند — لايلتزم فيه بنظام الشطرين ولا الأشطر المحددة ، ولا القوافي بمكانها (المتوقع) في نهاية كل بيت ، بل قد يكتفى بتفعيلة واحدة ، أو بعض تفعيلة ، وتكون (شطراً) أو (بيتاً) إن شئت كما في قصيدة (انشودة المطر) للسياب :

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
....
كأن أقواس السحاب تشرب الغيوم
وقطرة فقطرة تذوب في المطر

---

(١) البند في الادب العربي تاريخه ونصوصه ، ص ١١٣ .
(٢) ينظر قضايا الشعر المعاصر ، لنازك الملائكة في ضرورة الالتزام بنفس العلل والزحافات المستساغة في بحور الخليل . المشاكل الفرعية في الشعر الحر ، ٧٠–١١٤).

وكركر الأطفال في عرائش الكروم
ودغدغت صمت العصافير على الشجر
إنشودة المطر
مطر
مطر
مطر
تثاءب المساء والغيوم ماتزال
تسح ما تسح من دموعها الثقال .(١)

وقد لاتذكر القافية ،ويعوض عنها ،وعن موسيقى البيت التقليدي المعروف بموسيقى داخلية انسيابية متمازجة مع الصور والرؤيا الجديدة للقصيدة العربية .وهذا مايجعل بعض الشعراء المحدثين المبدعين أن يحلقوا في رؤياهم الشعرية على أجنحة نغمية ساحرة دون حدود أو قيود ،وأن يأتوا بفواصل موسيقية (غير متوقعة)تهزّ وجدان القارىء أو السامع ، ويكون التفعيلات إذ ذاك منسجماً مع التدفق الموسيقي لنفسية الشاعر وأحاسيسه لحظة تفجر عواطفه ومعاناته ،بعكس ما لو كان في نظام (البيت) فقد يكون مضطرا إلى (حشوات) سمجة واهية تذهب بروعته ،وتهبط من مستواه الشعري .وهذه الناحية من مبررات وجود (الشعر الحر) المهمة على أن بعض الحشوات الذكية ، قد تكون من مواطن الجودة والابداع في الشعر العمودي التقليدي التي لايحضى بها (الشعر الحديث)نتيجة لذلك الالتزام الموسيقي المحدد .وهذا ما يعرض له في كتب النقد والبلاغة العربية وقد يستشهد لذلك بقول الشاعر :

إن الثمانين — وبلغتها — قـد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وأجاد فيها كثيراً عباقرة الشعر العمودي كالمتنبي قديماً والجواهري حديثاً وما بينهما وقبلهما من قمم عمودية راسية .

---

(١) انشودة المطر–الديوان (القصيدة) . وهي قائمة على تفعيلة (مستفعلن) وجوازاتها .

ونلخص بعد هذا العرض السريع (لموسيقى الشعر العربي وعروضه) عبر حركات التجديد الشعرية في مختلف العصور والأجيال إلى وجود وحدة قياسية هي (التفعيلة) : الوحدة الايقاعية التي يقوم عليها ميزان الشعر العربي بكل أشكاله والوانه : من نظام البيت – نظام الشطرين – إلى نظام الأشطر المزدوجة ، والمثلثة ، والمربعة ، والمخمسة ، والمسدسة ، والمسمطة ، والموشحة : المتنوعة القوافي ، وحتى حركة التحرر من نظام الأشطر (المحددة) والقوافي (المتوقعة) في حركتي : (البند) و (الشعر الحر) وإلى ما يستجد من حركات في مستقبل الشعر العربي التي تقوم على هذا الأساس وتنطلق هذا المنطلق .

وقد جرت محاولات حديثة لتيسير (علم العروض) وتخليصه من جملة من المشكلات ، نظير ماحدث في محاولات تيسير النحو العربي ، وقد حققت هذه المحاولات قدراً لابأس به من التسهيل . ومن هذه المحاولات المحدثة الجيدة محاولة الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه (موسيقى الشعر)، ومحاولة السيد مصطفى جمال الدين في كتابه (الايقاع في الشعر العربي) وقد نقدا – بتوال – نظام الدوائر الذي قام عليه علم العروض باعتبارها فرضية أكثر منها واقعية والحق معهما ، وإن كان فيها ما يساعد على تقنين المعلومات وتنسيقها ، لاسيما في صدق طائفة من مصطلحاتها على دلالاتها اللغوية والايقاعية + لكن (الدوائر) هذه هي التي جرّت (الدوائر) على هذا العلم عموماً ، وأكثرت من مصطلحاته ورموزه وألغازه في محاولة لتصحيح الفرضيات والاحتمالات الوهمية وتبريرها . وذلك باختراع علل وزحافات تبرر انتماء هذا البحر أو ذاك إلى هذه الدائرة أو تلك .

فقد اعتبر البحر (المديد) – مثلاً – من الدائرة الأولى (دائرة المختلف) المتكونة من أربع تفعيلات في حين أنه متكون في الواقع من ثلاث تفعيلات كما نظمه الصفي الحلي بقوله :

لمديـد الشعـــر عنـدي صفات　　فاعلاتن فاعلـــن فاعـــلات

واعتبر (الهزج) من الدائرة الثالثة (دائرة المجتلب) وهي متكونة من ثلاث تفعيلات في حين أن واقع الهزج من تفعيلتين فقط ، وقد نظمه الصفي بقوله :

على الاهـــزاج تسهيـــل　　مفاعيـــلن مفاعيـــل

+عرضنا لهذه الدلالات في محاضرة ألقيت في قاعة نقابة المعلمين بالموصل بعنوان (ملاحظات حول علم العروض) في مايس ١٩٧٥ م

ولذلك اعتبر هذان البحران (مجزوءين وجوبا) .

واعتبر (الوافر) من الدائرة الثانية (دائرة المؤتلف) لكن ضربه التام (مقطوف وجوبا) أي تكون تفعيلاته كالتي نظمها الصفي بقوله :

بحور الشعر وافرهـــا جميل مفاعلـــتن مفاعلـــتن فعول

ولتبرير هذا يقول العروضيون أن أصل (فعول)(مفاعل)،ومفاعل جائية من (مفاعلتن) وقد طرأ عليها ما أسموه بالعلّة المزدوجة (القطف): التي هي عبارة عن (الحذف) زائدا (العصب) .وهكذا تكثر المصطلحات المناسبة وغير المناسبة في مثل هذه التبريرات .

وقد اقترح الدكتور صفاء خلوصي ومصطفى جمال الدين اقتراحات تقضي بدمج كثير من هذه المصطلحات المتقاربة في الدلالة وتوحيدها تسهيلا وتيسيراً للمتعلمين .كما عالج الدكتور ابراهيم أنيس والدكتور صفاء خلوصي (فن التقطيع) على الطريقة الافرنجية الخاضعة للدراسات الصوتية الحديثة وهي طريقة المقاطع (القصيرة)أو (المتوسطة والطويلة).التي اصطلح فيها على أن يكون المقطع القصير ركزة (ب) والمقطع المتوسط والطويل خطيطاً أفقيا(—) أي يرمز بالركزة للحرف المتحرك الواحد ،مثل (أ) ويرمز بالخطيط الأُفقي للحرف المتحرك والساكن الذي يليه مثل (قد) أو (لا) ،وهي فيما يبدو مفادة من الخط البياني الذي يرسمه الجهاز الصوتي المتكسر قمما وسفوحاً وبين كل قمة وقمة مقطع صوتي مقيس بمقدار ضغطه وزمن تردده .وقد تكفلت الدراسات الصوتية الحديثة بتوضيح هذا ،كما بسط في كتابي الدكتور ابراهيم أنيس (موسيقى الشعر) و (الأصوات اللغوية) .

ولكن هذه الطريقة أوالتي ابتدعها الدكتور محمد طارق الكاتب في محاولته الرياضية بادخـــال علم العروض في العقل الالكتروني — فيماأرى — تخدم العين والعقل أكبر من خدمتها الاذن ،وعلم العروض بحاجةإلى تربية (الاذن الموسيقية) في نفس المتعلم . وقد رأيتوانا ادرّس العروض في جامعة الموصل — أن أجرب طريقة (النقرة)بالاضافة اليها ،وهي الطريقة التي اهتدى

بها الخليل نفسه إلى هذا العلم ،وقد رمزت إلى (السبب) الخفيف بضربة واحدة وإلى (الوتد المجموع) بضربتين متتاليتين ،وجميع (التفعيلات) عبارة عن(سبب ووتد) ليس الا ، متسامحاً في السبب الثقيل والوتد المفروق — لندرتهما حيث يمكن أن نرمز الى السببين (الثقيل والخفيف)في تفعيلتي (متفاعلن مفاعلتن) بثلاث ضربات متوالية سريعة ،وإلى تفعيلة (مفعولات) بثلاث ضربات — أيضاً — غير سريعة ،باعتبارها متكونة من ثلاثة أسباب مع اطالة الضربة الأخيرة على موضع الضرب أو بنصف ضربة لاظهار الحرف السابع. وقد نجحت نجاحاً مازلت أحسه في نفوس الطلبة وأقرأه في وجوههم وهي فكرة بسيطة للغاية ، قد تطور لو تتاح لها فرصة اخضاع (علم العروض) للتجارب الصوتية في الأجهزة والمختبرات المعدة لها .

المراجع حسب ورودها في المقالة

١. معالم الموسيقى العربية ، لنسيب الاختيار ، المكتبة العصرية بيروت ١٩٥٣م

٢. موسيقى الشعر ، للدكتور أنيس ط . مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٢م .

٣. المكتبة العربية ، للدكتور عزة حسن ، (ط. دمشق ١٩٧٠م) .

٤. مصادر التراث العربي ، للدكتور عمر الدقاق ، ط . المكتبة العربية ، حلب ١٩٦٨م .

٥. المعاجم العربية مع آعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد ، للدكتور عبدالله درويش ، مط . الرسالة القاهرة ١٩٥٦ .

٧. عبقري من البصرة ، للدكتور مهدي المخزومي ،نشر وزارة الإعلام ١٩٧٢م .

٨. فن التقطيع الشعري والقافية ، للدكتور صفاء خلوصي ، ط٣ بيروت ١٩٦٦ .

٩. ميزان الذهب ، للسيد أحمد الهاشمي ، ط ١٢ ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٩٥٨ .
١٠. الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة ، للسيد مصطفى جمال الدين ، مط ، النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٧٠ .
١١. البند في الأدب العربي تاريخه ونصوصه ، لعبدالكريم الدجيلي ، ط . بغداد ١٩٥٩ م .
١٢. مجلة الأستاذ ، مجلد ١٥ ، لسنة ١٩٦٩ م .
١٣. مجلة الكتاب ، العدد ٩ ، لسنة ١٩٧٤ م .
١٤. حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث ل (س . موريه) ترجمة سعد مصلوح القاهرة ١٩٦٩ م .
١٥. مختار الصلح ، للإمام الرازي ، ط. بيروت ١٩٧٢م .
١٦. قضايا الشعر المعاصر ، لنازك الملائكة ، بيروت ١٩٦٢ م .
١٧. أنشودة المطر لبدر شاكر السياب ، ط. دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٩ .
١٨. الأصوات اللغوية ، للدكتور ابراهيم أنيس ، القاهرة ١٩٦١ م .

محمد علي هادي الحسيني
مدرس مساعد — قسم اللغة العربية
كلية الآداب — جامعة الموصل

دراسة تحليلية في همزتي إنّ وأنّ

عبدالوهاب محمدعلي العدواني

— القسم الأول —

يشكل علينا آستعمال : (إنّ وأنّ) في أغلب الأحيان، فيقع الخطأ موقع الصواب ، والفتح موضع الكسر ، ويحدث آلعكس أيضاً ، ولا يمثل في أذهاننا في بعض ذلك وجه قاطع لاستعمال أية واحدة من هاتين الأداتين ، من هنا وجدت المسألة محتاجة إلى بحث جامع يحدّها ، ويكشف دقائقها ، بعد أن آستفاض الوهم فيها ، فاعترى كلام الخاصة بله آلعامة ، على أن معرفتها تتعين على الكافة ، لأنها ليست من قبيل الوجوب الكفائي كما يقول الأصوليون ، وبخاصة إذا عرفنا أن النصوص الصحيحة — مقروءةً ومكتوبةً — تقتضي بطبيعتها مقاييس ثابتة مستمدة من ضوابط النحو واللغة ، وما يقدمه هذا البحث من عرض نقدي فاحص ورصد شامل سيضع أيدينا على حقائق متعددة أغفلناها ، أو غفلنا عنها ، مع كونها جوهرية وموضوعية ، والدرس النحوي الجديد ضمين بأن يقدّم لنا كثيراً من الفسر والتحليل في مسائل ، آستقر لدينا أنها من جملة مانضج وآحترق من هذا النحو العربي المتسع آلمتداخل ، وواقع الأمر ليس كذلك ، وهذه الدراسة طرف من البصر النحوي ، لاتسلم لكل ماقاله النحاة القدماء، بل إن لها أن تقول في موضوعها شيئاً ما أيضاً.

قرر النحاة للهمزة في : (إنّ وأنّ) ثلاثة أحوال :

١ – وجوب الكسر .

٢ – وجوب الفتح .

٣ – جواز الوجهين .

وإدراك أسرار هذه الوجوه يساعدنا على إجراء هذا الحرف مجراه الصحيح في ضوء عرف عام ، أوجزه الزمخشري بقوله : «والذي يميز بين موقعيهما أنّ ما كان مظنة للجملة ، وقعت فيه المكسورة ، كقولك مفتتحا : إنّ زيداً منطلقٌ ،... وما كان مظنة للمفرد ، وقعت فيه المفتوحة نحو مكان الفاعل، ...ومن المواضع مايحتمل المفرد والجملة ،فيجوز فيه إيقاع أيتهما شئت(١)»، وقال ابن مالك : « يستدام كسر (إنّ) مالم تؤول هي ومعمولها بمصدر ،فإن لزم التأويل ، لزم الفتح ، وإلا فوجهان(٢)» ، ونظير هذا قول ابن هشام : «تتعين (إنّ) المكسورة حين لايجوز أن يسدّ المصدر مسدّها ومسدّ معموليها ، و(أنّ) المفتوحة حيث يجب ذلك ، ويجوزان إنْ صح الإعتباران(٣)» وعلى هذا يكون المعنى وطبيعة التركيب هما المحكمين في تحديد نوع الإستعمال وأداته ، إذ الجملة باقية مع المكسورة على فائدتها المركبة من مجموعة دلالات لفظية مجردة مترابطة ترابطاً نظامياً إسنادياً ، وهي مع المفتوحة في حكم المفرد(٤) بدلالته المجردة المفردة الواحدة .

* * *

إن الضابط المتقدم الذي أقره النحاة ، ولخصه ابن مالك في بيت ألفيّته :

---

(١) المفصل : (بيروت ١٣٢٣هـ) –/٢٩٣ – ٢٩٤ .

(٢) تسهيل الفوائد : (القاهرة ١٩٦٧) –/٦٢ .

(٣) أوضح المسالك : (القاهرة ١٩٦٧) – ٣٣٣/١ .

(٤) شرح ابن القواس على كافية ابن الحاجب :(مخطوطة الاسكوريال ، رقم ٨٩، ٩٠)–٢/ اللوحة ٢١٨ – ٢١٩ .والكتاب أصل رسالة، يعدها الكاتب للحصول على الدكتوراه من جامعة القاهرة .

وهمزَ (أنّ) آفتح لسدّ مصدرِ
مسدّهـا ، وفي سوى ذاك آكسِرِ (٥)

رآه أبو حيان الأندلسي في كلامه على هذا البيت قانوناً كلياً - كما سماه - ليس بصحيح على الإطلاق . لأنها تفتح حيث لايسد المصدر مسدّها أيضاً في المواضع الآتية :

الأول : بعد (ما) التوقيتية ، في مثل قولهم : (أصحبك ما أنّ في السماء نجماً) .

الثاني : بعد (ظنّ) وأخواتها ، إذ لايصح عند سيبويه أن تقول : (ظننت قيام زيد) ، في موضع : (ظننتُ أنّ زيداً قائم) .

الثالث : أن يكون خبرها جامداً ، نحو : (عرفت أنّ هذا حجر) .

الرابع : بعد(لو)، نحو : (لو أنّ زيداً قائم لقمت) ، ولايصحّ : (لو قيام زيد لقمت)(٦)

وسنعود على هذه المواضع بالتفصيل فيما نستقبل من هذا البحث .

* * *

تقدمت الإشارة إلى أن المكسورة مع معموليها مستقلة بفائدتها ، ويؤكد آبن الحاجب : أنها لاتغير معنى الجملة (٧) ، تقول : (إنّ زيداً منطلق) وتسكت كما تسكت على : (زيد منطلق)(٨) ، ويُفهم من هذا : أنّ الجملة بعدها لاتجيء بحيث تكون محلاً لأثر عامل ، أياً كان من آلعوامل ، خلافاً للمفتوحة التي تأتي في صدر جملة إسمية ، تقبل تأثير هذا آلعامل،وفي ضوء هذا آلترابط يتكامل المعنى ، وتستقر الدلالة ، بعد أن تنقلب الجملةمعنىً وحكماً إلى (مفرد عرفي) ، يسميه النحاة : (المصدر المؤول) ، وهميعدّون الأداة فيه موصولاً حرفياً ، لابدّ له من صلة ، كما أنّ العامل الذي يسبق

(٥) الألفية : (ضمن : مجموع المتون الكبير ، القاهرة ١٣٤٦هـ) -/٢٤٢ .
(٦) منهج السالك في الكلام على ألفية آبن مالك :(نيوهافن ١٩٤٧) -/٧٤ ، وسنشير إليه : شرح أبي حيان ، لئلا يشتبه على القارىء بشرح الأشموني : منهج السالك .
(٧) الكافية : (استانبول ١٣٠٥هـ)-- /٣٣.
(٨) المفصل / ٢٩٣ .

هذه الجملة ضميم – كما سماه الزمخشري – لابدّ منه (٩) ، تقول : (بلغني أنّ زيداً منطلق ، وحقّ أنّ زيداً منطلق) ، وهذه الجملة المتكاملة من الأداة واسمها وخبرها مفتقرة بالضرورة إلى شيء تتعلق به ، ولا تستقل عنه ، فصدروها بأنواع مختلفة من العوامل ، قال ابن الخشاب : « المفتوحة مع اسمها وخبرها في تقدير مفرد محكوم له بوجوه الإعراب التي تتناول المفردات ، ولهذا اعتُبِرَت أن يحسن في موضعها – إذا حُذفت مع معموليها – : (ذاك) ، أي : هذه اللفظة ، إذا قلت : (علمتُ أنك منطلق) ، تضع مكان أنّ ومعموليها : ذاك ، فتقول : (بلغني ذاك) ، فيكون كلاماً صحيحاً . وكشف هذا التعليل.. . بوضع ذاك موضعها : أنها مع اسمها وخبرها في تقدير مصدر ، والمصدر : اسم مفرد ، ولهذا وقعت : فاعلةً ومفعولةً ومجرورة »(١٠) ، وقوله : «المصدر اسم مفرد»: إشارة إلى أنه يؤدي دلالة غير مركبة كعامة المفردات اللغوية ، ولا يتسع لأكثر من معنى الحدث المستمر المركوز فيه ، إذا علمنا أنّ لكل لفظ من هذا القبيل دلالتين ، الأولى : أصلية ، وهي مطلق معناه ، والثانية : تابعة ، وهي معناه من خلال موضعه في كلام ما ، وهو قد يقرب من المعنى الأول ، أو يختلف عنه قليلاً أو كثيراً ، فالانطلاق : حدَث عام ، لايخرج من هذه الصفة إلى الخصوص والتقييد إلا في معارض النظوم الكلامية المختلفة ، وفيها تكون الدلالة بالتركيب تامة مفيدة مستقلة بمعناها الذي يحسن السكوت عليه ، فكان أن تقدم على المصدر – صريحاً ومؤولاً – مايتطلبه في أية جملة من الجمل ، كأن تقول : (بلغني انطلاقك ، أو : أنك منطلق ، وعرفت انطلاقك ، أو : أنك منطلق ، وعجبت من انطلاقك ، أو : من أنك منطلق) ، ومكسورة الهمزة في عدم احتياجها إلى شيء من هذه العوامل تختلف اختلافاً أولياً عن المفتوحة ، نظراً إلى استقلال جملتها فائدة ومعنى ، ولا يبقى فرق بين قولك: (إنّ زيداً

---

(٩) م . ن /٢٩٣ .

(١٠) المرتجل في شرح الجمل : (مكتوب على الآلة الكاتبة ، رسالة ماجستير – جامعة القاهرة ١٩٧٢) – /٢١٨ . وانظر : كتاب سيبويه : (القاهرة ١٣١٦هـ) – ١/٤٦١ . معاني القران للاخفش الاوسط : (مخطوطة مكتبة استانة قدس ، مدينة مشهد : رقم ٣ : ٦٩ ، ٢٢٠)/او ٤٧ ظ ، عن رسالة الاستاذ : عبدالامير محمدامين الورد : منهج الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية : (بيروت ١٩٧٥) – /٣٣٦ .

منطلق ، وبين : زيدٌ منطلق) إلا معنى التوكيد ، ولذا صحَّ أن تقع في صدر صلة الموصول في مثل قوله تعالى : «وآتيناهُ من الكنوزِ ما إنَّ مفاتِحَه لتنوء بالعُصبةِ أُولي القوة» (١١) خلافاً للأخرى في قلبها معنى الجملة إلى الإفراد، ومن وهم النحاة اعتبار جملتها في حكم المصدر المؤكد، ولولا إرادة التأكيد بها عندهم ، لكان المصدر أحق بالموضع منها كما نفهم من كلام ابن يعيش (١٢) ، وعندي في إفادتها التأكيد رأي، سأعرض لشرحه فيما بعد .

* * *

تبين لنا أن بعض النحاة يظن مفتوحة الهمزة فرعاً على المكسورة في نظر سيبويه (١٣) والمبرد (١٤) وابن السّراج (١٥) ، لأنهم قالوا في : (إنَّ وأخواتها) : (الحروف الخمسة) ، ولم يعدّوا المفتوحة للسبب المشار إليه، وهو مذهب الفراء أيضاً ، وقيل : العكس (١٦) ، وقد رجح ابن أُم قاسم المرادي الرأي الأول ، وأكد صحته بما يأتي :

١ – الكلام مع المكسورة جملة غير مؤولة بمفرد ، بخلاف المفتوحة ، والأصل : أن يكون المنطوق به جملة من كل وجه ، أو مفرداً من كل وجه .

٢ – المكسورة مستغنية بمعموليها عن زيادة بخلاف المفتوحة .

٣ – المفتوحة تصير مكسورة بحذف ما تتعلق به ، كقولك : (عرفت أنك برٌّ : إنّكَ برٌّ) ، ولا تصير المكسورة مفتوحة إلا بزيادة ، و المرجوع إليه بحذف : أصلٌ .

---

(١١) القصص ، الآية ٧٦ .

(١٢) شرح المفصل : (القاهرة . غير مؤرخ) –٨/٥٩ .

(١٣) الكتاب ١/٢٧٩ .

(١٤) المقتضب : (القاهرة ١٩٦٣ – ٦٨) – ٤/١٠٧.

(١٥) الأصول في النحو : (النجف ١٩٧٣) – ١/٢٧٧. والموجز في النحو :(بيروت ١٩٦٥) – / ٣٧ .

(١٦) الجنى الداني في حروف المعاني : (مكتوب على الآلة الكاتبة ، رسالة ماجستير –جامعة بغداد ١٩٧١) – /٣٦٤ .

٤ — المكسورة تفيد معنى واحداً ، وهو التوكيد ، والمفتوحة تفيده ، وتعلق ما بعدها بما قبلها ، فكانت فرعاً .

٥ — المكسورة أشبه بالفعل ، لأنها عاملة غير معمولة ،كما هو أصل الفعل.

٦ — المكسورة كلمة مستقلة ، والمفتوحة كبعض آسم (١٧) .

وهذه الإشارات التقويمية تضع أيدينا على طبيعة كل واحدة من هاتين الأداتين ،ومن أبرزها المشابهة الإستعمالية بين المكسورة وبين الفعل من حيث وضعهما في التراكيب وآستقلالهما المعنوي وأثرهما الإعرابي ، والمفتوحة كالمصدر ، ينصب عاملاً وينتصب معمولاً ، كما في قولنا : (درساً الدرس) ، ومن ثم لايتحقق لها آستقلال معنوي ، يرفعها إلى درجة المكسورة قوة وتأثيراً .

* * *

حمل النحاة على الربط بين (إنّ وأنّ) تقديرهم لشكلهما الكتابي الواحد، وإهمالهم وظيفة كل منهما مستقلة عن قسيمتها ، وهم قد قرروا — كماقدمنا — : أنّ المفتوحة مع معموليها مختصة بحكم إعرابي مساوٍ لحكم المصدر المساوي لها في الدلالة ، وليست كالمكسورة التي تؤكد الجملة الاسمية توكيداً محضاً، وهي ليست حرفاً مصدرياً (١٨) ، لأنهما حرفان مختلفان كل الاختلاف، قال الكنغراوي : «إنّ : لتحقيق مضمون الجملة ، وأنّ : لتأويلها بالمصدر »(١٩) ليس غير ، وحين نعمد إلى إثبات ما رأيناه ، لانجهل أن منطق اللغة يرتب علينا الاخلاص لمقتضيات العفوية اللغوية مجردة من تدخل العقل والفلسفة ، لما بين هذين المنطقين من التعارض الواضح ، لكي يكون الفكر النحوي قائماً في أرضه الخالصة ، ولكن الواقع جافى هذا الفرض ، وخالفه مخالفة كبيرة ، فلا ننكر — اليوم — مافي نحونا من سمات عقلية مشهودة، ونحن حين نتناول مسألة التوكيد بـ : (إنّ وأنّ) مسوقون إلى دائرة العقل

(١٧) م.ن / ٣٦٤ — ٣٦٥ .

(١٨) دراسات نقدية في النحو العربي : (القاهرة ١٩٥٧) — ١/١٩٢ .

(١٩) الموفي في النحو الكوفي : (دمشق ١٩٥١) ، مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٢٦ / ٤٠٨ .

بالضرورة ، معتبرين هذا المسلك منهجاً من مناهج البحث ، التي لايمكن الإغضاء عنها أو الفكاك منها .

يقول البصريون : إنّ : مؤكدة للجملة ، واللام مؤكدة للخبر (٢٠) في مثل قوله تعالى : «فإنّ الله لغنيٌ حميد» (٢١) ، لأننا لانحتاج بأي وجه من الوجوه إلى توكيد الموجود الواجب الوجود سبحانه وتعالى ، واللام آتية لتؤكد لنا أنه غنيٌ ومحمود بذاته ، وقد صح الجمع بين أداتي التوكيد هاتين ، لتباين في طبيعة كل واحدة منهما عن الأخرى غاية وعملاً ، فلا يخفى علينا أن في الآية ونظائرها من الكلام تأكيدين :

الأول : توكيد مضمونها كاملاً بالحرف العامل معنى وإعراباً، وهذا أمر لامشاحة فيه .

الثاني : توكيد جزئها القائم بمعناه اللغوي المفرد ، وهو الخبر المسند تحقيقاً إلى الأسم بواسطة اللام .

فإذا قيل : كيف يكون لـ : (إنّ) توكيد المضمون كاملاً ، وهي معلقة ممنوعة عن التسلط على الخبر بسبب وجود اللام قبله ؟

والجواب: أن اللام حققت الخبر وصفاً للاسم،والصفة عادة قائمة بالموصوف ، لأنها عَرَض من أعراضه ، وحين يتحقق وجود الشيء ، فالممكن عقلاً وواقعاً وجود أعراضه وصفاته (٢٢) أيضاً . ومن هنا لايتوقف أثر : (إنّ) عند حدود الأسم دون الخبر في الجملة،بل يتعدّاها إليه كذلك في المعنى- الذي هو التوكيد دون اللفظ ، وعلى هذا يكون التعليق حجباً للأثر الإعرابي الذي ينتظر من الأداة أن توقعه على طرفي الجملة اسماً وخبراً ، ولكنه بسبب وجود اللام يقع على الاسم فقط ، ولا ينال الخبر منه شيء ، بخلاف الإلغاء الذي هو ترك العمل لفظاً ومعنىً بلا مانع ، وإذا كانت الجملة الاسمية مستقرة عند العربي مبتدأ وخبراً ، فإن اجتماع اللام وإنّ المكسورة فيها ، يعطيها شيئاً

(٢٠) اللامات : (دمشق ١٩٦٩) -/٦٦ .

(٢١) ابراهيم ، الآية ٨ .

(٢٢) أنظر : التحقيق التام في علم الكلام : (القاهرة ١٩٣٩) - /٥٨ .

ويفقدها شيئاً آخر ، فالحرف المشبه بالفعل يحيلها عن صورتها الأولى ، فيكون فيها نصب ورفع وتوكيد سياقي عام ، كما يتحقق لها باللام توكيد رجعي ، يرتدّ بالخبر المسند ، فيجعله صفة مستقرة في المسند إليه ، فتقوى عناصر التركيب وتتشابك . وكان هذا ممكن الحصول لو لم يفترض منطق اللغة وناموسها الخاص عدم صحة اقتران اللام بأنّ المفتوحة في أية جملة من الجمل ، فتعذر اقترانهما أولاً ، ثم لم يكن للأداة المفتوحة من التوكيد ما للمكسورة ثانياً ، وهذا مانميل إليه مقتنعين .

إن الفيلسوف أبا نصر الفارابي حين فحص : (إنّ) المكسورة ، أشار إلى أنها من الحروف التي تقرن بالشيء ، فتدل على ثبوت وجوده و الوثوق بصحته ، كقولنا : (إنّ الله واحد ، وإنّ العالم متناهٍ) ، ولا يذكر المفتوحة لمثل هذا الغرض صراحة ، ولكنه في بعض كلامه ، يتناولهما معاً ، فيؤكد دلالة الأولى على معنى الثبات والدوام والكمال والوثاقة — على حد قوله — من الوجود ، ومن العلم بالشيء ، ثم يقول : «موضع : إنّ وأنّ في جميع الألسنة بيِّن ... من ذلك في اليونانية : (أُن وَأُوْن) وكلاهما تأكيد ، إلاأن : (أوْن) الثانية أشد تأكيداً ، فإنه دليل على الأكمل والأثبت والأدوم، فلذلك يسمون الله تعالى : بـ : (أوْن) ممدود الواو ... ، فإذا جعلوه لغير الله قالوها (أُن) مقصورة ، ولذلك تسمّي الفلاسفة الوجود الكامل : (إنّيّة) الشيء ، وهو بعينه ماهيته ...» ، وينتهي إلى أن الأداتين العربيتين لاتستعملان إلا في الإخبار دون السؤال (٢٤)، والإخبار مظنة لوقوع الشك فيه ،فاقتضى الموقف التأكيد المناسب لوضع المستخبر من خلو الذهن أو الشك أو الإنكار، وقد نقل عبدالقاهر الجرجاني : أن الكندي الفيلسوف قال : إني لأجدُ في كلام العرب حشواً ، فقيل له : في أي موضع وجدت ذلك ، فقال : أجد العرب يقولون : (عبدالله قائم) ، ثم يقولون :(إنّ عبدالله قائم) ، ثم يقولون

---

(٢٣) الألفاظ المستعملة في المنطق : (بيروت ١٩٦٨) —/ ٤٥ .

(٢٤) الحروف : (بيروت ١٩٦٩) —/ ٦١ .

: (إنَّ عبدالله لقائم) ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . فأجيب : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم : عبدالله قائم : إخبار عن قيامه ، وقولهم : إنَّ عبدالله قائم : جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : إنَّ عبدالله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرار المعاني (٢٥) ، والإستعمال الأخير عند الفرّاء لايقع إلا جواباً تحقيقاً بعد نفي على حد مانقله الزجاجي ، وقال : «كأن قائلاً قال : (مازيد قائم) ، فقلت : (إنَّ زيداً قائم)، فأدخلت (إنَّ) في كلامك تحقيقاً بأزاء (ما) النافية في كلامه ، فإن قال : (مازيد بقائم)، قلت: (إنَّ زيداً لقائم) ، فجعلت : (إنَّ) بإزاء : (ما)، واللام بإزاء الباء (٢٦) ، وهذه اللام هي التي سماها أبو جعفر النحاس : (لام التوكيد) ، ووصفها بقوله : «لاتكون إلا بعد إنَّ الشديدة المكسورة الهمزة ... ولايجوز فيها غير هذا ، لأنها تخفض الألف التي قبلها ، وترفع الخبر الذي بعدها»(٢٧) ،والألف المذكورة هي همزة (إنَّ) لاغير ، فلو كانت مفتوحة ، لتعذر قبول اللام في الجملة على وجه ماقدمنا ، ولاقتضت طبيعة المعنى وجود عامل تتعلق به الجملة بصورة من الصور ، فلا يظهر أثر للتوكيد ، ونسيج الجملة يدعونا إلى لمّ جزئيات متعددة ،لنجعل منها المفرد الفاعل ، أو المفعول به ،أو المضاف إليه ، فالأداة في سبيل هذا أشبه ماتكون بحروف المباني المعروفة ،التي تتكون منها المفردات اللغوية عامة ، فلا توكيد ولا تحقيق ، بل تأويل ووصل وبناء

* * *

في ضوء ماتقدم استقر لدينا أن هاتين الأداتين :(إنَّ وأنَّ) لاتتقاربان وظيفة على وجه التحقيق ، وإن كان ثمة من قرابة ،فهي بين المفتوحة منهما، وبين : (أنْ) الناصبة للمضارع ، وليس بين : (إنَّ وأنَّ) ، فالناصبة

(٢٥) دلائل الإعجاز : (القاهرة ١٣٣١هـ) – /١٦٩ .
(٢٦) اللامات /٦٠ .
(٢٧) رسالة في اللامات : (بغداد ١٩٧١) ، مجلة المورد ، مج ١٤٧/١ .

للمضارع مصدرية ، ومدخولها هو الجملة الفعلية ، وأنّ مصدرية أيضاً ، ومدخولها هو الجملة الاسمية ، وإشارة النحاة إلى التأكيد بالمفتوحة مخالفة للمفهوم من أفصح النصوص العربية ، إذ لم تفرق هذه النصوص من حيث درجة التوكيد بين عبارتي : (علمتُ بأنكَ مسافرٌ ، وعلمتُ بسفركَ) ، وإلا لوجب أن نقول : إن عبارة : (أُريد أن أُسافر) ، آكد من عبارة: (أُريد السفر) ، وما علمنا أحداً قال بهذا (٢٨) ،لعلمنا بتناظر هذين النوعين من المصادر حكماً ودلالة . وإذا قرأنا الاشارة الثالثة من إشارات المرادي المتقدمة أدركنا أن المفتوحة تصير مكسورة بحذف ماتتعلق به ، فقولك : (علمت أنك مسافر) ، لايؤدي دلالة أكبر من: (علمت سفرك) ،وليس في الجملة أي ملحظ للتوكيد ،مع إصرار بعض الباحثين على وجوده آقتناعاً بما يتلقاه في الدرس البلاغي ،وفي هذا إغفال للحاجة التي آقتضت وجود مفتوحة الهمزة صدراً في الجملة كما بيّنا آنفاً ،ولا يكون توكيد الجملة الاسمية بهذه الأداة إلا بعد إسقاط ما تتعلق به من آلعوامل، والتحول من فتح الهمزة إلى كسرها لزوماً ،وهذا آلتحول نقل للمضمون من الإفراد العرفي أو آلسبك أو التأويل إلى التركيب ، وبعبارة أُخرى : من المصدر إلى الجملة ، وتوكيد الجمل أمر معروف تدعو إليه ضرورات خاصة ، يهتم بها البلاغيون ، وإذا قلنا مؤكدين : (السفرَ السفرَ) ، أو : (عانيتُ السفرَ نفسَه) ، فإن هذا لا يُناظر المصدر المؤول : (أنك مسافر) مجرداً من آلعامل لفساد معناه وقصور دلالته ، فوجود عامله ضرورة لازمة لابد منها ، ولو أردناه كامل آلدلالة من غير عامـل كسرنا همزته ، وأخرجناه من الإفراد المعنوي العرفي إلى المضمون الإسنادي المركب ، وكسر الأداة يجعله خبراً طلبياً من الزاوية البلاغية ، وهو بلا أداة خبر آبتدائي لاوجه فيه للتوكيد (٢٩) ، فإذا قلت :

---

(٢٨) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : (بيروت ١٩٧٢)- ٢/٢٢ - ٢٣ ،الهامش

(٢٩) أنظر : المبسط في علوم البلاغة : (بيروت ١٩٦٢) - /٢٦ .

(عرفت أنك مسافر) ، أصبحت الأداة عنصراً أصيلاً في بناء المصدر ، وليست إضافة خارجية ، تطرأ على التركيب ، لتؤكده وتقويه ، كما تفعل (إنّ) المكسورة ، فالمصدرية إذن صفة لازمة للمفتوحة ، وحين نصرح بالمصدر المؤول ، فإن أداته لاتفيد توكيداً كما نقل المرادي عن بعض النحاة (٣٠) . فإذا كان احتمال كونها مؤكدة متوقفاً على عدم التصريح بالمصدر ، فإننا نرى السهيلي يقول : «أنّ المشددة إنما تؤول بالحديث على نحو قول سيبويه ، ويؤيده أن خبرها قد يكون اسماً محضاً ، نحو : (علمتُ أنّ الليث الأسد) ، وهذا لايشعر بالمصدر »(٣١) .

تعني إشارة السهيلي إلى التأويل بالحديث : توهُّم التأويل وافتراضه من الناحية المعنوية فقط ، مع بقاء الجملة على وضعها اللفظي المركب المعروف ، وهذا الوضع يجعلها تناظر المكسورة وظيفة وعملاً ، وتوهم تأويلها مع معموليها غير مقصود لذاته ، لأن دخولها على الجملة الاسمية لم يقع لتوكيد المصدر المؤول قصداً ، بل لتأكيد الإسناد بين الاسم والخبر ، إذ لو كان القصد تأكيد المصدر المؤول ، فإن الميل إلى الإقتصاد والإختصار يجعل المصدر الصريح أحرى بالإستعمال منه على ما فهمنا من ملحظ ابن يعيش فيما تقدم . ومن ثم فلا حاجة للإتيان بها عند الأغلبية إلا للتوكيد ، وهذا قائم على وصف نسج الجملة الظاهر فقط . وأنا أتمثل التوكيد المظنون في المفتوحة وجملتها وكأنه من قبيل ماقيل في وصف المفردات : (زيادة المبني زيادة في المعنى) ، والأمر ليس كذلك ، لعلمي أن هذه الأداة ، و(أنْ) الداخلة على المضارع والماضي ، والتفسيرية الداخلة على الأمر في الحقيقة حرف واحد ، يشدد إن دخل على الجملة الاسمية ، ويخفف إنْ دخل على الجملة الفعلية ، تقول :

— علمت أنّك مسافر .
— أُريد أنْ تذهب معي .

---

(٣٠) الجنى الداني / ٣٦٤ .
(٣١) مغني اللبيب : (القاهرة ١٩٧٢) — ١/ ٤٠ .

- سافر زيد بعد أن غربت الشمس .
- كتبت إلى أبي أنْ أرسل لي كتاباً .

ففي كل عبارة جملتان ، أولاهما : ابتدائية ، والأخرى : معمولة، ربطت بالإبتدائية بأداة الوصل : (أنْ) أو : (أنّ)(٣٢) .

ومنهج الوصف في درسنا الحديث يحملنا على الإشارة إلى أن سيبويه والأخفش الأوسط وابن الخشاب استجازوا إحلال اسم الإشارة : (ذلك) محل مفتوحة الهمزة مع معموليها (٣٣) لاستوائها مع المفرد في دلالتها ، والنحاة عامة لايختلفون في إحلال المصدر الصريح محلها ومحل معموليها أيضاً ، ولهذا سماها الدكتور مهدي المخزومي : (أداة وصل) (٣٤) ، لأنها وصلت أطراف الجملة الاسمية ، وجعلتها : مفرداً عرفياً كما سميناه ، ومصدراً مؤولاً كما استقر عليه النحاة .

* * *

حين نعمد إلى تقرير مذهب المخزومي في هذه الأداة ، وقد أخذت منه شطراً وافياً من الاهتمام ، نجده يشير أولاً إلى أنّ لإرادة التوكيد في العربية أدوات ، منها مايختص بالاسم فقط ، ثم لايذكر إلا مكسورة الهمزة التي تؤكد النسبة في الجمل ، ووظيفتها تثبيت الشيء ، حين يكون المخاطب طالباً ذلك(٣٥) ، ولا يعرض للمفتوحة مرادة للتوكيد البتة ، ويعالجها في باب عقده بعنوان : (أدوات الوصل في العربية) ويقول :

من الوظائف التي تؤديها الأدوات في الكلام : الوصل ، وأدوات الوصل التي عرض لها النحاة : (ما ، وأنْ ، وأنّ) ، ويسمونها : (أدوات المصدر) ،

---

(٣٢) الوجيز في فقه اللغة : (حلب ١٩٦٩) - /٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٣٣) انظر : هامشنا العاشر .

(٣٤) في النحو العربي ؛ نقد وتوجيه : (بيروت ١٩٦٤) - /٣١٢ .

(٣٥) م.ن /٢٣٧ ، وانظر كتابه : في النحو العربي ؛ قواعد وتطبيق : (القاهرة ١٩٦٦) - /١٥٦ .

ويسمون الجمل التي بعدها : (صلات) (٣٦) .

أما (أنّ) فهي عندهم من أخوات (إنّ) المكسورة الهمزة ، تدخل على المبتدأ والخبر ، فتنسخ حكمهما ، وتنصب الأول ، وترفع الثاني ،وراحوا يبحثون عمّا منحها القوة على العمل ، فتوصلوا إلى أنها في معناها وفي لفظها ، فمعناها : (أوكد) ، ولفظها على ثلاثة ، وهو الذي استقر عليه الفعل العربي ، فعملت العملين المشار إليهما ، وذلك مالم يكن لعامل غير الفعل ، ومع أنهم يصرّون على أنها كالمكسورة ، تؤكد مضمون الجملة وتحققه على حدما قاله الزمخشري في : (المفصل/٢٩٣) ، يعرضون لها في مواضع أخرى مع مايعرضون له من الموصولات الحرفية ، وقد قال ابن هشام في : (المغني ١/٤٠) : «إنها موصول حرفي مؤول مع معموليه بالمصدر ، فإن كان الخبر مشتقاً ، فالمصدر المؤول من لفظه ، تقدير ؛ بلغني أنك منطلق : (بلغني الإنطلاق)... ، وإنْ كان جامداً ، قدّر بالكون ، نحو : بلغني أن هذا زيد ، تقديره : (بلغني كونه زيداً) ، لان كل خبر جامد يصح نسبته الى المخبر عنه بلفظ الكون ، تقول : هذا زيد ، وإن شئت : (هذا كائن زيداً) ، إذ معناهما واحد» .

وعلى هذا يكون لها في الكلام عندهم وظيفتان (٣٧) :

الأولى : إنها أداة توكيد عاملة .

الثانية : إنها موصول حرفي ، يؤتى به ليؤول مابعده بالمصدر .

وهذا الإزدواج عند المخزومي مما يعسر إدراكه ، وحقّ له مثل هذا التصور ، إذ كيف يتأتى لها أن تكون عاملة مؤكدة ، وهي لا تأتي إلا لغرض التأويل بالمصدر . وواضحٌ نَظرِه في هذه المسألة : أن لأدوات الوصل الثلاث وظيفة غير ما تصوره النحاة ، ذلك أنها أدوات استخدمتها اللغة وسائل لوضع الجمل مواضع المفردات ، وتحميلها معانيها الاعرابية من فاعلية ومفعولية وإضافة وغيرها ، فليس في قولنا : (يسرني أنّ محمداً معافى) ، أن تؤكد مضمون

---

(٣٦) في النحو العربي ؛ نقد وتوجيه/٣١٢ ومن أدوات المصدر إضافة إلى ماذكره : لو وكي ايضاً .

(٣٧) م.ن. /٣١٥ .

مابعدها ، كما زعم الزمخشري وغيره ، ولا أن تعمل فيه نصباً ورفعاً، كما زعم النحاة ، أما كونها غير مؤكدة ، فذلك مايرى من آستعمالاتها ،لأنها كما تجيء بعد أفعال تدل على الاعتقاد أو اليقين ، نحو : (علمت أنك على حق ، وأيقنت أنك على صواب) ، تجيء بعد أفعال تدل على الظن أو الشك أيضاً ، نحو : (ظننت أنك مخطيء،وأشك أنك مصيب). وإذا كانت على زعمهم مؤكدة ، فإن هذا يقوم على مايمثلون به غالباً بما يشعر بالتوكيد ،يصدّرون القول بالعلم أو الإعتقاد أو اليقين . ولكن : أيبقى لها مثل هذه الدلالة، لو سبقت بظن أو شك ،أو ليس هناك من آلتعارض الواضح بين مازعموه لها من توكيد وتحقيق وبين ماسبقها من ظن وشك ..؟ . و الظن رجحان أحد الطرفين لا الاعتقاد بأحدهما ، والشك تساوي الطرفين ،فضلاً عن رجحان أحدهما على الآخر ،فكيف يتسلط الظن والشك على مانُصّ على على تحققه (٣٨) ..؟

وربما يسأل سائل : لماذا سماها المخزومي : (أداة وصل) ، ولم يسمها : (مصدريّة) ...؟ . وردّه على هذا : أن الأفعال ليس لها ما نسب إليها من قدرة على العمل ، فضلاً عن الأدوات ، وليست الحركات في أواخر الكلمات في أثناء الاستعمال آثار العوامل ، ولكنها من عمل اللغة نفسها ، مما آفترضته أساليبها وأصولها الثابتة ، وهذه المسألة ليست مدار بحثنا ، وحسبنا أن نلفت النظر إلى أنه لخص لنا وجهة نظره في تسمية هذه الأداة وعملها ، مشيراً إلى أنها ليست للتوكيد ، وليست عاملة ، ولكنها أداة وصل وواسطة تعبير ، تستخدم لتصنع من الجملة ، التي لم تكن — في تركيبها وهيئتها — لتكون مبتدأً أو فاعلاً أو مضافاً إليه مثلاً جملةً تقع في موضع المبتدأ والفاعل والمضاف إليه ، فجملة : (محمد قائم) لاتصلح أن تكون فاعلاً ، ولا تصلح أن تلي فعلاً متعدياً ، فتحل محل مفعوله ، فلا يصح أن يقال : (أعجبني

---

(٣٨) م.ن. /٣١٦ – ٣١٧ .

محمد قائم) مثلاً ، لأنه تأليف ضعيف ، لم تستسغ اللغة مثله ، فتوصلت إلى استخدام : (أنّ) واسطة لجعل هذه الجملة فاعلاً ، ولو كانت تقصد إلى تأويل ما بعدها بالمصدر ، لاستراحت إلى المصدر من أول ، ولاستغنت به عن استعمال الجملة ، وقد رأى الزمخشري في : (المفصل / ٢٩٣) : أنّ : (ما ، وأنْ) هما الحرفان المصدريان ، ولم يذكر : (أنّ) معهما ، وهو إذا لم يخالفه التوفيق في اعتبار هاتين الأداتين مصدريتين ، ولا في اعتبار : (أنّ) للتوكيد ، فقد وفق في نفي مصدريتها خلافاً لآخرين ، ولا سيما ابن هشام الذي فصل ذلك في : (المغني ١/٤٠) ، وذهب مذهباً بعيداً ، حتى أدى به القول إلى أن يتصيّد مصدراً من الكينونة للجمل التي لم يكن المسند فيها مشتقاً أو مؤولاً بالمشتق (٣٩) على نحو ما قدمنا .

ووجه اعتراضنا على الدكتور المخزومي : إشارته إلى أن اللغة لو كانت تقصد إلى تأويل ما بعد : (أنّ) بالمصدر ، لاستراحت إلى المصدر الصريح من أول ، ولاستغنت به عن استعمال الجملة ، فيها تجاهل لمبدأ التوسع المعمول به في أصول الكلام العربي ، ولولاه لوجد المتكلم نفسه محاطاً بحدود من وجوه الاستعمال ، ولما وجد الفرصة للمجاز والاستعارة والكناية مثلاً ، ومقولة النيابة في حروف المعاني وجه من وجوه الاتساع اللغوي ، الذي يرفد المتكلم ، ويمدّه بالجديد المناسب من طرائق القول ، واصطناع المصدر المؤول في موضع الصريح من هذا الباب نفسه ، وهو من قبيل الرخص الكلامية التي لا غبار عليها ، كما أن هذه الأداة — واصلةً أو مصدريةً — مسألة ليست من الضخامة بحيث نتقيد بأحد هذين المصطلحين لا نعدوه ، وهما عندنا يتقاربان إلى حد التداخل والترادف .

وإذا كان تمثّل النحاة لجملتها قد حملهم على القول بتوكيدها ، والمصدر الذي هو الصورة التوهمية أو الذهنية لهذه الجملة لا يظهر فيه أي أثر للتوكيد ، فقولهم هذا تسوية قسرية بين المؤكد وغير المؤكد ، وهذا أمر غير مقبول .

(٣٩) م.ن /٣١٧ - ٣١٩ .

وإذا كان بمقدورنا أن نفتح همزتها أو نكسرها في بعض الأحوال، فإنها باقية على اختصاصها بعملها الوظيفي في الجملة، وهو التأويل بالمصدر، أو الوصل بين أجزاء الجملة، إلا إذا أخذنا بنظر الاعتبار كون الرخصة بين الفتح والكسر تستأدي المتكلم استعمال الأداة مصدرية وموكدة معاً، وتسوّغ له أن يعدها هذا المعد، فتكون إفادتها التوكيد فرعاً على إفادتها المصدرية، نظراً إلى إطّراد هذه وسعتها في حالات وجوب الفتح، وحالات جواز الوجهين، وانحباس الإفادة الازدواجية في حالات الجواز فقط لا يكون إلا بمراعاة الأصل وضيق الفرع، كما هو العرف الجاري في مختلف الأشياء.

لقريب من هذه التصورات، أو التعليلات — فيما أُقدّر — لم يتعرض بعض الدارسين لبيان مواضع كل واحدة من الأداتين لاختلافهما، و استقلال كل واحدة منهما برأسها كما نقل السيوطي (٤٠)، واللغة كلما أرادت المصدر استعملت المفتوحة، وكلما أرادت الجملة استعملت المكسورة (٤١)، وعندي أن هذا يرجعنا إلى نقد الضابط العام الذي قررناه من كلام الزمخشري وابن مالك وابن هشام أول هذه الدراسة، إذ المصدر لا يسد مسد الجملة في كل الأوضاع الكلاميّة، ولم يقل ابن مالك في بيته الذي قدمناه: «لسد مفرد مسدها»(٤٢)، لأن المفرد قد يسد مسدّها، ويجب معه الكسر، نحو: (ظننت زيداً إنه قائم)، ولا يصح: (ظننت زيداً قيامه) (٤٣)، وحين يسد المصدر مسدّها في غير مواضع وجوب الفتح، فإن استعمال المكسورة أو المفتوحة أمر يطمأن إليه افتراضاً، ولكن النحاة يقررون الأصلح في كل حالة من تلك الأحوال، فإذا ورد هذا الحرف الناسخ بعد: (إذا الفجائيــة) مثلاً، في نحو قول الشاعر:

(٤٠) همع الهوامع؛ شرح جمع الجوامع: (القاهرة ١٣٢٧هـ) — ١٣٨/١.
(٤١) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ٢٢/٢.
(٤٢) أنظر: هامشنا الخامس.
(٤٣) شرح الأشموني، وعليه: حاشية الصبان: (القاهرة، غير مؤرخ) — ٢٧٤/١.

وكنتُ أرى زيداً ـ كما قيل ـ سيداً

إذا أَنـه عبدالقفا واللهازم (٤٤)

فالكسر أولى فيه ، لأنه لا يحوج إلى تقدير ، والتقدير مع الفتح : إذا العبودية حاصلة . فالمصدر المؤول مبتدأ ، وخبره محذوف ، كما تقول : (خرجت فإذا أنت) ، أي : (مقبل) . وإذا كان ابن السراج في قوله : «متى وجدت المكسورة والمفتوحة تقعان في موقع واحدٍ ، فاعلم أن التأويل مختلف ، وذلك نحو قولهم : (مررت فإذا أنه عبدٌ ، وإذا إنه عبد) ، فإذا فتح ، فكأنه قال : مررت فإذا العبودية ، وإذا كسر ، فالتأويل تأويل الإبتداء ، فكأنه قال : فإذا هو عبد»(٤٥) ، لم يرجح وجهاً من هذين ، فليس بصعب على المتذوق إدراك أيهما أقرب إلى نفسه ، وأحرى بالاستعمال ، لأنه إذا نظر إلى وظيفة الأداة في الجملة ، استحسن مباشرة استعمال الكسر ، لأنه ضمين بالتوكيد ، ولا يقوم للفتح عليه فضل إطلاقاً ، لما فيه من تأويل خالٍ من التحقيق والتوكيد على نحو ما فصلنا سابقاً .

إذا كان نحاة العربية قد تناولوا : (إنّ وأنّ) باعتبارهما عاملتين نصباً ورفعاً ، فإن في كتبهم غناءً ووفرة ، ولا جناح على الباحث الذي يريد التعمق في خفايا النحو ، إذا نظر في اللغات السامية ، لعله يجد في ظواهرها ما يوضح له الخفي من أسرار ما يعالج من موضوعات نحوه العربي ، و نحترز هنا ونقول : إن قواعدنا العربية ثابتة راسخة ، وإن اجتهاداً من هذا النوع لا ينبغي له أن يمسها ، بل يقتصر على تفسيرها فقط (٤٦) .

---

(٤٤) اللهازم : جمع : لهزمة ، وهي طرف الحلقوم ، ويقال : عظم ناتيء تحت الأذن ، وقوله : عبد القفا واللهازم : كناية عن الخسة والدناءة والذلة . انظر : منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل : (القاهرة ١٩٧٢) ـ ٣٥٦/١ ـ ٣٥٧ .

(٤٥) دراسات نقدية في النحو العربي ١٩٢/١ .

(٤٦) دراسات في فقه اللغة العربية : (بيروت ١٩٦٩) ـ /ص ـ ي .

يرى الدكتور السيد يعقوب بكر هاتين الأداتين اسمي صوت(interjection) تركبت المكسورة من : (إنْ +نَ)، والمفتوحة من :(أنْ + نَ) ، وكل من : (إنْ وأنْ) اسم صوت بسيط ، مكون من عنصرين إشاريين هما : الهمزة والنون ، أُضيفت إليهما نون إشارية أُخرى على سبيل التقوية والتأكيد (٤٧) . وليس غريباً أن تكون الإشارة دلالة كل واحدة منهما ، فقد رأى پريشون Perruchon : أن اسم الإشارة : (annu ؛ أنُّ= هذا) في الأكدية ، قد يكون الأصل في حرفي الوصل : (أنْ ، أو : أنَّ) ، وأن الحرف (أنْ ، أو : أنَّ) لابد أنه كان في الأصل إسم إشارة ، وهو يبني رأيه هذا على أنه في معظم اللغات تتفق صيغة حرف الوصل الذي بمعنى : (أنَّ) ، والذي يتقدم الجملة الفرعية مع صيغة اسم إشارة أو اسم موصول في اللغة الواحدة تمام الاتفاق ، وهو يقول : إن هذا الاتفاق التام في الصيغة يرجع إلى أن الجملة الفرعية كانت في الأصل جملة أساسية ، يتقدمها اسم إشارة(٤٨)، والفرعية المشار إليها هي الجملة المعمولة التي تؤول مع الأداة العربية بالمصدر .

أما مكسورة الهمزة فيعرض لها الدكتور يعقوب محققاً معنى الإشارية فيها، ويذكر أن لها في اللغات السامية نظائر كثيرة ، منها : (هِـنّـِي — بإمالة طويلة في الآخر) ، التي بمعنى :(أنظر) في العبرية ، وهذه الأداة العبرية مركبة أيضاً لابسيطة ، قوامها :(هِـنْ + ني) بإمالة طويلة (٤٩) . والمعنى الفعلي المتعدي : (أنظر) الذي تؤديه : (هِـنّـِي) العبرية متطور عن المعنى الإشاري : هذا أو ذاك ، الذي كان لها في الأصل ، وهذا المعنى الفعلي هو السبب في نصبها الاسم والضمير بعدها على المفعولية ، كما ورد في :(سفر التكوين ٢٢ : ٧): (وَيومِـر هِـنّـي هاإيش وها عِـصِـيم)= (فقال : هاهي النار وها هو الحطب)، وكما في السـفر نفسه : (٢٢ : ١) : (وَيُّـومِـر إلاوْ أبْـراهـام وَيُّـومِـر

(٤٧) ن.م /٤٥ ، ٤٨ .
(٤٨) ن.م /٥٦ ، الهامش .
(٤٩) ن .م /٤٨ .

هِـنَّينِي) = (فقال له يا إبراهيم ، فقال: ها أنذا) .

ففي المثال الأول نصبت : (هاإيش = النار) على المفعولية ، وإن لم تظهر علامة النصب ، لأن حركات الإعراب زالت من العبرية ، وفي المثال الثاني نصبت ضمير المتكلم بدليل وجود نون الوقاية قبله : (ني) (٥٠) .

وقد تستعمل هذه الأداة مع جملة اسمية أو فعلية ، مثال الاسمية من (سفر التكوين(٢٨ : ١٥) : (وهِـنّي أنُوكِـي عِـمّاك) = (وها أنا معكَ) ، و الأداة هنا لا تعمل في الضمير :(أنوكي) الذي تبتدىء به الجملة الاسمية ، إذ هو ضمير رفع منفصل ، ولكنها تعمل في ضمير الغائبين في السفر نفسه : (٤٠ : ٦) :(وَيَّر أُوتام وهِـنّام زو عَـفِيم) = (ورآهما فإذا هما مغتمان)(٥١).

وقد رأى إڤالد Ewald : أن لهذه الأداة في نفسها القدرة على نصب الاسم أو الضمير الذي تشير إليه (٥٢) ، ويفهم من هذا أن تضمُّنَها معنى الفعل المتعدي ، ليس هو السبب في كونها أداة عاملة .

وقد استنتج السيد يعقوب بكر بعد مثال ساقه من (سفر التكوين ١٢ : ١١) أيضا دليلاً على دخولها على الجملة الفعلية (هِنّي — نا يَدَ°عتي كِي إشّايفَت مَرئى آتْ) = (إني أعلم أنك امرأة جميلة المنظر)،أن هذه الأداة كانت تستعمل في أول الأمر مع المفرد،فتنصبه على المفعولية بما فيها من معنى الفعل المتعدي: أنظر ، ثم صارت تستعمل أيضاً مع الجملة الاسمية ناصبة المبتدأ فيها ، وفي هذه الحالة يكون هذا المبتدأ مفعولاً به،ويكون الخبر خبراً لمبتدأ محذوف ، فتقدير فقرة سفر التكوين (٤٠ : ٦) هو:(.... وهِـنّام / هِـيم / زُوعَفِـيم) =(وانظرهما / هما / مغتمان) (٥٣) .

---

(٥٠) =كذلك .

(٥١) ن.م /٤٩ .

(٥٢) = كذلك ، الهامش عن كتاب :

Ewald (H.) Ausfuhrliches Lehrbuch der hebraischen Sprache,8th. e.d., Gottingen 1870, P.650

(٥٣) دراسات في فقه اللغة العربية /٤٩ .

والمرحلة الثالثة من تطور استعمال هذه الأداة العبرية دخولها على الجملة الاسمية دون أن ينصب المبتدأ . ودخولها على الجملة الفعلية وفي كلتا الحالتين يكون المعنى الإشاري فيها منصباً على الجملة بأسرها لا على أحد جزئيها . ومما يؤيد ما زعمه صاحب هذا المبحث اللغوي الفقهي من معنى الفعل في بعض استعمالات هذه الأداة (٥٤)، أنه قد تدخل عليها نون التوكيد الخفيفة متوسطة بينها وبين ضمير النصب في الأحوال الآتية :

(هِنَّنِّي) = أنظرني ! هأنذا .

(هِنَّكَّا) = ها أنت ذا .

(هِنَّنُّو) = ها نحن ذا .

وغني عن القول أن نون التوكيد مختصة بالدخول على الأفعال (٥٥) . وهذا المعنى الفعلي هو أيضاً السبب في نصب إسم : (إنّ) العربية، فقولنا : (إنّ زيداً قائم) ، تقديره : إنّ (= انظر) زيداً ! (هو) قائم . فقائم ليس في الواقع خبراً لزيد ، فإن زيداً مفعول به لإنّ ، ولكنه خبر لضمير محذوف تقديره : هو ، وهذا يفسر السبب في خروج إسم (إنّ) على القاعدة التي بسطها الاستاذ المرحوم إبراهيم مصطفى في كتابه : (إحياء النحو / ٥٣) : من أن الرفع علم الإسناد (٥٦) .

قال نولاكه Noldeke : إنّ : (إنّ) قريبة في المعنى من الفعل (٥٧) ، بل إنّ تضمنها معنى الفعل أمر متفق عليه عند نحاة العربية ، وهذا الفعل هو حققتُ أو أكدتُ ، لا أشرتُ ، إلا أن يتحمل هذا الفعل معنى الفعلين الأولين ، وقد رأى ركندورف Reckendorf أن الأداتين العربيتين : (إنّ وأن) كانتا تلفتان نظر السامع إلى مبتدأ الجملة الاسمية بعدهما ، ولكن

---

(٥٤) = كذلك .

(٥٥) ن.م /٥٠ .

(٥٦) =كذلك .

(٥٧) الهامش الثاني على : (الص ٤٠) من :

Zur Grammatik des Classischen Arabisch, Wien, 1896.

بمرور الزمن حذت محل العلاقة الخاصة بين (إنّ أو أنّ) والمبتدأ علاقةأوسع بين (إنّ وأنّ) والجملة الاسمية بأسرها، فلم يعد التأكيد منصباً على المبتدأ وإن ظل منصوباً ، ولكن على الجملة الاسمية (٥٨) كلها، واشتراكهما في وظيفة التأكيد مسألة فحصناها سابقاً بما فيه الكفاية .وكتب النحو تقف وقفات جليلة في درس عمل هاتين الأداتين،لا سبيل إلى عرض خطواتها في هذا الموضع .

وقد وقف الدكتور السيد يعقوب أيضاً على (أنّ) المفتوحة ،ليؤكد فيها معنى : (أنظر) الاشاري أيضاً .لأنه هو الذي سيفسر لنا نصبها للمبتدأ بعدها في الجملة ، فقولنا :(اعلم أن زيداً قادم = اعلم : انظر زيداً ! «هو قادم) ، فكانت أنّ في الأصل — كما أشاد ركندورف — تلفت نظر السامع إلى زيد ، ولكنها أخذت فيما بعد ، لتشير إلى الجملة كلها :
اعلم هذا : زيد قادم ، وإن ظلّ المبتدأ على النصب (٥٩) ، الذي لايرجعه نولدكه Noldeke وبارت Barth إلى طبيعة الأداة نفسها ،ولكن إلى قياسها على :(إنّ) (٦٠)عملاً، كقياسها عليها وظيفة في معنى التوكيد عند أغلب النحاة ، وهي من خلال هذا القياس لا تتحمل معنى الفعل المتعدي مباشرة، بقدر ما يكون تحملها له عن طريق المشابهة الاستعمالية بينها وبين نظيرتها العاملة المشيرة ، وواقع الأمر لدى الدكتور السيد يعقوب ليس كذلك، لأنه يحقق إشاريتها فيقول (٦١) : «أنْ : الداخلة في تركيب: أنّ تستعمل ثلاثة استعمالات في العربية : فهي قد تكون مصدرية، وعندئذ يليها فعل

(٥٨) دراسات في فقه اللغة العربية /٥١ ، الهامش ، عن :
Die Syntakischen Verhaltnisse des Arabischen, Leiden 1898. P.354-356.
(٥٩) دراسات في فقه العربية /٥٥ .
(٦٠) = كذلك ، الهامش عن :
أ— هامش نولدكه الثاني على (الص ٤٠) من كتابه :
Zur Grammatik des clsssischen Arabisch, Wien 1896
ب— هامش بارت الثاني على (الص ١٠٢) من كتابه :
Die Pronominoalbildung in den Semitischen Sprachen, Leipzig 1913.
(٦١) دراسات في فقه العربية /٥٥ — ٥٦ ، إستفدنا من الهوامش ، وأنزلناها في مواضع تقتضيها من السياق اتماماً للفائدة وتوضيحاً للعرض .

دائماً ، ماضٍ مثل : بلغني أن جاء زيد، أو مضارع منصوب مثل : أريد أن تفعل .

وقد تكون(أنْ)مخففة من الثقيلة ، ــوإن كان الأولى هنا أيضاً أن يقال: المثقلة من الخفيفةــ، وأنْ هذه تأتي بعدها جملة إسمية ک:(أنَّ)، ولكن الاسم هنا ضمير الشأن واجب الحذف، كقوله تعالى:«أفلا يرون ألاّ يرجع إليهم قولا» (٦٢) أي :أنه لايرجع .

ونادراً ما تعمل (أن) المخففة في غير ضمير الشأن، ولايستحسن سيبويه ذلك، ويزعم البصريون اعتماداً على هذه الحالات النادرة أنّ : (أن) المخففة تعمل ، وخالفهم الكوفيون في ذلك (٦٣) .

وقد تتقدم (أنْ) القول ، كقوله تعالى :«فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا» (٦٤) ، والفعل الذي يسبق (أنْ) هذه ، يجب أن يكون فيه معنى القول : كأوحى ونادى ، ولا يكون فعل القول نفسه ، وإلا لجاء بعده : (إنّ) لا (أنْ) (٦٥) ، وهذه هي :(أن) المفسرة .

وأنْ في هذه الاستعمالات الثلاثة اشارية ، وقد تقدم بنا رأي پريشـون Perruchon في هذه المسألة ، وهو يمهد لها بأن اسم الإشارة (annu ، أنُّ=هذا) بالأكدية قد يكون الأصل في حرف الوصل : أن أو أنّ (٦٦) ، وأن حرف الوصل هذا لابد أنه كان في الأصل اسم إشارة ، وهو محق في هذا القول عند الدكتور يعقوب بكر ، ولكن لايلزم أن الأصل فيها : (أنُّ) الأكدية ، والأولى أن يقال : إن الصيغ الثلاث : (أنْ وأنّ وأنُّ)

---

(٦٢) طه ، الآية ٨٩ .

(٦٣) دراسات في فقه العربية /٥٦ ، الهامش ، وانظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : (القاهرة ١٩٦١)-١ /١٩٥ ، وشرح المفصل ٧٣/٨ .

(٦٤) مريم ، الآية ١١.

(٦٥) شرح المفصل ١٤٢/٨ ، مغني اللبيب ٣٢/١ .

(٦٦) أنظر : هامشنا الثامن والأربعين .

يحللها على الشكل الآتي :
كلها من عناصر إشارية واحدة (٦٧) .
يحللها على الشكل الآتي :
واذا رجعنا إلى الأمثلة التي ضربها الدكتور يعقوب ل : (أنْ) باعتبارها إشارية، نراه

١ ـ بلغني أن جاء زيد : بلغني هذا : جاء زيد . أُريد أَن أفعل : أُريد هذا : تفعل	أنْ المصدرية.
٢ ـ أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا: أفلا يرون هذا: لا يرجع إليهم قولا .	المخففة من الثقيلة.
٣ ـ فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا : فأوحى إليهم هذا: سبحوه بكرة وعشيا	المفسرة (٦٨)

ولم يتطرق في شيء من بحثه اللغوي الدقيق إلى مسألة الهمزة في : (إنّ وأنّ) بشكل مباشر ، لأنها ليست من شرط دراسته، ولكنه لفت الأنظار إلى أنها في حالتيها عنصر إشاري (٦٩) فقط ، لايستقل بنفسه عندنا كاستقلال همزة الاستفهام ، بل إنّ له أن يقترن بالنون ، فيتولد منهما حرف ، تكون وظيفته على النحو الآتي :

إنّ : الإشارة والتأكيد .
أنّ : الإشارة والتأويل بالمصدر أو الوصل .
ـَـِـ : تتداخل الوظائف المشار إليها فيهما ، ويتخذ النحاة مواقفهم الذوقية في تفضيل الكسر أو الفتح على نظيره .

وإذا كان جمهور النحاة قد ذهب إلى أن الاشارة لاحرف لها (٧٠) في اللغة ، فإن هذه الهمزة والألف واللام العهدية من جملة الحروف الإشارية التي شاك النحاة في وجودها ، حين زعموا أن اسم الإشارة : (هُنا) مبني ، لمشابهته

(٦٧) دراسات في فقه العربية / ٥٦ ، الهامش .
(٦٨) ن.م /٥٦ .
(٦٩) ن.م /٤٨ ، ٥٥ .
(٧٠) القلادة الجوهرية شرح الحلاوة السكرية : (مخطوطة مدرسة الحجيات بالموصل)-- /الورقة ١٢٩و.

المعنوية لحرف كان من حقه أن يوضع ، فلم يوضع (٧١) ، وفاتهم أن هذا الأمر غريب في العقل لما فيه من مشابهة الموجود بالمعدوم (٧٢) .

* * *

حين نفرق بين: (إنّ وأنّ) نرى الدكتور عبد الرحمن أيوب قد آثر مخالفة النحاة، فلم يذكر حالات كسر الهمزة وحالات فتحها، بل عدّ ذلك اختلافاً في مواضع آستعمال كل واحدة منهما (٧٣) باعتبار آستقلالها عن الأُخرى، وظاهر كلامه أن طبيعة الموضع تحمل على اتخاذ ما يناسب منهما، وليست الأداة هي القاضية بأن لا تدخل إلا في مواضع خاصة، ولا فرق في حقيقة الأمر بين اقتضاء الموضع، وبين عدم مساغ وضع هذه أو تلك إلا فيما تعين لها من مواضع. والقصد من هذه الدراسة البسط ووضوح التحليل قبل النقد والتزام الشكليات والظواهر، من هذا استوى لديّ النظر إلى المسألة في ضوء الاقتضاء الموضعي أو الوضع الاقتضائي، فإن الأمرين معاً يفضيان في النهاية إلى تعدد شعبها بشكل يسترعي النظر، وقد ذكرنا سابقاً أن المعنى العام وطبيعة التركيب هما المحكمان في تحديد نوع الاستعمال وأداته.

ولو أردنا أن نورد هنا داعية لمثل هذه الدراسة المبسوطة، ونحن في سبيل الخلوص إلى بحث وجوه همزة الأداتين في الكلام العربي. أشرنا إلى خلاف النحاة في احصائها، مما يجعل الاحاطة بها ورصدها مسألة من الاتساع بمكان، وليس من شأننا أن نصف هذا الخلاف بلا إشارة إلى شيء من ملامحه المتباينة على وجه الاحصاء.

ذكر أبو علي الحسن بن عبد الله المعروف بلغدة الاصفهاني، وهو نحوي

---

(٧١) أنظر : شرح الأشموني ، وعليه : حاشية الصبان : ٥٣/١ .

(٧٢) القلادة الجوهرية : /و ١٢٧ظ ، وذكر صاحبها شعبان الآثاري الموصلي (ت٨٢٨هـ) بعد أن خطأ النحاة في قياسهم هذا : أن (ها) حرف مختص بالإشارة مع التنبيه دون (يا وألا) اللذين هما للتنبيه والإستفتاح ليس إلا ، وذلك للزومه للإشارة دون أخويه ، فيأتي في الكلام نحو قولك : هذا ، وهذاك ، وهاتي ، وهاتيك وما أشبه ذلك».. وقد ذهب غيره من النحاة إلى أن (ها) للتنبيه خاصة .

(٧٣) دراسات نقدية في النحو العربي ١٩٢/١ .

قديم (ت٣١١هـ) للمكسورة موضعين فقط (٧٤)، أما أعلام النحاة فاختلفوا فيها على الشكل الآتي :

١ — ابن الحاجب : ثلاثة مواضع (٧٥) .

٢ — الرماني : أربعة (٧٦).

٣ — ابن مالك : ستة في : (الألفية)(٧٧) ، وسبعة في : (التسهيل)(٧٨) وقال ابن عقيل في شرح ماورد في الألفية : «هذا ماذكره المصنف، وأورد عليه أنه نقص مواضع يجب كسر : إنّ فيها » (٧٩).

٤ — السيوطي : سبعة (٨٠) أيضاً .

٥ — الأشموني والمرادي : ثمانية (٨١) .

٦ — أبو حيان الأندلسي ومرتضى الزبيدي : تسعة (٨٢) .

٧ — ابن هشام : عشرة (٨٣).

أما اختلافهم في إحصاء مواضع الفتح الوجوبي، فجاء بعضه على النحو الآتي :

١ — ابن الحاجب . أربعة مواضع (٨٤) .

---

(٧٤) كتابه : في النحو : (بغداد ١٩٧٤) ، مجلة المورد ، العدد ٣ ، مج ٣ /٢٤٢ .

(٧٥) الكافية / ٣٣ ، وانظر : شرح ابن القواس ٢/ل ٢١٩ ، شرح الرضي :(استانبول ١٢٧٥هـ) — ٣٢٤/٢ .

(٧٦) معاني الحروف : (القاهرة ١٩٧٣) —/١٠٩ .

(٧٧) الألفية : (ضمن : مجموع المتون الكبير) — /٢٤٢ .

(٧٨) التسهيل /٦٣ .

(٧٩) شرح ابن عقيل : (القاهرة ١٩٧٢) — ٣٥٤/١ .

(٨٠) همع الهوامع ١٣٧/١ .

(٨١) شرح الأشموني ٢٧٣/١ .و
الجنى الداني /٣٦٥ .

(٨٢) شرح أبي حيان /٧٥ .و
تاج العروس : (القاهرة ١٣٠٧هـ) ، مادة : أنن — ١٢٨/٩ .

(٨٣) أوضح المسالك ٣٣٤/١ ، وانظر : شرح التصريح على التوضيح : (القاهرة ١٣٢٥هـ) — ٣٢٤/١ .

(٨٤) الكافية / ٣٣ ، وانظر : شرح ابن القواس ٢/ل٢١٨ شرح الرضي ٢ /٣٢٤.

٢ ـ ابن هشام والأشموني والمرادي والسيوطي : تسعة (٨٥) .
كما كان اختلافهم في حالات جواز الوجهين واسعاً ملحوظاً ، نلفت القارىء إلى صورته الآتية :

١ ـ ابن مالك : أربعة مواضع (٨٦) .
٢ ـ السيوطي : خمسة (٨٧) .
٣ ـ أبو حيان والمرادي : ثمانية (٨٨) .
٤ ـ ابن هشام : تسعة (٨٩) .

ومرجع هذا التباين دخول بعض الوجوه في بعض على سبيل التأصيل والتفريع ، فحين عد المرادي وجوه وجوب الفتح ، عقب بقوله « ... وزاد بعضهم في مواضع وجوب فتحها ، أن تقع بعد : لولا ، ولو ، وما التوقيتية .... وهذه المواضع راجعة إلى ماتقدم » (٩٠) ، يعني : داخلة في جملة الوجوه التسعة الآ ذكرها للفتح ، لأنها تفريعات تلك الأصول . وقد استفاضت المسألة حتى وجدت شعبان الآثاري (ت ٨٢٨ هـ) يقول : « إعلم : أنه يجب كسر (إنّ) في ثلاثة عشر وجهاً ، ويجب فتحها في ثلاثة عشر وجهاً ، ويجوز الأمران ثلاثة عشر وجهاً ، فجملة وجوهها تسعة وثلاثون » (٩١) .

ولم يقتصر هذا الاختلاف على كتب النحاة المتقدمين ، بل رأيناه كتب

---

(٨٥) أوضح المسالك ٢٣٨/١.و
شرح الأشموني ٢٧٣/١.و
الجنى الداني /٣٦٩ .و
همع الهوامع ١٣٧/١ . وفي : شرح التصريح ٢١٦/١ : في ثمانية ، والصحيح : تسعة أيضاً ، لأنه أخذ ماذكره ابن هشام في : (أوضحه) ، فشرحه موضعاً موضعاً .

(٨٦) الألفية : (ضمن : مجموع المتون الكبير) ـ/٢٤٢ .

(٨٧) همع الهوامع ١٣٧/١ .

(٨٨) شرح أبي حيان /٧٨ ، و

(٩٠) الجنى الداني /٣٦٨–٣٦٩ .

(٨٩) أوضح المسالك ٣٣٨/١ ، وانظر : شرح التصريح ٢١٨/١ .

(٩١) القلادة الجوهرية /و١١٦ظ .

المعاصرين(٩٢) أيضاً، فاختلاف من هذا النوع ، يجعل دائرة البحث في هاتين الأداتين واسعة ، واستفاضة الخلط والخطأ متوقعة . تتعذر ضوابطها على عامة المتكلمين والكتاب في وقت أصبح فيه الكلام والكتابة من ذرائع السواد الأعظم من الناس ، أضف إلى هذا أن تحقيق وضع الهمزة في هذا المجال أمر لايكاد ينضبط بيسر وسهولة لمثل هؤلاء ، فايراد أسرار هذا المبحث النحوي الدقيق على صعيد معروض، يساعد — فيما ننتظر — على التفريق بين هذه الأحكام المتداخلة المتخارجة في أوضاعها المختلفة .

ومن المناسب بعد هذه التوطئة الطويلة المتشعبة أن أقول : إن همزتي : (إنّ وأن) أخذتا من النحاة الشطر الأوفى من العناية ، فأيما كتاب تناولته من المكتبة النحوية أفادك طرفاً أو أطرافاً من هذا البحث تطول أو تقصر ، تدق أو تتعجل ، ومن ثم وجدت المادة الكبيرة التي بين يدي ، تخدم البحث في مناحيه جملة ، وقد أدركت جسامة الاستيعاب وخطره إزاء الرغبة في القصد ومجانبة الافراط ، ولكن البحث اتسع بحكم الضرورة ، والضرورة نفسها حملت المرادي على القول ، بعد أن حرر في هذه المسائل قرابة تسع صفحات : « واعلم أن بسط الكلام على هذه المواضع يستدعي تطويلاً ، فلذلك اختصرت الكلام عليها » (٩٣) ، حتى جعله غاية في التقنين والاقتصاد ، ودراستي هذه مرادة لغير هذا الغرض ، فمن همها أن تستقصي لقارئها ، وتجمع ، وتقسم ، وتعدد كافة مايمكن أن يقال في هذا الباب من الدرس النحوي .

---

(٩٢) أحمد قبش : الكامل في النحو والصرف والإعراب : (دمشق ١٩٧٤) -/٧٤ — ٧٥ ، د. أمين علي السيد : دراسات في علم النحو : (القاهرة ١٩٦٧)-/١٥٣ ، وفي علم النحو : (القاهرة ١٩٧٣) -١/٢٣٨ — ٢٤٢ . عباس حسن : النحو الوافي : (القاهرة ١٩٦٦) — ١/٥٨١ — ٥٩٦ . د.عبدالرحمن أيوب : دراسات نقدية في النحو العربي ١/١٩٢ —١٩٧ .د. عبده الراجحي : التطبيق النحوي : (بيروت ١٩٧٢) — /١٤٧ — ١٥٥ ، علي رضا : المرجع في اللغة العربية : (بيروت ١٩٦٢) —١/٢٩٩ — ٣٠٠ ، محمدسعيد عبدالرحمن : قواعد لغة العرب : (بغداد ١٩٥٦) — /٤٠ — ٤٣ .

(٩٣) الجنى الداني /٣٧٣ .

أولاً : كسر الهمزة وجوباً

نستطيع القول : إن كسر الهمزة لايكون إلا في حالة أصلية واحدة من الناحية النظرية ، والتطبيق يحقق هذا الأصل في أوضاع متعددة متباينة كما سيتضح لنا . فإذا وقعت الأداة في ابتداء حقيقي أو حكمي انكسرت همزتها ، وقد سماهما الفيروزآبادي : الإبتداء لفظاً ومعنى (٩٤) .

أما الإبتداء الحقيقي :

فمجيئها فاتحة كلام لايسبقها فيه شيء يعتمد عليه (٩٥)، بحيث يقتضي نظم النص أن لاتكون ومعموليها محلا لتأثير عامل يتقدمها ، فهي اقتضاءً صلة له وتبع ، ومتى كان الكلام تاماً ، ليس بحاجة إلى شيء يتعلق به تعلقاً تبعياً ، لم يجز الفتح ، قال ابن السراج : «إنّ المكسورة تكون مبتدأة ولايعمل فيها ماقبلها» (٩٦) .وربما كان قبلها شيء ، لكنها لاتتصل به أي نوع من الإتصال ، فمضمون جملتها مستأنف في التكلم به على حد ماقاله العصام الاسفرائيني (٩٧) والابتداء في هاتين الصورتين هو غير الابتداء الاصطلاحي عند النحاة (٩٨) ، وقد عرف الأخير بأنه التجرد من العوامل اللفظية (٩٩) . بل إنه الإبتداء بمعناه اللغوي ، كقوله تعالى أول سورة الفتح : «إنّا فتحنا لكَ فتحاً مبيناً» وأول سورة القدر : «إنّا أنزلناه في ليلة القدر» ، إذ لو فتحت الهمزة لصارت الجملة مبتدأ بلا خبر على تأويل المفتوحة وجملتها بالمفرد ، الذي لايستقل به الكلام (١٠٠) . ولهذا لم يطرد الابتداء بها ، كأن تقول : (أنك فاضل عندي) ، فوجب التأخير على النحو الوارد : (عندي أنك فاضل) ، وأجاز بعضهم ذلك ، قال أبو حيان : «وليس ما ذكر من

---

(٩٤) القاموس المحيط : (القاهرة ١٩٥٢) مادة : أنن — ٤/٢٠٠ .

(٩٥) تاج العروس ؛ نفس المادة — ٩/١٢٨ .

(٩٦) الأصول في النحو ١/٣١٨، الموجب في النحو /٣٨ .

(٩٧) شرح الكافية : (استانبول ١٢٥٦هـ) —/٤٤٦ .

(٩٨) شرح أبي حيان /٧٤ .

(٩٩) شرح التصريح ١/١٥٨ .

(١٠٠) م.ن ١/٢١٥ .

أنها تكسر في ابتداء الكلام مجمعاً عليه إذ قد ذهب بعض النحويين إلى جواز الابتداء بأنّ المفتوحة في أوله(١٠١)، وذلك في مثل قولهم : (في ظني أنك فاضل ، وأنك قائم يعجبني) » وهو مذهب منسوب إلى الفراء ، وتبعه فيه جماعة ، وقد منعه الجمهور على مانقله السيوطي(١٠٢)والبيتوشي (١٠٣)، لما يترتب عليه من تفريط بما تأكد عند الدارسين خلاصة نظرهم في النماذج العربية الفصيحة ، بعد أن صح لدينا أنهم لم يختلفوا في وجوب الكسر في الابتداء ، وما أشار إليه أبو حيان من جواز الفتح فيه موقف خاص ، وهو في واقعه تفريع على أصل الكسر ، وليس وجهاً ثابتاً يقوم لهذا الأصل ، ويماثله سعة وإطراداً ، والإعتداد به يجعل مواضع الكسر كلها مظنة شك ، ولا يمتنع بعد ذلك دخولها في وجوه جواز الإستعمالين ، ولو أشار أبو حيان مثل إشارة المرادي إلى جواز الفتح في الابتداء شريطة وجود (أمّا) أول الجملة (١٠٤) لوافقناه ، وأجزنا معه جواز التقديم والتأخير على النحو الآتي :

أ- أما أنك فاضل ففي ظني .

ب- أما في ظني فأنك فاضل .

قال ابن السراج : «ألف : (إنّ) تكسر في كل موضع يصلح أن يقع فيه الفعل والإبتداء جميعاً ، وإن وقعت في موضع ، لايصلح أن يقع فيه إلا أحدهما، لم يجز ، لأنها إنما تشبه فعلاً داخلاً على جملة ، وتلك الجملة مبتدأ وخبر ، والجملة التي بعدها لاموضع لها من الإعراب بعامل يعمل فيها من فعل ولا حرف ، ألا ترى أنك تقول : (إن عمراً منطلق) ،فهذا موضع يصلح أن يبتدأ الكلام فيه ، فتقول : (عمرو منطلق) ، ويصلح أن يقع الفعل موقع

---

(١٠١) شرح أبي حيان /٧٤ ، وانظر :همع الهوامع ١٣٧/١ .
(١٠٢) الأشباه والنظائر في النحو : (حيدرآباد ١٣٥٩هـ) – ١٥٥/٢ .
(١٠٣) صرف العناية في كشف الكفاية : (مصر ١٣٤١هـ) – /٣٨٢ .
(١٠٤) الجنى الداني /٣٦٧ .

المبتدأ ، فتقول (إنطلق عمرو) ، وهذه الجملة لاموضع لها من الإعراب، لأنها غير مبنية على شيء ، وإنَّ المكسورة تكون مبتدأة . ولايعمل فيها ماقبلها، وهي كلام تام مع مابعدها(١٠٥)» كما قدمنا .

ونظير الابتداء الحقيقي : الاستئناف ، قال الرضي الاسترابادي: «قوله(١٠٦) فكسرت ابتداءً ، أي : مبتدأ بها سواء كان في أول كلام المتكلم ...أو كان في وسط كلام ، لكنه ابتداء كلام آخر ، نحو : (أكرم زيداً ، إنّه فاضل) ، فقولك : إنه فاضل : كلام مستأنف وقع علة لما تقدمه (١٠٧)».
ومنه قراءة الكوفيين : «فإنما يقول له كن فيكون ، وإنَّ الله ربي وربكم»(١٠٨) وحجة ذلك جَعْلُ الكلام مُستأنفاً مبتدأ ، كما أنها في قراءة ابن مسعود بغير واو ، وحذف الواو لايكون معه إلا الكسر على الإستئناف ، ويدل عليه أن الذي قبل الأداة رأس آية ، وقد تم الكلام على ذلك ، فوقع الإستئناف بعد تمام الكلام على رأس آيةٍ أخرى (١٠٩) .

وليس الاستئناف مقصوراً على الواو فقط ، بل إن للفاء موقعاً كموقعها في بعض النماذج ،قال تعالى: «ثم تاب من بعده وأصلح ، فأنّهُ غفورٌ رحيم» (١١٠) ، فحجة من كسر الهمزة في هذا الموضع : أن مابعد الفاء حكمه الابتداء والاستئناف (١١١) أيضاً ، وقد أورد أبو البركات بن الأنباري فيها قراءتين . فمن قرأ بالفتح .. جعلها خبراً لمبتدأ محذوف ، وتقديره :فأمره

(١٠٥) الأصول ٣٠٧/١ – ٣١٨ ، وانظر : الموجز /٣٨ ، المرتجل في شرح الجمل /٢١٤.
(١٠٦) يعني قول ابن الحاجب في : (الكافية /٣٣) .
(١٠٧) شرح الكافية ٣٢٤/٢ .
(١٠٨) مريم ، الآية ٣٥ ، ٣٦ .
(١٠٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : (دمشق ١٩٧٤) – ٨٩/٢ ، وانظر : البيان في غريب اعراب القرآن : (القاهرة ١٩٦٩) –١٢٦/٢ .
(١١٠) الأنعام ، الآية ٥٤ .
(١١١) الكشف ٤٣٣/١ .

أنه غفور رحيم (١١٢) .....، والكسر فيها آت على الاستئناف ، وهو بعد الفاءأقيس ، لأن مابعد الفاء يجوز أن يقع فيه الاسم والفعل ، وكل موضع يصلح لهما، فإن الأداة تكون فيه مكسورة ، وكل موضع اختص بأحدهما ك : لو ولولا ، فإنها تكون فيه مفتوحة ، وما بعد الفاء يصلح للاسم والفعل ، فكانت مكسورة (١١٣) بلا خلاف .

وقد يستغنى عن الواو والفاء، ويكون الكلام مستأنفاً أيضاً . قال تعالى: «جزيتهم اليوم بما صبروا ، إنهم هم الفائزون» (١١٤) بكسر الهمزة ، وتناظر الاستئناف والابتداء حقيقة وحكماً ، سوّغ للنحاة القول : «واو الاستئناف ، ويقال : واو الابتداء ، وهي الواو التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى ، ولا مشاركة في الاعراب (١١٥)» .

ويضارع حرفي الاستئناف هذين واو العطف أيضاً ، إذا وقعت بعدها جملة تامة، حين نذهب إلى أن واو الاستئناف قسم آخر غير الواو العاطفة كما هي عند بعض النحاة ، والظاهر عند المرادي أنها هي الواو التي تعطف الجمل ، التي لامحل لها من الإعراب لمجرد الربط .وإنما سميت واوالإستئناف لئلا يتوهم أن مابعدها من المفردات معطوف على ما قبلها (١١٦) ، قال تعالى : «لنُبيِّنَ لكم ، ونُقِرُّ في الأرحامِ مانشاء»(١١٧) بالرفع على الإستئناف، أي : ونحنُ نُقِرُّ (١١٨) ، ولو عطف لانتصب الفعل . ومثله «وما كان

---

(١١٢) البيان ٣٢٢/١ .
(١١٣) ن.م ٣٢٣/١ .
(١١٤) المؤمنون ، الآية ١١١، وانظر : الكشف ١٣١/٢ – ١٣٢ .
(١١٥) الجنى الداني /١٧٦ .
(١١٦) ن.م /١٧٧ .
(١١٧) الحج ، الآية ٥ ، وانظر : البيان ١٦٩/٢ .
(١١٨) الأزهية في علم الحروف : (دمشق ١٩٧٥)–/٢٤٠ .

لنفسٍ أَن تؤمن إلا بإذنِ آلله ، ويجعلُ الرجسَ على الذين لايعقلون»(١١٩) ،
فالهمزة تكسر لو تصدرت الأداة قوليه : (نقرُّ ،ويجعلُ)على اعتبار الواو قبلهما عاطفة لا آستئنافية .

والملحظ المتقدم من كلام المرادي : (واو الاستئناف ، ويقال :واو الابتداء ...)يحملنا على الاشارة إلى أن مجيء الجمل ابتدائية ،يسلبها المحل الاعرابي ،فوقوع (إنّ)ومعموليها بعدواو الاستئناف وفائه يبقيها على ابتدائيتها ، فكسر همزتها يتعين على المتكلم نظراً إلى وقوعها في حد الضابط الكلي الذي أَشرنا إليه أول كلامنا ،وهو الكسر في موضع الابتداء الحقيقي ،والابتداء الحكمي .

إنّ الابتداء الحكمي عندنا كالاستئناف ،لاتسبق فيه (إنّ) بشيء ،يغير من طبيعتها المعنوية واستقلالها بمعموليها عما يتقدمها ،ولا عبرة فيه بوقوعها تالية لشيء ليس من شأنه أن يجعلها تابعة إعراباً ومعنى .ودارس ألفية ابن مالك يراها لاتشير من مواضع هذا النوع من الابتداء إلى أكثر من خمسة مواضع (١٢٠) ،وقد استدرك عليها أبو حيان وآبن عقيل ثلاثة (١٢١)،

---

(١٩١) يونس ، الآية ١٠٠ .

(١٢٠) قال آبن مالك بعد أن ذكر الكسر في الابتداء الحقيقي :

١ — وفي بدء صله =

٢ — وحيث إن ليمين مكمله =

٣ — أو حكيت بالقول =

٤ — أو حلت محل   حال كزرته وإني ذو أمل

٥ — وكسروا من بعد فعل علقا

بااللام كأعلم إنه لذو تقى

(الألفية /٢٤٢ ، ضمن مجموع المتون الكبير) .

(١٢١) شرح أبي حيان /٧٥ .و

شرح ابن عقيل ١/٣٥٤ — ٣٥٥ .

والشيخ خالد الأزهري ثلاثة (١٢٢) أخرى.فبدأ لنا أن نورد أصل ما ذكره ابن مالك ، وما آستدركه عليه شراح ألفيته ،بعد أن نظروا إلى المسألة من خلال نظرية : التأصيل والتفريع التي مرت الاشارة إليها ،وقد قال الأزهري بعد أن أورد ثلاثته : «والحق :أن (إنّ) في ذلك كله ابتدائية ،فهي داخلة في قوله (١٢٣) :أن تقع في الابتداء»، ثم تكون لنا في بحث ما أصّلوه وفرعوه إشارات إلى أشياء، وقفنا عليها بالاستقراء والفحص .

« للبحث صلة أولها: مواضع
الكسر في الابتداء الحكمي »

عبدالوهاب محمد علي العدواني

مدرس مساعد — قسم اللغة العربية
كلية الآداب — جامعة الموصل

---

(١٢٢) شرح التصريح ٢١٦/١ .
(١٢٣) يعني : قول ابن هشام في : (أوضح المسالك ٣٣٤/١) ،وما ذكر فيه عشرة مواضع .
أنظر : هامشنا الثاني بعد الثمانين .

نظام الارشاد في كلية الآداب

مـنى خروفـة

نظراً إلى أهمية نظام الارشاد في مساعدة الطلبة في حل مشاكلهم وانارة الطريق أمامهم لاختيار القرار الصحيح وسلوك الطريق المناسب إذا ما صادفتهم مشكلة أو أي شيء من هـذا القبيل ، وحيث أن نظام الارشاد قد بدأ في جامعة الموصل منذ حوالي السنتين لذا كان الغرض من هذا البحث معرفة مدى نجاح النظام الحالي للارشاد في كلية الآداب عن طريق إجراء استفتاء عام للطلبة والأساتذة لمعرفة آرائهم واستنتاج الحقائق المستندة عليها وعلى ضوء ذلك محاولة تقديم اقتراحات قد تساعد في تحسين وتطوير النظام الحالي للارشاد.

ففي الماضي وعندما كانت الحياة تسير ببساطة لم يكن هناك حاجة إلى وجود نظام للارشاد ولكن الآن وقد أصبحت الحياة أكثر تعقيداً نجد هناك ضرورة قصوى لوجود نظام خاص للارشاد في الجامعة .

□ فالاستاذ المرشد بحكم تجربته واختلاطه بالطلبة يستطيع تنمية قابلياتهم الدراسية وبالاضافة إلى هذا يستطيع معرفة قابلياتهم وهواياتهم الاخرى في مختلف المجلات وتشجيع وتوجيه الطلبة للاستفادة من هذه القابليات والهوايات والكفاءات . وبالرغم من أن ادارة الكلية هي المسؤولة عن .

نظام الارشاد الا ان على الاستاذ يقع العبء الاكبر في تنفيذه هذا لكونه على اتصال دائم بطلبته ملماً بشؤونهم . والمرشد يجب أن يكون شخصاً يلم الماماً كافياً بمواضيع التربية وعلم النفس لان الشخص الملم بهذه المواضيع يكون أقدر على مساعدة الطلبة في مواجهة مشاكلهم وأكثر كفاءة من غيره

أهداف نظام الارشاد :

١ ـ مساعدة الطلبة في اظهار وتحسين قابلياتهم وهواياتهم وأهدافهم الدراسية

٢ ـ زيادة معلوماتهم عن المتطلبات الدراسية وكيفية تنفيذها .

٣ ـ مساعدتهم في الاستفادة من الفرص السانحة لهم للوصول إلى أهدافهم النهائية .

٤ ـ مساعدتهم في تحسين وتثبيت علاقاتهم الاجتماعية .

٥ ـ تزويد ادارة الكلية والاساتذة وعوائل الطلبة بالمعلومات الكافية عن قابليات الطلبة .

٦ ـ خدمة الطلبة ومساعدتهم بصورة مباشرة وغير مباشرةوذلك بالتعاون مع بقية المرشدين والاساتذة وادارة الكلية .

ومن الاسس التي يرتكز عليها هذا النظام هو الايمان بقابلية وفردية الطالب ومساعدة الطالب للوصول إلى غايته كفرد ناجح له شخصيته المستقلة وكيانه . وهذا النظام يقدم خدماته لكل الطلبة على حد سواء . فهو يحترم شخصية الفرد ويقدر تصرفاته . ومن الدعائم الاساسية لهذا النظام هو وجود الثقة المتبادلة بين الطالب والمرشد وايمان الطالب بكون المرشد شخصاً قادراً على اعطائه الارشاد الذي يحتاجه فهناك الكثير من الطلبة النابهين الذين تضيع عليهم فرصة اظهار كفاءاتهم الدراسية لكونهم يواجهون عدداً من المشاكل المختلفة التي قد تؤثر تأثيراً بالغاً في سير حياتهم الدراسية فوجود ، مرشد يثقون به قد ينقذهم من الضياع ويفتح المجال أمامهم لمناقشة مشاكلهم بصراحة ومواجهتها بجرأة دون التخاذل واليأس ومن المعروف أن هناك

عدة أنواع من الارشاد أهمها الارشاد النفسي ، والارشاد الاجتماعي والارشاد المهني .

الطريقة :

الطريقة التي اتبعت في الاستفتاء هي توزيع الاستمارات على جميع ، طلبةالصفوف الثانيةو الثالثةو الرابعة في جميع أقسام كلية الاداب . والسبب في اختيار المراحل الدراسية الثلاث العليا هو أن طلبة الصفوف الاولى لم يتلقوا الارشاد الا لسنة واحدة هي سنة وجودهم في الكلية و كذلك لان طلبة المراحل الثلاث العليا قد تلقوا الارشاد لمدة لاتقل عن سنتين ومر عليهم أكثر من مرشد فهم في وضع يمكنهم من الاجابة عن الاسئلة بدراية وخبرة بالنظام الحالي وقد لوحظ ان قسماً من الطلبة لم يجيبوا على جميع الاسئلة لكونهم لم يلتقوا بالمرشد غير مرة واحدة في الحفلة الترفيهية التي اقيمت من قبل المرشد لشعبتهم فلذلك لا يستطيعون الاجابة على هذه الاسئلة لكونهم لايعرفون المرشد جيداً كما ذكروا .

وقد ضمت استمارة الطلبة الأسئلة التالية :

١ — هل تسكن القسم الداخلي نعم ( ) لا ( )
هل تسكن مع عائلتك نعم ( ) لا ( )

٢ — هل تعتقد ان نظام الارشاد الحالي في الكلية :
ممتاز ، جيد ، مقبول ، ضعيف

٣ — هل ان المرشد يقوم بوظيفته بصورة :
مرضية ، تحتاج إلى تحسين ، غير مرضية

٤ — لو حدثت لك مشكلة فهل تفضل أن تحلها :
بنفسك — مع المرشد — مع أحد أصدقائك — مع رئيس القسم — مع ادارة الكلية .

٥ ـ هل تعتبر المرشد :
كصديق ـ كشخص ذو تجربة ـ كشخص ذو مركز مهم في الكلية شخص تثق به .
٦ ـ أيهما أفضل :
مرشد لكل شعبة ـ مرشد لكل قسم ـ مرشد تختاره أنت ـ مركز للارشاد في الكلية (١)
٧ ـ ما هي أكثر المشاكل التي تواجهك ـ يمكن التاشير على أكثر من مشكلة واحدة .
دراسية ـ اجتماعية ـ نفسية ـ عاطفية ـ اقتصادية ـ مشاكل أخرى .
٨ ـ ماهي عدد المرات التي التقيت بها بمرشدك ؟
صفر ـ واحد ـ اثنان ـ أكثر .
٩ ـ هل كان لقاؤك بالمرشد :
بصورة منفردة ـ ضمن مجموعتك
١٠ هل كان لقاؤك بالمرشد بأي شكل كان : ـ
مثمراً ـ غير مثمر

أما استمارات الاساتذة فقد وزعت إلى جميع الاساتذة بمرتبة معيد ، فما فوق والذين يقومون بوظيفة مرشد في الكلية . وقد ضمت استمارة الاساتذة الاسئلة التالية :

١ ـ هل تعتقد ان نظام الارشاد الحالي في الكلية :
ممتاز ـ جيد ـ مقبول ـ ضعيف .
٢ ـ أيهما تفضل :
مرشد لكل شعبة ـ مرشد لكل قسم ـ مركز للارشاد في الكلية
٣ ـ ما هي أكثر المشاكل التي تواجه الطالب :
دراسية ـ اجتماعية ـ نفسية ـ عاطفية ـ اقتصادية ـ مشاكل أخرى

(١) مركز الارشاد : يتم تأسيه في الكلية ليخدم جميع الطلبة في وقت واحد ويضم عدداً من الاساتذة الذين لهم خبرة في مواضع التربية وعلم النفس وللطالب حق الخيار في التحدث الى أي واحد من هؤلاء الاساتذة

٤ ـ ماهي عدد المرات التي التقيت بها مع طلبتك ؟
صفر ـ واحد ـ اثنان ـ أكثر .

٥ ـ بأي شكل كان لقاؤك مع الطلبة
كلا على انفراد ـ بشكل مجموعات

٦ ـ في أي حقل يستطيع المرشد أن يساعد طلبته :
علمي ـ اجتماعي ـ نفسي ـ اقتصادي .

النتائج ومناقشتها :

كانت الغاية من السؤال الاول معرفة نسبة الطلبة الذين شاركوا في الاستفتاء ويسكنون القسم الداخلي ثم نسبة الطلبة الذين يسكنون (خارجاً) في شقق أو بيوت مستقلة . حيث ان الطلبة الذين لايسكنون مع عوائلهم قد تكون لديهم مشاكل اضافية ، أكثر من الذين يسكنون مع عوائلهم . وكانت نتيجة السؤال انه ٦ر٤٦٪ من الطلبة يسكنون القسم الداخلي يلتهم ٨ر٤٠٪ يسكنون مع عوائلهم ثم ٦ ر١٢ ٪ يسكنون خارجاً .

أما الغايةمن السؤال الثاني فكانت معرفة رأى الطلبة بنظام الارشاد ونلاحظ من جدول رقم (١) ان ٦ر٣٧ ٪ من الطلبة يعتقدون ان النظام الحالي للارشاد مقبول . يليهم ٥ر٢٨ ٪ من الطلبة يعتقدون انه جيد . ويظهر أن الذين يعتقدون أن النظام الحالي ممتاز هو قسم قليل جداً ٩ر٧٪ من الطلبة ولعلهم من الذين حضوا بمرشد جيد ساعدهم كثيراً في حل مشاكلهم واذا نظرنا إلى جدول رقم ٦ نرى إن ٥٦ ٪ من الطلبة ذكروا انهم التقوا بمرشدهم مرة واحدة يليهم ٢٣ ٪ لم يلتقوا نهائياً بمرشدهم ثم ٤ ر١٠ ٪ من الطلبة ذكروا انهم التقوا بالمرشد أكثر من مرتين . وهذا يقودنا إلى الاستنتاج ان ٩ر٧٪ من مجموع الطلبة الذين ذكروا ان النظام الحالي ممتاز يقابل ٤ر١٠٪ من الطلبة الذين ذكروا انهم التقوا بالمرشد بأكثر من مرتين

	ممتاز	جيد	مقبول	ضعيف	المجموع
عدد الطلاب	٤٦	١٤٤	١٧٢	١٤٨	٥١٠
النسبة المئوية	٩,١ ٪	٢٨,٢ ٪	٣٣,٧ ٪	٢٩,٠ ٪	١٠٠ ٪
عدد الطالبات	١٢	٤٨	١٠٦	٦٢	٢٢٨
النسبة المئوية	٥,٣٪	٢١,٠٪	٤٦,٥٪	٢٧,٢٪	١٠٠ ٪
العدد الكلي	٥٨	١٩٢	٢٧٨	٢١٠	٧٣٨
النسبة المئوية	٧,٩٪	٢٦٪	٣٧,٦٪	٢٨,٥٪	١٠٠٪

جدول رقم (١)

ملخص نتائج السؤال : هل تعتقد أن نظام الإرشاد الحالي في الكلية

ممتاز — جيد — مقبول — ضعيف

فهل معنى هذا إنه كلما ازداد عدد المرات التي يلتقي بها المرشد بطلبته ، كلما ازدادت ثقة الطلبة بهذا النظام ؟ قد يكون هذا جائزاً وان لم يكن من الضروري . وقد يكون حكم الطالب عن نظام الارشاد متعلقاً بمدى استفادته من هذا النظام .

السؤال الثالث الذي وجه للطلبة فكان : هل ان المرشد يقوم بوظيفته بصورة مرضية ، تحتاج إلى تحسين ، غير مرضية. وكان الجواب ٤٥ر٧٪ من الطلبة يعتقدون انه يقوم بوظيفته بصورة مرضية . ثم ٦ر٩٪ يعتقدون إنه يقوم بوظيفته بصورة غير مرضية. فإذن أقل من نصف الطلبة يعتقدون أن المرشد يقوم بوظيفته بصورة مرضية وربما كان هذا الاعتقاد مرتبطاً بمدى استفادة الطلبة من المرشد .

أما السؤال الرابع فكان: لو حدثت لك مشكلة فهل تفضل أن تحلها بنفسك مع المرشد . مع أحد من اصدقائك ، مع رئيس القسم مع ادارة الكلية .

وجدول رقم (٢) يعطينا صورة واضحة فعلية عن مدى ثقة الطالب بالمرشد والطريقة التي يفضلها في حل مشاكله . فحوالي ٢ر٣٦٪ من الطلبة يفضلون حل مشاكلهم مع أحد أصدقائهم ثم ٢٥٪ من الطلبة يفضلون حل مشاكلهم مع المرشد.يتضح من هذا ان الربع فقط يذهب إلى المرشد إذا ما صادفته مشكلة وهذا يدل على ان الثقة قليلة بالمرشد لانه من المفروض أن يذهب العدد الاكبر من الطلبة إلى المرشد للتباحث معه في حل مشاكلهم ولكن الحقيقة هي ان العدد الاكبر من الطلبة يفضلون حل مشاكلهم اما بأنفسهم او مع احد أصدقائهم . ونجد في الجدول أيضاً أن ٥ر٤١٪ من الطالبات يفضلن حل مشاكلهن بأنفسهن لانه ما زال قسم من الفتيات يعتقدون أن المرشد أو ، المرشدة سوف لا تحتفظ بالمعلومات الخاصة بمشاكلهن لنفسها بل سوف تبوح بها لافراد آخرين . ومن المحتمل أيضاً ان الفتاة تفضل حل مشاكلها الشخصية بنفسها ثم تتباحث بالمشاكل الاخرى اجتماعية كانت أو نفسية مع صديقاتها وقد تذهب بمشاكلها الباقية الدراسية مثلا إلى المرشد . وهناك عدد قليل ٣ر٧٪ من الطلبة يفضل حل مشاكله مع رئيس القسم وعدد أقل ٤ر٣٪ يفضل حل مشاكله مع ادارة الكلية ويمكن أن يكون سبب ذلك هو نوعية المشكلة التي يصادفها الطالب . ونجد ذلك واضحاً في الجدول الذي يبحث نوعية المشاكل حيث أن الطالب يواجه مشاكل دراسية أو اجتماعية أو نفسية أو عاطفية أو اقتصادية أو قد تكون أكثر من مشكلة وربما تكون عنده كل هذه المشاكل مجتمعة .

وفي جدول (٣) الذي يحتوي على ملخص نتائج السؤال : هل تعتبر المرشد : كصديق ، كشخص ذي تجربة ، كشخص ذي مركز مهم في الكلية شخص لاتثق به ، نلاحظ ان اكثر من نصف الطلبة ٢ر٥٢٪ يعتبرون المرشد شخصاً ذا تجربة وربما هذا هو السبب الذي يحدوهم إلى الذهاب اليه بمشاكلهم لانه عادة شخص أكبر منهم سناً وأوفر علماً وأكثر تجربة ثم يليهم بعد ذلك حوالي ربع الطلبة ٥ر٢٥٪ يعتبرون المرشد كصديق أكبر

	بنفسك	المرشد	مع أحد أصدقائك	مع رئيس القسم	مع إدارة الكلية	المجموع
طلاب	١٦٠	١٤٠	١٦٢	٤٤	٢٦	٥٣٢
النسبة المئوية	٣٠,١٪	٢٦,٣٪	٣٠,٤٪	٨,٣٪	٤,٩٪	١٠٠٪
طالبات	٩٨	٥٦	٧٠	١٢		٢٣٦
النسبة المئوية	٤١,٥٪	٢٣,٧٪	٢٩,٧٪	٥,١٪		١٠٠٪
المجموع الكلي	٢٥٨	١٩٦	٢٣٢	٥٦	٢٦	٧٦٨
النسبة المئوية	٣٦,٢٪	٢٥,٥٪	٣٠,٢٪	٧,٣٪	٣,٤٪	١٠٠٪

جدول رقم — ٢ —

ملخص نتائج السؤال : لو حدثت مشكلة فهل تفضل أن تحلها :
بنفسك — مع المرشد — مع أحد أصدقائك —
مع رئيس القسم — مع إدارة الكلية .

منهم سناً وأكثر تجربة أيضاً . ومن الملاحظ ان نسبة الطالبات اللواتي ، يعتبرن المرشد كشخص ذي مركز مهم في الكلية هي ٦ر٢١٪ بينما نسبة الطلاب هي أقل من ٦ر١٣٪ فالطالبات يذهبن اليه لانه شخص يستطيع مساعدتهن في حل قسم من مشاكلهن كالمشاكل الدراسية مثلا. أما نسبة الطلبة الذين لا يثقون بالمرشد فهي ٧ر٨٪ أي إن العدد قليل نسبياً وربما ، هم من الطلبة الذين لم يحضوا بمرشد يهتم بمشاكلهم جيداً .

أما في جدول رقم (٤) فنجد ملخصاً لنتائج السؤال : أيهما تفضل ، مرشد لكل شعبة ، مرشد لكل قسم ، مرشد تختاره أنت ، مركز للارشاد في الكلية حيث أنه من الملاحظ أن الطلبة عادة يفضلون أن يبحثوا مشاكلهم مع مدرسين يعرفونهم . فنجد ٩ر٦١٪ من الطلبة فضلوا أن يكون مرشداً خاصاً لكل شعبة . ويكون مرشد الشعب عادة من الاساتذة الذين يدرسون تلك الشعبة اي انهم معروفون لدى الطلبة . والطالب سوف لايكون مضطرباً عند مقابلة المرشد فالطالب لا يرغب أن يبحث مشاكله مع مدرس لايعرفه ويلي ذلك ٩ر١٩٪ من الطلبة يفضلون أن يختاروا مرشدين لانفسهم فالطالب قد يجد في شخصية أحد الاساتذة مرشده المفضل فيذهب اليه لبحث مشاكله . وربما يكون هذا المرشد من الاساتذة الذين لهم علاقات اجتماعية مع الطلبة أكثر من غيرهم من الاساتذة وهناك ٩ر١٤٪ من الطلبة يفضلون وجود مركز للارشاد في الكلية . ونلاحظ هنا أن عدداً قليلاً من الطلبة حبذوا هذه الفكرة وربما السبب يعود لعدم معرفة الطلبة بطبيعة عمل مركز الارشاد كما وان نسبة الطلاب الذين يفضلون مركز الارشاد ٧ر١٧٪ هي أكبر من نسبة الطالبات اللواتي يفضلن هذا وهي ٩ر٧٪ ونسبة قليلة جداً من الطلبة ٣ر٣ ٪ فضلت مرشداً واحداً لكل من الاقسام العلمية .

	صديق	شخص ذو تجربة	شخص ذو مركز مهم في الكلية	شخص لاتثق به	المجموع
طلاب	١٤٢	٢٧٤	٥٦	٤٠	٥٣٢
النسبة المئوية	٢٦,٧٪	٥٥,٣٪	١٠,٥٪	٧,٥٪	١٠٠٪
طالبات	٤٦	٩٠	٤٤	٢٤	٢٠٤
النسبة المئوية	٢٢,٥ ٪	٤٤,١ ٪	٢١,٦ ٪	١١,٨ ٪	١٠٠ ٪

المجموع الكلي	١٩٢	٣٦٤	١٠٠	٦٤	٧٣٦
النسبة المئوية	٢٥,٥ ٪	٥٢,٢ ٪	١٣,٦٪	٨,٧ ٪	١٠٠ ٪

جدول رقم « ٣ »

ملخص نتائج السؤال : هل تعتبر المرشد : كصديق ، كشخص ذي تجربة
كشخص ذي مركز مهم في الكلية — شخص لاتثق به

	مرشد لكل شعبة	مرشد لكل قسم	مرشد تختاره أنت	مركز للإرشاد في الكلية	المجموع
طلاب	٣١٢	٢٢	٩٤	٩٢	٥٢٠
النسبة المئوية	٦٠ ٪	٤,٢ ٪	١٨,١٪	١٧,٧ ٪	١٠٠ ٪
طالبات	١٣٦	٢	٥٠	١٦	٢٠٤
النسبة المئوية	٦٦,٦ ٪	١ ٪	٢٤,٥ ٪	٧,٩ ٪	١٠٠ ٪
المجموع الكلي	٤٤٨	٢٤	١٤٤	١٠٨	٧٢٤
النسبة الموية	٦١,٩ ٪	٣,٣ ٪	١٩,٩ ٪	١٤,٩ ٪	١٠٠ ٪

جدول رقم « ٤ »

ملخص نتائج السؤال : أيهما تفضل : مرشد لكل شعبة — مرشد لكل قسم — مرشد تختاره أنت — مركز للإرشاد في الكلية

	دراسية	إجتماعية	نفسية	عاطفية	إقتصادية	مشاكل أخرى	المجموع
طلاب	٢٤٠	١٧٠	١٠٨	١١٦	١٧٨	٤٦	٨٥٨
النسبة المئوية	٢٨٪	١٩,٨٪	١٢,٦٪	١٣,٥٪	٢٠,٧٪	٥,٤٪	١٠٠٪
طالبات	١٥٤	٧٦	٦٨	٢٦	٢٠	١٨	٣٦٢
النسبة المئوية	٤٢,٥٪	٢١٪	١٨,٨٪	٧,٢٪	٥,٥٪	٥٪	١٠٠٪
المجموع الكلي	٣٩٤	٢٤٦	١٧٦	١٤٢	١٩٨	٦٤	١٢٢٠
النسبة المئوية	٣٢,٣٪	٢٠,٢٪	١٤,٤٪	١١,٧٪	١٦,٢٪	٥,٢٪	١٠٠٪

جدول رقم (٥)

ملخص نتائج السؤال ما هي أكثر المشاكل التي تواجهك ـ يمكن التأشير على أكثر من مشكلة واحدة: دراسية . اجتماعية
نفسية، عاطفية ، اقتصادية ، مشاكل أُخرى

أما عن المشاكل التي تواجه الطالب فجدول رقم (٥) يعطينا صورة واضحة عن هذا . فمن الواضح أن أكثر المشاكل هي دراسية ٢ر٣٢ ، تليها مشاكل اجتماعية ٢ر٢٠٪ ثم مشاكل اقتصادية ٢ر١٦٪ تليها مشاكل نفسية ٤ر١٤٪ ثم مشاكل عاطفية ٧ر١١٪ وأخيراً مشاكل أُخرى ٢ر٥٪ ولأن المشاكل الدراسية هي أكثر المشاكل التي تواجه الطالب نرى أن عدداً

كبيراً من الطلبة فضلوا مرشداً لكل شعبة فمن الواضح أن علاقتهم بمرشد يقوم بتدريسهم ونفس الوقت يعرف مشاكلهم هو الحل الذي يفضله اكثرهم كما يجب أن لاننسى أنه قد يكون لبعض الطلبة أكثر من مشكلة واحدة وقد تكون لقسم منهم كل هذه المشاكل مجتمعة أو قد تختلف هذه المشاكل بين حين وآخر .

	صفر	واحد	إثنين	أكثر	المجموع
طلاب	١٣٠	٢٦٠	٥٠	٦٢	٥٠٢
النسبة المئوية	٢٥،٩٪	٥١،٨٪	١٠٪	١٢،٣٪	١٠٠٪
طالبات	٣٨	١٥٠	٢٨	١٤	٢٣٠
النسبة المئوية	١٦،٥٪	٦٥،٢٪	١٢،٢٪	٦،١٪	١٠٠٪
المجموع الكلي	١٦٨	٤١٠	٧٨	٧٦	٧٣٢
النسبة المئوية	٢٣٪	٥٦٪	١٠،٦٪	١٠،٤٪	١٠٠٪

جدول رقم (٦)

ملخص نتائج السوال : ماهو عدد المرات التي التقيت بها بمرشدك :
صفر ، واحد ، إثنان ، أكثر

وإذا نظرنا إلى جدول رقم (٦) لوجدنا أن أكثر من نصف الطلبة ٥٦٪ ٠ التقوا بمرشدهم مرة واحدة فقط وإن قسماً منهم ذكروا أن هذه المرة كانت في الحفلة الترفيهية المقامة من قبل المرشد لشعبتهم . يليهم ٢٣ ٪ ذكروا أنهم لم يلتقوا بالمرشد نهائياً ثم ١٠،٦ ٪ قالوا أنهم التقوا به مرتين . ثم ١٠،٤٪ ذكروا أنهم التقوا بالمرشد بأكثر من مرتين . فإذن من الواضح أن أكثر من نصف الطلبة لم يلتقوا بمرشديهم إلا مرة واحدة وهذه كما نعلم جميعنا غير كافية فالمرشد يجب أن يلتقي بطلبته مرة كل شهر على الأقل . أي حوالي

ثماني مرات في السنة فمرة واحدة غير كافية على الإطلاق لمعرفة مشاكل الطلبة . ثم ماذا عن الطلبة الذين لم يلتقوا بالمرشد نهائياً أو الذين التقوا به في الحفلة الترفيهية فقط ؟ وهل معنى هذا أنهم لم يستفيدوا من وجود نظام الإرشاد من الواضح أن هؤلاء الطلبة لم يستفيدوا نهائياً من وجود نظام الإرشاد أو أنهم إستفادوا فائدة جزئية .

أما السؤال التاسع فهو : هل كان لقاؤك بالمرشد بصورة منفردة أم ضمن مجموعتك ؟ وقد أجاب ٩٣ر١٪ من الطلبة انهم التقوا بالمرشد ضمن مجموعتهم . أي كل شعبة مع مرشدها . ثم ٦ر٩٪ من الطلبة التقوا مع ، مرشديهم بصورة منفردة لبحث مشاكل خاصة . ونلاحظ أن نسبة الطلاب الذين التقوا مع المرشد لبحث مشاكل خاصة هي ٩ر٧٪ أما مجموع الطالبات اللواتي التقين مع المرشد لبحث مشاكل خاصة فكان ١ر٧٪ ولعل هذا ، راجع إلى أحجام الطالبات من الكشف عن مشاكلهن الشخصية أكثر من الطلاب وذلك لان الفتاة قد تحاسب ع أشياء كثيرة لا يحاسب عليها الطالب . والسبب في أحجام بعض الفتيات عن الافضاء بمشاكلهن الشخصية هو كونهن لايثقن بالمرشد ثقة كاملة أو لأنهن يعتقدن أن المرشد سوف يبوح ببعض هذه المشاكل لاشخاص آخرين ولذلك نرى أهمية وجود مرشدة خاصة للطالبات في الكلية .

والسؤال العاشر في استمارة الطلبة هو هل كان لقاؤك بالمرشد بأي شكل كان : مثمراً ، غير مثمر .

ويظهر أن ٥٩ر٢٪من الطلبة كان لقاؤهم بالمرشد مثمراً في حين أن ، أن ٤٠ر٨٪ من الطلبة كان لقاؤهم بالمرشد غير مثمر . كما وان قسماً من الطلبة ذكروا أنه لم يكن مثمراً وذلك لانهم لم يبحثوا أي مشكلة مع المرشد فإذن الطلبة الذين كان لقاؤهم بالمرشد مثمراً هم أكثر من الطلبة الذين كان

وقد ضمت استمارة الاساتذة الاسئلة التالية :

١ – هل تعتقد أن نظام الارشاد الحالي في الكلية :

ممتاز – جيد – مقبول – ضعيف

٢ – أيهما تفضل :

مرشد لكل شعبة – مرشد لكل قسم – مركز للارشاد في الكلية ،

٣ – ماهي أكثر المشاكل التي تواجه الطالب

دراسية – اجتماعية – نفسية – عاطفية – اقتصادية – مشاكل أخرى

٤ – ماهو عدد المرات التي التقيت بها مع طلبتك ؟

صفر – واحد – اثنان – أكثر

٥ – بأي شكل كان لقاؤك مع الطلبة .

كلاً على انفراد – بشكل مجموعات

٦ – في أي حقل يستطيع المرشد أن يساعد طلبته :

علمي – اجتماعي – نفسي – اقتصادي

الاساتذة

	ممتاز	جيد	مقبول	ضعيف	المجموع
أستاذ مساعد			٤	٢	٦
النسبة المئوية			٪٦٦,٧	٪٣٣,٣	٪١٠٠
مدرس		٤	٦		١٠
النسبة المئوية		٪٠٤٠	٪٦٠		٪١٠٠
معيد		٤	٤	٢	١٠
النسبة المئوية		٪٤٠	٪٤٠	٪٢٠	٪١٠٠
العدد الكلي		٨	١٤	٤	٢٦
النسبة المئوية		٪٣٠,٨	٪٥٣,٨	٪١٥,٤	٪١٠٠

جدول رقم « ٧ »

ملخص نتائج السؤال : هل تعتقد أن نظام الإرشاد الحالي في الكلية :

ممتاز – جيد – مقبول – ضعيف

إذا نظرنا إلى جدول رقم « ٧» نجد أن أكثر من نصف الأساتذة أي ٥٣,٨٪ يعتقدون أن نظام الإرشاد الحالي مقبول في حين يعتقد ٣٠,٨٪ منهم أنه جيد وهناك قسمٌ قليلٌ منهم ١٥,٤٪ يعتقدون أنه ضعيف . فحوالي النصف إذن يعتقدون أنه مقبول . وهذا بخلاف الطلبة إذن إنه ٣٧,٦٪ من الطلبة فقط إعتقدوا أن النظام الحالي للإرشاد مقبول (لاحظ جدول رقم — ١ —) وإذا أخذنا بنظر الإعتبار أجوبة الطلبة وأجوبة الأساتذة معاً نجد أنه أقل من نصف مجموعهم يعتقدون أن نظام الإرشاد الحالي مقبول فهو إذن يحتاج إلى تحسين وتغيير بنظر الأغلبية .

	مرشد لكل شعبة	مرشد لكل قسم	مركز للإرشاد	المجموع
أستاذ مساعد	١		٤	٥
النسبة المئوية	٢٠٪		٨٠٪	١٠٠٪
مدرس	٦		٤	١٠
النسبة المئوية	٦٠٪		٤٠٪	١٠٠٪
معيد	٥	١	٤	١٠
النسبة المئوية	٥٠٪	١٠٪	٤٠٪	١٠٠٪
العدد الكلي	١٢	١	١٢	٢٥
النسبة المئوية	٤٨٪	٤٪	٤٨٪	١٠٠٪

جدول رقم — ٨ —

ملخص نتائج السؤال : أيهما تفضل مرشداً لكل شعبة — مرشداً لكل قسم — مركزاً للإرشاد في الكلية

أما جدول رقم (٨) فيرينا أن ٤٨٪ من الأساتذة يفضلون مركزاً للإرشاد . كما يفضل نفس العدد أيضاً مرشداً لكل شعبة . في حين فضل

٤٪ فقط مـن الأساتذة مرشداً لكل قسم . وإذا ماقارنا هذا بجدول رقم (٤) الذي يوضح إجابات الطلبة على هذا السؤال نجد أن ٦١,٩٪ مـن الطلبة يفضلون مرشداً لـكل شعبة أي أكثر مـن نسبة الأساتذة الذين يفضلون ذلك . كما أن عدد الطلبة الذين يفضلون مركزاً للإرشاد هو ١٤,٩٪ أي أقل بكثير من نسبة الأساتذة الذين يفضلون ذلك .

فالأساتذة يفضلون وجود مركز للإرشاد لأن هذا يخلصهم من قسم الأعباء وبنفس الوقت يتسلم مهمة المرشد أساتذة راغبون في هذا العمل ومتمكنون منه.

أما السؤال الثالث في استمارة الاساتذة فكان عن أكثر المشاكل التي تواجه الطالب وظهر أن ٣ر٢٤٪ يعتقدون أن المشاكل الدراسية هي أكثرها يليهم ٤ر٢١٪ مشاكل نفسية ثم ٤ر٢١٪ مشاكل اقتصادية . ثم ١ر١٧٪ مشاكل عاطفية وأخيراً ٩ر٢٠٪ مشاكل أُخرى . أي أن أهمها مشاكل دراسية وهذا نفس اعتقاد الطلبة لاحظ جدول رقم (٥) .

ونلاحظ من جدول رقم (٩) أن ٧ر٤١٪من الاساتذة ذكروا أنهم التقوا بطلبتهم مرتين في حين أن ١ر٢٩٪ من الاساتذة التقوا مرة احدة بطلبتهم و ٢٥٪ منهم التقوا بأكثر من مرتين مع الطلبة ونشاهد أن قسماً قليلاً منهم حوالي ٢ر٤٪ ذكروا انهم لم يلتقوا نهائياً مع الطلبة واذا ما نظرنا إلى العدد الحقيقي نجد أن نسبة ٢ر٤٪ تشير إلى وجود استاذ واحد وربما لم يكن هذا الاستاذ مرشداً لاي شعبة . في حين اذا نظرنا إلى جدول رقم (٨) الذي يحتوي على اجابات الطلبة عن هذا السؤال نجد أن ٢٣٪ من الطلبة ذكروا انهم لم يلتقوا بمرشدهم نهائياً . ومن الملاحظ أيضاً ان العدد الاكبر من الاساتذة ٧ر٤١٪ ذكروا انهم التقوا بطلبتهم مرتين وهذا العدد من اللقاءات قليل جداً كما نعلم اذ أنه كما ذكرنا سابقاً يجب أن يلتقي المرشد بطلبته مرة كل شهر على الاقل أي حوالي الثماني مرات بالسنة ومن المستحسن أن يكون العدد أكثر من ذلك ليتسنى للمرشد التعرف على مشاكل طلبته أكثر ومساعدتهم في حلها. فمرتان بالسنة فقط لاتساعد الطلبة في شيء اذا ما ،

نظرنا إلى العدد الكبير من الطلبة الذي تتكون منه كل شعبة . فبعض ، الشعب مثلاً تتكون من حوالي الخمسين طالباً . فلقاءان بالسنة كل لقاء ، حوالي الخمسين دقيقة لاتكفي فنصيب الطالب الواحد هو دقيقتان فقط للتكلم عن المشكلة مع المرشد خلال السنة كلها وهذا قليل جداً . ولكن ليس معنى هذا ان نزيد عدد لقاءات المرشد زيادة كبيرة جداً . لانهذا كما يعتقد الكثير يؤدي إلى اعتماد الطالب الكلي على المرشد ويشجع الطالب على الاتكال . ولكننا نرى أن حوالي ثماني مرات في السنة على الاقل شيء معقول أضف إلى ذلك أن الطلبة يستطيعون الطلب من المرشد أن يجتمع بهم اذا ما دعت الحاجة الى ذلك .

	صفر	واحد	إثنان	أكثر	المجموع
أستاذ مساعد		١	٢	١	٤
النسبة المئوية		٪٢٥	٪٥٠	٪٢٥	٪١٠٠
مدرس		٥	٣	٣	١١
النسبة المئوية		٪٤٥,٤	٪٢٧,٣	٪٢٧,٣	٪١٠٠
معيد	١	١	٥	٢	٩
النسبة المئوية	٪١١,١	٪١١,١	٪٥٥,٦	٪٢٢,٢	٪١٠٠
المجموع الكلي	١	٧	١٠	٦	٢٤
النسبة المئوية	٪٤,٢	٪٢٩,١	٪٤١,٧	٪٢٥	٪١٠٠

جدول رقم « ٩ »

ملخص نتائج السؤال : ماهو عدد المرات التي التقيت بها مع طلبتك؟

صفر – واحد – إثنان – أكثر

أما السؤال الخامس في استمارة الاساتذة فكان : بأي شكل كان لقاؤك مع الطلبة كلا على انفراد ، بشكل مجموعات .

والنتائج بينت لنا أن ٩ر٧١٪ من الاساتذة ذكروا انهم التقوا بطلبتهم بشكل مجموعات و١ر٢٨٪ منهم ذكروا انهم التقوا بهم على انفراد وربما أن قسماً من الاساتذة التقوا بطلبتهم بشكل مجموعات ثم على انفراد للطلبة الذين لهم مشاكل خاصة . فنسبة الذين ذكروا انهم التقوا بطلبتهم بشكل مجموعات هي أكثر بكثير من نسبة الذين التقوا بطلبتهم على انفراد . وقد اعطتنا نتائج السؤال نفسه موجهاً للطلبة النتائج الاتية : ١ر٩٣٪ من الطلبة الذين التقوا بالمرشد ضمن مجموعتهم ثم ٩ر٦٪ فقط التقوا مع مرشديهم بصورة منفردة لبحث مشاكل خاصة.فالنتائج غير متوازنة نهائياً بين عدد اللقاءات المنفردة واللقاءات بشكل مجموعات وهذا راجع كما ذكرنا إلى قلة الثقة الموجودة بين الطلبة ومرشديهم فمعظم المشاكل الخاصة يفضل الطلبة حلها بأنفسهم أو مع أحد أصدقائهم .

أما السؤال الاخير في استمارة الاساتذة فكان في أي حقل يستطيع المرشد أن يساعد طلبته ، علمي اجتماعي ، نفسي ، اقتصادي، ومن النتائج نرى أن المرشد يستطيع مساعدة طلبته في الحقول الاتية: ١ر٣٩٪ علمي ثم ٣ر٢٨٪ نفسي ، يليهم ١ر٢٦٪ في الحقل الاجتماعي . وأخيراً ٥ر٦٪ في الحقل الاقتصادي . ولقد ظهر من نتيجة السؤال الثالث الموجه للاساتذة عن نوعية المشاكل التي يواجهها الطالب أن أكثر المشاكل هي دراسية ، تليها المشاكل النفسية .

مقترحات لتطوير نظام الارشاد الحالي :

من الممكن أن نجعل الارشاد الحالي في كلية الاداب نظاماً مفيداً حقاً يخدم جميع الطلبة وله أهداف تربوية قيمة . ومن أهم النقاط التي ، أن تلاحظ هي :

١ — زيادة النشاطات اللاصفية والسفرات والحفلات واشتراك المرشدين والطلبة فيها لان هذا يساعدهم على التصرف على بعضهم وزيادة الثقة المتبادلة بينهم .

٢ — يجب زيادة عدد المرات التي بها المرشد بطلبته بحيث تخصص ساعة كل اسبوعين مثلاً على الاقل من قبل القسم والعمادة للمرشد ليلتقي بطلبته . ومن الممكن أن تكون هذه الساعة للكلية بأجمعها ولجميع المرشدين ليلتقوا بطلبتهم في وقت واحد .

٣ — أن يدعم المرشد من قبل العمادة لان المرشد في بعض الاحيان يحتاج إلى دعم واسناد من قبل العمادة أوالجهات المسؤولة في الجامعة. فإذا أخذنا مثلاً المشاكل الاقتصادية فبالامكان حلها إذا كان هناك تعاوناً وثيقاً بين الطالب والمرشد وعمادة الكلية .

٤ — تشكل لجنة متكونة من عدد من الاساتذة في الكلية للنظر بالمشاكل التي لايستطيع المرشد حلها بنفسه كاللجنة الموجودة الآن . وتجتمع اللجنة كل اسبوعين أو كل شهر بوقت معين لبحث مشاكل الطلبة ، التي قد يطلب بعضهم بحثها مع اللجنة أو مع أحد أعضاء اللجنة . وبهذه الطريقة نكون قد مزجنا بين نظام المرشد لكل شعبة ونظام الارشاد في الكلية الذي في الحقيقة يتكون من لجنة الارشاد ويجتمع بانتظام كماذكرنا.

٥ — يجب أن يعلم الطلبة جميعاً منذ بداية السنة الدراسية أسماء لجنة الارشاد في الكلية . وذلك لان الطالب في بعض الاحيان قد لا يتفق مع مرشد شعبته فيكون أمامه فرصة أخرى وهي فرصة التحدث إلى اللجنة .

٦ — تخصص مرشدة للطالبات في كل كلية .

٧ — الاهتمام بالاستمارات العائدة للطلبة فيجب أن يدون المرشد في الاستمارة كل المعلومات المتوفرة عن الطالب . وعلى المرشد ملاحظة التقدم الدراسي لطلبته ومحاولة بحث أسباب تأخر قسم من الطلبة في الدراسة وبحث الاسباب المؤدية إلى ذلك . اذ قد لا تكون الاسباب دراسية فقط بل قد تكون نفسية أواجتماعية .

المصادر

١ – الدكتور فخري الدباغ ((أصول الطب النفساني)) مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ١٩٧٤

٢ – هيلين شاكتر (كيف تتكامل الشخصية) مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ١٩٥٤

3. Goldman, Leo. Using Tests in Counseleing. Appleton - Century - Crofts, Inc. New York. 1961.
4. Hatch, Raymond. N. and Stefflce, Buford. Administration of Guidance Services. Prentice-Hall Inc. Englewood Cliffs, New-Jersey. 1965.
5. Isaacson, Lee E. Career Information in Counseling and Teaching. Allyn and Bacon, Inc. Boston. Mass. 1966.
6. Miller, Carroll. H. Guidance Services. Harper and Row. New York. 1966.
7. Patteron, C. H. Theories of Counseling and Psychotherapy. Harper and Row. New York. 1966.
8. Thorndike, Robert, L. and Hagen, Elizabeth. Measurement and Evaluation in Psychology and Education. John Wiley and Sons. Inc. New York. 1965.

منى خروفة

مدرسة-قسم اللغة الانكليزية

كلية الاداب-جامعة الموصل

الاخبار العلمية
للسنة الدراسية ١٩٧٤ـ١٩٧٥

١ – زار السيد رئيس جامعة الموصل الدكتور محمد صادق المشاط كليتنا بتاريخ ٧٤/١٠/٢٩ وافتتح مختبر الصوت في قسم اللغات الأوربية ، ويسع المختبر (٢٠ طالباً) . أما أجهزته فحديثة من صنع شركة فيليبس وقام القسم باستعمال مختبر الصوت لطلاب الصفوف الأولى في هذه السنة حيث قسم الصف إلى مجموعتين تقوم المجموعة الأولى بالتدريب العملي على النطق داخل المختبر تحت اشراف مدرس مختص ، أما المجموعة الثانية فيتولاها مدرس آخر يقوم بمناقشة التطبيق العملي في المختبر . وقد زود المختبر بالمواد التعليمية الضرورية من أشرطة صوتية مسجلة للطلبة وتسجيلات متنوعة يستعملها المدرس حسب الحاجة والغرض من استعمال مختبر الصوت هو تدريب الطلبة على النطق الصحيح فيما يتعلق بالأصوات المنفردة والكلمات والجمل ولغة الحديث .

٢ – وافق مجلس جامعة الموصل في جلسته الثامنة للسنة الجامعية الثامنة على اقتراح كليتنا باستيراد أجهزة وحدة المخطوطات بسعر ١٧٨٨٩/٩٣ دولارا من شركة كوداك حيث ستساعد الباحثين على تصوير وقراءة وتحقيق المخطوطات العربية كما ستفتح أفاقاً رحبة للتعاون بين كلية الآداب وبين جميع الكليات والمعاهد ومراكز البحوث المهتمة بالتراث العربي والاسلامي في العالم . وستضم هذه الوحدة أجهزة لتصوير الكتب والوثائق إضافة إلى أجهزة لقراءة المايكروفيلم وتصويرها أيضاً . كما قامت الكلية بشراء جهاز عرض سينمائي حجم ١٦ ملم لعرض أفلام تعليمية على الطلبة حيث ستتمكن الأقسام العلمية المختلفة من الاستفادة منه أثناء التدريس .

الاساتذة الزائرون

٣ – قام المؤلف برسي هوارد نيوبي Parcy Howard Newby الروائي البريطاني بزيارة لقسم اللغات الأوربية في كليتنا وألقى محاضرة بعنوان

«علاقة المؤلف بمادته» وقد تحدث الروائي المذكور عن تجربته في كتابة الرواية وعن مواضيع بعض الروايات .

٤ — زار الدكتور مصطفى عبدالحميد العبادي رئيس قسم تاريخ اليونان والرومان في جامعة الاسكندرية الموصل وألقى محاضرة في كليتنا عن أهمية دراسة التاريخ اليوناني والروماني في فهم التاريخ العربي والاسلامي.

٥ — زار الدكتور جلال يحيى رئيس قسم التاريخ في جامعة أسيوط بجمهورية مصر العربية مدينة الموصل وحل ضيفاً على جامعة الموصل وألقى محاضرة في كليتنا عن أسباب الثورة الفرنسية وآثارها بالنسبة لأوربا والشرق العربي .

٦ — قام السيد Baker الموفد من المركز الثقافي البريطاني في بغداد بزيارة لقسم اللغات الأوربية واطلع على أوضاع القسم وخططه في تطوير تدريس موضوع اللغة الانكليزية

٧ — زار كليتنا الدكتور سيد يعقوب بكر عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة وأستاذ فقه اللغة واللغات السامية وألقى عدداً من المحاضرت على طلبة قسم اللغة العربية منها (العربية لغة سامية عالمية) . وقد استغرقت زيارته عشرة أيام .

٨ — زار الدكتور جمال زكريا قاسم أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة عين شمس قسم التاريخ بكليتنا وألقى محاضرات يومية على طلبة القسم . وقد استغرقت زيارته مدة اسبوع واحد .

٩ — زار الدكتور عبد المنعم ماجد رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة وأستاذ التاريخ الاسلامي كليتنا حيث قام بالقاء محاضرات يومية على طلبة قسم التاريخ اضافة لالقائه محاضرة عامة

حضرها طلبة وأساتذة قسم التاريخ – وقد استغرقت زيارته مدة ثمانية أيام .

١٠ – قام الدكتور Dr. John Burton رئيس قسم الدراسات العربية بجامعة سانت أندروز في أسكتلندا بالمملكة المتحدة بزيارة كليتنا للفترة مابين ١٩٧٥/٤/١٩ ولغاية ١٩٧٥/٤/٣٠ وألقى عدداً من المحاضرات في مواضيع اللغة العربية والدراسات القرآنية على طلبة كليتنا في قسم اللغة العربية كما القى بعض المحاضرات في قسم التاريخ وقسم اللغات الاوربية .

١١ – قام البروفسفور William Murry عميد مدرسة الدراسات الإنكليزية جامعة لانكستر بالمملكة المتحدة بزيارة قسم اللغات الاوربية في كليتنا والقى محاضرة على طلبة الصفوف الثالثة والرابعة في قسم اللغات الاوربية عن (الشاعر الإنكليزي بليك W.Blake).
وقد رافقه في زيارته للموصل السيد فايلر المسؤول عن تدريس اللغة الإنكليزية في المركز الثقافي البريطاني في بغداد – وقد إستغرقت زيارته مدة ثلاثة أيام .

١٢ – زار كليتنا المستشرق الروسي الدكتور نيقولا لوتلوف والمستشرقة الدكتورة يلينا غولويوفكايا والقيا محاضرات عن تاريخ اليمن الشمالية على طلبة قسم التاريخ – وقد استغرقت زيارتهما أربعة أيام .

١٣ – ضمن زيارة وفد الأساتذة المصريين للقطر إستناداً إلى الدعوة الموجهة لهم من مجلس قيادة الثورة زار كليتنا كل من الأساتذة

* الدكتور أحمد دراج رئيس قسم التاريخ جامعة القاهرة
* الدكتور محمود السروجي رئيس قسم التاريخ الحديث جامعة الإسكندرية
* الدكتور لطفي عبدالوهاب رئيس قسم التاريخ القديم جامعة الإسكندرية

* الدكتور أحمد العنوي رئيس قسم التاريخ كلية العلوم القاهرة
* الدكتور عبدالمنعم محمدحسنين عميدالدراسات الشرقية جامعة الأزهر
* الدكتور مصطفى الشكعة رئيس قسم الدراسات العربية جامعة عين شمس
* الدكتور جوزيف نسيم أستاذ قسم التاريخ جامعة عين شمس
* الدكتور أحمد مختار عبادي أستاذ قسم التاريخ جامعة عين شمس

وقد اطلع الأساتذة المذكورون على أقسام الكلية وبعض نشاطاتها كما القوا بعض المحاضرات على الطلبة في الكلية .

١٤ ـ زار الدكتور خليل حماش عميد كلية الآداب جامعة بغداد كليتنا لمدة يوم واحد والقى محاضرة على طلبة وأساتذة قسم اللغات الاوربية حول مناهج اللغة الإنكليزية الجديدة .

١٥ ـ زار الدكتور حكمت الاوسي مدير شؤون الإنسانيات العامة في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي كليتنا والقى محاضرتين على طلبة قسم اللغة العربية ومحاضرة عامة بعنوان (من مظاهر التأثير العربي في الثقافة الإسبانية . وقد استغرقت زيارته مدة ثلاثة أيام .

١٦ ـ استضافت كليتنا مجموعة من طلبة قسم التاريخ بجامعة بغداد يرافقهم الدكتور عبدالله فياض حيث القى محاضرة عامة على طلبة قسم التاريخ .

المؤتمرات

١٧ ـ أوفد الدكتور أحمد الحسو للمشاركة في المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته والذي انعقد في تونس في ٢٤، ٢٥ كانون الأول ١٩٧٤ وقد مثل جامعة الموصل وكلية الآداب فيه .
وقد شارك الدكتور أحمد الحسو بالقاء بحث يمثل نصوصاً تاريخية تتعلق بتاريخ المغرب والأندلس .

١٨ ـ شاركت جامعة الموصل بثلاثة من أساتذتها في المؤتمر التأريخي الأول الذي آنعقد في بيروت للفترة من ١٠ /٣/١٩٧٥ ـ١٦ /٣/١٩٧٥ تحت شعار (الحضارة العربية بين الأصالة والتجديد)وهم الدكتور هاشم الملاح عميد كلية الآداب والدكتور محيي الدين توفيق رئيس قسم اللغة العربية في الكلية والدكتور خضر الدوري الأستاذ المساعد في قسم التأريخ بالكلية .وقد ساهم الوفد في المشاركة الايجابية في مناقشات المؤتمر ودفعها في الاتجاه العربي التقدمي .وقد تمخض المؤتمر المذكور عن توصيات إيجابية فيها الموافقة على عقد المؤتمر التأريخي الثاني في جامعة الموصل وعلى أن يكون شعار المؤتمر القادم (الحضارة العربية في حاضرها ومستقبلها) .

١٩ـ أوفدت جامعة الموصل الدكتور محمد أزهر السماك للمشاركة في الندوة العلمية العالمية الأولى لمركز الخليج العربي الذي آنعقد في جامعة البصرةخلال الفترة ٢٩ ـ ٣١آذار ١٩٧٥ والذي شاركت فيه وفود من (٢٢) دولة عربية وأجنبية وقد القى الدكتور السماك بحثاً بعنوان (دورعوائد النفط في التنمية الاقتصادية لأقطار الخليج العربي)

المناضرات العلمية

٢٠ ـ تمت مناقشة أبحاث السادة المدرجة أسماؤهم آدناه من قبل مجلس قسم اللغة العربية .

الاتجاه الرومانسي في القصة العراقية القصيرة

للدكتور عمر الطالب

« صورة القصيدة الجاهلية » للسيد علي محمد الحبوبي

« نظرة في موسيقى الشعر العربي وعروضه »

للسيد محمد علي الحسيني

« دراسة تحليلية في همزتي (إن وأن »

للسيد عبد الوهاب العدواني

٢١ – «أقام قسم التأريخ عدة سيمينارات علمية لمناقشة البحوث التالية : عبد الله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري وكتابته التأريخية في السيرة والمغازي »

للسيد محمود ياسين التكريتي

« بغداد منذ تأسيسها وحتى الغزو المغولي دراسة في التغيير السكني»

للدكتور خضر الدوري

« مكانة العرب ونفوذهم في العصر العباسي الأول »

للسيد صلاح الحيدري

« المسكوكات الفضية العباسية في مجموعة مركز البحوث الآثارية والحضارية لجامعة الموصل »

للسيد عبد الواحد الرمضاني

« التحول الرأسمالي في الحجاز خلال العصر الأموي »

للانسة نجلة الصباغ

المحاضرات العامة

٢٢ – القى الدكتور هاشم الملاح عميد كلية الآداب محاضرة عن دستور المدينة في زمن الرسول (ص) على قاعة النشاط المدرسي بدعوة من جمعية التراث العربي في الموصل وقد حضرها جمهور كبير من المثقفين والمهتمين بشؤون الفكر والتراث وأعقبها نقاش مفتوح حول مضمون المحاضرة .

٢٣ – ألقى الدكتور محمد عبدالرحمن برج الأستاذ في قسم التاريخ بكليتنا محاضرة بعنوان (المغرب العربي المعاصر وموقف بعض المؤرخين الأجانب منه) .

٢٥ – افتتح قسم اللغة العربية موسمه الثقافي للعام الدراسي ١٩٧٥/١٩٧٤ بمحاضرة السيد قاصد ياسر الزيدي – المدرس في القسم المذكور بعنوان التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبدالرحمن – دراسة ونقد في ٢٥ / ١١ / ٩٧٤ .

٢٦ – الدورات التأهيلية

أعد قسم اللغة العربية في كليتنا دورة تأهيلية لمدرسي اللغة العربية في محافظة نينوى لمدة شهرين وكان عدد المشاركين فيها حوالي (٥٠) مدرساً وساهم في إلقاء المحاضرات فيها جميع مدرسي القسم المذكور . كما أعد قسم التاريخ دورة مماثلة لمدرسي التاريخ ولمدة شهرين وبلغ عدد المشاركين فيها (٥٠) مدرساً وساهم في إلقاء المحاضرات فيها جميع أساتذة القسم .

٢٧ – شارك قسم اللغات الأوربية باعداد دورة لتدريس اللغة الانكليزية في المركز الثقافي الاجتماعي لجامعة الموصل حيث تم تنسيب أثنين من أعضاء القسم للتدريس فيها وبمعدل أربعة محاضرات في الاسبوع .

٢٨ – **المطبوعات**

قام كل من الأساتذة الدكتور محي الدين توفيق والدكتور توفيق اليوزبكي والسيد صلاح الدين أمين بتنقيح كتاب «دراسات في الوطن العربي» وقد تم اخراجه وطبعه بشكل أنيق .

٢٩ – قامت جامعة الموصل بطبع المحاضرات التي ألقاها الدكتور نوري القيسي – رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بغداد – على طلبة قسم اللغة العربية في كليتنا بصفته استاذاً زائراً حول (وحدة القصيدة في الشعر الجاهلي) .

٣٠ – قامت الكلية بتوزيع المجموعة الشعرية والقصصية لبعض الأدباء الشباب من طلبة كلية الآداب وقد طبعت على نفقة الجامعة .

الموسم الثقافي للكلية

١. أفتتح الأستاذ فليح حسن الجاسم محافظ نينوى الموسم الثقافي الأول لكلية الآداب بجامعة الموصل بمحاضرة قيمة بعنوان (دراسات في قانون الحزب القائد) وذلك في الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء المصادف ٢١/ ١/١٩٧٥ وقد تفضل السيد المحافظ بشرح أبعاد قانون الحزب القائد ووضح طموحات حزب البعث العربي الاشتراكي في قلب الواقع العربي المتخلف عن كافة الأصعدة والجوانب داخل القطر وعلى الصعيد القومي أيضاً من أجل تجاوز كل السلبيات التي وقفت عائقاً في طريق وحدة وتقدم وازدهار الأمة العربية وفي كافة أرجاء الوطن العربي .. وكيف أن الحزب القائد يستند في نضاله إلى الجماهير العربية التي هي الغاية والوسيلة في نضال الحزب وإلى الأسس العلمية والموضوعية أيضاً من أجل ترسيخ نهجه الثوري التقدمي . وقد أعقب المحاضرة نقاش مفتوح مع الجمهور الغفير الذي اكتضت به قاعة الإدارة المحلية في الموصل وقد استغرق النقاش أكثر من ساعة أيضاً .

٢. وضمن نشاطات الموسم ، ألقى الدكتور هاشم الملاح عميد كلية الآداب، محاضرة بعنوان (نظريات السيادة وتطور أنظمة الحكم في العراق) عصر يوم الثلاثاء المصادف ١١ ــ ٢ ــ ١٩٧٥ على قاعة المتحف ، حضرها السيد رئيس الجامعة وعدد كبير من الأساتذة والأدباء والمثقفين في الموصل ... استعرض خلالها موضوع السيادة وتطور أنظمة الحكم في العراق منذ مطلع القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر ... وقد أكد من خلال محاضرته بأن (السيادة) كانت محصورة في يد الحكومات الرجعية والدكتاتورية دون أن تجسد آمال وطموحات الشعب العراقي وأنها كانت مفرغة من أي تطبيق ديمقراطي واقعي إلا ثورة الرابع عشر من رمضان وثورة السابع عشر من تموز التي جاءت تعبيراً عن إرادة الشعب في تغيير الواقع والسير بالبلاد في طريق التطور والتقدم والإزدهار وقد أعقب المحاضرة نقاش مفتوح استمر أكثر من ساعة .

٣. كما ألقى الدكتور خضر الدوري- الأستاذ المساعد في قسم التاريخ- محاضرة بعنوان (حي بن يقظان ونظرية المعرفة عندآبن طفيل) عصر يوم الثلاثاء المصادف ١٨ - ٢ - ١٩٧٥ على قاعة المتحف حيث تطرق السيد المحاضر إلى طرق المعرفة عند المسلمين وخصوصاً الطريق الاشراقي عند آبن طفيل وأعقب المحاضرة نقاش مفتوح حول هذه القصة وجوانبها الإنسانية والثقافية والفلسفية والتاريخية وآستغرق النقاش النقاش أكثر من ساعة وقد حضرها جمهور كبير من المثقفين والأساتذة

٤. وفي عصر يوم الثلاثاء المصادف ٢٥ - ٢ - ١٩٧٥ ألقى الدكتور عصام الخطيب رئيس قسم آللغات الأوربية بكلية الآداب محاضرة بعنوان (ملامح عربية في الأدب الإنكليزي) على قاعة المتحف آستعرض خلالها بعض تأثيرات الأدب العربي على الأدب الإنكليزي كتأثير قصص ألف ليلة وليلة على القصص الإنكليزية وتأثير المعلقات على الشعر الإنكليزي ... وكذلك تأثير الزجل والموشحات الأندلسية على موسيقى الشعر الإنكليزي وأعقب المحاضرة نقاش مفتوح شارك فيه عدد كبير من الحاضرين . وقد أدار النقاش في هذه المحاضرات السيد عاصم اسماعيل.

٥. وضمن نشاطات الموسم أيضاً ألقى السيد علاء موسى نورس محاضرة بعنوان (بدايات آلتغلغل الإستعماري في الشرق العربي) في الساعة الخامسة من يوم الثلاثاء المصادف ١١ - ٣ - ١٩٧٥ على قاعة المتحف وقد أعقب المحاضرة نقاش مفتوح آستغرق أكثر من ساعة . وقد تناولت المحاضرة أوضاع الأمة العربية وظروفها السياسية والإجتماعية والاقتصادية ومخططات الإستعمار وظروف تغلغله في المنطقة العربية .

٦. كما ألقى الدكتور محمد عبدالرحمن برج محاضرة بعنوان (تطور الفكر القومي) في الساعة الخامسة من يوم الثلاثاء المصادف ١٨ - ٣ - ١٩٧٥ تطرق خلالها إلى بداية ظهور الشعور القومي للأمة العربية وما رافق ذلك من ظروف وأحداث وتيارات فكرية ...

وعند آنتهاء المحاضرة أجاب السيد المحاضر على أسئلة الحاضرين وآستغرقت المحاضرة والنقاشات أكثر من ساعتين ونصف الساعة .

٧. وأقيمت أمسية شعرية ضمن نشاطات الموسم وذلك في الساعة الخامسة من يوم الثلاثاء المصادف ٢٥ ٣ ١٩٧٥ وعلى قاعة المتحف الحضارى وقد شارك فيها: الشاعرة بشرى البستاني والشاعر معد الجبوري والشاعر طلال عبدالرحمن وبعد إلقاء القصائد قدم الأديب نجمان ياسين دراسة عن قصائدهم أعقب ذلك نقاش مع جمهور الحضور

٨. وألقى الدكتور محيى الدين توفيق رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب ونقيب المعلمين في نينوى محاضرة بعنوان «النضال القومي والصراع الطبقي» في الساعة الخامسة من يوم الثلاثاء المصادف ٨/ ٤/ ١٩٧٥ على قاعة نقابة المعلمين في الساحل الأيسر وقد حضرها جمهور كبير. وقد تطرق السيد المحاضر إلى العلاقة الجدلية بين الوحدة العربية والاشتراكية وقد أعقبت المحاضرة مناقشة مفتوحة تمت بروح من الديمقراطية والوعي .

٩. وضمن نشاطات الموسم الثقافي أيضاً لكليتنا ألقى الدكتور عمر الطالب المدرس في قسم اللغة العربية محاضرة بعنوان (ملامح من القصة في الموصل) في الساعة الخامسة عصراً من يوم الثلاثاء المصادف ١٥ /٤ /١٩٧٥ وعلى قاعة المتحف الحضاري لمدينة الموصل . تناول خلالها أعمال بعض الكتاب الموصليين في القصة القصيرة . وقد أعقب المحاضرة نقاش مفتوح .

١٠. أُقيمت ندوة عن (القصة القصيرة في الموصل) شارك فيها عدد من كتاب القصة الشباب في المدينة والجامعة في الساعة الخامسة من يوم الثلاثاء المصادف ٢٢ /٤ /١٩٧٥ وهم (أمجد توفيق ، محمود الجنداري طلال عبدالمجيد ، نجمان ياسين) وقد أدار الندوة الدكتور عمر الطالب.

وقدجرى خلال الندوة طرح آراء الكتاب الشباب في القصة القصيرة وتجاربهم فيها ... ثم جرت مناقشة مفتوحة مع جمهور الحضور .

١٢. ألقى الدكتور محمود الحاج قاسم محاضرة عن (التعريب) في الساعة الخامسة عصراً من يوم الثلاثاء المصادف ٢٩ ـ ٤ وعلى قاعة المتحف الحضاري لمدينة الموصل . وقد تناولت المحاضرة تعريب المناهج الدراسية وأهميتها وقد جرى نقاش مفتوح حول الموضوع بمشاركة جمهور الحاضرين.

١٣. وضمن نشاطات الموسم الثقافي ألقى الدكتور عباس الدباغ محاضرة بعنوان (النفط ومعركة الأسعار) وذلك في الساعة الخامسة من يوم الثلاثاء المصادف ٦/٥/١٩٧٥ وعلى قاعة المتحف وقد تطرق السيد المحاضر إلى صراع الدول المنتجة للنفط ضد الاحتكارات الاستعمارية وما يرافق معركة الأسعار من خطط آستعمارية لتخفيض أسعار النفط ونهب الأرباح من آلشعوب النامية . وقد أعقب المحاضرة كالعادة حوار مفتوح مع جمهور الحضور .

١٤. هذا وقد أختتمت نشاطات الموسم الثقافي لكلية الآداب للعام الدراسي ١٩٧٥/١٩٧٤ بندوة عن المرأة في يوم الثلاثاء المصادف ١٣/٥/١٩٧٥ شارك فيها : كل من السيدة نهاد الخياط المدرسة في كلية الآداب والآنسة وصال مصطفى الطالبة في كلية الإدارة والاقتصاد والانسة بشرى البستاني مسؤولة اللجنة الثقافية في اتحاد نساء العراق والدكتور محيي الدين توفيق رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب ونقيب المعلمين في محافظة نينوى .. وقد تناولت الندوة مناقشة مواضيع عديدة بمناسبة عام المرأة العالمي وطموحات المرأة ونشاطات الاتحاد العام لنساء العراق وموقف حزب البعث الاشتراكي ونظرته إلى المرأة والمنجزات التي حققتها ثورة السابع عشر من تموز للمرأة العراقية وقد اتسمت النقاشات بالصراحة والجرأة والوعي الحقيقي لدور المرأة في المجتمعات الانسانية .

الايفادات الدراسية

اوفد كل من السيد احمد خطاب العمر –المدرس المساعد– في قسم اللغة العربية والسيد كاصد ياسر الزيدي –المدرس في قسم اللغة العربية بإجازة دراسية الى جمهورية مصر العربية .كما اوفد السيد ربيع محمد قاسم –المساعد الباحث –في قسم اللغات الاوربية بإجازة دراسبة الى المملكة المتحدة للحصول على شهادة الدبلوم العالي ثم الماجستير من جامعة نوتنكهام .واوفد السيد عبد التواب احمد سعيد –المعيد– في قسم التاريخ الى جمهورية مصر العربية بإجازة دراسية للحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

منح كل من السادة لازم مهران اوانيس –المساعد الباحث– في قسم اللغات الاربية إجازة دراسية لمدة سنتين للحصول على شهادة الماجستير باللغة الانكليزية من جامعة بغداد والسيد جعفر عباس حميدي – المدرس –المدرس المساعد – في قسم التاريخ اجازة دراسية للحصول على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة بغداد .

تمت ترقية كل من الدكتور خضر الدوري والدكتور كاظم هاشم نعمة المدرسين في قسم التاريخ الى مرتبة استاذ مساعد ..... وتمت ترقية كل من الدكتور حازم طه مجيد والسيد حازم عبد الله خضر المدرسين في قسم اللغة العربية الى مرتبة –أستاذ مساعد– كما تمت ترقية السيد صلاح الدين أمين طه –المدرس المساعد– في قسم التاريخ الى مرتبة مدرس .